

مكتبة المحبة
المواعظ الإلهية
لعشيات الآحاد وقداسات آحاد
وأعياد السنة القبطية
الكتاب الثانى
ويشمل : الفترة من توت إلى أمشير
مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان
بقلم
القمص لوقا الأنطونى

المواعظ الإلهية
لعشيات الآحاد وقداسات آحاد
وأعياد السنة القبطية

الكتاب الثانى
ويشمل: الفترة من توت إلى أمشير

بقلم
القمص لوقا الأنطونى

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)

الكتاب: المواعظ الإلهية (الكتاب الثانى).

المؤلف: القمص لوقا الأنطونى.

الطبعة: الثانية سبتمبر ٢٠٠٠م.

المطبعة: طبع بشركة هارمونى للطباعة ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠

النشر والتوزيع: مكتبة المحبة: ت: ٥٧٥٩٢٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٣٥٩٦ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى: 977-12-0685 -0

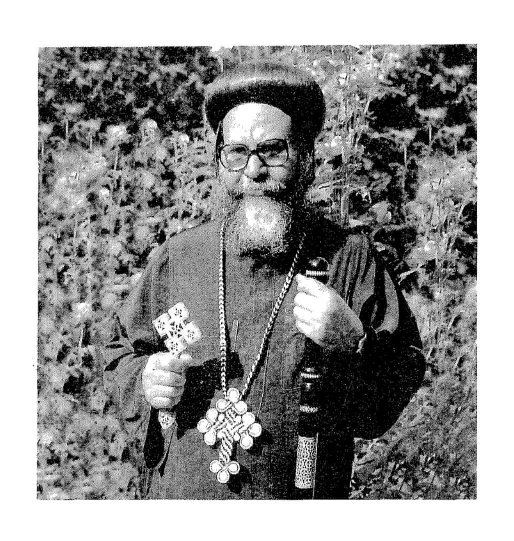


القديس العظيم الأنبا أنطونيوس



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)

إهداء الكتاب

إلى أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

كوكب البرية وأب جميع الرهبان

إلى العاملين فى كرم الرب.

إلى الرعاة والمعلمين.

إلى الآباء والبنين.

إلى من تهمه نفسه،

ويتوق إلى خلاص الآخرين.

أُهدى هذا الكتاب مع تضرعاتى

لله ليستُخدم لمجد اسمه ـ آمين.

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ما كادت تظهر الطبعة الأولى من **المواعظ الإلهية** الجزء الثانى: ويشمل الفترة من توت إلى أمشير حتى نفذ بعد فترة وجيزة. ومن وقتها أبدى الكثيرون من دارسو الكتاب المقدس فى إعادة طبع الجزء مرة أخرى.

وإننى أجثو أمام إلهنا القدوس، شاكراً عظيم نعمته ومؤازرته. فها هى الطبعة الثانية تظهر مع بدء رأس السنة القبطية للشهداء الأطهار لعشيات الآحاد وقداسات آحاد وأعياد النصف الأول من السنة القبطية فى مجلد واحد بطبعة جديدة ومنقحة.

قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه: "وصية جديدة أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا" (يو ١٣ : ٣٤). وأحب التلاميذ معلمهم، فانطلقوا يكرزون ويبشرون باسمه ويحملون رسالته.

وكما كان السيد المسيح نموذجاً عالياً ومثالاً سامياً لكل معلم فى شخصيته وصفاته وأهليته، كذلك كان فى علاقته كمعلم بتلاميذه خصوصاً، وبجميع الناس كافة.

وقد كانت هذه المحبة من جانب التلاميذ لمعلمهم الأعظم سر الحمية التى صبت فى دمائهم حرارة، فطفقوا يعبرون عن حبهم، مدفوعين به إلى العمل من أجل اسمه، ونشر دعوته، محتملين عن رضى كل عنت واضطهاد من أجله. ومما سجله سفر أعمال الرسل عن تلاميذ السيد المسيح أن قادة اليهود استحضروهم للمحاكمة أمام مجمع السنهدريم، وهو أعلى سلطة دينية عندهم، بسبب تبشيرهم باسم معلمهم. "ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم ألا يعلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم. أما هم فانصرفوا من أمام المجمع فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل هذا الاسم" (أع ٥ : ٤٠، ٤١).

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكر أسرة مكتبة المحبة التى قامت بطبع ونشر هذا الكتاب الثانى وفقها الله فى جميع مشاريعها لمجد اسمه القدوس وخير الكنيسة.

أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركه وخلاص النفوس.

بشفاعة **أمنا العذراء القديسة مريم**، وبصلوات أبينا المكرم الطوباوى **قداسة البابا شنوده الثالث**، وشريكيه فى الخدمة الرسولية أبوينا المكرمين **نيافة الأنبا متاؤس** أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)، **ونيافة الأنبا يسطس** أسقف ورئيس دير أبينا **القديس العظيم الأنبا أنطونيوس** العامر.

ولإلهنا المجد الدائم فى كنيسته إلى الأبد. آمين.

القمص لوقا الأنطونى

١١ سبتمبر ٢٠٠٠م
أول توت ١٧١٧ش } **رأس السنة القبطية**

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الثانى

فى طبعته الأولى

صدر الجزء الأول من كتاب "المواعظ الإلهية" فى شهر مارس سنة ١٩٨٦ ، وكان يتضمن عظات آحاد وجمع الصوم الكبير والخماسين المقدسة، وقد لاقى إقبالاً كبيراً من الآباء الكهنة والوعاظ والخدام والشعب لمِ فيه من تأملات عميقة وجديدة.

والآن يصدر بنعمة الله الجزء الثانى من هذه الموسوعة الوعظية متضمناً عظات مرتبة على أناجيل قداسات الآحاد فى الفترة من أول توت (رأس السنة القبطية) إلى نهاية شهر أمشير، أى ستة أشهر كاملة وهى عبارة عن النصف الأول من السنة القبطية.

وقراءات قداسات الآحاد فى الأيام السنوية لها فلسفة عميقة فهى توضح عمل الثالوث القدوس فى الكنيسة المقدسة أى أثره الجليل فى تدبيرها وخلاصها وإرشادها ومعونتها وحفظها حسب العبارة السامية المتضمنة للبركة الرسولية التى تبارك بها الكنيسة شعبها قائلة: "محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وشركة ومواهب الروح القدس فلتكن مع جميعكم".

+ وقد أفردت الكنيسة لعنصر "محبة الله الآب للبشر" قراءات آحاد شهر توت أول شهور السنة القبطية.

+ وأفردت لعنصر "نعمة الابن الوحيد" قراءات الأشهر التالية حتى نهاية شهر بشنس.

+ كما أفردت لعنصر "شركة ومواهب الروح القدس" قراءات آحاد شهر بؤونة كله.

+ أما شهر أبيب الذى يقع فيه عيد الرسل الأطهار فقد ركزت قراءاته على معونة المخلص لرسله القديسين.

+ قراءات شهر مسرى تتحدث عن عناية المخلص بكنيسته حتى نهاية العالم.

+ أما أحد النسيء فيتكلم عن انقضاء العالم والعلامات التى تسبق المجيء الثانى للسيد المسيح له المجد.

+ إنجيل قداس الأحد يحوى الغرض الأساسى وتدور حوله بقية القراءات مثل إنجيل عشية وإنجيل باكر والبولس والكاثوليكون والابركسيس.

ونوضح ذلك فى السطور التالية:

(أ) محبة الله الآب للبشر (١)

آحاد شهر توت

تتفق أناجيل القداس فى آحاد شهر توت على التحدث عن موضوع "محبة الله الآب للبشر" وتتجلى هذه المحبة فى المظاهر الأربعة التالية:

الأحد الأول: (لو ٧: ٢٨- ٣٥).

حكمته: التى اقتضت أن يرسل يوحنا المعمدان لتهيئة النفوس بالتوبة لاستقبال المخلص الآتى لخلاص العالم.

الأحد الثانى: (لو ١٠: ٢١- ٢٨).

إنجيل ابنه: وهو البشارة التى جاء بها مخلصنا يسوع المسيح داعياً الكل للإيمان به رباً وإلهاً ومخلصاً.

الأحد الثالث: (لو ١٩: ١- ١٠).

خلاصه: ويظفر به الذين يقبلون هذه البشارة المحيية وشخص المخلص كما خلص به زكا "اليوم حصل خلاص لهذا البيت".

الأحد الرابع: (لو ٧: ٣٦- ٥٠).

غفرانه: الذى يتمتع به الذين يأتون نادمين ومعترفين بخطاياهم كما حدث للمرأة الخاطئة.

(١) كتاب كنوز النعمة للأرشيدياكون بانوب عبده الجزء الأول من صفحة ١٤ إلى ٢١

(ب) محبة الابن الوحيد لشعبه

آحاد شهر بابة

سلطان المخلص على النفوس

الأحد الأول: (مر ٢ : ١ – ٢).

تطهير النفوس: من خطاياها كما حدث للمفلوج الذى برىء من خطيته ومن مرضه.

الأحد الثانى: (لو ٥ : ١ – ١١).

إجتذابها إليه: بشبكة الإنجيل كما اصطادت الشبكة التى أُلقيت على كلمته سمكاً كثيراً جداً.

الأحد الثالث: (مت ١٢ : ٢٢ – ٢٨).

إخراج الشياطين: كما أخرج الشيطان من الرجل المجنون الأعمى الأخرس.

الأحد الرابع: (لو ٧ : ١١ – ١٧).

منحها الحياة: بإقامتها من موت الخطية كما تحنن على ابن الأرملة وأعاد إليه الحياة ثانية.

آحاد شهر هاتور

إنجيل المخلص لشعبه

الأحد الأول: (لو ٨ : ٤ – ١٥).

ثمرة الإنجيل: كما أثمرت البذار التى أُلقيت على الأرض الصالحة مائة ضعف.

الأحد الثانى: (مت ١٣ : ١ – ٩).

بركات الإنجيل: إعادة لمثل الزارع لأن هذا الوقت هو ميعاد زراعة المحاصيل الشتوية

فى مصر، والكنيسة تطلب البركة لشعبها ومزروعاتهم وكل أعمالهم.

الأحد الثالث: (لو ١٤ : ٢٥- ٣٥).

ضيقات الإنجيل: من لا يحمل صليبه (يحتمل الضيقات) ويتبعنى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً.

الأحد الرابع: (مر ١ : ١٧- ٣١).

مكافأة الإنجيل: من ترك بيوتاً أو أقارب لأجل الإنجيل والخدمة يأخذ مائة ضعف وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية.

آحاد شهر كيهك

ظهور المخلص

شهر كيهك هو شهر صوم الميلاد وعيد الميلاد المجيد، وقد ذكرت أناجيل الآحاد الحوادث السابقة لميلاد المخلص كالآتى:

الأحد الأول: (لو ١ : ١- ٢٥).

البشارة برحمته: بشارة الملاك لزكريا الكاهن بيوحنا المعمدان الذى جاء سابقاً للمخلص ليهيىء الطريق قدامه.

الأحد الثانى: (لو ١ : ٢٦- ٣٨).

البشارة بمولده: بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بأنها ستحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وخضوع العذراء لإرادة الله بقولها: "هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك".

الأحد الثالث: (لو ١ : ٣٩- ٥٦).

ظهور رحمته وعدله: زيارة العذراء لأليصابات وترحيب أليصابات بها ثم تسبحتها

الخالدة التى قالت فيها: "... رحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه... أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين (عدله).

الأحد الرابع: (لو ١ : ٥٧- ٨٠).

التنبؤ بظهوره: حسب نبوة زكريا الكاهن يوم ميلاد ابنه يوحنا المعمدان وفك عقدة لسانه فقال: "مبارك الرب الذى افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه".

فى ٢٩ كيهك يأتى عيد ميلاد المخلص مكملاً لكل هذه البشارات والنبوات.

آحاد شهر طوبة

خلاص يسوع للأمم

الأحد الأول: (مت ٢ : ١٣- ٢٣).

إعلان الخلاص للأمم: حينما هرب السيد المسيح إلى مصر وتحطمت أوثانها إيذانا بانتهاء عبادة الأوثان وإعلان الخلاص للأمم.

الأحد الثانى: (لو ١١ : ٢٧- ٣٦).

بركات الخلاص: طوبى (سعادة) للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه.

الأحد الثالث: (يو ٣ : ٢٢- ٣٦).

حياة الخلاص: أى الحياة الأبدية التى يفوز بها من يؤمنون بيسوع المخلص "الذى يؤمن بالابن فله حياة أبدية".

الأحد الرابع: (يو ٩ : ١- ٣٨).

إنارة الخلاص: إنارة البصيرة التى يحظى بها من يؤمن بالمخلص كما حدث للمولود أعمى.

آحاد شهر أمشير

مائدة المخلص لخائفيه

الأحد الأول: (يو ٦: ٢٢- ٢٧).

شبع المخلص: اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان.

الأحد الثانى: (يو ٦: ٥- ١٤).

تقدمة المخلص: بعد أن شبع الناس من الخبز الذى قدمه لهم المخلص شكروه قائلين: "هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم".

الأحد الثالث: (يو ٦: ٢٧- ٤٦).

حياة المخلص: أى الحياة الأبدية التى ينعم بها المخلص على من يتناولون من طعامه الروحى "أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً".

الأحد الرابع: (لو ١٩: ١- ١٠).

خلاص المسيح: أى نعمة الخلاص التى ينعم بها الرب يسوع على من يؤمنون به يفتحون له بيوتهم وقلوبهم ويشبعون من شخصه "اليوم حصل خلاص لهذا البيت".

الأحد الخامس من كل شهر

غذاء الإنجيل

إذا بدأ الشهر بيوم سبت أو أحد أصبح فيه خمسة آحاد، ويقرأ فى الأحد الخامس إنجيل البركة أو إنجيل "غذاء الإنجيل" (لو ٩: ١٢- ٢٧). وهو إنجيل معجزة الخمسة خبزات وسمكتين التى أشبع منها المخلص خمسة آلاف رجل ماعدا النساء والأولاد وفضل منها اثنا عشرة قفة مملوءة.

وهذا يمثل شبع الناس بكلمة الإنجيل إذا سمعوها أو قرأوها باهتمام وصلاة وقلب مفتوح وخبأوها فى قلوبهم.

لقد بذل الأب الموقر **الراهب القمص لوقا الأنطونى** جهداً مشكوراً فى هذا الكتاب .نصلى إلى الله أن يعوض الكاتب أجراً سمائياً وأن يستفيد من هذا الكتاب كل من يقرأه فيكون سبب بركة للجميع.

بصلوات أبينا المكرم **البابا شنودة الثالث**.

ولإلهنا المجد الدائم فى كنيسته إلى الأبد. آمين.

متاؤس

أسقف عام

٢ يـــونيو ١٩٨٦م ⎫ تذكار نياحة القديس الأرخن
٢٥ بشنس ١٧٠٢ش ⎭ الجليل المعلم إبراهيم الجوهرى

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الثانى

فى طبعته الأولى

لست أدرى كيف أرفع الشكر إلى أبى السماوى لمؤازرته العجيبة ولكنه يعرف خفايا القلوب، كقول يوحنا الرسول لأهل ثياتيرا "أنه الفاحص الكلى والقلوب" (رؤ ٢ : ٢٣).

إن الجزء الأول الذى صدر من الكتاب «**المواعظ الإلهية**». كان محط عجب الذين درسوه بكل تمعن. وكثيراً ما تحلق بالقارىء فى سماء الفكر المجرد أو تغوص به فى أعماق البحث الحر وتستخرج الدرر التى يقف العقل مذهولاً أمام روعتها ووفرتها.

وبسبب ما تفردت به هذا الجزء من كتاب المواعظ الإلهية تجل عن التقدير والوصف فقد أقبل عليها جمهور الدارسين بشغف كبير. ودليل ذلك ما ظفرت به من آيات الإطراء وما وصلنا من كتب يتلهف فيها مرسلوها على المزيد من هذا الغذاء الروحى العجيب.

وقد شجعنا هذا الرضاء الكريم على مضاعفة الجهد لاستكمال بقية الأجزاء.

وها نحن وبعد ١٥ سنة من البحث والدرس نقدم لأبناء كنيستنا الحلقة الثانية من هذه الموسوعة الكنسية الفريدة، وهى الحلقة الخاصة بالمواعظ الإلهية. راجين أن يجد فيها الباحثون ما يساعدهم على إدراك ما خُفِىَ عليهم.

أتقدم بالشكر لله لعنايته الإلهية من أجل كلمته التى تركها بين أيدينا لكى تكون سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبلنا وغذاءً لأرواحنا وعزاءً لنفوسنا "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" (عب ٤ : ١٢).

وأقدم الشكر أيضاً إلى أبينا المكرم المحبوب الحبر الجليل صاحب **النيافة الأنبا متاؤس**

الأسقف العام الذى يراجع كل ما أكتبه باهتمام بالغ ويوجهنى توجيهاته الأبوية الكريمة ويشجعنى على المضى فى الجهاد.

الرب يعوض تعب محبة نيافته فى أورشليم السمائية.

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب الصادر عن ضعيف مثلى قوة تنفذ بفعل روح الله القدوس إلى أعماق القلوب. وتثمر أثماراً تليق بمجد اسمه القدوس ورفعة كنيسته وخلاص النفوس.

بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات القديسة الطاهرة **مريم والدة الإله**، وجميع الطغمات السمائية، وأبينا القديس العظيم **الأنبا أنطونيوس** أب جميع رهبان العالم.

وببركة وصلوات أبينا أب الآباء وراعى الرعاة غبطة البابا الطوباوى **الأنبا شنودة الثالث** بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وشركاءه فى الخدمة الرسولية آبائنا أصحاب النيافة **الأنبا أثناسيوس** مطران كرسى بنى سويف والبهنسا **والأنبا متاؤس** الأسقف العام، **والأنبا ديسقورس** الأسقف العام وناظر دير أبينا القديس **الأنبا أنطونيوس** العامر. آدام الله حياتهم سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة.

ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد. آمين.

الراهب القمص لوقا الأنطونى

١١ سبتمبر ١٩٨٦ رأس السنة القبطية

١ تـــوت ١٧٠٣ للشهداء الأطهار

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الخامس

فى طبعته الأولى

لصاحب النيافة الحبر الجليل

الأنبا متاؤس

أسقف عام كنائس مصر القديمة

أصدر جناب الأب الموقر **الراهب القمص لوقا الأنطونى** أربعة أجزاء من موسوعته "**المواعظ الإلهية**" تضمنت عظات على أناجيل قداسات الآحاد للسنة القبطية كلها، فسدت فراغاً ملحوظاً فى المكتبة القبطية، وأصبحت مرجعاً لكل كاهن وكل واعظ.

والآن يصدر جنابه الجزء الخامس من موسوعته متضمناً عظات على أناجيل عشيات الآحاد للنصف الأول من السنة القبطية، من شهر توت المبارك حتى شهر أمشير المبارك. وهذا يعمل على إحياء طقس رفع بخور عشية، ويجعل المصلين يسمعون عظة دسمة تشجعهم على الحضور والاشتراك فى صلوات رفع بخور عشية، الذى هو بداية واستعداد للقداس الإلهى. وسيتابع جنابه إصدار بقية الأجزاء التى تخدم أناجيل العشيات لبقية آحاد السنة القبطية.

نرجو من الله أن تكون هذه الكتب سبب بركة ونمو فى المعرفة والفضيلة لكل من ينهل من فيض كنوزها، وأن يعوض الكاتب عن تعبه كل خير وبركه.

بصلوات أمنا الطاهرة **القديسة مريم**، وأبينا القديس العظيم **الأنبا أنطونيوس**، وأبينا المكرم الطوباوى **البابا شنودة الثالث**.

وسلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة آمـــــين.

الأنبا متاؤس

الأسقف العام

أول مسرى ١٧٠٣
٧ أغسطس ١٩٨٧ } صوم السيدة العذراء

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الخامس
فى طبعته الأولى

إلى إخوتنا الأحباء خدام الكلمة الذين يقدمون ذواتهم ذبائح فى أقدس ميدان نقدم الجزء الخامس من موسوعة "**المواعظ الإلهية**"، وهدفه تقديم العظات فى أسلوب سهل مباشر. ونأمل أن نكون بنعمة السيد المسيح قد وفقنا فى ذلك.

شكراً لله من أجل كلمته التى تركها بين أيدينا لكى تكون سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبلنا وغذاءً لأرواحنا وعزاءً لنفوسنا "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح..." (عب ٤ : ١٢).

شكراً لصاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** أسقف عام كنائس مصر القديمة الذى تفضل مشكوراً بمراجعة وتقديم الجزء الخامس من هذا الكتاب. الرب نسأل أن يعوضه عن تعب محبته أجراً صالحاً فى أورشليم السمائية.

وشكراً أيضاً للسيد الفاضل الشماس/ الدكتور توماس بطرس أخصائى طب وجراحة العيون بالقاهرة الذى قام بمراجعة الكتاب لغوياً.

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب الصادر عن ضعيف مثلى قوة تنفذ بفعل روح الله القدوس إلى أعماق القلوب، وتثمر أثماراً تليق بمجد اسمه القدوس ورفعة كنيسته، وأن يؤازرنى بنعمته لإخراج الجزء السادس والأخير من المؤلف. وليتمجد الرب فى ضعفى.

بشفاعات أمنا **القديسة الطاهرة العذراء مريم والدة الإله**، وأبينا القديس العظيم **الأنبا أنطونيوس**، وبصلوات أبينا الطوباوى قداسة **البابا شنودة الثالث** وشريكيه فى الخدمة الرسولية أبوينا المكرمين نيافة **الأنبا متاؤس**، ونيافة **الأنبا يسطس**.

ولربنا وإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد. آمين.

القمص لوقا الأنطونى

١٩ يونيو ١٩٩٢
١٢ بؤونة ١٧٠٨ } تذكار رئيس الملائكة ميخائيل.

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من شهر توت

العظمة

«لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (مت ١١ : ١١).

يدور موضوع عشية هذا المساء المبارك حول العظمة، تلك التى شهد بها السيد المسيح ليوحنا المعمدان والتى سبق وأنبأها جبرائيل الملاك حينما بشر زكريا بولادة يوحنا قائلاً: "بأنه يكون عظيماً أمام الرب" (لو ١ : ١٥). فتريد الكنيسة الآن أن تلفت أنظارنا إلى هذه العظمة لأنها تود من صميمها أن يكون أبناؤها عظماء فى ميلادهم، عظماء فى حياتهم، عظماء فى وفاتهم، لأنها الأم الحنون، والوالدة البارة التى تغار على أبنائها وتعمل على رفعتهم ما أمكن وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

جاء يوحنا (السابق الصابغ) الأعظم فى مواليد النساء سفيراً، وقائداً للعربة الملوكية لرب المجد، فاستحق أن يكون النبى الأعظم فى جميع الرسل والأنبياء، وتجلت عظمة المعمدان فى صفاته التالية:

أولاً ـ كان عظيماً قبل وأثناء ولادته:

١ ـ لأنه وُلِدَ بوعد من الله.

٢ ـ لأنه وُلِدَ من عجوز عاقر.

٣ ـ لأنه وهو فى بطن أمه امتلأ من الروح القدس.

١ ـ وُلِدَ بوعد من الله:

فأبوه زكريا، وقت أن كان فى الهيكل، وعلى يمين مذبح البخور ظهر له رئيس جند الرب جبرائيل (خادم سر التجسد) وأنبأه بميلاد هذا النبى العظيم. وإذ قد انقطع كل رجاء فى ولادته بعد أن صار شيخاً وامرأته متقدمة فى أيامها، قال للملاك: كيف يكون هذا؟ وهو يعلم أنه ليس شىء غير ممكن لدى الرب، وإنه لا يستحيل عليه شىء. ضربه

ملاك الرب بالخرس وأفقده النطق إلى أن يتم ذلك فى حينه، فصار زكريا صامتاً مدة تسعة أشهر وثمانية أيام إلى يوم اختتان الصبى، والذى تسمى باسم (ياهو حنان) "يوحنا" الذى معناه الرب تحنن.

وكأنى بهذا المولود العظيم قد لمس شفتى أبيه فانفكت عقدة لسانه وطفق يتكلم ويتنبأ ويمجد الله.

٢ ـ وُلِدَ من عجوز عاقر:

قال الملاك خادم سر التجسد لمريم العذراء بعد ذلك بستة شهور "هوذا أليصابات نسيبتك حبلى بابن فى شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً.

إنه الإعجاز الذى يفوق حد الوصف أن يولد هذا النبى العظيم من هذه العجوز المتهدمة "ولكن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله".

٣ ـ وهو فى بطن أمه امتلأ من الروح القدس:

فعندما دخلت مريم العذراء بيت زكريا وسلمت على أليصابات، امتلأت أليصابات من الروح القدس ـ وكانت حاملاً بيوحنا منذ ستة شهور، وامتلأ يوحنا معها، وتحرك بابتهاج فى بطنها، وكاد يسمع له صوت وهو فى بطن أمه "من أين لى هذا أن يأتى إلىّ ربى وأمه".

عندما حل الروح القدس على مريم، وظللتها قوة العلى، فغمرت بذلك أليصابات وجنينها، فلا شك فى أنه عند امتلاء أليصابات بالروح القدس، امتلأ يوحنا أيضاً معها. أليس هذا هو الكارز الأول بالعهد الجديد، وجاء لكى يهيىء للرب شعباً مستعداً؟

ثانياً ـ كان عظيماً فى حياته وكرازته:

١ ـ فى مأكله وملبسه ومسكنه.

٢ ـ فى معموديته وجرأته وشجاعته.

٣ ـ فى وداعته وإنكاره لذاته وشهادته.

١ ـ عظيماً فى مأكله وملبسه ومسكنه:

فيوحنا المعمدان كان طعامه جراداً وعسلاً برياً، وملبسه منطقة من جلد على حقويه، ومسكنه فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل. وكأبسط ما يتصف به إنسان هكذا كان يبدو يوحنا المعمدان. فهذا العظيم لم يكن طعامه أشهى المأكولات وأمتع المشروبات، ولم يكن لباسه البز والأرجوان وأفخر الثياب ، كما كان (غنى لعازر)، ولم يكن يسكن القصور الشاهقة ويتدثر بالرياش الناعمة، عالماً بذلك أن الله يعطى المتواضعين نعمة وعظمة فكان جوهر عظمته فى بساطة مأكله وملبسه ومسكنه.

٢ ـ عظيماً فى معموديته وجرأته وشهادته:

كان يوحنا أول من مارس معمودية التوبة ختاماً للعهد القديم وبداية لمعمودية الروح القدس والماء.وقد خرج إليه كل اليهود معتمدين منه ومعترفين ومقرين بخطاياهم. وأعظم شرف ناله المعمدان هو سماح السيد المسيح له بأن يعمده ليكمل كل بر، فأنزله إلى الماء ووضع يده على هامة المخلص . وكان يوحنا أول من استمع إلى شهادة الله الآب ـ عن ابنه "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت ٣ : ١٧)، (مر ١ : ١١). وكان الروح القدس نازلاً عليه مثل حمامة ومستقراً عليه وكان المعمدان أجرأ وأشجع جميع الأنبياء حتى استحق أن يكون الأعظم فيهم ـ وكان يوبخ اليهود بقوله لهم: "يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى" (لو ٣ : ٧)، ولقد وقف أمام هيرودس الملك يوبخه فى صرامة قائلاً: "لا يحق لك أن تأخذ زوجة أخيك" (مت ١٤ : ٤)، وهو يعلم كم سيحل به من الشدائد، فأرسل هيرودس وقطع رأسه بعد أن وضعه فى السجن.

٣ ـ كان عظيماً فى وداعته وإنكاره لذاته وشهادته:

إن وداعة المعمدان قد تجلت إنكاره ذاته عندما اعتبر نفسه أنه بالنسبة للمسيح لا

شيء، وهو غير مستحق أن ينحنى ويحل سيور حذائه ـ وما هو إلا صديق للعريس الذى له العروس، ويحق له فقط أن يفرح معه. واكتمل فرحه فعلاً.

كان ممكناً ليوحنا أن يأخذ مكانة أعظم وأرفع مما كان عليه أمام الناس، ولكنه كان يعد ذلك خيانة لسيده. وحاول بعض من تلاميذه أن يوقعوا بينه وبين السيد المسيح، فقال لهم: قلت لكم إنى لست أنا المسيح، بل مرسل أمامه ـ وينبغى أن ذلك يزيد وأنا أنقص. ولعل أعظم ما شهد به المعمدان عن المسيح هو عندما رآه فقال: "هذا هو حمل الله الذى يحمل خطايا العالم" (يو ١ : ٢٩).. رجل كان قبلى فصار قدامى.

ثالثاً ـ كان عظيماً عند استشهاده وموته:

١ ـ حفظه لوصايا الرب إلهه.

٢ ـ صراخ لسانه بعد قطع رأسه.

٣ ـ اختطاف رأسه بواسطة الملاك.

١ ـ حفظه لوصايا الرب:

وفى سبيل ذلك قدم رأسه للجلاد. فعندما أراد هيرودس الملك أن يتزوج بزوجة أخيه وهو حى وقف أمامه يوحنا بصوت يهدر كالأسد قائلاً: "لا يحل لك أن تأخذ زوجة أخيك" (مر ٦ : ١٨). وكان لا يهمه شيء سوى أنه يجب "أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥ : ٢٩).

لقد وقف حائلاً بين شهوات الملك الشريرة مع زوجة خائنة وبين الوصية المقدسة التى لا يسقط منها حرف واحد. وبغيظ وحقد طلبت هذه المرأة رأسه على طبق.

٢ ـ صراخ لسانه بعد قطع رأسه:

يقول تاريخ الكنيسة إنه عندما حملت ابنة هيروديا الرأس المقدس على طبق وجاءت إلى الملك وأمها، كان اللسان يصرخ بشدة "لا يحل لك"، فكانت هذه الشريرة تأتى

بالدبابيس وتغرسها فى اللسان ليصمت.

٣ ـ اختطاف الرأس بواسطة الملاك:

عندما طرحت المرأة الشريرة الرأس المقدس على الأرض لتسكت اللسان الحق الصادق والصوت الشجاع، جاء ملاك الرب وخطف الرأس الطاهر وذهب إلى مدينة حمص ـ وظلت هناك إلى أن أكرمها الرب ووضعت فى أول كنيسة بنيت على اسم هذا النبى العظيم فى الأنبياء شفاعته فلتكن معنا.

ولربنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد. آمـــــين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر توت

العظمة الحقيقية

«لأنى أقول لكم إنه بين المولدين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه» (لو ٧ : ٢٨).

إن من أهم الأدلة على حب كنيستنا المحبوبة وبرها نحونا نحن أبناءها أنها قد حرصت على أن تقدم لنا فى أول أحد من شهر توت الذى هو أول شهور سنتها القبطية فصل الإنجيل الخاص بالعظمة الحقيقية وكأنها قد علمت دخيلة البشر بأنهم يميلون بالطبع الذى فطروا عليه وتسلموه عن جدهم الأول آدم إلى العظمة من أى نوع كانت.

ولهذا رأت بصائب رأيها أن تلفت نظرنا إلى درس العظمة الحقيقية الذى ألقاه رب العظمة والمجد على الجماهير مبيناً لهم فيه:

أولاً ــ ماهية العظمة الحقيقية:

ينشد الكثيرون العظمة فيقصدونها ولكن من غير طرقها المشروعة ويحاولون الدخول إلى ديارها ولكن من غير أبوابها المفتوحة فيتوهمون أنها فى الغنى لأنهم يظنون أن المادة هى كل شىء فيعظمون الأغنياء ويمجدونهم ويظهرون لهم الهيبة والوقار لا لشىء إلا لمجرد كونهم أغنياء بل ما أكثر الذين تأخذهم نشوة الغنى فيظهرون أمام الناس بأنهم عظماء، وأنهم فى الحقيقية ونفس الأمر من المحتقرين المرذولين عند الله الذى سيكشف الستار يوماً عن خباياهم فتظهر عظمتهم الموهومة أمام الناس كلا شىء يوم يقفون أمام الديان العادل عريانين مذلين يقدمون الحساب عما جمعت أيديهم من حلال أو من حرام.

وآخرون يتوهمون باب العظمة فى ألقاب الشرف والسمعة والصيت البعيد والجاه الدنيوى، وهذا أيضاً باطل فكم من ذلك يفنون أيامهم ويصرفون أموالهم وراء هذا الوهم وهم مع ذلك بؤساء أشقياء بعيدون عن العظمة الحقيقية بمراحل. فمنهم من يُلقب (صاحب السعادة) وربما يكون فى داخله من أهل الأسى والتعاسة لأن الإنسان ينظر إلى الخارج أما الداخل فيعلمه الله وحده.

وينادى آخر (صاحب العزة) والعزة لله وحده. فما أكثر ألقاب الشرف ونعوت الافتخار التى يجرى العالم وراءها مع علمه أنها مزيفة وخادعة، وغير هؤلاء يفخرون بحسبهم ونسبهم كما كان اليهود يفتخرون بأنهم أولاد إبراهيم بينما كانت أعمالهم من إبليس فكان يوحنا المعمدان ينذرهم ويدعوهم بأولاد الأفاعى إذن ليست العظمة فى الغنى واليسر ولا فى الألقاب الرفيعة والمناصب العالية ولا فى الحسب أو النسب لأن الموت سوف يساوى بين هذا وذاك، فكم من الملوك لقبوا أنفسهم بأسمى الألقاب ولكنهم أصبحوا فى حكم النسيان.

وأما العظمة الحقيقية فهى تلك التى تتجلى فى خائفى العلى الذين تجردوا من كل شيء فى هذا الوجود إلا من محبة المسيح فأنكروا ذواتهم ونقوا أنفسهم واحتقروا شهوة العين وشهوة الجسد وتعظم المعيشة. أولئك الذين خصصوا حياتهم وكرسوها لله وحده وهكذا بالمثل عرف الله قلوبهم فخصص ذاته لهم وسكن فيهم فعاشوا به وخلع عليهم من عظمته فأصبحوا بالحقيقية عظماء بأخلاقهم وطهارة سيرتهم ولو عاشوا فى هذا العالم فقراء بل كأقذار ووسخ كل شيء إلا أنهم أغنياء فى الإيمان وعظماء فى الرجاء وسعداء فى المحبة. اسمعوا ماذا يقول الرسول:

"أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان وورثة للملكوت" (يع ٢ : ٥).

فيالسعادة أولئك التائبين الذين افتقدهم الله فأرسل إليهم روحه القدوس فنخسهم فى قلوبهم وبكتهم على آثامهم فاعترفوا بها وتجردوا متجددين قائلين مع داود النبى "قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى". فسمع الرب لهم فغفر لهم وغيرهم وحررهم من عبودية الجسد والخطية وصيرهم على صورته فى البر والقداسة.

وإذ اتحدوا به فى سر القربان المقدس صاروا فيه وهو فيهم فخلع عليهم من بره وهيبته وعظمته الحقيقية الدائمة فأصبحوا به ملوكاً وله كهنة وخداماً لا بل ووكلاؤه وسفراؤه على الأرض ورسائله المقروءة من جميع الناس، هؤلاء العظماء الحقيقيون الذين فاقوا الملوك والأنبياء الذين عاشوا فى ظلال ورموز العهد القديم الذين يخاطبهم المسيح بقوله: إن أبراراً وأنبياء كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا.

ثانياً ـ حدود العظمة الحقيقية وأمثلتها:

من بين هؤلاء العظماء الحقيقيون الذين لم يقتنوا عظمتهم من الأمور الباطلة الزائلة كالغنى والحسب والنسب.

فيوحنا المعمدان بطل إنجيل اليوم الذى تحصل على لقب العظمة من رب العظمة نفسه حيث شهد عنه رب المجد كما سمعتم فى إنجيل القداس اليوم بأنه لم يكن بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان.

فما هو سر عظمتك إذن يا يوحنا؟ نعم. فقد كان يوحنا المعمدان عظيماً فى حسبه الممتاز أمام الله إذ كان أبوه زكريا (أى الرب يذكر) وأمه أليصابات (قسم الله) وكانا بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. وكانا متقدمين فى أيامهما فلم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقراً. وأى شرف يناله مخلوق على الأرض أعظم من أن يقوم ببشرى ميلاده الملاك جبرائيل(أى قوة الله) الملاك المحارب المخصص للرحمة كما خُصص زميله الملاك ميخائيل للقضاء والدينونة لأن معنى اسمه (من مثل الله).

فأعلن ملاك الرحمة جبرائيل ولادته المفرحة للجميع كما أعلن اسمه يوحنا المختصرة من لفظة "يوحنان" (أى الرب يتحنن) كما يعلن أخلاقه وخدمته بأنه يكون عظيماً ليس أمام الناس بل أمام الرب فيكون نذيراً للرب كصموئيل وخمراً ومسكراً لا يشرب غير أن الأعظم من كل هذا هو إعلان الملاك لزكريا أبيه بأن ولده يوحنا هذا سيمتلىء من الروح القدس من بطن أمه وأنه يرد الكثيرين إلى الله وفعلاً قد تمت نبوة الملاك عنه فحين دخلت مريم العذراء بيت زكريا وسلمت على أليصابات امتلأت هذه وجنينها من الروح القدس وصرخت قائلة: " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ " (لو ١ : ٤٣).

فبهذا الروح القدس سجد يوحنا لربه وهو بعد جنين فى بطن أمه. وبه كان ينمو ويتقوى فى البرية. وبه أيضاً مع روح إيليا المشتعلة حماسة كان يتقدم الرب يسوع فى خدمته فيهيىء الطريق أمامه.

فإذن كان يوحنا عظيماً فى ميلاده إذ امتلأ وهو فى بطن أمه من الروح القدس. عظيماً فى استقباله أمام الرب ونذيراً له كل حياته كما كان شمشون وصموئيل وعلامة نذره أنه كان لا يشرب خمراً ولا مسكراً (عد ٦ : ٢ ، ٣) غير أن الأهم من كل هذا هو أن يوحنا كان عظيماً فى خدمته التى كانت على وجهين:

الأول : بشرى إذ رد بوعظه وكرازته الملتهبة كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم.

والوجه الثانى: إلهى خاص إذ أعطى أن يعمد رب المجد وأن يهيىء له الطريق ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ـ أى بروح الشجاعة والإقدام والتألم لأجل الحق إتماماً لنبوة ملاخى (ملا ٣ : ١ ، ٢) "هأنذا أُرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى".

كما كان عظيماً أيضاً فى مماته إذ سلم روحه الطاهرة شهيداً عن الحق وقد أزيحت رأسه بسيف هيرودس الظالم وقدمت له على طبق وهى تصرخ فى وجهه قائلة: لا يحل لك يا هيرودس أن تتخذ امرأة أخيك لك وهو حى (مت ١٤ : ٤).

لهذا عندما ضاق يوحنا ذرعاً بظلم هيرودس قبل أن يأمر بقتله وقد ثقلت آلام وضيقات السجن عليه.

رأى يوحنا أن يلجأ بضعفاته البشرية إلى يسوع نفسه ملجأنا الأمين عندما تعصف ريح التجارب القاسية وقال له بلسان تلميذيه اللذين أرسلهما إليه.

أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ أما جواب المسيح فكان عملياً وشافياً إذ كان فى تلك الساعة يشفى كثيرين من أمراض مختلفة . فقال لرسولى يوحنا!

" اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. أن العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فىّ " (لو ٧ : ٢٢ ، ٢٣).

ثالثاً ـ ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه:

ثم التفت إلى الجماهير المحيطة به قائلاً لهم عن يوحنا: "ماذا خرجتم إلى البرية

لتنظروا. أقصبة تحركها الريح بل ماذا خرجتم لتنظروا. أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هوذا الذين فى اللباس الفاخر والتنعم هم فى قصور الملوك. ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً؟ نعم. أقول لكم وأفضل من نبى لأنى أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأعظم فى ملكوت الله أعظم منه" (لو ٧: ٢٤– ٢٨).

ومن هنا نرى السيد المسيح جعل ملكوت الله أو عهد النعمة المقياس الأعلى للعظمة وأن الإنسان بالطبع يعظم فى مقامه وفى خدمته على قدر قربه تاريخياً من الملكوت وبُعده عنه.

ويوحنا المعمدان خاتمة العهد القديم هو قريب تاريخياً من الملكوت الإنجيلى لكنه ليس منه. وقد يقول قائل منكم "ليتنى أدرك ولو جزءاً يسيراً من عظمة يوحنا المعمدان. فأجيبكم بأن عظمة يوحنا لم تكن ذاتية فيه لكنها كانت مكتسبة من المسيح بالنعمة ولقد فُضل يوحنا على الأنبياء الذين سبقوه لأن هؤلاء كانوا المؤخرة وراء عربة الملك، أما يوحنا نفسه فكان فى المعية الملكية نفسها لكنه كان فيها كعبد وكخادم يهيىء طريق الملك وبهذا أكتسب أن يُدعى بحق أعظم المولودين من النساء، أما الأصغر فى الملكوت أى أصغر المولودين من الله ولادة جديدة بمعمودية العهد الجديد بالتوبة الصادقة والإيمان فهو أعظم من يوحنا المعمدان" (يو ١: ١٢، ١٣).

وهذا لأن البركات والامتيازات والمعرفة والاختبارات الجيدة والتمتع بالشركة مع الله تميزه وترفعه عمن عاشوا فى عهد الناموس العتيق. لأن أصغر عظيم أعظم من أكبر صغير. وأصغر قطعة من الماس أثمن من أكبر قطعة من الفحم. وأصغر ابن أعظم من أكبر عبد.

والسر فى هذا هو أن الروح القدس لم يكن قد أُعطِىَ بعد بشكل فياض دائم فى العهد القديم "لأن يسوع لم يكن قد مُجِدَ بعد" (يو ٧: ٣٩).

إذن نستخلص من كل هذا أن الأصغر فى المسيحيين أعظم من الأكبر فى غيرهم لأنه قد جرت العادة أن الأشياء الحقيرة تكتسب عظمة بانتسابها لمِ َ هو أعظم وأمجد.

وإذا كان يوحنا المعمدان قد اكتسب عظمته وهو خاتمة أنبياء العهد القديم كما قلنا بالنسبة لكونه قريب تاريخياً فقط من ملكوت المسيح وليس منه، فالمسيحى الحقيقى ولو كان الأصغر فى الملكوت تاريخياً واختيارياً هو أعظم من يوحنا وأعظم ممن سبقوا يوحنا لأن المسيحى ولو كان قبلاً من أشقى الأشقياء وأخطأ الخطاة لكنه إذا تبرر بالإيمان وتطهر بالتوبة الصادقة وتقدس بروح الله وتمتع بالشركة الحقيقية معه لا بل صار ابناً بالنعمة لله.

كل هذه الامتيازات والبركات تجعله أعظم من أنبياء عهد الناموس العتيق وكفى بالمسيحى التائب الذى قد غسل ثياب خطاياه فى دم الحمل فأصبح من أقدس القديسين لا بل كفاه نعمة أنه قد حصل على شرف البنوة لله حتى صارت له مجاناً فى المسيح حيث قال الوحى الإلهى: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد بل من الله" (يو ١ : ١٢، ١٣).

يكفى الخاطىء التائب فخراً أن يفنى شخصيته الضعيفة الدنسة فى شخصية المسيح القوية القدوسة فَيلبَسْ المسيح له المجد ويجسر أن يقول مع بولس الرسول: " مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ " (غل ٢ : ٢٠).

قال أحد القديسين وهو يحتضر على فراش الموت:

لو علم البشر الإكرام والمجد اللذين أُعد لهم فى المسيح لكانوا يطوفون الأزقة والشوارع صارخين أنا مسيحى. أنا مسيحى لكى يفرحوا الآخرين معهم بهذه البركة والنعمة التى على وشك أن يحصلوا عليها.

فالمؤمن هنا فى هذا العهد يبتهج بفرح داخلى لا ينطق به ومجيد. وهذا الفرح على عظمته لا يُذكر بالنسبة لأفراح السماء التى كل أفراح العالم وأمجاده كأحزان بالنسبة لها. "ما لم تره عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو ٢ : ٩). فطوباك أيها المسيحى التائب المتجدد لأن برك فى المسيح العجيب.

يروى أن رجلاً رأى فى حلم أنه ذهب إلى السماء فرأى جماعة ترتل بفرح. فسأل من هؤلاء؟ فقيل له هم جماعة من الأنبياء فقال: أنا لست نبياً فليس لي مكان بينهم، ثم رأى جماعة أخرى تنشد أناشيد البهجة والحبور فقال: من هؤلاء؟ فقيل له هؤلاء هم زمرة رسل المسيح. فقال: أنا لست رسولاً فلا شأن لى بهم. ثم شاهد جيشاً يغنى أغانى المسيح والحمد لله. فسأل من هم ومن أين أتوا؟ فقيل له: هؤلاء هم الشهداء الذين ماتوا عن الحق كيوحنا المعمدان وغيره. فقال: أنا لست شهيداً فلا محل لى بينهم. أخيراً رأى جمهوراً عظيماً وهم يرنمون ترنيمة جديدة قائلين: "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ ٥ : ٩).

فسأله من هؤلاء؟ فقيل له هم جماعة الخطاة المخَلصين الذين فداهم المسيح بدمه. فقال الحمد لله لأنى وجدت مكاناً بينهم لأننى أول الخطاة ولأن المسيح مات لأجلى. أرأيتم إذن قيمة الخاطىء التائب عند الله.

"الحق الحق أقول لكم أنه تعالى يهتم بخاطىء واحد يتوب ويفرح ويسر به أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو ١٥ : ٧).

فلننفض عنا غبار الكسل والتراخى ولنخرج من شر الظلمة والانحطاط الذى هوينا إليه بالخطية إلى ملكوت النور والعظمة الذى أعده لنا المسيح بدمه وبالإيمان والتوبة يصير الأصغر منا فيه أعظم من يوحنا المعمدان ومن الأنبياء والقديسين الذين سبقوه أيضاً.

لنضع أمام أعيننا أن العظمة ليست بالمظهر وإنما بالجوهر غير مخدوعين بمظاهر العالم وشهواته الباطلة.

ساعين بإخلاص نحو الله موطدين علاقتنا به إيماناً وعملاً لنكون قدوة للآخرين مبتدئين بإصلاح أنفسنا أولاً مؤازرين للحق يؤازرنا الحق ويوطد إيماننا.

ولربنا وحده المجد والعظمة من الآن وكل أوان وإلى أباد الدهور.آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر توت

ابن الله

«أنت المسيح ابن الله» (لو ٤ : ٤١).

تأسست الكنيسة المسيحية ـ الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية ـ على الاعتراف والإيمان بأن يسوع المسيح هو ابن الله. وهو نص الإيمان الذى نطق به بطرس الرسول إجابة على سؤال السيد المسيح له المجد: "من يقول الناس إنى أنا" (مت ١٦ : ١٣)، أما بطرس فأعلن: "أنت المسيح ابن الله الحى" (مت ١٦ : ١٦). وتقبل منه السيد هذا الإيمان الصادق، وأيد اعترافه الجرىء، ثم مدحه وطوبه.

ولم يكن إقرار بطرس بالإصالة عن نفسه فقط بل بالنيابة عن سائر التلاميذ، وقد صدقوا وأمنَّوا عليه بصفته إقرارهم واعترافهم أيضاً، لأن سؤال السيد المسيح لم يكن قاصراً على بطرس أو موجهاً له وحده، بل كان للاثنى عشر "وأنتم من تقولون إنى أنا" (مت ١٦ : ١٥) فأجابه بطرس عن نفسه وعن التلاميذ الآخرين.

وكان هذا الإيمان الذى جاهر به الرسول بطرس هو "الصخرة" التى قامت عليها الكنيسة، الإيمان بأن المسيح هو ابن الله.

وليست الصخرة التى أسس الرب يسوع كنيسته عليها هى شخص بطرس. وتُعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مفهوم قول السيد هو بنيان كنيسته على شخص بطرس ولكن هذا القول بعيد عن الصواب، لأن اسم بطرس مترجم عن الكلمة اليونانية [بتروس]، أما كلمة صخرة فهى باليونانية [بترا]، وهى مؤنث كلمة [بتروس].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكنيسة لم تقم ولن تقوم على شخص، مهما كان مركزه ومقامه وإيمانه واعترافه، فإنه معرض للضعف كبشر، بينما الكنيسة قائمة إلى أبد الدهور، ولن يستطع بطرس وقد أُستشهد وانتقل إلى المجد، أن يكون مع الكنيسة كما قال السيد المسيح له المجد: "وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ :

٢٠). إذن الصخرة التى تأسست عليها الكنيسة ليست هى بطرس، وإن كان يعتبر أحد الدعائم أو الأسس التى قامت عليها الكنيسة "مبنيين على أساس الرسل" (أف ٢ : ٢٠). إلا أن المسيح نفسه والإيمان أنه ابن الله الحى هو "حجر الزاوية" وإنما هو الإيمان الذى فاه به بطرس فى شخص المسيح، والقول واضح " أنت بطرس" الذى تكلم وآمن وأعلن، وعلى هذه الصخرة، أى الإيمان الذى شهدت به وقررته، الإيمان غير المتزعزع، الإيمان الصريح فى الوقت الذى أنكر فيه رؤساء اليهود الاعتراف بالمسيح رباً وإلهاً.

وقد وُصِفَ الله منذ القديم بكلمة "صخرة":

"أعطوا عظمة لإلهنا هو الصخر الكامل صنيعه" (تث ٣٢ : ٣، ٤).

"لأنه ليس غيرك، وليس صخرة مثل إلهنا" (١صم ٢ : ٢).

"الرب صخرتى وحصنى ومنقذى" (٢صم ٢٢ : ٢).

"لأنه ليس كصخرنا صخرهم" (تث ٣٢ : ٣١).

"لأنه من هو إله غير الرب، ومن هو صخرة مثل إلهنا" (مز ١٨ : ٣١).

والمسيح هو الله ظهر فى الجسد، فهو الصخرة كما أشار الرسول بولس فى (رو ٩ : ٣٣). "كما هو مكتوب ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمةٍ وصخرة عثرةٍ وكل من يؤمن به لا يُخزى".

ويقول بطرس الرسول: "وحجر صدمةٍ وصخرة عثرةٍ، الذين يعثرون غير طائعين للكلمة، الأمر الذى جُعلوا له" (١بط ٢ : ٨).

ويقول بولس الرسول عن المسيح إنه حجر الزاوية "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف ٢ : ٢٠).

"وإذا كان المسيحيون أحجاراً حية فى البيت الروحى الذى هو الكنيسة" (١بط ٢ : ٤ – ٨) فالمسيح ابن الله هو حجر الزاوية فى هذا البناء، والصخرة التى يقوم عليها، ولذا

قال الرسول بولس: "والصخرة كانت المسيح" (١كو ١٠ : ٤). لأنه "لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضِع، الذى هو يسوع المسيح" (١كو ٣ : ١١)، لهذا، قامت الكنيسة المقدسة وتقوم وستبقى إلى الأبد على المسيح "ابن الله الحى" صخر الدهور. "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦ : ١٨).

إن اعتراف بطرس لم يكن بمجرد علمه ومعرفته وخبرته الشخصية، وإنما كشف له الآب السماوى أن المسيح ابن الله، فأعلن هذا الكشف على مسمع من جميع التلاميذ "إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات" (مت ١٦ : ١٧).

وكشف الآب لبطرس حقيقة المسيح لأنه: "ليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (لو ١٠ : ٢٢).

يقول القديس أوغسطينوس: إن الصخرة تشير إلى السيد المسيح نفسه، وكأنما يقول السيد المسيح لبطرس:

"أنت بطرس. وعلىَّ أنا، باعتبارى صخرة، سأبنى كنيستى"

وإذا انتفى هذا الإيمان بألوهية المسيح انهار ذلك الأساس، لأنه إن لم يكن المسيح ابن الله الحى فإن الإيمان المسيحى باطل (١كو ١٥ : ١٤- ١٧).

هذا هو إيمان الكنيسة الذى تسلمته من الرسل القديسين، الذين أجمعوا على صحته وجاهروا به فى كل مكان، ومن ثم هو ما أعلنه البابا أثناسيوس الرسولى حين قال: "لنعتبرنَ التعليم الأصلى والإيمان الكنسى الصادر من فم السيد نفسه والذى أعلنه الرسل، والذى حفظته الكنيسة فإنه على هذا التعليم، وعلى هذا الإيمان بنى المسيح كنيسته، والذى يرفض ذلك لا يكون مسيحياً، ولا يستحق أن يطلق عليه اسم المسيح".

مصدر الاعلان عن ابن الله

لم يُدعَ يسوع "ابن الله" ابتداعاً من المسيحيين، ولا جهلاً بحقيقة وحدانية الله، التى يفيض بها كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد وتتحدث عنها كتبهم ومؤلفات آبائهم

بغزارة وإسهاب، ولا شركاً لآلهة أخرى مع الله الذى يدينون بوحدانيته، وإنما كان هذا إعلان الله، ودُعِىَ الرب نفسه "ابن الله" قبل تجسده.

١ ـ الرب قال لى «أنت ابنى أنا اليوم ولدتك» (مز ٢ : ٧):

يتحدث داود النبى فى هذا المزمور (الثانى) عن الرب وعن مسيحه، ثم ينبىء ويخبر أن الرب سيعطى مسيحه [الابن] "الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض مُلكاً لك" (ع ٨)، ثم يأمر الأمم وأقاصى الأرض بعبادته "اعبدوا الرب بخوفٍ ورعدةٍ، قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق" (ع ١١، ١٢).

فمن هو الابن الذى قال له الرب "أنت ابنى". الابن الذي سيرث الأمم، ويمتلك أقاصى الأرض، وتجب له العبادة بالخوف والأدب والطاعة لئلا يتقد غضبه. وأن من يرفض عبادته يكون مصيره الرفض والإبادة؟

إنه ليس بشراً، لأن الرب لا يتنازل عن أمجاده وحقوقه الإلهية لأى بشر، وهو القائل "أنا الرب هذا اسمى، ومجدى لا أُعطيه لآخر" (إش ٤٢ : ٨). وإنما هو ابن الله، ويسوع المسيح، الإله المتجسد.

ولن تكون هذه الأقوال عن إنسان، كما يزعم البعض، أنها عن سليمان بن داود، إذ من هو سليمان حتى تخضع له الملوك، أو يدعو إلى الاتكال عليه، وهو ما لم يحدث فى حياة سليمان؟!.

إنها نبوة عن الابن ـ الله ظهر فى الجسد "ابن الله" وهو ما فهمه الرسل وأعلنوه واعترفوا به، أن المسيح هو الابن المقصود، والذى عنه اجتمع الرؤساء "على الرب وعلى مسيحه" (أع ٤ : ٢٤ – ٢٨).

كما جاهر به بولس فى المجمع فى أنطاكية، وردد أقوال داود النبى، وأعلن أنها تمت فى يسوع، كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى، "أنت ابنى أنا اليوم ولدتك" (أع ١٣ : ٣٣).

وكما كتبه فى العبرانيين (اليهود)، ليفهموا أنه "الابن" المقصود بهذه النبوة مولود من الآب منذ الأزل مولود من جوهر الآب، إله حق من إله حق، لهذا فهو بحق "ابن الله" ولكى يزيل الشك من قلوبهم، أبرز امتياز السيد المسيح عن الآباء والأنبياء الذين كلمنا الرب بواسطتهم، أما أخيراً ففى "ابنه الذى جعله وارثاً لكل شيء" (عب ١ : ٢).

إن هذا "الابن" أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل لأنه دُعِىَ "ابن الله". وعزز أقواله فى مواجهتهم بنبؤة داود، فقال: " لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً " (عب ١ : ٥).

والفارق الكبير هو أن الملائكة أرواح خادمة، والله "صنع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار" (عب ١ : ٧) .أما عن المسيح لأنه "ابن الله"، فيقول له "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (عب ١ : ٨).

وكأن الرسول يرد على الذين قالوا إن الملائكة دُعوا أبناء الله، ذلك لأنهم خليقته وصنيعته، أما المسيح فهو ابن الله بالطبيعة والجوهر وليس بالخلق، وهو مساوٍ لأبيه، وواحد فى الجوهر "أنا والآب واحد" (يو ١٠ : ٣٠). وبميلاده لم ينفصل عن الآب، كما لم ينفصل عن الشمس نورها "أن الآب فىَّ وأنا فيه" (يو ١٠ : ٣٨).

قال العلامة أبو شاكر ابن الراهب:

"دل بهذا على أزلية المولود بأزلية الوالد، لأن يوم الرب ليس له ابتداء ولا انتهاء أيضاً، لم يزل يوم الله دائماً فى الأزل. فهو دائم بدوامه، مشروط بشرطه، وليس يوم الله كاليوم الزمانى الذى هو عبارة عن حركة الشمس فى الفلك".

وقال أيضاً:

"دل على أن ابن الله الحقيقى تجسد بالجسد البشري. فهو من حيث لاهوته ابن الله بالحقيقة، ومن حيث بشريته هو هو ابن الله بالنعمة والتفضل".

٢ ـ «**اللهمَّ أعطِ أحكامك للملك وبرك لابن الملك**» (مز ٧٢ : ١).

من عنوان هذا المزمور نرى أن مؤلفه هو سليمان، بعد أن تُوج ملكاً، وقبل أن يموت أبوه داود. ولذلك استهله بقوله: "اللهمَّ أعطِ أحكامك للملك وبرك لابن الملك".

ونظراً لأن سليمان كان ملكاً، وابن ملك، تضرع طالباً الحكمة للملك وابن الملك. ولأنه كان فى الوقت ذاته رمزاً للمسيح ـ الملك وابن الملك ـ فقد أُخبر بروح النبوة عن أوصاف هذا الملك الآتى باسم الرب، وهو فى نفس الوقت ابن الملك.

ومن هذه الأوصاف يتضح لنا أن هذا الملك ليس ملكاً أرضياً بل ملكاً سماوياً، لأن أمر البشر فى يمينه، وملكوته عام شامل دائم، وتُقدم له العبادة والسجود، وتتبارك به كل أمم الأرض ويطوبونه.

ووُصِفَ بأنه الديان " يدين شعبك بالعدل" (مز ٧٢ : ٢)، وقد قرر السيد المسيح وأعلن: "أن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥ : ٢٢).

وأنه "يقضى لمساكين الشعب ويخلص بنى البائسين" (مز ٧٢ : ٤).

وجاء المسيح كما فسر سفر إشعياء فى مجمع الناصرة "لأُبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأُنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأُرسل المنسحقين فى الحرية." (لو ٤ : ١٦ – ١٨).

وأنه "يملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض" (مز ٧٢ : ٨). ليست له مملكة أرضية محدودة، بل سيمتد ملكوته ليشمل كل الأرض. كما أعلن الملاك السابع أنه "قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، فسيملك إلى أبد الآبدين" (رؤ ١١ : ١٥).

وأنه "أمامه تجثو أهل البرية... ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدمون هدية" (مز ٧٢ : ٩، ١٠).

وقد تم هذا عندما جاء المجوس وقدموا للمولود ملك اليهود ذهباً ولباناً ومُراً... وأنه "يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه" (مز ٧٢ : ١٧)، وقد مات داود، ولحقه ابنه سليمان، أما المسيح الابن، فقال عنه ملاك الرب "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١ : ٣٢، ٣٣).

وقد أيد الرسول بولس مفهوم هذه النبوة، وإتمامها فى شخص المسيح الابن بقوله: "لذلك رفعه أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى ٢ : ٩- ١١).

والإنسان يتبرر، والله هو الذى يبرره، لأن الذى له البر هو الله ذاته، وقد صار لنا يسوع المسيح "براً وقداسة وفداء" (١كو ١ : ٣٠)، لأنه الابن الذى له بر الآب.

ولا تتصورنَّ، أن سليمان قال كل هذا عن نفسه أو عن أبيه، فإن مُلكهما زمنى محدود، وقد زال فعلاً وانتهى قبل مجىء السيد المسيح بمئات السنين، وإنما قصد به الملك الآتى، الذى ملكوته دائم أبدى، والذى رآه دانيال فى صورة الإنسان قبل أن يتجسد "فأُعطِىَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دا ٧ : ١٤).

إذن:

ابن الملك الذى له هذه الأوصاف والصفات والحقوق والواجبات، التى هى من حق الله وحده، هو المسيح يسوع، الإله المتجسد، الذى دُعِىَ من الله ذاته، وقبل أن يظهر فى الجسد ابن الله.

٣ ـ «من ثبت جميع أطراف الأرض. ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت (أم٣٠ : ٤):

هذه الأقوال لأحد حكماء إسرائيل يدعى (أجور ابن متقية مسا) (أم٣٠ : ١). وقيل

إنه كان يضارع سليمان فى حكمته، ولا شك أن هذه الأقوال (ص ٣٠)، موحى بها من الله، وإلا ما أُضيفت إلى سفر الأمثال الذى لسليمان.

وكان اليهودى يقف حائراً أمام هذا السؤال، فهو يعرف ويستطيع أن يجيب على الأسئلة التى تسبقه: من جمع الريح فى حفنتيه؟ من صر المياه فى ثوب؟ من ثبت جميع أطراف الأرض؟ وكان جوابه: يهوه إلهنا العظيم، واسمه هو يعرفه أيضاً، ويقول هو: يهوه إلهنا العظيم. ولكن اسم ابنه؟ فلا يحير جواباً، وإنما يقول: هذا شىء يفوق العقول ولكن الذى يجمع الريح، ويصر المياه، ويثبت أطراف الأرض، ويدبر الكون كله، هو الله وابنه!

وإن كانت هذه الحقيقة قد غابت عن اليهود، واعتبروا المسيح مجدفاً عندما قال: "إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله" (يو ٥ : ١٨)، إلا أنه فى ملء الزمان، قد ظهر ابن الله فى الجسد، وأنكشف السر، وعرف العالم أن يسوع المسيح ابن الله "وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أف ٣ : ٩).

إذن ليس تجديفاً أو خطأ، أن يُدعى يسوع المسيح ابن الله.

والله الذى صعد إلى السموات ونزل هو يسوع المسيح الذى دعاه الله ـ بذاته ـ وليس نحن ـ قبل أن يولد ابن الله.

ولإلهنا المجد دائماً.

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من شهر توت.

المحبة لله ـ والمحبة للناس

«تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك» (لو ١٠ : ٢٧).

رجع السبعين رسولاً الذين كان قد سبق السيد المسيح فأرسلهم للكرازة بملكوته بفرح عظيم قائلين: " يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لو ١٠ : ١٧).

لكن السيد المسيح له المجد طبيب الأرواح رأى من خلال هذا الإعجاب وكان عنصراً خبيثاً وروحاً خطراً قد اندس إلى قلوبهم فى هذا الفرح، هو روح الفخر بالذات والإعجاب والتهنئة بالنجاح.

ولهذا نرى السيد المسيح له المجد وقد سارع فصب ماء بارداً على هذه العاطفة الملتهبة عاطفة الفخر الثائرة بقوله لهم: "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كُتبت فى السموات" (لو ١٠ : ٢٠).

وفى تلك الساعة كما يقول إنجيل قداس هذا الصباح المبارك.

تهلل يسوع بالروح. وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه (أى حقائق الإنجيل وأسرار الفداء السامية) عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال (أى لتلاميذه الذين هم أكثر شبهاً بالأطفال فى بساطتهم وتسليمهم وإيمانهم). ثم التفت يسوع إلى هؤلاء التلاميذ المحبوبين وقال لهم معزياً: "كل شىء قد دُفع إلىَّ من عند أبى فطوبى للعيون التى تنظر ما تنظرون لأنى أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (لو ١٠ : ٢٢– ٢٤). لكن ناموسى كان كزملائه الكتبة والفريسيين قد أكل الحقد قلبه وكأنه أراد أن يفسد على السيد المسيح وتلاميذه لذة المسامرة هذه والانشراح بنجاح التلاميذ الباهر فى تأدية الرسالة فقام يجربه قائلاً:

"يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (لو ١٠ : ٢٥).

والناموسى هو أستاذ فى الشريعة حائز على درجة العالمية ويختلف عن إخوانه الكتبة فى أن الكاتب هو الذى ينسخ الشريعة لكن الناموسى هو الذى يقوم بتفسيرها وتعليمها للناس. ولو كان هذا الناموسى مخلصاً فى سؤاله لأجابه المسيح جواباً صريحاً، ولكن علام الغيوب وفاحص الكلى والقلوب رد سهم ذلك المجرب إلى صدره حساً ومعنى. موجهاً نظره إلى المكتوب فى الناموس وإلى الآية المقدسة المكتوبة على صدرة ثوبه وثوب كل ناموسى آخر التى هى بمثابة الصلاة الربانية عند المسيحيين وهاك مضمون تلك الآية المقدسة: (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل ... إلخ).

ويمكننا تلخيص كل هذه الآية التى يتعلق عليها الناموس كله والأنبياء فى كلمتين هما: أولاً ـ المحبة لله ! ثانياً ـ المحبة للناس.

أولاً ـ المحبة لله:

هى نبع المحبة للناس وهى برهان المحبة لله. لأنه إن كنت لا تحب أخاك الذى تراه فكيف تحب الله الذى لا تراه كما يقول الوحى.

المحبة لله هى أيضاً طريق الحياة. فقد وضع ذلك الناموسى فخاً عالمياً أمام السيد المسيح ليخبره من جهة معرفته. فقال يا معلم ماذا أعمل ـ لكنه فى الوقت نفسه أظهر بسؤاله هذا هو معلم إسرائيل أن الدين اليهودى بكل ما فيه من تعاليم وأنظمة قد ترك الإنسان فى جهل تام وشك كامل من جهة خلاص نفسه فأمسى قلقاً على نصيبه من ميراث الحياة الأبدية.

يهيم الهندى المتصوف فى غياهب طرقاته قائلاً: أين الطريق؟

ويجول الرومانى تائهاً فى مجاهل الأفكار قائلاً: أين الحق؟

ويتخبط اليهودى غارقاً فى بحر من دماء ذبائحه وهو يقول:

أين الحياة الأبدية؟ ماذا أعمل لأرث الحياة؟

لكن فى ملء الزمان جاء المسيح منادياً للشرقى والمتصوف وللرومانى ولليهودى قائلاً: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦).

كان سؤال الناموسى ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟

فكان مغزى جواب المسيح. إن العمل الذى يخلص هو المحبة العاملة بالإيمان أو هو الإيمان العامل بالمحبة.

خلاصة قول السيد المسيح أحب فتحيا لأن المحبة والحياة تتبادلان القوة والتعاون كالحرارة والنور فالحياة هى أصل المحبة ونبعها وتاجها والمحبة هى قلب الحياة وحياة الحياة.

وتتضمن المحبة لله أربع كلمات رئيسية مسبوقة كل منها بلفظة كل. من كل قلبك. كل نفسك. كل قدرتك. كل فكرك... ، وهذه الكلمات كلها تعين درجة المحبة لله وشدتها:

فالقلب هو النقطة المركزية فى حياة الإنسان التى منها تتفرع قوته الأدبية المثلثة.

النفس هى مركز الإحساس والتأثر.

والقدرة هى مركز الإرادة المؤثرة والمدبرة.

والفكر هو مركز القوة العاقلة المفكرة.

فكأنما القلب أشبه بساق الشجرة منه تتفرع الأغصان أو هو كجرم الشمس منه تشع أنوارها. هذه هى المعانى التى تؤديها هذه الكلمات للعقل اليهودى.

فالقلب يحب الله فتحول النفس هذه المحبة إلى عبادة فتحولها الإرادة إلى طاعة فيصيرها الفكر تأملاً وإعجاباً وإيماناً حياً عاملاً فعالاً مثمراً.

مقياسها:

إن المحبة لله هى شرط التلمذة الحقة ليسوع والتدين العملى العميق له، ولذا يجب

علينا أن نحبه حباً لا حد ولا قياس له حباً لا يدانيه حب لأعز أقاربنا بل يتضاءل معه أيضاً حبنا لأنفسنا اسمعوا ماذا يقول له المجد فى (مت ١٠ : ٣٧) "من أحب أباً أو أماً أو أبنًا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى". ويقول أيضاً: " إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً " (لو ١٤ : ٢٦) "ومن أضاع حياته من أجلى يجدها" (مت ١٠ : ٣٩).

والسيد المسيح له المجد لم يقصد بهذا القول أن يلاشى الروابط العائلية بل قصد أن يفهم المؤمنين إن محبتهم له يجب أن تقوى وتشتد حتى تصير محبتهم لأهلهم أو لأنفسهم كأنها بغضة بالنسبة لهذه المحبة الجديدة الفائقة كما قصد أن يفهمهم أيضاً إن الحياة الروحية وصلاتها يجب أن تفوق الحياة الطبيعية ومتعلقاتها إن حبنا للمسيح مهما سما فهو لا يستطيع أن يتناسب مع حبه الفائق الذى أظهره ـ بتأنسه وبذله نفسه لأجلنا ولهذا يقول بولس الرسول عنه:

"الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى ٢ : ٦ـ ٨).

ويقول فى مكانٍ آخر مبيناً محبة المسيح لنا العميقة والقوية التى لا تتغير ولا تنفصم عراها أبداً.

"من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار... ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو ٨ : ٣٥ـ ٣٩).

وإذن فلنحب الله الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا ولنتمثل ببولس الرسول

الذى بإيمانه القوى وحبه العميق للمسيح أنكر شخصيته الطبيعية وتجدد بلبسه الإنسان الجديد يسوع فصار قوة هائلة ناجحة باتحادها مع الرب فقال فى (١كو ١٥ : ١٠) "بنعمة الله أنا ما أنا". وقال أيضاً: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى" (غل ٢ : ٢٠).

ثانياً ـ المحبة للناس:

"وتحب قريبك كنفسك" . لقد سبقت فقلت أن المحبة لله مصدر المحبة للناس. كما أن المحبة للناس هى برهان المحبة لله ولهذا يقول بولس الرسول: "إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن" (١كو ١٣ : ١).

" وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً. وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى أحترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً " (١كو ١٣ : ٢ ، ٣).

جاء عن القديس يوحنا الإنجيلى أنه لما كبر وشاخ وتقدم فى الأيام حتى لم يستطع أن يقف على المنبر ليعظ شعبه كان البعض يحمله ويضعه على المنبر ومن ثم يقول لهم: " يا أولادى حبوا بعضكم بعضاً ".

واستمر على هذه الخطة يكرر لهم هذه الكلمات مدة طويلة. ولما ضاق البعض من كلامه قال لهم إن المحبة وحدها هى الفضيلة التى لو أتممناها أكملنا جميع الوصايا. ذلك إن المحبة هى أساس جميع الفضائل ومصدرها فلا غرابة إذا كانت هى الوصية الأولى والعظمى فى الناموس فمن يحب الله يتمم كل الوصايا المتعلقة به وما أحسن بل ما أجمل العبادة التى يكون مصدرها الحب لا الخوف من جهنم ولا الطمع فى الملكوت.

فمن يحب الله لا يعبد المال ولا يسجد للأصنام ولا يتخذ اسمه باطلاً ويكرم أباه وأمه ويطيعهما لأنه يحبهما قبل أن يكرمهما.

من يحب قريبه لا يقتل ولو كان قايين يحب أخاه لما قتله.

ومن يبغض أخاه فهو قاتل نفس كما يقول الوحى.

من يحب قريبه لا يزنى ولا يشتهى ما لقريبه لا امرأته ولا ثوره ولا حماره ولا بيته ولا حقله ولا شيئاً مما لقريبه. من يحب لا يسرق أموال الغير أو يختلسها لا بالخيانة أو بالخديعة. من يحب لا يشهد على قريبه بالزور ولا ينم فى حقه ولا يكذب عليه ولا يحقد ولا يغضب على قريبه كقول بولس الرسول: "المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ. ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شىء وتصدق كل شىء وترجو كل شىء وتصبر على كل شىء" (١كو ١٣ : ٤ – ٧).

فيا هناء من امتلكها فقد امتلك كل شىء ومن فقدها خسر كل شىء لأنه لا فرح ولا سلام ولا لطف ولا صلاح ولا إيمان ولا وداعة ولا تعفف بدون المحبة. بالمحبة نستطيع أن نخصص جزءاً من أوقاتنا أو من أموالنا وهباتنا العقلية والروحية لافتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقاتهم والمرضى فى فراشهم والمسجونين فى سجونهم وغير هذه من أعمال البر والصلاح.

شرطها:

وأما شرط المحبة كما يقول الرسول فى (رو ١٢ : ٩) "أما المحبة فلتكن بل رياء" "من قلب طاهر وضمير صالح" (اتى ١ : ٥) بلا تصنع ولا تكلف ولذلك جعل مقياسها مجد الإنسان لنفسه "فكل ما تريدون أن يصنع الناس بكم اصنعوه أنتم بهم هكذا لأن هذا هو الناموس والأنبياء" (مت ٧ : ١٢)، "فلا ينبغى أن نحب بالكلام واللسان فقط بل بالعمل والحق" (١يو ٣ : ١٨).

"وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه" (١يو ٣ : ١٧).

ولا تظنوا أن الكتاب يقصد بمحبة القريب أقرباءنا الجسدين أو الذين يحبوننا فقط بل يقصد بها كل البشر لأن جميعنا من أب واحد هو آدم وكما يفسر هذا السيد المسيح بقوله: "أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم أحسنوا إلى مبغضيكم. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم فإن الخطاة والعشارين يفعلون هكذا" (مت ٥ : ٤٤، ٤٦).

ولهذا وإن كان ممكناً كقول بولس الرسول: "فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو ١٢ : ١٨). ولأن فى المسيحية لا توجد بغضة بتاتاً فلنحب بعضنا البعض كما أحبنا الآب وبذل أعز شيء لديه وهو ابنه الحبيب عنا فى وقت كنا فيه أعداء مات المسيح لأجلنا، وكما يقول الإنجيلي يوحنا أيضاً:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦).

فلنحب بعضنا البعض كما أحبنا المسيح:

لأنه ليس حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان ذاته عن أعدائه.

وليعلم الجميع إننا تلاميذ المسيح أن كان لنا حب بعضنا لبعض.

لكن لم نقدر على الحصول لهذا الحب المقدس إن لم نترك خطايانا ونغتسل بالتوبة ونتجدد فى القلب لنصير شركاء الطبيعة الإلهية فنلبس المسيح أولاً ومن ثم نستطيع أن نكون مثله نحب الله والناس ونطيع وصايا القدير بلا تكلف ونخضع الشيطان والخطية بواسطته متى حل فينا بروحه القدوس.

فليعطينا الرب نعمة حتى يكون لنا هذا كله ونصير من أولاده المتمثلين العاملين مشيئته القدوس.

وله المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من شهر توت

شفاء حماة سمعان

«فتقدم وأقامها ماسكاً بيدها فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم» (مر١ : ٣١).

أعلن السيد اهتمامه ببيت خادمه أو تلميذه. فإن كان الخادم قد سلم حياته في يدى السيد، مشتهياً أن تكون كل لحظة من لحظات عمره لحساب الخدمة، يعوضه الرب بالاهتمام بعائلته حتى فى الأمور الزمنية.

إن كان فى تطهير الأبرص اليهودى أعلن السيد تطهيره لليهود القابلين الإيمان به، وبشفاء عبد قائد المائة أوضح شفاءه للأمم، فإنه بشفاء حماة بطرس أعلن اهتمامه بالنساء أيضاً، إذ شفاها لتقوم فتخدمه... إنه يطلب خدمة كل إنسان.

ويعلق القديس أمبروسيوس على شفاء حماة بطرس التى أصابتها الحمى بقوله: "ربما كانت حماة سمعان تصور جسدنا الذى أصابته حمى الخطايا المختلفة، ودفعته نحو الشهوات الكثيرة، فإن هذه الحمى ليست بأقل من التى تصيب الجسد فإذ تحرق القلب!.

لقد كانت (حماة سمعان) مطروحة ومسمرة وأسيرة تتألم بسبب حمى الجسد وكانت الضرورة تقتضى البحث عن طبيب يقدر أن يبرىء الآخرين وهو عاجز عن إبراء نفسه. من يقدر أن يهب الحياة للغير وهو عاجز عن الهروب بنفسه من الموت؟ لأن الجميع قد ماتوا فى آدم، لأنه "كما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢).

ويلاحظ فى هذا العمل الذى صنعه الرب الآتى:

أولاً: يرى القديس يوحنا ذهبى الفم أن السيد المسيح كان منطلقاً من المجمع فى كفرناحوم، ومعناها بالعبرية قرية ناحوم، إلى بيت سمعان بطرس ليأكل مدللاً على ذلك يقول الإنجيلى: "فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم" (مر ١ : ٣١)، فقد انفتح هذا

البيت لخدمة السيد، فجاء السيد يخدمه. كأنه كلما خدمنا ربنا يسوع المسيح إنما فى الحقيقة ننال خدمته وننعم بعمله الفائق فينا.

يرى ذهبى الفم أن سمعان لم يستدعِ السيد المسيح ليشفى مريضته بل انتظره حتى يتم عمله التعليمى فى المجمع ويحقق أشفية للكثيرين، وعندئذ، لما جاء السيد إلى بيته سأله من أجلها. [هكذا منذ البداية تدرب أن يفضل ما هو للآخرين عما هو لنفسه].

ثانياً: يقول القديس ذهبى الفم إن السيد المسيح: [لم يستنكف من الدخول إلى أكواخ صيادى السمك البسطاء، معلماً إياك بكل وسيلة أن تطأ الكبرياء البشرى تحت قدميك]، كما يعلل تركه المجمع وانطلاقه إلى كوخ بسيط ليشفى مريضه بقوله: [بهذا كان يدربنا على الاتضاع، وفى نفس الوقت كان يلطف من حسد اليهود له، ويعلمنا ألا نفعل شيئاً بقصد حب الظهور].

هذا أيضاً ما أكده القديس أوغسطينوس بقوله: [لقد أرادهم أن يفهموا أعماله أنها ليست بقصد الإعجاب، وإنما قدمها عن حب لأجل الشفاء...].

فى إخراجه للشيطان أو الروح النجس نطق السيد بسلطان ليكتم أنفاسه ويخرجه، ولئلا يظن أحد فى هذا حباً للظهور، عندما التقى بمريضته أمسك بيدها فتركتها الحمى حالاً.. إنه صاحب سلطان حقيقى، بكلمته كما بلمسة يديه المترفقتين بنا!.

وللقديس كيرلس الكبير تعليق جميل على استخدامِ لمسة يده فى الشفاء، إذ يقول: [أرجو أيضاً أن تلاحظوا قوة جسده المقدس إذا ما مس أحداً، فإن هذه القوة تقضى على مختلف الأسقام والأمراض، وتهزم الشيطان وأعوانه، وتشفى جماهير الناس فى لحظة من الزمن. ومع أن المسيح كان فى مقدوره أن يجرى المعجزات بكلمة منه، بمجرد إشارة تصدر عنه، إلا أنه وضع يديه على المرضى ليعلمنا أن الجسد المقدس الذى اتخّذه هيكلاً له كان به قوة الكلمة الإلهى. فليربطنا الله الكلمة به، ولنرتبط نحن معه بشركة جسد المسيح السرية، فيمكن للنفس أن تشفى من أمراضها وتقوى على هجمات الشياطين وعدائها].

ثالثاً: يقدم لنا الإنجيلى السيد المسيح خادم الكل، يعمل بلا توقف، يخدم وسط الجماهير فى مجمع كفرناحوم بقوة حتى "خرج خبره للوقت فى كل الكورة المحيطة بالجليل" (مر ١ : ٢٨)، وفى نفس الوقت ينسحب إلى كوخ صغير ليشفى سيدة محمومة، وإذ يلتف الكثيرون حول الباب يخرج إليهم ليشفى كثيرين، ويخرج شياطين كثيرة. إنه يعمل أينما وجد ليجتذب الكل بحبه العملى إلى أحضانه الإلهية.

رابعاً: لعل مجمع كفرناحوم يُشير إلى جماعة اليهود الذين بينهم من به روح نجس خلال عدم الإيمان، فجاء السيد إليهم ينتهر هذا الروح الشرير ليربحهم إليه كأعضاء جسده.... أما انطلاقه إلى بيت سمعان ليلتقى بحماته المحمومة، فيشير إلى عمله بين الأمم لينزع عنهم حمى الوثنية والرجاسات الشريرة، ويحول طاقتهم لخدمته. هكذا جاء السيد إلى العالم كله ليخلص الجميع.

لقد جاء ليشفى حماة بطرس المحمومة بعد أن انتهر الروح النجس وأخرجه، منقذاً الشعوب بربطه للعدو إبليس وتحطيم سلطانه وطرده من القلوب!

خامساً: استخدم القديس مرقس فى تعبيره "أقامها" (مر ١ : ٣١) الفعل اليونانى egeiro الذى غالباً ما يُستخدم فى قيامة السيد المسيح نفسه (مر ١٤ : ٢٨، ١٦ : ٦؛ ١كو ١٥ : ٤، أع ٣ : ١٥، ١٣ : ٣٧)، وكأنها لم تكن فى حاجة إلى من يشفيها من مرض جسدى بل إلى من يقيمها من الموت. احتاجت إلى واهب القيامة نفسه ليقيمها معه!.

سادساً: يقول الإنجيلى: "وأقامها ماسكاً بيدها فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم" (مر ١ : ٣١). تلامسنا مع رب المجد يسوع ينزع حمى المرض أو لهيب الشر الحار لا لنحيا فى برود الروح بل فى لهيب جديد هو فى لهيب الروح العامل والخادم للكل، إن لم يكن بكرازة الوعظ فبالقدوة والصمت. تتحول حياتنا إلى لهيب مشتعل بالروح القدس، يلهب الآخرين ويلتهب معهم بالروح، وكما يقول الشيخ الروحانى: [كما أن النار لا تنقص ولا تضعف قوتها إذا أُخذت منها مشاعل كثيرة، هكذا الذى يسكن فيه

الروح القدس إذا أعطى نعمة لآخرين لا ينقص].

سابعاً: شفاء حماة بطرس جذب المدينة كلها ليتمتع الكثيرون بالشفاء أيضاً، إذ يقول الإنجيلى: "ولما صار المساء، إذ غربت الشمس، قدموا إليه جميع السقماء بأمراض مختلفة، وأخرج شياطين كثيرة، ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه" (مر ١ : ٣٢- ٣٤) . لقد جاءوا إليه بجميع السقماء والمجانين بعد الغروب، إذ كان اليوم سبتاً، ولم يكن اليهود بعد يقدرون أن يدركوا السبت بالمفهوم الروحى كيوم راحة يمكن أن تتم فيه أشفية للنفوس المتعبة، فانتظروا فى حرفية جامدة حتى ينتهى السبت بالغروب. أما قوله "شفى كثيرين ولم يقل "شفى الجميع" فربما لأن عدم إيمان القلة منهم حرمهم من عمله الإلهى. وإذ رأى الشياطين ما فعله السيد أدركوا من هو، فكان ينتهرهم ويرفض شهادتهم له، طارداً الكثير منهم!.

يمكننا أن نقول إنه إذ تجسد كلمة الله وسط اليهود وحل بينهم حول الزمن إلى نهار، وشفى نفوساً منهم وإذ صعد بالجسد كأن المساء قد حل والشمس غربت فجاءت جموع الشعوب والأمم من كل العالم تجتمع على الباب تطلب عمل المسيا فيها، فشفى الرب الكثيرين من الوثنية إلى الإيمان المسيحى.

بمعنى آخر ـ بصعوده ـ أى بغروب الشمس، انفتح الباب للأمم ليتمتعوا بالإيمان مع التوبة الصادقة لينالوا ملكوت الله داخلهم عوض مملكة إبليس المهلكة.

وله المجد دائماً.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر توت

الإسراع إلى الخلاص

«يا زكا أسرع وانزل... لأنه اليوم قد حصل خلاص لهذا البيت» (لو ١٩ : ٥، ٩).

ليست قصة زكا قصة تاريخية ولكنها قصة الأجيال.

وليست قاصرة على من فى سنه ولكنها قصة الأعمار.

ولم تستأثر أريحا بها دون غيرها ولكنها قصة كل الأمصار.

كان زكا عبداً لسادة كثيرين، يخضع لسلطانهم، ويذلونه بقسوتهم، فهو أولاً عشاراً ـ أى عميل للدولة التى استعمرت بلاده وفرضت حكمها على شعبه. وهو بهذه الصفة كان لابد كى يُظهر اخلاصه لسادته المستعمرين. أن يُسهم فى إذلال قومه. بل أن عبودية زكا للرومان كانت مخلصة شديدة ـ ولولا ذلك ما وصل إلى مركزه باعتباره رئيساً للعشارين. وبالتالى لابد أن كراهية الشعب له كانت قوية وعنيفة. بقدر امتيازه فى مهنته، وهى جباية الضرائب التى فرضها المتسلطون.

ولقد كان زكا علاوة على ذلك كله غنياً. وبهذا أُضيف سيد جديد إلى من يذلون زكا ويستعبدونه.

فالمال بحسب حديث الرب عنه سيد للإنسان بل هو إله لمن يحبه.

إن المال نعمة ونقمة فى حد ذاته، نعمة يوم أن يكون عبداً لصاحبه يسخره كيف شاء للخير والبر، ونقمة يوم أن يكون سيداً قاسياً.

زكا كلمة عبرية معناها النقى وليس بغريب أن يوجد هذا النقى فى أريحا التى كانت مشهورة وقتئذ بتجارة البلسان النقى والذكى الرائحة فكان من الطبيعى إذن أن تكون أريحا بلد النخيل والبلسان مهبطاً للعشارين جامعى العوائد والضرائب.

وقد كان أولئك العشارين مبغضين من أمتهم ومحتقرين من المجتمع لأنهم كانوا ضد الوطنية والشرف.

وكان زكا رئيساً للعشارين. فكان بحكم هذه الوظيفة الغير شريفة غنياً كما كانت خطيته أكبر لأن خطايا الكبار هى من كبار الخطايا.

لمثل هذه الطبقة الساقطة قد جاء ابن الإنسان لكى يطلب ويخلص ما قد هلك. ولمثل هؤلاء المحسوبين من سقط المتاع اختص معلمنا لوقا الإنجيلى بتسجيل ما لهم من حسنات فحدثنا عن العشارين الذين جاءوا إلى يوحنا المعمدان ليعتمدوا منه (لو ٣ : ١٢). وهو الذى عرفنا إن العشارين كانوا يدنون من المسيح ليسمعوه (لو ١٥ : ١) وأعلمنا بأن لاوى العشار ترك كل شىء وتبع يسوع وصار تلميذاً ورسولاً (لو ٥ : ١٨). ولقد أحسن الإنجيلى لوقا صنعاً بالبشرية إذ أورد لها كما سمعنا فى إنجيل القداس فى هذا الصباح المبارك حادثة خلاص زكا العجيب السريع.

أولاً ـ الخلاص وعوامله:

فمن أهم العوامل التى ساعدت على خلاص زكا وأهل بيته هو التقاء ترتيبات العناية الإلهية العجيبة بإرادتنا البشرية.

فلو اختار المسيح طريقاً غير هذا الطريق، لما رآه زكا العشار لأن أسبوعاً واحداً كان بين المسيح والصليب.

وهذه أيضاً حادثة اجتمعت فيها المؤهلات الجسدية بالإرادة النفسية.

من يدرى ربما لو كان زكا طويل القامة لا قصيرها ـ لما عرف التاريخ المسيحى عنه شيئاً. إن قصر قامته قد أصعده ـ وهو لا يدرى ـ على قمة شجرة التاريخ وهكذا كثيراً ما تكون تجارب الجسد سبباً فى خلاص الروح والجسد معاً. لأنه كما يقول الوحى: "بضيقات كثيرة ينبغى أن نخلص" ويقول فى مكان آخر منه الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه لا شك أن الخلاص مجاناً ومن الله قبل كل شىء لأنه كقول الوحى: "ليس بأحد غيره الخلاص". لكن هذا لا يمنع من أن يكون هناك ميل من الإنسان نفسه نحو الخلاص "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

فالخلاص هو عطية الله التى كلفته موت ابنه الوحيد فلا تُعطى لمن لا يطلبها أو يجاهد فى سبيلها لأننا كقول الرسول:

لا نكلل إن لم نجاهد قانونياً. وإلا فلماذا طلب زكا أن يرى يسوع؟

هل لأنه كان متشوقاً إلى رؤية ذلك المعلم الجليلى الذى كان يتحدث عنه الجميع؟

أم لأنه أراد أن يرى ذلك الشخص القدير الذى استطاع أن يفتح عينى بارتيماوس المولود أعمى؟

أم لأنه أحس بجاذبية سحرية سرية نحو ذلك الشخص العجيب الذى كان محباً للعشارين والخطاة أمثال زكا، أم لأنه عجز عن أن يجد فى غناه راحة وشبعاً.

فطلب أن يرى مريح التعابى الذى فى يمينه شبع سرور، أم أنه صار مكروهاً من جميع الناس فتمنى أن يرى عيناً تعطف عليه وقلباً يحنو إليه.

أم أن زكا كان يطلب الخير الأعظم ويبحث عنه فتمنى أن يجده فى يسوع فوجده فعلاً؟ أم كانت كل هذه البواعث مجتمعة معاً؟؟؟.

ثانياً ــ الجهاد لأجله:

لم يتمكن زكا من رؤية المسيح لأنه كان قصير القامة وكانت الجموع محتشدة حوله لترى من شفى المولود أعمى بالأمس. فركض متقدماً وصعد إلى جميزة. ولا شك أن زكا بعمله هذا قد عرض نفسه لانتقادات كثيرة من بنى جنسه لأن الناس فى الشرق لم يألفوا روية رجل غنى يركض فى الشارع ليتسلق جميزة ويسكن بين أوراقها. لكن زكا كان جاداً فلم يبالِ بسخرية الناس ولا بالصعوبة التى يتكبدها فى تسلق شجرة الجميزة الملساء، ولم يهتم بلباسه الذى تلطخه عصارة الجميزة وبذلك انتصر زكا على ضعفه الطبيعى بل أضاف بجهوده إلى قامته القصيرة أذرعاً كثيرة. إن فى تسلق الجميزة الملساء، استخداماً لكل عضلات الجسد وفى هذا كل الدليل على أن زكا كان يجاهد للخلاص طالباً المسيح من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قدرته ومن كل فكره.

ولما جاء المسيح إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له:

يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك وبهذا القول كرر المسيح قوله فى العهد القديم ووعده على لسان إشعياء النبى "دعوتك باسمك أنت لى" (إش ٤٣ : ١).

ثالثاً ـ الإسراع إليه:

" فأسرع ونزل وقبله فرحاً " (لو ١٩ : ٦). لا شك أن هذا القديس قبل أن يتجدد ويتغير كان قد توغل فى الشر إلى درجة قصوى حتى أنه باع ضميره وذمته وشرفه ووطنه بالمال فأثرى زكا ولكن من المال المحرم وباع دينه بدنياه لكن حالما نظر إليه المسيح نظرته إلى نثنائيل ونظرته إلى بطرس عندما صاح الديك تلك النظرة المملوءة عطفاً وحنواً وتذكيراً للماضى المظلم وإيقاظاً للضمير النائم أسرع ونزل لا عن شجرة الجميزة فحسب لكنه أنزل أو تنازل عن أمور كثيرة كانت عزيزة جداً عليه مبرهناً بهذا على صدق توبته وحقيقة تجديده وتغييره الكلى عن حالته الأولى.

إن الناس قسمان منهم من يوبخه ضميره ويؤنبه فيسمع له ويتذلل ويتواضع ويرفض ويندم فى التراب والرماد ويمزق قلبه لا ثيابه.

ومنهم من يوبخه ضميره ويؤنبه بتقريعات مُرة على ما ارتكب فلا يسمع له ولا يصغى بالرغم من عذابه بواسطة ضميره هذا فلا يرجع ولا يندم لأنه لم يكن قد شبع من الخرنوب الفاسد ولا تزال نفسه عطشى لخمر الذنوب وكان زكا من النوع الأول وهو الخاطىء الشريف الذى يخضع لسلطان ضميره ويهرب من الغضب الآتى والهلاك الأبدى ومن تلك الأمور العزيزة عليه التى أسرع وتنازل عنها هى:

١ ـ التجديد:

حالته الأولى التى ابتعد عنها بتاتاً ـ أن السيد عندما دعاه إلى النزول إليه فَهِمَ زكا أنه يريد منه الإسراع فى ترك خطاياه وشروره ومعاصيه، وقد قَبِلَ زكا إذ قدم توبة حسبتها

الأجيال المثل الأعلى للتوبة الحقيقية. وهذا ما يريد السيد المسيح أن يُعلمه للجميع فى أن يسرعوا إليه فى توبة حقيقية مبتعدين عن كل شر نافرين عن كل خطية نادمين على كل غلطة متذللين عند كل هفوة.

إنك أيها الخاطىء مهما كانت خطاياك كثيرة وعديدة هى بالنسبة لخطايا زكا صغيرة جداً وقليلة ولكن يعلمنا يسوع أنه لما نظر إلى قلب زكا ناداه تعالَ إلىَّ يا زكا.إنما يجب عليك أن تسرع فى النزول عن جميع الرغبات الفاسدة. وقد أطاع ثم أسرع ونزل.

أيها الخاطىء المعذب من لهيب ضميرك المتأجج نهاراً وليلاً وأنت كالبحر المضطرب الذى لا يستطيع أن يهدأ.

يسوع يناديك كزكا لأنه يراك راغباً فى رؤياه ويشعر أنك ميالاً للاقتراب منه والتمتع براحته الأبدية ولكن يأمرك أن تسرع وتنزل عن كل ما قررت أن تصنعه من الشر بأخيك الإنسان.

يأمرك أن تسرع وتنزل عن تدبيرات الشيطان التى دبرتها لاصطياد الغير الذين تبغضهم لتنتقم منهم لئلا يرفض قبولك وينتقم هو منك. "لأنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم زلاتكم وإن لم تغفروا للناس خطاياهم فلا يغفر لكم أيضاً أبوكم زلاتكم" (مت ٦ : ١٤، ١٥).

يأمرك أن تسرع وتنزل وتبتعد عن حالتك الأولى كلها وتخلع الإنسان العتيق مع أعماله وتلبس الإنسان الجديد الذى يتجدد كلّ حسب صورة خالقه، "ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه" (إش ٥٥ : ٧).

٢ ـ التواضع:

أسرع ونزل مبتعداً عن عظمة المركز إلى وداعة المسيح وحلمه. كان زكا رئيساً للعشارين وقد فهم من قول السيد المسيح له المجد أسرع وانزل أن يتنازل عن هذا المركز الرفيع عند الله. وقد تركه بالمرة ولم يعد إليه ووقف يتعهد أمام السيد المسيح قائلاً: "وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف" (لو ١٩ : ٨).

وقد ترك هذا المركز وما اغتصبه بواسطته يعوضه لأصحابه أربعة مرات حتى يتطهر مما علق به من ذنبه. وكم من الناس مغرورون بذواتهم يعتقدون أنهم قد وصلوا إلى مركز رفيع فيهينون الغير ويرتفعون على الفقير ولا ينظرون للمحتاج ولا يتألمون لأجل البائس ولا يعاونون الضعيف وهم ينسون أنهم مهما بلغوا السموات طولاً يبيدون حالاً. حين رأيتهم فلا تعود تراهم كالسحاب تعبر سعادتهم وكالريح تطرح عظمتهم.

كان نبوخذ نصر ملك بابل مطمئناً فى مملكته يعتقد أنه لا توجد قوة تحت قبة السماء تأخذ منه مُلكه ولكن الله القوى قلب صورته من ملك متوج إلى حيوان وحشى وزال مُلكه وحل به الذل وُطرد من بين الناس "لأن الله يقاوم المستكبرين ويعطى نعمة للمتواضعين" (ابط ٥ : ٥).

فيا أيها المتكبر الذى جرى عليه كبرياؤه سائر الويلات وعذاب الضمير يدعوك الآن يسوع كزكا قائلاً: تعالَ وأنا أدخل إليك. أسرع وانزل عن كبريائك وتواضع "لأنى فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المتواضع الروح المنسحق القلب لأُحيى روح المتواضعين ولأُحيي قلب المنسحقين" (إش ٥٧ : ١٥).

٣ ـ أسرع ونزل عن الطمع ومحبة المال:

كان زكا غنياً جداً كما يقول الكتاب وقد فَهِمَ إن السيد المسيح يأمره أن يسرع ويترك الطمع، فتعهد أن يرد المغتصب أربعة أضعاف مع أن الله أمر أن المغتصب يرد ما اغتصبه ويزن عليه الخمس فقط. وقد وعد أن يقدم ليس عشر ماله مع أن الوصية تقول: هاتوا العشور إلى الخزنة ولكن زكا يقول:

"ها أنا يا رب أُعطى كل نصف أموالى للمساكين" (لو ١٩ : ٨).

انظروا إلى أى حد بلغت نعمة زكا فإن الله يطالبه بالعشور فيقدم النصف هذه هى النفس التى تستطيع أن تشبع من يسوع وتتمتع به، أن فرصة زكا هذه للتوبة والتجديد كانت فرصة الحياة أو الموت الوحيدة فلو أضاعها وأجل توبته كما يفعل الكثيرون منا لأضاع حياته لأن السيد المسيح لم يرجع إلى أريحا فيما بعد.

ويقول التلمود:

إن أحد معلمى الناموس سُئل يوماً: "ما هو أنسب يوم يتوب فيه الإنسان؟" فقال هو اليوم السابق ليوم مماته، فقيل له لكن يوم الممات غير معلوم فقال إذن فليتب الآن.

إن زكا لم يتردد فى إجابة المسيح بل كان فى إجابته مستعجلاً وإلى ينبوع الخلاص والتجديد مسرعاً.

فأسرع ونزل عن كل ما هو ذميم عند الله وخلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد، الذى هو صورة المسيح.

فليعطينا الرب نعمة أن نقتدى به فى سرعة التوبة وقبول المسيح فى قلوبنا للتقديس والتطهير وللخلاص من الغضب الآتى لأنه كما يقول الرسول بولس محذراً:

"كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره" (عب ٢ : ٣).

فإن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما فى الأسباط يوم التجربة فى القفر. "إن من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة" (عب ١٠ : ٢٨).

"فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠ : ٢٩).

حمانا الله وإياكم من شر الوقوع فى غضبه بسبب عنادنا وقساوتنا وقلبنا غير التائب.

فلنرجع إلى الرب ونتصالح معه بالتوبة على يد وسيطنا الوحيد يسوع المسيح الذى غسلنا من خطايانا وبدمه غفران الذنوب حتى متى رأى فينا هذا ربنا فرح بنا وقال بلسان إشعياء النبى:

"هلمَّ نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج أو حمراء كالدودى تصير كالصوف. إن شئتم وأطعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف" (إش ١ : ١٨ - ٢٠).

ولربنا المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر توت

إقامة الصبية

«فلما أُخرج الجمع دخل وأمسك بيدها. فقامت الصبية» (مت ٩ : ٢٥).

جاءت قصة إقامة ابنة يايرُس مرتبطة بشفاء نازفة الدم بأكثر تفصيل فى إنجيل معلمنا لوقا البشير (٨ : ٤١ – ٥٦). لقد تقدم يايُرس رئيس المجمع إلى السيد ووقع عند قدميه يسأله أن يدخل بيته، لأن ابنته كانت فى حالة موت.

حقاً لقد أظهر يايُرس رئيس المجمع اليهودى إيماناً بالسيد، لكن قائد المائة الأممى تفوق عليه فى إيمانه (مت ٨: ٥– ١٣)، إذ لم يسأله أن يحضر إلى بيته، ولا أن يمد يده على غلامه ليشفيه وإنما بإيمان قال: "قل كلمة". أما رئيس المجمع اليهودى فقال: " تعالَ وضع يدك عليها فتحيا"... حقاً إن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب بإيمان أعظم مما لبنى الملكوت!. فى الطريق، قبل أن يسمع أن ابنته ماتت سمح الرب بشفاء نازفة الدم ليرى بعينيه ويلمس عمله الإلهى فلا يشك. (لو ٨: ٤٩).

إن عدنا إلى الكتاب المقدس نجده يروى لنا ثلاث معجزات خاصة بإقامة السيد المسيح للموتى تمثل عمله الإلهى فى إقامتنا من موت الخطية... هذه المعجزات هى:

أولاً: إقامة ابنة يايُرس، وهى بعد صبية صغيرة، لم ترفع بعد عن سرير الموت فى بيت أبيها، وتُشير إلى النفس التى ماتت بالخطية خلال الفكر الخفى فى الداخل. وهى تحتاج إلى أن يدخل السيد إلى بيتها "قلبها" ويلمس يدها فتقوم.

ثانياً: إقامة الشاب ابن الأرملة، وكان قد حُمل إلى النعش إلى الطريق، ويمثل النفس التى عاشت فى الخطية، وليس خلال الفكر فقط، وإنما ظهرت أيضاً خلال العمل، فخرجت من البيت إلى الطريق كما فى نعش. وهى تحتاج إلى أن يوقف الله حاملى النعش، ويأمر الشاب أن يقوم ثم يدفعه إلى أمه. إنها تحتاج إلى تدخل الله للتوقف عن التحرك نحو قبر الخطايا، فلا يكمل الشرير طريق شره حتى لا تتحول الخطية فيه إلى عادة، إنما يسمع الصوت الإلهى يناديه ليهبه روح القيامة ويدفعه إلى الكنيسة أمه.

ثالثاً: إقامة لعازر بعد ما دُفنَ فى القبر أربعة أيام وحدث تعفن للجسد، إشارة إلى من تحولت الخطية فى حياته إلى عادة ارتبطت به، وارتبط هو بها، فصار كأنه والخطية كيان واحد. لقد انزعج السيد وبكى، وأمر برفع الحجر، ثم نادى لعازر أن يخرج، وطلب ممن حوله أن يحلوه من الرباطات! مثل هذه النفوس يبكيها السيد نفسه ويذهب إلى قبرها، ويأمر برفع حجر القساوة، وبكلمة فمه يقيمها ويخرجها من قبر الخطية، طالباً من الكهنة أن يحلوها من رباطاتها.

ويروى معلمنا لوقا الإنجيلى أنه لما أخرج الجميع وأدخل معه والد الصبية وأمها ليشاهدا ويصدقا... ولا ينسبا قيامتها لعلة أخرى. وأدخل معه كذلك بطرس ويعقوب ويوحنا ليكونوا شهوداً. إذ بثلاثة تتم الشهادة، وليخبروا الكل بما رأوا ثم أمسك بيدها وقال لها: "طليثا قومى الذى تفسيره يا صبية لك أقول قومى فرجعت روحها وقامت فى الحال، فأمر أن تعطى لتأكل" وذلك ليتحقق الحاضرون أن ما أتاه لم يكن خيالاً. ويزيد معلمنا مرقس أنها قامت ومشت.

أيتها السيدة: أسوق إليكِ حديثاً عذباً يفتقر إلى الإصغاء ويحتاج إلى الاستماع. فهل تسمحين بمطالعة هذه الرسالة؟ ـ وليس مجرد الاطلاع !!!. وهل تتوق نفسك إلى قراءة هذا الحديث؟ ـ وليس مجرد القراءة!!! ـ بل أرجو بنعمة الله أن تتأملى ولو قليلاً فى حديث النعمة ورسالة السماء.

أيتها الآنسة: هل لكِ أن تشاركى أخواتك فى هذه العجالة لأن الموضوع هام، وهام جداً... فهو أساس الحياة المسيحية الروحية وركن العائلة القبطية.

جاءتنا المدنية الكاذبة ـ وياليتها ما جاءت تحمل بين طياتها تبرجاً خليعاً وتهتكاً مريعاً تشف عن انحطاط فى الخُلق ودناءة فى التصرفات. ولَقد لعبت هذه المدنية بأقدس عضو فى الكنيسة هو المرأة. "إذ نحن المؤمنين أعضاء المسيح" (١كو ٦ : ١٥)، "وأن أجسادنا هى هياكل للروح القدس" (١كو ٦ : ١٩). والمسيحية الحقة تعلمنا أن المرأة من الرجل

وبالرجل وكما يكون الرجل محباً لسيده، مخلصاً لمسيحه، أميناً لإلهه، كذلك يجب أن تكون المرأة فى كل شيء. لأننا (رجالاً وسيدات) أعضاء جسمه (جسد المسيح) "من لحمه ومن عظامه" (أف ٥: ٣٠). كما تعلمنا أيضاً أن المرأة نظير الرجل فى الأمور الروحية. لها حق الاقتراب إلى الله تارة بالصلاة وأخرى بسماع كلمة الله. لها حق الذهاب إلى أماكن العبادة والاشتراك فى عمل البر والإحسان، وأنها شبيهة الرجل فى الروحيات ولكنها أقل منه شأناً فى الماديات. فهو الرأس وهى الجسم. وللرأس حق الإدارة، وللجسم الخضوع والطاعة (أف ٥: ٢٢– ٢٤)، أما المرأة خارج المسيحية ففى مركز دنيء لا كرامة ولا مكانة لها. يقول بعض الفلاسفة إن المرأة لعبة فى يد الرجل. ويقول البعض الآخر أنها جارية لخدمة الرجل. والكتب الهندية المقدسة تضع المرأة فى أحقر المراتب الاجتماعية، فلا يسمح لها بالذهاب إلى المعابد ولا بقراءة الكتب المقدسة ولا بالتعليم، ولا يعتمد عليها فى أمر ما. ولقد ظهر فى بلاد الشرق رجل يدعى بوذا اتخّذه الكثيرون معبوداً لهم. قال بوذا مرة: أشكر الله كثيراً لأجل ثلاثة أمور:

١ ـ لأنى لم أُولد فى جهنم.

٢ ـ لأنى لم أُخلق حشرة.

٣ ـ لأنى لم أُخلق امرأة.

أما يسوع المسيح رأس الكنيسة فهو الذى وهب المرأة مكانتها اللائقة بها. وليست مكانة المرأة بالجمال أو بالمال كما يزعم عدد منهنَ ليس بقليل ولكن مكانتها هى الحياة الروحية مجسمة فى معيشتها ومسكنها وملبسها. وأولئك اللواتى صبغنَ الوجوه وكشفنَ الصدور وقصصنَ الشعور وارتدينَ أزياء أنيقة وفساتين شفافة خليعة، زاعمات أنهنَ راقيات ولهنَ بين الطبقات المتعلمة مكانات، قد أضعنَ مراكزهنَ وفقدنَ شرفهنَ، وقد ذخرنَ لأنفسهنَ غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

أيتها السيدة: إن الزينة الخارجية لا تليق بالمرأة المسيحية. وإن كانت هناك زينة فهى "زينة الروح الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن" (ابط ٣: ٤).

أيتها الآنسة: ماذا أقول والتيار جارف؟ إن كرامتك مكفولة فى المحافظة على ثوب العفاف ولباس الحشمة. فلا يجرؤ أحد على سلب عفافك أو إشانة سمعتك الطاهرة، إذ أن اللباس الخليع والتهتك الشنيع مدعاة للقيل والقال. واعلمى أن فتاة واحدة متبرجة تعثر كثيراً من الشبان. "وويلٌ لمن تأتى بواسطته العثرة" (مت ١٨ : ٧).

إن حالتنا اليوم تستدعى الكثيرين والكثيرات للعمل معاً بالتضامن فى المعيشة التقوية وحث الشباب الناهض للاندماج فى سلك الجندية والقيام بأعباء المسئولية الخطيرة. "فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح" (٢تى ٢ : ٣).

يجب أن تفكر قليلاً ... إن السيدة قد انصرفت عن أعمالها الهامة إلى أعمال تافهة، فأبدلت وقت الصلاة صباحاً ووقت الوجود فى حضرة الله بوقت الزينة الجسدية ووقت الوجود أمام المرآة. وأبدلت وقت الاجتماعات الدينية مساءاً بوقت المسارح والملاهى ليلاً، وأبدلت وقت الدرس فى الكتب المقدسة بوقت الدرس والفحص فى الروايات الدنسة. وبالإجمال، تنجس الفكر وتدنس الذهن وتلوث اللسان، وأصبحت نساؤنا تجرى وراء الخيال. فتارة تبحث عن زى خليع تروم معه الظهور فى عالم الخيال بمظهر المدنية الحديثة الكاذبة، وطوراً تذهب هنا وهناك للعثور على أحدث الموضات وأبشع الأشكال. وهنَ لا يسألنَ عن أنفسهنَ الخالدة ولا يلجأنَ إلى خلاص حياتهنَ من الهلاك المريع المحدق بهنَ.

أيتها الآنسة: طرحت أمامك سؤالاً فيما سبق وطلبت أن تحكمى ضميرك فيما تقولين. إن الجواب واضح. فإذا كانت الفتاة اليوم تبيح لنفسها المحظور، فإن فتاة الغد ستكون أكثر إباحية ولقد شاهدنا هذه النظرية عملياً. فإن سيدة الحلقة الأولى من القرن العشرين ليست هى سيدة الحلقة الثانية. وسيدة الحلقة الثانية ليست هى سيدة الحلقة الثالثة... وهكذا. فإن السيدة القبطية كانت فى السنين الماضية مثال الحشمة والوقار وأنموذج الورع والاحتشام. أما السيدة القبطية فى هذه الأيام فهى عنوان البذخ فى الخلاعة. ولست فى حاجة إلى زيادة الإيضاح، فإن ما نشاهده فى أوساط عائلاتنا القبطية

الراقية والمتوسطة لهو أكبر دليل محسوس وملموس على خلاعة السيدات وتبرجهن المشين بكرامة المسيحية.

أيتها السيدة: إن سر وجودك فى الحياة هو مشاركة الرجل فى متاعب الدنيا. والآن أسوق إليكِ قصة الخليقة فى بدئها:

"وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره.... وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم" (تك ٢ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢). ومن هذه القصة تفهمين جيداً سر وجودك فى الحياة. إن الله أوجدك فى الحياة لتكملى نقصاً رآه. ولقد رأى الله وجود الرجل بدون المرأة أمراً غير مستحسن، لذا قال: "ليس جيداً أن يكون آدم وحده". وهذا يدل على أن وجود المرأة له أهميته ومركزه. ولكنى أخشى أن أقول إن السيدة اليوم قد فقدت هذا المركز، أو كادت تخسر هذه الأهمية. أيتها السيدة: تأملى قليلاً فى كلمات الله. إن الله خلقك لتؤنسى رجلك وتمنعى عنه شعوره بالوحشة، لتزيدى سروره وترفعى عنه ثقل أتعاب الحياة وآلامها، لتعينيه على القيام بواجبه عندما تقومين بواجبك من نحوه فى أداء ما يلزمه، وبواجبك نحو أولاده وأولادك، لتساعديه بمشورتك الصالحة، وتحملى عنه حمل الاهتمام بتربية البنين والبنات ليشبوا على الحياة الفاضلة والسيرة المستقيمة. إزاء هذه المقاصد الإلهية يجب عليكِ أن تتممى فى شخصك أولاً قصد الله من وجودك حتى تكونى على جدارة المرأة الفاضلة.

"امرأة فاضلة من يجدها، لأن ثمنها يفوق اللآلىء" (أم ٣١ : ١٠) والمرأة الفاضلة هى التى يباركها الله وينجح زوجها فى أعماله ويرفع من قدره ويقر عينيها بالنسل الصالح ويمتعها بالحياة العائلية المملوءة بالسلام والنعمة. ولقد وصفها الحكيم بأوصاف سامية... فهى موضع ثقة زوجها، وهى ينبوع الخير مدة أيامها، وعنوان التضحية فى خدمة الآخرين، وهى أم الفقراء والمعوزين.

أيتها المباركة فى الرب: إن كنتِ لا تفطنين إلى غاية الله من وجودك، وعوضاً عن مساعدتك لرجلك تعكرين عليه الحياة وتضيفين إلى أتعاب عمله تعباً، فتظنين أنكِ وُجدتِ فى الحياة للملبس والتزين، ولقضاء الوقت بين الملاهى والمسرات الكاذبة، وتسلكين مع رجلك سلوك الكبر والتشامخ وعدم الطاعة، وترهقينه بكثرة الإنفاق على الفساتين والزينة وأنتِ تزعمين أنكِ جميلة، فأنتِ تجلبين على نفسك وزوجك وأولادك تعاسة وشقاء، وتقضين حياة بائسة مفعمة بمفاجآت سيئة، فضلاً عن المجازاة الأبدية التى تنتظرك حيث تُعرض مخازيك أمام الديان، فتقولين للجبال اسقطى علىَّ وللآكام غطينى من وجه الجالس على العرش.

اسمعى قول الحكيم سليمان: "الحُسنُ غش والجمال باطل. أما المرأة المتقية الرب فهى تُمدح" (أم ٣١ : ٣٠)، فالآنسات والسيدات اللواتى يطلبنَ الجمال بطرق متنوعة وأساليب مختلفة، مرة بالأزياء وأخرى بالأصباغ وتارة بقص الشعر، لهنَ بعيدات عن معرفة الله. وكل بعيد مريض، ويحتاج المريض إلى علاج. وأى علاج لهنَ إلا الشبع من دسم كلمة الله والارتواء من فيض مائه الحى الذى قال عنه السيد المسيح: "الذى يشرب من الماء الذى أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو ٤ : ١٤)!؟ ولا جدال فى أن هذا العلاج شافٍ لجميع المرضى. فهلا تقبلنَ إلى يسوع ليعطيكنَ ماء الحياة؟ أما التى تصر على عنادها وتتمادى فى خلاعتها ولا تتعظ بكلمة الحق فهى بائسة وشقية وعريانة، ولتسمع صوت الله ينادى على فم إشعياء النبى "وقال الرب من أجل أن بنات صهيونَ يتشامخنَ ويمشينَ ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهنَ وخاطرات فى مشيهنَ ويخشخشنَ بأرجلهنَ، يُصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهنَ. ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والمعاطف والأردية والأكياس والمرائى والقمصان والعمائم والأزر، فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة وعوض الديباج زنار مسح وعوض الجمال كيّ" (إش ٣ : ١٦ – ٢٤).

أيتها المسيحية:

أناشدك بنعمة الله أن تنصتي إلى صوت الحق لتكوني خليقة جديدة في المسيح يسوع ربنا. اخلعي الإنسان العتيق مع أعماله، زينة الجسد وجمال صورته، لأنه سوف يبلى ويفنى ولا يلازم الجسد حسن أو جمال. وكل ما يقال فهو خداع وغرور. فلا يغرنكِ حلاها الزائل. كفى ما مضى من الزمان "لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم، سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة" (١بط ٤ : ٣)، والبسى الإنسان الجديد، الرب من السماء يسوع المسيح الذى رفع مركزك ووهبك الحياة وكساكِ ثوب البر ومنحك النجاة بموته على الصليب. وهو لايزال يناديكِ بصوته الحبى قائلاً لكِ "اسألى تعطى اطلبى تجدى. اقرعى يفتح لكِ" (مت ٧ : ٧).

فإذا كنتِ تحت نير الموضة وأسيرة المدنية الكاذبة، تعالى إلى يسوع واطلبى منه أن يحررك من ذلك النير وأن يطلق سراحك من ذلك الأسر ويهبك القوة حتى تفوزى بالنصر. وهو الذى قال: "لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له" (مت ٧ : ٨).

أسأل الله القدير أن يعطى سيداتنا ويمن على فتياتنا بالقوة حتى يعشنَ حياة النصرة والحشمة.

له المجد من الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر توت

الخطية وغفرانها أو الخلاص منها

«مغفورة لكِ خطاياكِ... إيمانكِ قد خلصكِ» (لو ٧ : ٤٨ ، ٥٠).

لسنا ندرى ماذا كانت قصة تلك المرأة التى قدمت إلى يسوع فى بيت الفريسى أو عالم الدين اليهودى.

ولكننا نعلم أنها حُرمت كل مورد للعطف وأضاعت مستقبلها ورجائها فى هذه الحياة والحياة الأخرى حتى التقت بيسوع فى ذات يوم وربما سمعته فى أحد مجتمعاته التى أعلن فيها قلب الله نحو الخطاة فى مثل الراعى الذى يبحث عن خروفه الضال فوق الجبال، أو مثل الأب الذى يستقبل ابنه الضال الذى عصى عليه وشرد عنه أو ربما تكون قد قصت عليه يوماً ما قصتها المحزنة وسكبت أمامه نفسها التائبة النادمة وسمعت منه ذلك القول الذى انتشل به امرأة أخرى خاطئة مثلها. ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى.

وعلى أية حال لابد أن تكون لها معرفة سابقة بالسيد المسيح أيقظت فى نفسها رجاء جديداً وبدلت حياتها كلها قبل أن تتسلل إلى بيت الفريسى وقلبها ملىء بشعور الامتنان والعطف. يقولون أن بيت الغربى قلعته الحصينة التى لا يقتحمها أحد.

أما بيت الشرقى فليس كذلك، فيسمح للغرباء عادة أن يدخلوا إليه ليروا الضيوف وكانوا متكئين على مساند وأرجلهم ممتدة على وسائد إلى الوراء وفجأة يسمع الحاضرون آنات وتنهدات وإذا بامرأة خاطئة:

كما يعبر إنجيل قداس اليوم مكشوفة الوجه مسترسلة الشعر ـ يدل مظهرها على إنها من الساقطات ـ جاثية على الأرض عند قدمى السيد وفى يدها قارورة من الطيب الذكى الرائحة. وكانت دموعها تتساقط على قدميه وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتُقبل قدميه وتدهنهما بالطيب.

كانت عاطفتها شديدة متأثرة.

أحس سمعان الفريسى أنه قد أُهين وأن كرامته قد هُدرت وكأنه يقول ما شأن امرأة خاطئة كهذه فى هذا البيت؟.

كان الموقف مخجلاً وكان مجرد لمس المرأة مدنساً والظاهر أن المضيف تأدب وكبح جماح شعوره بما أن يسوع نفسه لم يعترض على ذلك ولكنه كان يفكر ويفكر فى السوء.

"لو كان هذا نبياً لَعلِمَ من هذه الامرأة التى تلمسه" (لو ٧: ٣٩).

بدت أفكاره على أسارير وجهه.

أما يسوع فقرأ هذه الأفكار.

ويقول القديس أوغسطينوس: احترسوا من أفكاركم فإنها تقرأ فى السماء لذلك اضطر يسوع أن يتكلم "يا سمعان عندى شىء أقوله لك، فيجيبه باحترام مصطنع. قل يا معلم. كان لمداين مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً. أيهما يكون أكثر حباً له؟.

فأجاب الفريسى المغتاظ فى شىء من عدم الاكتراث أظن الذى سامحه بالأكثر.

بالصواب حكمت. والآن يا سمعان انظر هذه المرأة إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلىَّ لم تُعطِ. وأما فهى فقد غسلت رجلىَّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قبلة التحية لم تقبلنى. وأما هى فمنذ دخلتُ لم تكف عن تقبيل رجلىَّ. بزيت لم تدهن رأسى وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلىَّ. من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. والذى يُغفر له قليل يحب قليلاً" (لو ٧: ٤٠– ٤٧).

ولم يقصد بالطبع من هذا القول إن لكثرة الخطايا امتيازاً خاصاً كأن تؤدى إلى محبة أكثر.

إنما أراد أن يماشى سمعان فى تقديراته وكأنه يقول له أنت لا تشعر بأن لدى الله ليغفر لك.

أما هى فمن فرط شعورها بالخطية لم تقدر أن تضبط عاطفة امتنانها المتدفقة.

وبعدئذ ينظر يسوع المسيح إلى تلك المرأة الجاثية عند قدميه ويقول:

يا امرأة إيمانكِ قد خلصك مغفورة لك خطاياك. اذهبي بسلام.

وبنعمة الله وإرشاده نتكلم عن نقطتين:

أولاً ـ الخطية:

إن الخطية كما يُعرفها لنا يوحنا الرسول بقوله فى رسالته الأولى (ايو ٣ : ٤) "الخطية هى التعدى".

ليس على حق الغير فحسب بل على حقوق الله ونواميسه قبل كل شيء ولذا يقول داود النبى: "إليك وحدك أخطأت" (مز ٥١ : ٤).

١ ـ درجاتها:

وهى تؤسس أولاً فى الفكر ولذا نادت الشريعة الموسوية قائلة: "لا تشتهِ امرأة قريبك ولا بيته..." إلخ.

وكما قال السيد المسيح له المجد: "من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥ : ٢٨). ثم تحصل على درجاتها الثانية بالقول الذي به يكشف الناس الخطاة عما يخالج نفوسهم من التصورات والأفكار ولذا يقول الكتاب بصريح اللفظ:

"لا تدع فمك يجعل جسدكَ يُخطىء" (جا ٥ : ٦).

ثم تتم أخيراً بالفعل ولذا قال الوحى:

لا تقتل. لا تزنِ... إلخ، إلا إن الخطايا ترجع إلى نجاسة الفكر وعدم التجديد فى الإنسان الباطن ـ فإن الغاضب لاشتهائه الانتقام يضطرب أولاً فى فكره ثم يخرج إلى القساوة فى قوله ثم يتخطى هذا إلى فعله المهين.

حقيقتها:

وإن كان فى الحياة حقائق كثيرة ففى مقدمة هذه الحقائق حقيقة الخطية الجارحة الشاملة الفضولية التى تزج بنفسها فى كل مكان وتقتحم كل باب. فما من جو نفثت فيه الخطية سمومها إلا وأفسدته.

بل أى إنسان عاقل لم تحمل الخطية جسمه فورثته العلل فأصابتها بالشلل وعقله الباطن فمسته بالخبل فإذا ما حاولنا أن نتجاهل وجودها فى حياتنا فلن نقوى على تناسيها فى حياة غيرنا فهى تواجهنا فى المنزل وفى الشارع وفى مجال أعمالنا وفى أوقات تسليتنا وإذن الخطية حقيقة ظاهرة قوية وقد أصاب القديس أوغسطينوس كبد الحقيقة حين قال:

إن أعظم حقيقة فى الكون بعد وجود الله هى حقيقة الخطية. ومن أهم الأدلة على حقيقة الخطية هو ثقل جرمها لأن دينها أثقل من الجبال وإذا ما كان الدين هماً بالليل ومذلة بالنهار فإن دين الخطية الروحى لهو هم ومذلة فى كلا الليل والنهار.

ومع أن شعور الناس بثقل جرم الخطية يختلف باختلاف نزعاتهم وتباين درجات احساسهم وشعورهم إلا أنه ما من أحد وقع فى أية خطية مهما يكن مظهرها إلا وشعر بخجل يماثله خجل الطفل من نفسه ومن والديه بعد مخالفته أوامرهما. وإن ننسى فلا ننسى شعور أحد القديسين إذ قال أنه شعر فى وقت ما بثقل جرم خطاياه لدرجة حُرِمَ منها لذة الطعام وراحة المنام فكان يحسد الغربان السوداء لأنها لم تقترف إثماً ضد الله.

أما هو فقد تعدى وصاياه وكسر شريعته المقدسة.

وهل ينسى التاريخ تلك الصرخة المريرة التى خرجت من قلب داود فتمزقت معه أوتار قلبه؟

"ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ومثل كثرة رأفتك... إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت..." (مز ٥١ : ١ ، ٤).

فمع أن داود أساء إلى تاج مُلكه فتدنت نفسه إلى مزاحمة أحد رعاياه في أقدس حقوقه وأعزها. ومع أنه أهان كرامته كرجل أو هبطت نفسه إلى حضيض الحيوانية الدنيئة بعد أن رفعه الله إلى مستوى راقٍ جليل ومع أنه أساء إلى البطولة بتعريضه حياة أبطاله البواسل للخطر والموت إلا أنه رأى نفسه مسئولاً أمام هذا الشخص الأوحد الذى عند قدمى عرشه تتركز كل المسئوليات وأمام شخصه تعالى تتضاءل وتنكمش كل الشخصيات وتختفى كل الامتيازات فنسى داود اساءته للإنسانية وتدنيسه للشرف وإهانته للتاج.

وتذكر الله وحده لا سواه قائلاً: إليك وحدك أخطأت..

مرضها:

ليست الخطية جرم أو دين ثقيل فحسب بل هى أيضاً مرض نفسى خطير وداء دفين فى القلب مستحكم فى الإرادة ومسيطر على العقل ومقيد لحرية الضمير ومُفسد لكل عاطفة وكل قوى النفس وملكاتها.

أغراضها:

وكما إن للمرض الجسدى أعراض هكذا للخطية التى هى مرض النفس.

أعراض:

١ ـ شعور المرء بفراغ نفسى موحش لا يملأه كل ما فى الكون، ولا كل ما فى الوجود لأن النفس تكون قد انفصلت بالخطية عن الله وبعدت عن مصدر حياتها وقوام وجودها ومن العبث أن يلجأ الإنسان إلى هذا المكان أو ذاك ليزيل هذه السآمة لأن النفس كما قال القديس أوغسطينوس فيها قد خرجت من عند الله ولن تجد راحتها إلا متى استراحت عنده.

وكان كذلك تولستوى الفيلسوف الذى رُزق زوجة كانت مثال الطهر والولاء وأولاداً كانوا كملائكة صغيرة تنير جوانب بيته ومع ذلك لم تشبع نفسه فمضى هائماً وحزيناً

فى الغابات حتى ناداه صوت: يا تولستوى علتك فى قلبك وهى الخطية وإن دواؤك ليس بعيداً عنك وهو الله فحالاً رفع نفسه ووجهه إلى الله وفتح قلبه فغمره الله بشخصه وأضاء له بنوره وأشبعه بمحبته.

٢ ـ ومن هذه الأعراض أيضاً كآبة تُشعر الإنسان باغترابه عن كل ما فى الأرض كيهوذا الإسخريوطى الذى وصف البشير حاله قبل تسليمه للسيد المسيح بقوله: "فهذا لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً" (يو ١٣ : ٣٠).

كأنه كان محجوباً عن كل شخص فى ظلام قلبه الدامس علاوة على ظلام الطبيعة وقد ينقلب هذا الاغتراب إلى بغض كل شخص يتصل بالله وكتابه وينقم على كل ما هو حق وجليل وكل ما هو طاهر أو صيته حسن.

ثانياً ـ حاجتنا إلى طلب الغفران والخلاص:

وإذن فلسنا فى حاجة إلى قوة غافرة ترفع عنا ثقل الآثام وتمتعنا بالسلام. ولكننا فى مسيس الحاجة أيضاً إلى قوة قادرة تطرد السموم من حياتنا وتبعث فينا روحاً جديداً.

نحن فى حاجة إلى قوة تكون لإرادتنا محررة ولعقولنا منيرة ولضمائرنا مغيرة ولعواطفنا مطهرة فتفك كل قوى النفس من عقالها وتفتح لها باب الدخول بسعة إلى حرية مجد أولاد الله وهذه القوة هى قوة السيد المسيح الحى الساكن بروحه فينا فإذا كان المسيح المصلوب يخلصنا بموته من جرم الخطية فإن المسيح المقام يخلصنا بحياته من قوة الخطية.

المسيح المرفوع على الصليب صار لنا من الله براً وغفراناً.

والمسيح المرفوع إلى يمين العظمة فى الأعالى صار لنا من الله قداسة وحياة وتجديداً.

الحياة المُخلصة:

وكما أن الخطية غمرت حياتنا فاحتلت كل من أركانها كذلك من المحتم أن يحتل

المسيح بروحه كل ركن من أركان حياتنا ومتى حل النور اختفى الظلام وولى ولن يكون الإنسان للمسيح تماماً إلا متى يسلم إرادته له تسليماً تاماً بلا شرط ولا قيد فيفكر ولكن بفكر المسيح لا بفكره هو ويتكلم بلغة المسيح ولسانه لا بلغته هو ولسانه.

وهذا مراد بولس الرسول بقوله: " فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ " (غل ٢ : ٢٠).

مثالها:

ولنا خير مثال على هذه الحقيقة فى حادث استشهاد إستفانوس فإن ذلك الشهيد ردد قبيل استشهاده نفس العبارة التى فاه بها المسيح قبل صلبه.

قال المسيح قبل صلبه "ياأبتاه اغفر لهم" (لو ٢٣ : ٣٤).

وقال إستفانوس قبيل موته "يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" (أع ٧: ٦٠).

وإن خير تعليل لذلك هو أن إستفانوس ما كان يستطيع أن يطلب المغفرة لقاتليه لو لم يكن المسيح وقتئذ متكلماً فيه بروحه القدوس الساكن فيه.

وهذا مثال حى يقول بولس الرسول: "إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه. فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو ٥: ١٠).

ولما كانت الحية النحاسية التى رفعها موسى فى البرية وكان كل من لُدغ من بنى إسرائيل من الحيات ينظر إليها ويحيا. ثم لما توغلوا فى البرية واحتاجوا إلى طعام يقتاتون به. أنزل الله لهم المن من السماء كذلك الأمر فى حياتنا الروحية. فالمسيح المرفوع على الصليب ليس فقط غفراننا وعلاجنا من لدغة حيات الخطية. بل أيضاً غذاء حياتنا السماوى لأنه الخبز الحى النازل من السماء.

ولما كانت للحية النحاسية صورة الحية الطبيعية مع خلوها من سمها كذلك لَبَسَ المسيح شبه جسد الخطية من غير أن يشترك معنا فى خطيئة الجسد.

فإذا نظر أحد إلى المسيح المصلوب تبرأ من الخطية فغفر له وعوفى من أجرتها التى هى

الموت. وإذا قبل السيد المسيح الحى فى قلبه واقتات به برىء من داء الخطية وعوفى من سلطان الخطية وسطوتها فلا يخضع لها بل بالمسيح يتغلب عليها ويدوسها.

بهذه العبارات الثلاثة التى تعد فى نظر الجميع أحسن ختام للحادثة العجيبة الخاصة بالمرأة الخاطئة. كما أنها خير جزاء لعملها المجيد الذى أعلنت به على الملأ صدق ندامتها وصادق توبتها كما أنه بهذا النطق العالى كشف السيد المسيح القناع عن وسيلة الغفران وهى الإيمان بالمخلص المصحوب بهبة السلام الدائم لأن عبارة اذهبى بسلام لم تكن مجرد كلمة صرف المسيح بها المرأة؟ كقولنا مثلاً مع السلامة. لكنها كلمات بمثابة فتح باب تؤدى إلى قصر ملكى فياض بالخزائن والخيرات الدائمة لأن ترجمتها الحرفية هى اذهبى فى سلام وسلام المسيح ليس هبة صغرى يسعها القلب لكنه خيمة مجد تظلل الإنسان وتسعه هو وما يحيط به.

سلام المسيح الذى يحفظ قلوبنا وأفكارنا بدلاً من أن تحفظه قلوبنا نحن الضعفاء وأفكارنا، كما أن هذا كان عربون تلك الكلمة التى ستسمعها المرأة يوم مكافأة الأبرار ادخلى إلى فرح سيدك.

فهل لنا أن نقتدى بتلك المرأة الحكيمة التى غسلت خطاياها بدموعها طارحة حمل خطيتها العظيمة تحت أقدام مخلصها مُظهرة له وللملأ توبة صادقة فنالت منه الغفران والتبرير ثم حياة السلام والسعادة القلبية التى تفوق كل عقل حياة القداسة والتجديد التى هى عربون سعادة السماء.

ليعطينا الرب نعمة كى لا نتوانى فى أمر خلاصنا وتوبتنا الصادقة لأنه:

"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

له المجد من الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من شهر بابة

يسوع مشبع الحياة

«فأمر الجموع أن يتكئوا على العُشب... فأكل الجميع وشبعوا» (مت ١٤ :١٩، ٢٠).

خرج الجمع الغفير وراء الرب إلى الخلاء من المدن المجاورة وظلوا معه إلى المساء، وحينئذ تقدم إليه التلاميذ طالبين أن يصرف الجموع حتى يذهبوا ليتناولوا الطعام، أما هو فهو الذى يشبع الجميع وأمر أن يتكئوا بنظام.

وأكل الناس وشبعوا، وأمرهم بجمع الكسر فأُجلس الجموع بنظام وجُمع الباقى بنظام. ولعل كلا من التلاميذ أخذ قفة أو لعلهم نقلوها إلى القرى المجاورة ووزعوها على الذين عجزوا عن الخروج فى ذلك اليوم.

مشهد فريد، عشرة آلاف نفس أو ما يزيد، بين رجال ونساء وأطفال، يحيطون بيسوع وتلاميذه، فى البرية، كلهم آذان صاغية إلى المعلم الإلهى، وهو يُلقى عليهم تعاليمه الخلاصية!

فمن هم هؤلاء القوم الأتقياء، الذين جاءوا من شتى أنحاء البلاد لسماع يسوع؟.. هم الجموع المتعطشة إلى كلمة الله، جاءوا إلى هذا المكان الموحش فى البرية، لسماع هذه الكلمة التى يجلونها ويقدرونها حق قدرها.

فما أعظم تقوى هذا الشعب البسيط وحُسن اهتمامه بأمر خلاصه! حقاً إنه لجدير بكل إعجاب، ذلك الشعب الذى لا يخشى فى سبيل سماع كلمة الله أن يقتحم مخاطر البرية، وما تخفيه من أهوال ومفاجآت : فلا الجوع ولا العطش يثنيانه عن عزمه هذا، بل ولا التعب المضنى مدة ثلاثة أيام متواصلة!

ونحن المسيحيين، نجد صعوبة كبيرة، فى الذهاب إلى الكنيسة، مرة فى الأسبوع، لحضور الذبيحة الإلهية وسماع كلمة الله، مدة بضع ساعات؟ فأين نحن من إيمان وتقوى ذلك الشعب البسيط، الذى كان يَجد فى إثر يسوع أينما توجه، دون مبالاة، لا

بجوع، ولا بعطش، ولا ببرد، ولا بحر، ولا بمخاطر من أى نوع؟.. فما أعظم توانينا وإهمالنا بالقياس إلى ذلك الشعب، الذى لم يكن يعرف عن المسيح الفادى ما نعرف، ولا يملك من وسائل الإيمان والنعمة ما نملك!

لنُلقِيَ الآن نظرة إلى يسوع المعلم الإلهى، وسط تلك الجماهير الغفيرة، ولنتأمله، بادئ ذى بدء، مُرحباً بوفود تلك الجماعات الآخذة فى الأزدياد كفيضان جارف، وحين أخذ يعلمهم الحقائق الأبدية، ويشفى مرضاهم، ثم وهو يصنع تلك المعجزة الباهرة، التى قدم فيها بقدرته الإلهية، بخمسة أرغفة وسمكتين، طعاماً كافياً لخمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والأطفال، أى ما يقرب من العشرة آلاف نفس. وقد زاد عنهم اثنتا عشرة قفة مملوءة من الكسر.

فمن منا لا يرى يسوع الذى جُبل على العطف والحنان، أنه فى كل هذه المهام وأعمال القدرة الفائقة، يفيض حباً وحناناً، فيوزع نعمه وعطاياه، يمنة ويسرة، بجود وسخاء لاحد لهما!.

وفى روايات أخرى من الأناجيل نسمعه يقول : "إنى أشفق على الجمع فليس لهم ما يأكلون" أو أنه يخشى أن يصرفهم فيخوروا فى الطريق.

هذا هو مسيحنا... حنانه النادر يجعله يستجيب قبل أن نسأله، يفكر فى معاناتنا قبل أن نشعر نحن بآلامنا... وهذا هو الأسلوب العجيب، الذى يشبع النفوس أن يحس الإنسان أن هناك من يشعر به دون أن يشكو هو ... هناك من يفهم احتياجاته قبل أن يُعبر عنها...

ولو أننا راجعنا معجزات السيد المسيح كما ترويها الأناجيل لرأينا أنها لم تكن لاستعراض قدرات ألوهيته، بل أنها كانت نتيجة لحنانه وشفقته على آلام البشر.. تحنن على المرضى فشفاهم، وتحنن على المصابين بالبرص فطهرهم، وتحنن على الجياع فأطعمهم...

إنه يشبع نفوسنا بحنانه علينا.

أرجو أن تلاحظوا أن الأناجيل عندما روت قصة إجراء هذه المعجزة اهتمت بأن تبين كيف طلب السيد المسيح من التلاميذ أن يجعلوا الناس يتكئون أى يجلسون فى نظام استعداداً لتناول الطعام.

وفى إنجيل معلمنا مرقس نرى تصويراً أوضح إذ يقول :

"فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العُشب الأخضر. فاتكأوا صفوفاً صفوفاً مائة مائة وخمسين خمسين" (مر ٦ : ٣٩, ٤٠).

ونحن نتساءل : ما أهمية ذكر هذه التفاصيل التى تبدو فى نظر البعض غير ذات أهمية... لكنها فى الحقيقة غاية فى الأهمية... إن المسيح له المجد يستطيع أن يجرى معجزة.

لكن علينا أن نتعلم النظام والترتيب كى نستفيد من قدرة المسيح... إن إشباع الآلاف من خمسة أرغفة وسمكتين أمر يعجز عنه البشر. لكن الجلوس فى نظام أمر يمكن أن يقوم به الناس. وتصوروا حال خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد فى مكان متسع دون نظام!! لا شك أن النظام كان ضرورياً جداً لكى يتحقق الغرض من المعجزة، وهو إشباع الجياع.

ونحن نراه فى هذه المعجزة يشبع الاحتياجات الجسدية، ثم يسمو بنا لنرى هذه المعجزة رمزاً إلى إشباعه لاحتياجاتنا الروحية :

١ ـ يسوع يشبع حاجاتنا الجسدية :

فهذه المعجزة إعلان عن حقيقة واقعية وهى أن يسوع هو مصدر كل البركات الجسدية التى نتمتع بها. فهو ابن الله الذى به خلق الله العالمين وتقول الحكمة فى سفر الأمثال وهى إشارة إلى المسيح "لما ثبَّت السموات كنتُ هناك أنا... كنت عنده صانعاً" (أم ٨ : ٢٧، ٣٠).

ويقول معلمنا يوحنا فى مستهل إنجيله :

"كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو ١ : ٣).

نحن لا نعلم اللحظة التى جرت فيها المعجزة عند إطعام الآلاف، ولعلها كانت اللحظة التى انتقلت فيها أجزاء الأرغفة والسمكتين من يد السيد المسيح إلى أيادى التلاميذ.

لكننا نعلم أن يسوع هو العامل فى قوانين الطبيعة والزراعة والنمو، فهو ابن الله الوحيد الذى يطعم الطيور ويلبس الزهور، فكم بالحرى مع أولاده وخليقته.

إن كل ما فى هذه الخليقة من معجزات من خلقه وعنايته، فهو يفتح يده ويشبع كل حى.

٢ ـ ويسوع يشبع حاجاتنا الروحية :

لقد توقف كثيرون من اليهود عند إشباع حاجات الجسد. كان هذا هو ما يسعون إليه. لكن الرب يسوع وجه نظرهم إلى شخصه باعتباره «**خبز الحياة**» والحديث عن خبز الحياة يطول لكننا هنا نذكر ثلاث عبارات فقط ذكرها السيد المسيح ليوضح هذه الحقيقة الرائعة :

أ ـ فقد قال : "أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلن يعطش أبداً" (يو ٦ : ٣٥).

وهو يشير بذلك إلى أنه حياة أرواحنا، وشبع نفوسنا الحقيقى، بمقارنتها بالخبز المادى، والمن المادى الذى أكله الآباء وماتوا.. لكن الحياة الروحية حقيقية أعظم لأنها اغتذاء بالمسيح، وتغلغله إلى جميع القوى والطاقات والأفكار التى يتحرك بها الإنسان.

ب ـ ثم قال السيد المسيح : "والخبز الذى أنا أُعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦ : ٥١).

وهنا يتحدث السيد المسيح عن موته الكفارى لفداء العالم. أنا هو الخبز المكسور..

دقيق يُطحن، ويدخل فى النار ليصير خبزاً.. ينكسر ليشبع حاجة العالم إلى الفداء.

جـ ـ ثم قال السيد المسيح : "من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير... من يأكلنى فهو يحيا بى" (يو ٦ : ٥٤، ٥٧).

بتناول المؤمن جسد ودم المسيح الحى يثبت فى المسيح الحى، وبالتالى يستمد عصارة الحياة منه فيحيا ... وعلى العكس الذى يهمل تناول جسد ودم المسيح الحى، يفصل نفسه عن المسيح الحى، ويحرمها من عصارة الحياة، وبالتالى يعرض نفسه للذبول والموت الروحى ثم الهلاك الأبدى إن ظل على هذا الحال.

لقد أعطى المسيح للناس بقدر ما شاءوا ...

فتعالوا وكلوا من خبز الحياة.

وله المجد الدائم إلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر بابة

الإيمان المثمر ثمراً عاجلاً وكثيراً

«فلما رأى إيمانهم قال للمفلوج : يا بنى مغفورة لك خطاياك» (مر ٢ : ٥).

يصور لنا إنجيل قداس اليوم ربنا يسوع المسيح له المجد وقد دخل بيتاً فى كفر ناحوم بنىٌ على الطريقة الشرقية بحيث يكون سلم الدار من الخارج حتى لا يمر الضيوف الصاعدون عليها ببيت النساء فى الداخل ولقد كان ذلك المنزل عبارة عن دار كبيرة بها فناء واسع من الداخل كما يحيط به من الخارج أيضاً فضاء كبير غير أنه ما كاد الجمهور المتعلق بحب السيد المسيح يعلم بوجوده فى تلك الدار حتى تدفق عليها تدفق المياه من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم فامتلأت الدار من الداخل ومن الخارج حتى لم يعد المكان يسع ولا ما حول الباب حسب رواية إنجيل معلمنا مرقس.

ويشير الإنجيلى معلمنا لوقا البشير إشارة ذات مغزى عن بعض المجتمعين من ذوى الحيثيات الذين جلسوا فى الأماكن الممتازة بالقرب من يسوع وهؤلاء هم : (الكتبة أى حفظة الكتاب ومفسروه والفريسيون أى علماء الدين اليهودى وكانوا يتظاهرون بالتقوى ولكن يوحنا وبخهم على ريائهم ونعتهم بأولاد الأفاعى). الذين أفرزوا أنفسهم عن عامة الشعب تكبراً قد أتوا لا ليروا المعجزات ولا يسمعوا كلام الحياة لينتفعوا بل ليسمعوا فينتقدوا بينما كان هؤلاء المعلمون المنتقدين جالسين فى المقدمة وعامة الشعب والجماهير الساذجة واقفين حول المسيح داخل المنزل وخارجه وإذ بضجة كبيرة تحدث فجأة فوق سطح الدار وتنجلى تلك الضجة عن أربعة من الرجال الأشداء إيماناً وعزيمة يحملون مفلوجاً (أى مشلولاً مخلعاً مقعداً يائساً) لأنه كان هدم بيده صحته الغالية كمثل الابن الضال تماماً فى حياة الإثم والفساد والخلاعة.

ولما لم يجد هؤلاء الأربعة الرجال طريقهم إلى الرب يسوع بسبب الجمع المزدحم صعدوا من السلم الخارجية إلى سطح الدار فنقبوه ودلوا مريضهم بفراشه من بين الآجر

فى الوسط قدام يسوع له المجد الذى لما رأى إيمانهم سر منهم وقال للمفلوج مغفورة لكَ خطاياك. وبهذا شفى روحه أولاً من مرض الخطية الذى كان علة مرضه الجسمانى مما دل على إن ربنا يسوع له المجد هو الإله الذى عيناه كلهيب نار تخترقان حجب الظلام وأن كل شئ عريان ومكشوف لديه وأنه "الفاحص الكلى والقلوب" (رؤ ٢ :٢٣).

ثم "قال للمفلوج أيضاً لك أقول قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك. ففى الحال قام أمامهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله" (لو ٥ : ٢٤، ٢٥).

وهذه المعجزة قد أعلنت لنا شخصية السيد المسيح البارزة كإله متجسد له كل السلطان ليس فقط على طرد المرض المُزمن بكلمة يفوه بها ولا على قراءة أفكار الناس التى تجوس بداخلهم فحسب بل له القدرة أيضاً حتى على مغفرة الخطايا وبذلك أثبت لاهوته، لأن من يستطيع أن يغفر الخطايا إلا الله وحده.

أما التعليم الثانى الذى تُعلمنا إياه هذه المعجزة والتى أريد أن يكون موضوع بحثنا فى هذا الصباح المبارك فهو إيمان أولئك الرجال الأربعة الحاملين للمفلوج الذى تبرهن بعمل مثمر فوق ما كان ينتظر.

ولنتأمل فى قول الإنجيلى : فلما رأى إيمانهم قال للمفلوج مغفورة لك خطاياك. قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك. فنرى عملاً مثمراً ينبع من أصل واحد هو الإيمان الحى.

أولاً ــ العمل المثمر :

كما إن الشجرة لا تُعرف قيمتها إلا بثمرها هكذا الإيمان لا يُعرف إنه إيمان حى إلا بثمار الأعمال الصالحة لأن الإيمان حسب قول الرسول بدون أعمال ميت بل لا ينبغى أن يسمى إيماناً ما لم يكن عاملاً لا بل عمالاً. لأن هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى أرسله كقول الوحى ولا يمكن أن يسمى عمل الإيمان عملاً إلا متى كان مؤسساً على

التضحية وإنكار الذات بعيداً كل البعد عن الغايات والمآرب الشخصية. وقد كان كذلك عمل أولئك الرجال الأربعة فهم لم يقصدوا بحملهم للمريض وتقديمه للسيد المسيح ولمجازفتهم فى كشف السطح وتخريب بيوت الغير الذى كان لا شك يعرضهم للمحاكمة غير منفعة المريض وإنقاذه من بلائه الجسيم ليس إلا. عاملين بهذا حسب قول الرسول بولس :

"لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضاً" (فى ٢ : ٤).

لقد كان فرحهم حالما رأوا ثمار عملهم العاجلة بشفاء ذلك البائس المفلوج المسكين شفاء مزدوجاً للنفس بغفران خطاياها وللجسد بإبرائه بكلمة واحدة بل لقد كان أعظم سرورهم واغتباطهم حالما رأوه يقفز من فراشه فى الحال ويحمل ما كان مضطجعاً عليه بكل صحة وقوة ويذهب والبشر يعلو وجهه مسبحاً لله وشكراً لصنيعهم الجليل معه.

فى الكنيسة اليونانية قديسان مشهوران هما القديس كاسيان والقديس نقولا :

وكان الأول نموذجاً للمسيحية الفردية يهتم بخلاص نفسه فقط مثله مثل الآباء الرهبان المتوحدين فكان يصلى سبع مرات يومياً ويصوم كثيراً ويعذب جسده.

وكان نقولا من طراز آخر فقد أفنى حياته فى خدمة الآخرين فكان يساعد الفقراء والمعوزين ويواسى المرضى والمحزونين ويدافع عن المظلومين وينتصر لهم وهذا عمل أعضاء الكنيسة الغيورين الذين لم يعيشوا لأنفسهم بل للآخرين.

وتقول الأسطورة التاريخية أن كاسيان دخل السماء وأخذ السيد المسيح يسأله قائلاً : ماذا رأيت يا كاسيان قبل أن تجئ إلى هنا. فأجابه قائلاً : قد رأيت يا سيدى عربجى يجر عربته وقد تمرغ فى الوحل. فقال له : ألم تمد يد المعونة إليه؟

فأجابه : كلا يا سيدى فقد كنت قادماً إليك وخفت أن تتسخ ثيابى البيضاء. وفى هذه الأثناء يدخل القديس نقولا وقد تلطخت ثيابه بالأوحال فيقول السيد المسيح ماذا

دهاك يا نقولا وما هذه الأقذار التى علت ثيابك؟

فأجابه قائلاً : يا سيدى رأيت عربجى فقيراً يجر عربته وقد تمرغ فى الوحل والحمأة فوضعت كتفى إلى جانب كتفه وساعدته فى جر عربته. فقال له السيد المسيح له المجد : لقد أحسنت يا نقولا. وأنت يا كاسيان فلأنك حرصت على ثياب معموديتك نقية بيضاء سيُخصص لك يوم واحد فى السنة تكريماً لك.

وأما أنت يا نقولا فأنك مددت يد المعونة لأخيك المتمرغ فى الحمأة سيُخصص لك أربعة أيام.

هذه كلها تشابيه وكنايات رمزية لكنها توضح بجلاء أن العمل لأجل الآخرين أَجَلّ قدراً وأعظم أثراً من خدمة المصالح الشخصية التى تنطوى على حب الذات والأثرة.

إن السيد المسيح له المجد لكى يدرب تلاميذه على العمل الصالح المبنى على التضحية وإنكار الذات قام عن العشاء وخلع ثيابه كما يقول الإنجيل ثم أخذ منشفة وائتزرَ بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة قائلاً :

"إن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" (يو ١٣ : ١٤).

ويضع الرسول بولس السيد المسيح له المجد مثلاً أعلى أمام عيوننا كى نقتدى به للعمل لمنفعة الغير فيقول فى رسالته إلى المؤمنين : "لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضاً. الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثوا باسم يسوع كل ركبة مما فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان بأنه يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى ٢ : ٤-١١).

ثانياً ـ مصدر هذا العمل المثمر :

وهو الإيمان. فلو لم يكن لأولئك الرجال الحاملين للمريض ثقة وإيمان فى قوة السيد المسيح الشافية لما غامروا بالصعود إلى السطح ونقبه مع ما فى هذا من المسئولية والتعريض لها.

ولهذا يقول الإنجيل : فنظر يسوع إلى إيمانهم ثم قال للمفلوج مغفورة لك خطاياك. قم أمشى.

ويقول الرسول فى مكان آخر : "لأنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب١١ : ٦).

فربنا له المجد سر بإيمان أولئك الرجال الذين أرضوه فمنحهم ومريضهم بركات لم يكونوا ينتظروها إذ لم ينتظروا من السيد غير شفائه والباسه فقط ثوب الصحة الجسدية لكن المسيح أعطاهم فوق ما تمنوا فألبَس مريضهم ثلاثة أثواب :

١ ـ تاج الصحة :

لأن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

٢ ـ تاج المغفرة :

لأن النبى يقول فى المزمور (مز٣٢ :١) "طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته".

٣ ـ تاج الفرح :

لأن ذلك المفلوج البائس وقد شعر بالعافية تجرى فى عروقه والسلام القلبى الناجم عن مغفرة خطاياه يملأ داخله وخارجه وأشرق السرور على وجهه وكأن تاجاً وضُع على هامته هو تاج الفرح فقام فى الحال وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته فرحاً ممجداً على خيره وإحسانه.

يقول الإنجيل المقدس : فنظر يسوع إلى إيمانهم أى إلى إيمان الرجال الحاملين ولم يقل إلى إيمانه لأنه يظهر أن ذلك المفلوج كان يائساً وكان ضعيف الإيمان لا سيما

وهو يعلم بأن مرضه كان ثمرة خطيته التى ارتكبها فهدمت صحته فما كان يريد مواجهة يسوع كما هرب آدم من وجه الرب خجلاً بعد المخالفة فكان يظن أن المرض هو عصا القدير العادل وكان يريد الاختفاء ليأسه غير أن الرجال حملوه قسراً إلى يسوع ينبوع الرحمة والغفران فقبل يسوع إيمانهم ورضى عن وساطتهم وأبرأ العليل الذى قدموه إليه من مرض الخطية أولاً ثم مرض الجسد ثانياً.

فهل لنا هذا الإيمان الحى والثقة الأكيدة فى رحمة فادينا وقوته فنتقدم إليه بنفوسنا ونفوس الكثيرين محمولين على فراش الندامة والتوبة الصادقة المقرونة بالإيمان الحى متطهرين بالاعتراف مقدسين بشركة أسراره المحيية التى تعطى لا لدينونة بل لمغفرة الخطايا فنسمع منه ما قاله للمفلوج مغفورة لك خطاياك. وما قاله بلسان الحكيم سليمان :

"من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يُقر بها ويتركها يرحم" (أم ٢٨ :١٣).

وبلسان إشعياء النبى :

"هلمَّ نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج أو حمراء كالدودى تصير مثل الصوف. إن شئتم وأطعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف" (إش ١ : ١٨ـ٢٠).

ليعطينا الرب نعمة حتى لا تتقسى قلوبنا عند سماع صوته المنادى لنا بالتوبة والإيمان والرجاء والمحبة حتى لا نغضبه لأنه كما يقول الرسول بولس : "كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره" (عب ٢ :٣). ولأن "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة، فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله واستمرأ فى الخطية وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠ : ٢٨، ٢٩).

له المجد فى كنيسته إلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر بابة

العشــــرة

«ولكن لئلا نُعثرهم ... » (مت١٧ : ٢٧).

خضع السيد المسيح مع تلاميذه لدفع الجباية أو الجزية، ليؤكد مبدأً هاماً فى حياتنا الإيمانية : إن انتماءنا السماوى يهبنا طاعة وخضوعاً لملوك هذا العالم أو الرؤساء، فلنلتزم بتقديم واجباتنا الوطنية. فالمسيحى وهو يحمل السيد المسيح ملكاً سماوياً داخل قلبه إنما يحمل روح الوداعة والخضوع فى حب الوطن وطاعة للمسئولين.

كان بطرس الرسول قد دُعِىَ للتكريس الكامل والتفرغ للخدمة لحساب الملكوت السماوى، لكن دون تجاهل للحياة الواقعية. لهذا ذهب إلى البحر، كما إلى العالم وألقى بالسنارة ليعمل، وإنما بقدر ضئيل، فوجد الله قد أعد له أستاراً فى فم سمكة ليفى به عن سيده وعن نفسه. لقد قدس الله العمل، لكن دون أن يرتبك فيه الإنسان أو يدخل به إلى روح الطمع، وإنما من أجل الإحتياجات الضرورية.

ولعل ما فعله بطرس كان يمثل التزام المؤمنين، ككل الكنيسة فى جامعيتها.

لكن بعد حلول الروح القدس التزم الرسل بالتفرغ للخدمة، لا احتقاراً للعمل اليومى العادى وإنما من أجل عدم الانشغال به.

إن كان السيد قد فتح لنا الطريق الملوكى، مشتاقاً لأن تدخل فيه كل البشرية المحرومة منه، فإن عدو الخير لا يكف عن العمل أيضاً لحساب مملكته. فإنه حيث يوجد السيد المسيح عاملاً فينا يصارع إبليس لحساب ظلمته خلال العثرات.، فيجند من له لتحطيم النفوس البسيطة، الأمر الذى يحذرنا منه السيد ، لا لئلا يعثرنا الآخرون فقط، وإنما لئلا نتحول نحن أيضاً معهم إلى عثرة الآخرين. لكننا إذ نحمل فينا مسيحنا غالب العالم وننعم بوصيته لا نخاف العثرة. وكما يقول القديس أوغسطينوس : "عندما تسمع (ويلٌ للعالم من العثرات) لا تخف وإنما أحب شريعة الله فلا تكون لك عثرة".

من تعاليم الرب يسوع فى إنجيل معلمنا متى قوله : "وأما الذى يعثر هؤلاء الصغار المؤمنين بى، فحري به أن يعلق بعنقه حجر الرحى ويغرق فى لجّة البحر" (مت١٨ : ٦).

يقصد يسوع هنا بالصغار كما لاحظنا، الصغار حقيقة ومجازاً. ويقصد بالمعثرة الإساءة إليهم فيما يتعلق بخيراتهم الروحية. وبحجر الرحى رحى كبيرة تستلزم حماراً ليديرها. أما الزج بإنسان حياً فى أعماق البحر فهو نوع من الإعدام كان يعاقب به أصحاب الجرائم الكبرى عند القدماء.

وبناء عليه، يكون معنى الآية أن كل من حاد بأحد هؤلاء الصغار عن جادة الطريق، واستدرجه إلى الضلال أو المعصية بخبث ومكر، يرتكب إثماً فظيعاً، وبالتالى يستوجب عقاباً مريعاً، لا فى الآخرة فحسب، بل وفى هذه الدنيا أيضاً. على أن العقاب الزمنى، المشار إليه فى هذه الآية الكريمة ما هو إلا صورة، ولا شك مصغرة، للعقاب الأبدى المهول الذى أعده الله الديان الرهيب لمن يعثرون الصغار المؤمنين.

فيا إخوة، الحذر كل الحذر من ارتكاب مثل هذه الخطايا المدمرة، التى تصرخ أمام العلى طالبة الإنتقام، أشد الإنتقام من مرتكبيها.

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

١ ـ كوارث خطيئة العثرة :

"ويلٌ للعالم من العثرات، فلابد أن تأتى العثرات، ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة" (مت١٨ : ٧).

"ويلٌ للعالم من العثرات." إنها صرخة مدوية، كلها حزن وأسى، هذه التى يرسلها الرب يسوع إزاء كوارث خطيئة العثرة، التى لا حد ولا حصر لضحاياها.

على أنه من المحال (قلما يكون أدبياً أن) ألا تكون هناك معاثر : فهناك الضعف البشرى، وهناك الكبرياء، وثمة خبث بعض الأشرار من زبانية الشيطان ولا يخفى ما لكل هذه مجتمعة من تأثير فى انتشار هذا النوع من الخطايا ذات الأثر المدمر،

ولكن، كما يقول السيد المسيح، ويلٌ للإنسان الذى تقع المعاثر على يديه، لأن مثل هذا يكون، فى الواقع مسئولاً عن خطيئته وخطيئة من أعثرهم... فحذار.

إن الوالدين والمعلمين والمربين، ولا سيما رسل المسيح، والرعاة عموماً، بل وكل من يهمهم مجد الله وخلاص النفوس، يجب أن يضربوا بيد من حديد على كل أنواع العثرات، أيا كان مصدرها دون رحمة.

٢ ـ تجنب أسباب الخطيئة :

وإذ وجب علينا، نحن تلاميذ المسيح، أن نتجنب كل ما من شأنه أن يعثر إخوتنا، فبأولى حجة يجب علينا أن نتجنب كل ما من شأنه أن يعثر نفوسنا ذاتها. وعلى ذلك يوصينا الرب يسوع المسيح، قائلاً : "وإن أعثرتك يدك فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك رجلك فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك عينك فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. لأن كل واحد يملح بنار وكل ذبيحة تملح بالملح" (مر ٩ : ٤٣ـ٤٩).

أما معنى الآية "لأن كل واحد يملح بنار وكل ذبيحة تملح بالملح" فكما أن كل ذبيحة تملح بالملح لحفظها من الفساد، كذلك كل من الهالكين، وهو ضحية العدل الإلهى الرهيب، يملح لحفظه من عوامل البلاء والفناء، ولكن لا بملح مادى بل بالنار نفسها التى أعدت لتعذيبه. وهى، ولا شك، غير نارنا، إذ من خواصها تعذيب الأرواح والأجساد معاً وحفظ الهالكين من الفناء، حسب تعليم يسوع الصادق.، فيمكثون فيها خالدين.

فى عظة السيد المسيح على الجبل كان الكلام عن تجنب أسباب خطيئة الدنس والزنا،

أما هنا فيجب أن نأخذ وصية الرب فى أوسع معانيها، بحيث تشمل تجنب كل أسباب الخطيئة، مهما كان نوع الخطيئة، سواء أكانت زنا أم قتلاً أم سرقة.

إن السيد المسيح هنا، كما فى عظته على الجبل، يتكلم عن قطع اليد والرجل، وعن قلع العين، (ليس حقيقة، ولكن على سبيل المثال). أى أنه كما، إذا لزم الحال، تضحى بأحد أعضائك، فتطلب من الطبيب أن يبتر لك يدك أو رجلك.. من أجل سلامة جسدك، كذلك ينبغى أن تضحى بكل غالٍ ورخيص، لا بل بالحياة نفسها، فى سبيل نجاة النفس من السقوط فى الخطيئة، وبالتالى فى الهلاك الأبدى.

هذا ويحثنا ربنا يسوع على مقاومة التجارب ومغريات الخطيئة بقوله لنا : "الملح جيد، ولكن إذا صار الملح فاسداً، فبِمَ يرد إليه طعمه؟ فليكن فيكم ملح وليسالم بعضكم بعضاً" (مر٩ : ٥٠). لقد كنى يسوع بالملح هنا عن المقاومة الواجبة إزاء التجارب ومزالق الخطيئة، أو بالحرى عن العزم على تلك المقاومة، التى قد تعرض لنا.

إلا أنه إذا صار ملح تلك العزيمة والمقاومة تالفاً، فعبثاً إذ ذاك نحاول حفظ نفوسنا من الفساد من أجل ذلك ينبغى لنا أن نكون مذودين على الدوام بطاقة كافية من ملح الإرادة والعزيمة لحفظ نفوسنا فى مأمن من التجارب ومن وكل ما يقود إلى الزلل من أسباب الغواية والضلال.

وبمناسبة ذكر الملح، عنوان الإخاء والمودة والسلام فى شرقنا منذ قديم الزمان، يدعونا الرب يسوع إلى مسالمة بعضنا بعضاً.

وإنى أختتم عظتى طالباً من الرب يسوع، رب النعمة والمجد، الذى "من امتلائه نحن كلنا أخذنا" (يو ١ : ١٦)، أن يحفظكم من كل معثرة وضلال وغواية ويقود خطاكم إلى ما فيه مرضاته.

له المجد والعز والسجود من الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من شهر بابة

معجزة صيد السمك

«فأجاب سمعان وقال له يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن على كلمتك ألقى الشبكة» (لو٥: ٥).

لا توجد قوة فى عالم الوجود تخضع جميع القوات حتى الطبيعة إلا قوة يسوع المسيح له المجد فقد تعب سمعان بطرس وشركاؤه عبثاً طول الليل فى القيام بمهنتهم وهى صيد السمك فلم يأخذوا شيئاً ولكن المسيح أمره أن يلقى الشباك للصيد فلبى الأمر وقال له على كلمتك ألقى الشبكة. وكانت النتيجة أنهم أمسكوا سمكاً كثيراً حتى صارت شبكتهم تتخرق. إنها لمعجزة باهرة أدهشتهم بعد أن عاكستهم الظروف ويئسوا واعتراهم الفشل ولكن لما حلت القوة بمجئ المسيح فقد زال الفشل واليأس جميعاً. وباطل يتعب الناس ويبذلون قصارى الجهد إن لم يمد يمينه القادر ويأمر الرياح والبحار والأسماك وكل شئ فى الوجود أن يخضع للإنسان الضعيف.

لكن المعتمد على قوته والمدعى أن يمينه تخلصه فهو مسكين إنما يسعى لتعقيد أموره وتعثير ظروفه ومن يتمعن لأقوال معلمنا بطرس يجده لا يخرج إلا عن معنى واحد هو خور العزيمة والضعف من جري تعب ساعات متوالية طول الليل حيث أنهم كلما ألقوا الشباك وجذبوها يجدونها خالية لم تمسك شيئاً ولابد أنه قد اعتراهم الحزن والملل من تعبهم باطلاً ولكن لما جاء السيد وحول القلوب رجوعاً إليه وامتلأت بالثقة فيه وحده وملك الإيمان جاء الخير وملأ الشباك حتى كادت تتخرق من كثرة السمك.

وهنا نجد الفرق العظيم والبون الشاسع فقد قضوا ليلة كاملة ولم يمسكوا شيئاً ولكن لحظة يسيرة أمر فيها المسيح وأطاعوا أمره أتت بتلك النتيجة الباهرة التى جعلتهم يندهشون ولنا فى هذا الموضوع الهام ثلاث كلمات جديرة بالالتفات.

الأولى ـ فعل كلمة الله فى قلوب السامعين :

الأمر المدهش إن السيد له المجد قبل عمل المعجزة أخذ يعلم الشعب فكان الجميع

يسمعون بإصغاء تام حتى دخلت الكلمة الفعالة فى قلوبهم فغيرت الضعف الإنسانى فيهم وملكت على مشاعرهم إذ كانوا يسمعونه بشوق ورغبة وقد وصلت لهم القوة الحقيقية الروحية الفياضة فى أفكارهم ونواياهم فأصبحوا بعدها أحياء فى الفضيلة وفى كلِ ما هو جليل ومرضٍ. ولابد أن بطرس من ضمن الذين سمعوا وعظ السيد وتعاليمه وإن كان مباشراً لأعمال الصيد والاهتمام بعمله هو وزملأوه. فالكلمة جهزت القلوب للطاعة والاتصال بصاحبها وانتزعت من الداخل كل عصيان وتحجر. بل مسحت خشونة الطبيعة البشرية وأوجدت السامع فى مركز الكمال فسطع نورها الباهر الوهاج وملأ النفس سروراً وفرحاً عظيمين.

ولما جُهزت قلوب السامعين له وأشبعها من دسم كلمته أراد أن يستفلت النظر إلى نقطة حساسة معلماً أيضاً أن سماع الكلمة لا يتأيد إلا بالعمل الذى يخضع القلوب ويطويها تحت سلطانه وإرادته وقوته فى كل ظرف من ظروف الحياة فسأل معلمنا بطرس عن حالته وعما إذا كان يوجد عنده سمك أم لا وفى هذا ارتباط واتصال روحى وفتح الباب له ليقدم شكواه عن أحواله وما قساه فى ليلته وعدم وجود شئ عنده البتة...

وكان من حق بطرس لما أُمر أن يطرح الشبكة فى العمق كرجل خبير بفن الصيد أن يرد جواباً على طلب السيد بقوله إن البحر كله خالٍ من السمك مادمت تعبت فيه طول الليل ولم أمسك شيئاً. اللهمّ إن لم تختر لى مكاناً آخر فأنا مستعد للطاعة والخضوع للأمر.

ولكن بطرس لم يذكر شيئاً من هذا مطلقاً لأن التعليم الذى جاء فى طريق سماع الكلمة الروحية التى فاه بها السيد لَينَ قلبه وأخضع نفسه فكان جوابه منعشاً للنفوس مفرحاً للقلوب وإن كنت قد تعبت الليل كله ولم أمسك شيئاً (ولكن على كلمتك ألقى الشبكة) فلم يستخدم حكمته ولم يتراجع بالرفض لكنه إنقاد بقوة الثقة والإيمان لمن أمر وأطاعه.

فليتأمل الناس ويعرف الجميع إن النجاح متوقف على طاعة الله.

والطاعة لا تأتى منفذة للقوة إلا إذا سمع الإنسان الكلمة النبوية القادرة وحدها أن

تحكم الجميع لطريق الخلاص شرطاً أن تكون فى تربة القلب لا أن تصل إلى الآذان فقط...

فكم من آذان سمعت كلمة الله التى هى أمضى من كل سيف ذى حدين ولكنها لم تعطها الاحترام اللائق بها وتفتح لها الطريق الداخلى لتسكن فيه ولترجع للإنسان السامع حياته وقوته وبهائه وتحل أمامه مشكلات الحياة العويصة وتذلل كل صعوبة فى طريقه.

ومن هنا تشعبت أمامهم المسالك وانقادوا تحت سلطان عقولهم التى قادتهم إلى طريق الموت والهلاك.

الثانية ـ الشكوى لله بوداعة وثقة تامة والمغزى التى ترمى إليه :

إن معلمنا بطرس فى شكواه التى أفاض بها جهاراً لسيده دون أن يبالى بمركزه كرجل خبير بالصيد قد أعلن حقيقة ضعفه وحيرته وحاجته إلى من يرشده مع أن كلمات الشكوى فى معناها تُشهر به وتحقره أمام زملائه الصيادين ولكن كان مُخلصاً وديعاً منكراً لذاته متذللاً بشكواه أمام سيده طالباً فى إنصافه ومساعدته فلم يبالِ بمركزه كصياد ولا بمن كان حوله من زملائه وغيرهم من الناس.

فكم من بلية ومحنة وتجربة دخلت بين الناس لتعلن لهم ضعفهم وحاجتهم للإقبال لمصدر المعونة وإله الحنان والقوة ليسألوه حاجتهم ويتوسلون إليه بوداعة وتواضع كما كان معلمنا بطرس أمام سيده.

ولكنهم رغماً عن نيران الهموم والتجارب المشتعلة فى نفوسهم لم تتنبه ضمائرهم للإتيان إلى من ينتظرهم ليحل لهم مشاكلهم المعقدة ويحسن إليهم ليعرفوا فيه صفة الأبوة الكاملة والمحبة التامة وغاصت أفكارهم وعقولهم فى بحار الهموم وقد وصلوا فيها من ردئ إلى أردأ ومن سئ إلى أسوأ.

تعجبنى يا بطرس فى شكواك قبل أن يستفحل أمر تعبك وخسارتك فقد كنت الأمين فى الشكوى مُخلصاً فى التعبير (على المكشوف) بنفس هادئة ترابية فابشر أنك لا ترجع

إلى بيتك فارغاً بل سيفتح يده ويشبعك من خيراته من سمعت لقوله وشكوت أمرك إليه.

إن المغزى التى ترمى إليها هذه الشكوى تفيض عن معانٍ كثيرة نافعة ومفيدة فإن بطرس قد أعلن صراحة كما تقدم أنه تعب الليل كله لكنه لم يمسك شيئاً.

وهذا يقودنا إلى الركن الأساسى الفياض وإلى الحلقة المفقودة التى لم تعطها الناس حقها من التفكير والالتفات.

امتلأت الناس بالطمع والحسد والجشع والسلب والنهب والخطف رغماً عن قساوة القلوب وأصبحنا كالسمك يبلع القوى ضعيفه والكبير صغيره والعظيم حقيره نستحل أكل مال الأرملة واليتيم والضعيف بدون نظام انتهكنا حُرمة الدين والقوانين تحت تأثير استعبادنا لأجسادنا ولشهواتنا لم نستحرم القتل ولا النصب فمن لا يصله سيف الإنتقام تصله سموم المكر والأغراض السيئة كل واحد يسعى فى الوشاية ومسك السيرة والمذمة والنميمة.

لم نقم بواجب العطف نحو البائس والعريان والمسكين أُنتزعت الشفقة وملكت على قلوب البشر القساوة فلم ترد عنا التجارب ولم تغير وحشيتنا المصائب لا الأمراض ولا الضيقات ولا الحروب ولا الكروب وكلما نراه أمام عيوننا منه لا نعتبر وله لا نحترم عبدنا المادة فوق عبادة الخالق عزَ وجَلْ ... فالمال وذكره ومقامه ولونه وعدده هو مزمور صلاتنا وتحف مجالسنا ومحور دائرة أفكارنا طول النهار والليل معاً.

انزعجنا كالمحمومين فى مطالب هذه الحياة الدنيا واهتمينا بالأمور الفانية العاطلة فساءت أحوالنا وظروفنا معاً.. فلماذا كل هذا يا تُرى...؟ (وما الذى ستأخذه من هذه الحياة).

عجباً أن معلمنا بطرس يعلن صراحة أنه مع كده وتعبه طول الليل وتفتيشه وسهره لم يأخذ شيئاً.. فلابد من خروجنا من هذا العالم عرايا كما دخلنا وولدنا من بطون أمهاتنا.

كقول أيوب الصديق : "عُرياناً خرجت مـن بطن أمى وعُرياناً أعود إلى هناك" (أى ١ : ٢١).

فلماذا لا نخفف من مطامعنا فى هذه الحياة الوقتية أمام هذه الكلمات ومعانيها الروحية ولماذا لا تنتفع نفوسنا بهذا الحق الصريح الواضح.

الثالثة ـ الشعور بالنقص أمام كمال المسيح وإحساناته :

إن السمك الذى ملأ السفينتين حتى وصلتا إلى الغرق وملأ الشباك حتى مزقها فى هذه المعجزة السخية التى أفاضت فى النفوس عوامل البهجة والفرح.. فمن ضيق شديد بعد جهاد وتعب طول الليل إلى تفريج متسع فى الرزق أمام مناظر خلابة للعيون مُذهلة للعقول فى لون الأسماك وعددها وهى حية تزقزق وتضرب فى الشباك أمر يحتاج معه معلمنا بطرس أن يصرخ إلى زملائه الذين يصطادون معه لكى يعملوا معاً على قسمة وفرز هذه الأسماك الأمر الذى يشغل كل واحد من الموجودين ويعتبرها فى سبيل الواجب المعيشى أمر محتماً لا غضاضة فيه ولا عتاب عليه فيترك يسوع والتكلم معه (فترة) وبعد ذلك يمكن الإتيان إليه بالشكر أو ينصرف كلٌ إلى بيته حاملاً معه ما خصه من نصيبه بعد القسمة.

ولكن المدهش فى الموضوع أنه مع هذه البركات السخية التى ملأت قوارب الصيد تركها معلمنا بطرس تحت أقدامه (والتفت إلى مصدر العطية) الذى أحسن إليه وقال له : "يارب أخرج من سفينتى لأننى رجل خاطئ...!"

إنه شعور وشعور رقيق فياض وتعاليم نافعة لكل من يتصفحها من طريقها التى تقصده.. أن معلمنا بطرس لم تشغله المادة والعطية عمن أعطاه فلم يرتبك ولم ينسى واجبه نحو سيده فعلم أنه إلهه المتسلط على الطبيعة فطلب خروجه من سفينته لأنه ليس أهلاً للعطية لشعوره بإثمه ومعاصيه أمام كمال من حل فى سفينته

هل هذه الروح موجودة فى أغنيائنا وعظمائنا الذين يفخرون بالغنى والمجد والعظمة والمال والمركز . هل شعروا فى نفوسهم أنهم ليسوا أهلاً لها !. وهل تقدموا بالشكر وانسحاق قلب أمام من أعطاهم هذا الغنى والمال والمركز . أم كانت العطايا سبباً فى مشاغلهم وكثرة أعذارهم فنسوا ونسوا فعلاً مصدر العطايا وإله البركات والنعم ..!!

مواقفنا تخجل إذا التفتنا مدققين فيما نحن فيه وعليه الآن.

فإنه عوضاً عن الشعور بالخطية والتعدى ضد نواميس الله معطى الرزق وواهب الحياة ومانح الخلاص قدمنا الأعذار والأعذار الكثيرة لمشاغلنا وعدم سناح الفرص أمامنا فتركنا مصدر العطايا وعبدنا العطية وسجدنا لها فأخذت فى طريقها وطريق مشاغلها نفوسنا وأجسادنا معاً فتأمل ...

١ ـ إن الواجب العملى الروحى الذى يتقدم فى قداسة هذه التعاليم المعزية هو الزامنا أن (ننكر ذواتنا) لدى السيد المسيح ونرى حقيقة أنفسنا فلا يدخلنا الغرور بذواتنا ولا العجب لئلا تتقسى قلوبنا وتنفصل عن رئيس إيماننا ومكمله.

إن معلمنا بطرس فى إنكاره ذاته :

(ا) خضع لأمره تعالى.

(ب) وشعر بخطاياه.

(جـ) وبعدم استحقاقه لبركاته التى أغدقها عليه.

والشيطان اعتاد أن لا يوقعنا إلا من طريق تعظمنا فيسد كل مجارى النِعَمْ ويضع على القلب كل ما يمنعنا ويحول نظرنا عن سلامة نفوسنا واحترام مخلصنا ويجعلنا نكتفى بما نحن فيه والحقيقة أننا فقراء وبؤساء إن لم نأتِ ونتمتع بسيدنا الذى تمتع به بطرس فرفع مركزه وقال له مطمناً لا تخف من الآن لا تكون صياد سمك بل أجعلك تصطاد الناس.

٢ ـ إن الواجب يلزمنا أن نعرف تماماً أننا لا نأخذ من هذا العالم إلا أعمالنا فقط لا مال ولا عقار ولا شيئاً مما نراه فى حياتنا يتبعنا فنكون فى يقظة تامة لكى لا تضحك علينا المشاغل وتعطلنا عن إتمام السعى وتكملة الجهاد الذى فيهما نيل إكليل المجد الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل وعلينا أن نتأمل بروح المحبة والإيمان إلى هذه المعانى الفياضة التى فاه بها معلمنا بطرس (تعبت الليل كله ولكن لم آخذ شيئاً).

وله المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من شهر بابة

الهدوء

«فسكنت الريح وصار هدوء عظيم» (مر ٤ : ٣٩).

لقد نام السيد فى السفينة، الأمر الذى يحدث معنا حين نتعلق بالخطايا ونتفاعل معها ولا نترك ربنا يسوع يعمل فينا، ويقود سفينة حياتنا ـ لذلك يرى القديس جيروم أننا نوقظ السيد بالتوبة عن خطايانا، إذ نقول : إن كان بسبب خطايانا ينام، فلنقل : "استيقظ. لماذا تتغافى يا رب ؟" (مز ٤٤ : ٢٣).

وإذا تلطم الأمواج سفينتنا فلنوقظه قائلين : " يا سيد نجنا، فإننا نهلك" (مت ٨ : ٢٥ ؛ لو ٨ : ٢٤).

ويرى القديس أوغسطينوس أن نوم السيد المسيح إنما هو تجاهلنا الإيمان به، ونسياننا إياه، فيكون المسيح الذى يحل بالإيمان فى قلوبنا (أف ٣ : ١٧) كمن هو نائم فى قلوبنا، لهذا يلزمنا أن نوقظه، أى نستدعى إيماننا به ... بالإيمان الحى نلتقى بعريسنا القادر وحده أن يهدى الأمواج الثائرة ضدنا فى الداخل كما فى الخارج.

الهدوء هو جزء من الوداعة، وهو صفة من صفات الروحيين، وله عناصر متعددة.

والهادئ يتصرف دائماً بهدوء، ويعالج كل المشاكل بهدوء.

وبنعمة الله نتكلم عن ثلاثة نقاط، وهى :

أولاً ـ هدوء القلب :

يقول مارإسحق : "إن الهدوء الخارجى يولد الهدوء الداخلى، وبهدوء الحواس نصل إلى هدوء القلب". الهدوء الحقيقى، إذن هو هدوء القلب وليس الهدوء المؤقت الذى يسبق العاصفة، وليس الهدوء لمجرد الخجل من الآخرين، فإن خلا بنفسه، يصير شيئاً آخر... وليس هو الهدوء الذى بنوع السياسة، وهو غير مبنى على أساس روحى.

القلب الهادئ هو ينبوع صافٍ للهدوء الخارجي. منه يصدر هدوء الفكر وهدوء الحواس وهدوء الأعصاب، وهدوء الألفاظ وهدوء التعامل.

ومن مظاهر هدوء القلب أيضاً البشاشة واللطف والرقة فى معاملة الآخرين ومقابلة المشاكل بروح هادئة صامدة راضية...

غير الهادئ يضطرب لأى سبب، وقد يضطرب بلا سبب : يخترع لنفسه أسباباً للاضطراب وللقلق، لمجرد الشكوك والأوهام والظنون والمخاوف والتخيلات، حين لا يكون هناك أى سبب حقيقى يدعو إلى فقدان هدوئه.

إنه يتوقع شراً على الدوام، يتوقع متاعب تنتظره وتفقده هدوءه.

عدم الهدوء هذا هو حالة مرضية ربما تؤدى إلى الكآبة، وقد تؤدى إلى أمراض أخرى كثيرة، وتتلف الأعصاب وتؤثر على ضغط الدم وعلى القلب، وعلى الراحة عموماً.

كما توجد حالة من التوتر تتعب النفس والفكر، وتوصل إلى الضجر وضيق النفس والأرق أيضاً ... .

وقد يرتبط عدم الهدوء بالشك : شك فى الناس، وفى المستقبل، وفى الأحداث، بل قد يشك الإنسان فى نفسه أيضاً، وفى قدرته على مواجهة الواقع ومقابلة ما ينتظره من أمور آتية... عدم الهدوء يولد الشك.. والشك يولد عدم الهدوء.. وكلاهما يقوى الآخر، ويكون سبباً له .. لذلك يهمنا هدوء القلب الذى يريح الإنسان من كل هذه المتاعب والأمراض، فيعيش فى سلام فى داخله ومن الخارج أيضاً.

القلب الهادئ يرى كل شئ هادئاً.. وإذا اضطرب الإنسان من الداخل يبدو أمامه كل شئ مضطرباً.

حقاً، كما قال السيد المسيح : " الرجل الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح" (مت ١٢ : ٣٥).

القلب الهادئ يتصرف دائماً فى هدوء، ويتكلم فى هدوء ويكون هادئاً أمام المشاكل.

ثانياً ــ حياة الهدوء والسكون :

قال يوحنا ذهبى الفم : " الملازم للسكون بمعرفة قد خُتِم بخاتم المسيح، والحافظ إياه بلاشك يرث ملكوت السموات".

آباؤنا القديسون أحبوا الهدوء والسكون أكثر من أى شئ آخر، لأنهم وجدوا فيهما راحة لأنفسهم، ووجدوا فيهما وقتاً صافياً يقضونه مع الله، بعيداً عن صخب الأفكار والآراء.وبعيداً عن ضجيج المدن ودوامات الأخبار..

ولأجل الفوائد الروحية التى للهدوء قامت حياة الرهبنة.. وعاش الآباء فى البرارى والمغارات وشقوق الجبال، أو فى القلالى وحياة الوحدة، حيث يجدون السكون الذى يصفو فيه العقل ويتحدث مع الله بغير عائق، بعيداً عن الاهتمامات التى يشرد فيها الذهن ويفقد هدوءه.

وعرف التاريخ حياة الآباء السواح الذين أدركوا حياة الهدوء فى عمقها.. بعيداً عن هذا العالم الصاخب بعداً كاملاً، حيث كان بعضهم يقضى حوالى خمسين أو ستين سنة لا يرى خلالها وجه إنسان. وقيل عن البار الأنبا بولا أول السواح إنه قضى تسعين سنة لن يرَ فيها وجه إنسان.

وقد وصلوا فى الهدوء إلى صفاء العقل الذى لا يعكره أى سبب خارجى.

وبانقطاعهم عن ملاقاة أهل العالم، لم يدخل فكر غريب إلى ذهنهم يشتت أفكارهم عن الثبات فى الله، أو يقطع حبل تأملاتهم وينقلهم إلى أجواء أخرى.

كما أن هؤلاء القديسين حفظوا حواسهم من العالم وأدركوا حقيقة هامة، هى أنه :

بهدوء الجسد يقتنى هدوء النفس، وبقدر ما يختلط الجسد هكذا يختلط الفكر ويفقد هدوءه.

فالحواس هى أبواب للفكر. والحواس الطائشة هنا وهناك تجمع بالنظر والسمع أخباراً

يطيش فيها العقل وتعوق جلسته الهادئة مع الله...

حتى إذا وقف الإنسان للصلاة لا يستطيع أن يجمع فكره! ويجد أن عقله أصبح يفكر فى أمور كثيرة، وقد فقد الهدوء الذى فيه وحده يستطيع أن يركز فى الإلهيات!

وما دامت الأفكار قد أصبحت تتزاحم عليه أثناء الصلاة، فلهذا يضطر أن يدخل فى صراع مع الأفكار، حتى يطرد منها ما يعطل عمله الجوانى مع الله.

بهذا كانت الوحدة وضبط الحواس من الأمور اللازمة لحفظ هدوء العقل أيضاً إلى الصمت، إذ أن الكلام كان يجلب لهم أفكاراً تشغل ذهنهم عن عمل الصلاة.. وهكذا يجد العقل الملتصق بالله أفكاراً تشده معها إلى أخبار الناس وأحوالهم ومشاكلهم، وبخاصة الأحاديث غير الروحية وغير المنضبطة.

أما فى الهدوء، فكأن العقل يسير فى خط مستقيم لا التواء فيه، ولا انحراف عن الهدف الواحد، الذى هو الالتصاق بالله.

وساعد الآباء على حفظ هدوئهم الفكرى والروحى هدوء الطبيعة من حولهم.

ثالثاً ـ هدوء الصوت والألفاظ :

قال أبونا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس : "لا تظهر صوتك إلا فى صلاة الفرائض".

الذى يجب أن يكون هادئاً، يحرص فى حديثه على البعد عن علو الصوت، وعن حدة الصوت وانفعاله، فليست قوة الكلام فى علوه وجلجلته، إنما قوة الكلام فى تأثيره وإقناعه.

انظر إلى قصة اللقاء بين الله وإيليا... يقول الكتاب إنه هبت عاصفة شديدة، ولم يكن الرب فى العاصفة.. ثم بعد العاصفة زلزلة، ولم يكن الرب فى الزلزلة.. ثم نار، ولم يكن الرب فى النار. "وإذا بصوت منخفض خفيف"، وكان الله هو المتكلم (١مل١٩ : ١١ـ١٣).

ليتنا نأخذ عظة من هذه القصة، ونتدرب على الصوت المنخفض الخفيف، لأن هناك أشخاصاً صوتهم كالزلزلة وكالعاصفة، يصيحون حين يتكلمون، ويرتفع صوتهم حينما يتفاهمون ويظنون أن القوة والانتصار بعلو الصوت وحدته! حتى فى الوعظ، نرى بعض الوعاظ يستخدمون الصوت العالى الحاد، ويصيحون فى السامعين بعنف أما السامع، فقد ينفعل عصبياً، دون أن يقتنع قلبياً ولا عقلياً، بهذه الطريقة الصاخبة.

إنهم يذكروننا بالخطابة قديماً، حينما كانوا يقولون أن هذا الخطيب يهز أعمدة المنابر! وكان الخطيب ينفعل ويرفع صوته عالياً، ويضرب المائدة بيده ولكن الزمن الآن قد تغير، وانتقل السامعون من مجال التأثر العصبى إلى مجال التأثر العقلى والقلبى.

وبالمثل فى طرق التربية.. لم تعد تربية الأولاد بالانتهار والصياح وإنما بالإقناع والشرح والتفهم.

إن الطريقة الهادئة أثبتت أنها أكثر عمقاً وأكثر تأثيراً .. فليكن صوتك كالنسيم الهادئ، وليكن صادراً أيضاً عن هدوء الأعصاب وعن هدوء فى القلب. وأيضاً لتكن الألفاظ هادئة حتى فى التوبيخ وفى العقاب.

هناك أشخاص لهم ألفاظ مثل رجم الطوب ومثل السهام القاتلة، ألفاظ فيها قسوة وعنف، ألفاظ خارجة، ومن الجائز أن إنساناً يحتمل الضرب ولا يحتمل لفظة من هذا النوع.

وقد تكون الألفاظ مهينة، يشعر فيها السامع بامتهان لكرامته وإنسانيته. وإذ تجرح السامع لا يكون مستعداً أن يسمع أكثر، وهكذا يخسره المتكلم. وربما لا يكون الأمر مستحقاً لكل هذا الإيلام ولكل هذه الإهانات.

ولهذا ربنا يسوع المسيح فى عظته على الجبل أدان هذه الألفاظ الشديدة وقال : "من قال لأخيه رقاً، يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت ٥ : ٢٢).

وفسر القديس أوغسطينوس عبارة رقاً بأنها أقل عبارة تدل على عدم الاحترام فكم بالأولى من يكلم أخاه بأسلوب التهكم والإستهزاء، وكأنما يهزأ بإنسانيته ويستخف بعقليته ؟

الإنسان الروحى الذى يتميز بالهدوء والوداعة يحرص باستمرار على أن تكون ألفاظه نقية هادئة، ويراجع ألفاظه باستمرار، لئلا يكون قد اعتاد أسلوباً خشناً أو مهيناً فى معاملة الآخرين، عارفاً بأن ألفاظ الإنسان تدل على شخصيته ونوعية روحياته، كما قيل فى الكتاب : "لغتك تُظهرك" (مت ٢٦ : ٧٣).

وكما قال الرب إنه : "من فيض القلب يتكلم الفم" (لو ٦ : ٤٥).

وله المجد دائماً أبدياً ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر بابة

شفاء المجنون الأعمى الأخرس

«حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى إن المجنون الأعمى الأخرس تكلم وأبصر» (مت ١٢ : ٢٢).

يحدثنا إنجيل قداس اليوم عن إنسان يائس مسكين قد سكنه الشيطان عدو الخير. فلم يكتفِ بأن يسلبه العقل والنطق اللذين يميزانه عن الحيوان بل أفقده نعمة البصر التى يتمتع بها أشر وأحقر حيوان تصوروا ذلك الرجل المسكين الذى قبض عليه الشيطان بيده من حديد فبين آونة يصرعه فيسقط يرغى ويزبد. تصوره وقد اشتد به الجنون فقام هائجاً محطماً ما كُبل به من سلاسل وقيود ثم أخذ يجرى وهو كفيف البصر يمنة ويسرة. فهذا حائط يصطدم به وتلك شجرة يرتطم بها أو هوة يندفع إليها دون بصر أو وعى فيسقط فيها. تصوره وقد أقامه بعضهم فقام لكنه اندفع بجنون يكرر ذلك العمل الطائش والدماء تسيل من أعضائه مدراراً دون أن يشعر بها حتى تضعف قواه وتتهدم فيخر مغشياً عليه.

وهذه صورة مصغرة لِمَ يعمله الشيطان مع الكثيرين منا الذين استولى عليهم فكُبل نفوسهم بسلاسل الخطية وسيج عقولهم وإرادتهم برباطات الظلمة والإثم وها قد طابت لهم هذه الحياة الشقية المريرة إذا اعتادوها وأصبحوا لا يحسون ولا يشعرون حتى يباغتهم الموت فجأة وهم بعد فى خطاياهم دون ندامة أو توبة فيطرحون مع فاعلى الإثم فى البحيرة المتقدة بالكبريت والنار.

هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.

إن قصة هذه المجنون الأعمى الأخرس تنبئ عن صنع رحمة عظمى كما أنها تحدثنا عن بركة ثمينة قد نالتها نفس يائسة وهى نعمة البرء والشفاء.

وبنعمة الله نتكلم عن نقطتين كما يأتى :

أولاً ـ الخاطئ هو مجنون وأعمى وأخرس :

قال أحد الأساقفة الأفاضل : للخطية خمسة أصابع اثنان تضعهما على عيني فريستها (الخاطئ) وتقول له لا تنظر عدل مطاليب الله ولا شناعة الخطية ولا نتائج تصرفاتك وأعمالك. واثنان تضعهما فى أذنيه وتقول له : كن أصماً لا تسمع إنذارات الله ولا توسلات إخوانك الراغبين لك الخير. والخامس تضعه على فمه وتقول له كن أخرساً لا تحتج ولا تعارض بل اتبعنى مطيعاً إلى حيث أقودك.

وأما من حيث الجنون فإن الخاطئ يشبه المجنون من عدة وجوه نكتفى بذكر القليل والأهم منها :

١ ـ كما إن المجنون عادة يكون مقيد بالسلاسل الحديدية إتقاء شره وخطره هكذا الخاطئ فإنه باستباحته خطية واحدة تراه وقد زج بنفسه فى مخاطر عدة وتكبلت روحه بخطايا عديدة فكأس الخمر يجر وراءه السقوط فى النجاسة والنجاسة تجر وراءها الخيانة والعذر والقساوة القلبية والسلب وقد تقضى إلى ارتكاب القتل والإجرام كما فعلت مع داود من قبل (٢صم١٢ : ٩) وهكذا العالم القديم إذ أسلم ذاته للخطية مرة فجاء عليه الوقت الذى أصبح فيه "كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تك ٦ : ٥).

والرسول بولس يقول : "كل شئ طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شئ طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم" (تى ١ : ١٥).

٢ ـ الخطية :

تشبه المجنون فى عسر شفائها ومن أعظم الأدلة على أن رباطات الخطية أقوى وأشد على الخاطئ من القيود والسلاسل الحديدية.

٣ ـ قيمتها :

وكما إن المجنون يشوه نفسه بيده بتجريح جسده بكل ما تصل إليه يده من أدوات زجاجية أو حديدية هكذا الخاطئ بسلاح الخطية التى يختارها بنفسه يفسد جماله

الروحى ويشوهه لأن لا المرض ولا الجوع يستطيع أن يفسد جمال الإنسان بقدر ما تستطيع الشهوة القاتلة. انظر إلى السكيرين. انظر إلى الزناة والذين يقضون لياليهم حول موائد القمار فلا ترى إلا وجوهاً شاحبة وعيوناً غائرة.

طُلبَ من مصور فى فرنسا أن يرسم صورة تمثل جمال الطهارة فنقش صورة صبى فى الخامسة من عمره جميل الطلعة جداً وكتب تحتها رمز الطهارة وبعد انقضاء عشرين سنة على هذا. طُلب من نفس المصور أن ينقش فى صورة تمثل النجاسة وقبحها فولى وجهه شطر الحانات حيث يجتمع رجال الفساد وعباد الشهوة وظل يتفرس فى الموجودين واحداً بعد واحد إلى أن وقعت عيناه على شخص غائر العينين شاحب الوجه قد ارتسمت على جبينه علامات البؤس والشقاء فرأى فيه صورة ناطقة تمثل قبح النجاسة فاتفق معه على أن يأتيه فى مكان عمله لينقش صورته مقابل أجر قدمه له. وفى ثانى يوم أتى وبينما كان المصور يشتغل بنقش صورته تبادل الحديث مع الرجل وكان موضوع الحديث تاريخ ذلك الرجل. وبينما كان ذلك البائس سائراً فى حديثه وإذا بالمصور ينتفض فجأة حتى سقطت الريشة من يده ولماذا؟ لأنه علم أن هذا الرجل الذى ينقش صورته الآن ليجعلها رمز النجاسة وشقائها هو هو بعينه ذاك الصبى الذى نقش صورته منذ عشرين سنة ليقدمها رمزاً للطهارة وهنائها فانظر إلى أى حد تشوه الخطية جمال الإنسان. وحقاً كما قال المرنم : " بتأديبات أدبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العُث مشتهاه" (مز ٣٩ : ١١).

٤ ـ عُزلة الخاطئ :

وأخيراً قُضِىَ على المجنون بفرزه وعزله عن باقى الناس إتقاء شره..

وهكذا الخاطئ فأنه يُحكم عليه بالعزل من شركة المؤمنين فى الحياة الدنيا كقول بولس الرسول : "اعزلوا الخبيث من بينكم لأنه لا شركة للنور مع الظلمة ولا اتفاق للبر مع الإثم ولا لله مع بليعال" (١كو ٥ : ١٣) ، (٢ كو ٦ : ١٤، ١٥).

ولكن الأقسى من كل ذلك هو عزل الخاطئ من شركة القديسين فى السماء

وحرمانه من الله فى الدنيا والآخرة. تلك العُزلة القاسية المُريعة التى قال عنها الرائى عندما تكلم عن أورشليم السمائية ومجدها. "لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً" (رؤ ٢٢ : ١٥).

وإذا كان هذا مصير الخطاة الأثمة إذن يجب علينا أن نطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله.

ثانياً ـ طريق الشفاء والخلاص :

إن حادثة شفاء ذلك المجنون الأعمى الأخرس لتعطينا أيضاً صورة الشفاء والبرء من شقاء وبؤس الخطية والتحرير من سلطانها وعبوديتها القاسية. وكما أن هذه المعجزة حدثتنا عن طبيب الأطباء القدير على شفاء الجسد والروح معاً هكذا يحدثنا الوحى بأن يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد مستعد بأن يشفى كل من يلتجئ له من الأمراض الجسدية والروحية أيضاً ولذا نراه قد وضع فى كنيسته المقدسة سر مسحة المرضى المقدسة الذى هو عبارة عن معجزة مجددة للشفاء من مرض الجسد والنفس تتجدد وتستمر على توالى السنين والأزمان حيث قال يعقوب الرسول :

"أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة ويصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب ... (يع ٥ : ١٤).

وقال السيد المسيح لتلاميذه : وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.

وقال أيضاً : من يؤمن بى فالأعمال التى أعملها أنا يعملها هو وأعظم منها يعمل ونحن بهذا لا نُحرم على المرضى التوجه إلى الأطباء.

ولكننا نُحرم عليهم وضع كل الثقة فيهم كأنهم كل شئ وعدم الالتجاء بتاتاً إلى السحرة والعرافين والمنجمين لأن مثل هذا يهيج غضب الرب وسخطه. وإذن لا مانع من

أن يتوجه المريض إلى الأطباء الرسميين الأخصائيين لأنهم من الوسائل التى يستعملها الله لشفاء الأمراض الجسدية وتخفيف آلام الإنسانية ولكن هناك فرق بين من يذهب إلى الطبيب وهو يعتقد بأنه الكل فى الكل يضر ويُشفى يُحيى ويُميت وبين من يذهب إلى الطبيب وفى قلبه أن يد الله قبل يد الطبيب وإذا بارك الله الدواء تم الشفاء.

إن الجسد وكل ما يتعلق به من صحة أو غيرها هو زائل لأنه ترابى من التراب أتى وإلى التراب يعود. والجسد إلا مسكن طينى فقط لسكنى النفس التى هى الإنسان كله وقد دعاه الرسول بولس بخيمة لابد أن تنقرض ولهذا يجب أن يكون جلَ اهتمامنا هو بالنفس وشفائها من جنون الخطية وتحررها من رباطات الظلمة وقيودها حيث يقول السيد المسيح نفسه له المجد :

"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

إن السيد المسيح : "يريد أن جميع النـاس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى ٢ : ٤)، هو لا يسر بموت الخاطئ إلا أن يرجع ويتوب فيحيا.

يقول بولس الرسول :

"إنه يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله" (عب ٧: ٢٥).

إنه يقدر أن يخلص من الدينونة بما يمنحه من الغفران فى استحقاق دمه الذى يطهر من كل خطية.

إن ذلك المجنون نال الشفاء لا بسعيه ولكن بسعي آخرين، فهو لم يقدم نفسه للسيد ولكن الكتاب يعلمنا إنه أُحضر إليه بواسطة آخرين، وكم نستطيع أن نخدم الآخرين نحن بأن نُحضرهم لعرش الرحمة والعون. فتوجد نفس لا تفكر فى الرجوع إلى الله ولكن نحن نستطيع بواسطة الصلاة لأجلهم أن نقربهم لله ليعمل فيهم بنعمته ـ قال القديس يوحنا : "إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة" (١يو٥: ١٦).

فإن كان فينا أب أو أم قلبها مكسور لشر حياة ابنها أو بنتها فلا تيأس ـ فبالصلاة بجهاد مع الله نستطيع أن نربح تلك النفس لله، وهكذا يستطيع أن يفعل الأخ والصديق وكل ذى علاقة مع الله بنفس ضالة، قد يحتاج الأمر للصبر ولكن لنثق أن الله مستعداً أن يفعل أخيراً، فقط المسألة تحتاج لأمرين : إيمان وحنان ـ إيمان به نثق بأن الله لابد أن يفعل، فإيماننا نافع للآخرين كما أنه نافع لنا، وإلا فما كان الأطفال يعتمدون على إيمان الوالدين ثم حنان يدفعنا للجهاد مع الله حتى تخلص النفس التى تشتهى خلاصها ـ فأولئك الناس لو لم يكن لهم احساس وشفقة وعطف على ذلك المجنون الأعمى الأخرس لما اهتموا بإحضاره للسيد وإن كانت حالة ذلك المسكين استدعت الشفقة فلنتذكر أن النفس الساقطة فى الخطية تستدعى احساس شفقة أعظم فهى نفس تعانى عذاباً مستمراً لا يهدأ طالما هى فى الحياة وتنتظر أبدية مظلمة بلا رجاء فى العالم الآخر.

إن كانت فينا نفس قد نالت الشفاء من يدى السيد له المجد فلتقدم هذه النفس ذبيحة الحمد والشكر على عطية الله التى لا يعبر عنها، وإن كان فينا من الآن عائشاً فى جنون الخطية وحمقها وخرسها فعلينا أن نأتى به تحت أقدام الرب وما فعله مع ذلك المجنون هو مستعد أن يمنح كلا منا حياه السلام. وراحة الضمير، بفعله معنا ـ إنه مستعد أن يمنح كلا منا حياة السلام وراحة الضمير، حياة السعادة وهناء البال وحياة الرجاء والتعزية.

وكل ما نرجوه أن تلك اليد القادرة العطوفة التى امتدت إلى ذلك البائس المجنون الأعمى الأخرس فأبرائه من مرض الروح والجسد حتى إنه تكلم وأبصر. تمتد الآن مرة أخرى إلى قلوبنا الحجرية فتمسها وتشفيها من المرض بالتوبة عن الماضى وقبولنا السيد المسيح بروحه فى قلوبنا كى نحيا به.

وله المجد من الآن وإلى آباد الدهور. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر بابة

الاتكال على قوة الله

«فللوقت كلمهم يسوع قائلاً تشجعوا. أنا هو لا تخافوا» (مت ١٤ : ٢٧).

ورد القول «**لا تخف**» في الكتاب المقدس مرات عديدة. وقد قيلت منه تعالى لكل من يخافه. وقيلت من الله لكثيرين من أولاده الأمناء. فكأن الله ينادى كل مؤمن، قائلاً له :«**لا تخف**».

«**لا تخف**» عبارة تخلق الشجاعة فى نفس الجبان، لأن الذى نطق بها هو الله نفسه، فسعيد وقوى من يسمع من فم الله «**لا تخف**».

على المؤمن الذى يرى نفسه محاطاً من كل جانب بالأخطار الهائلة أن يعتبر قول الله له «**لا تخف**» بمثابة جيش جرار يسحق خصومه، ويبدد أعداءه، ويوقفه على جثث أضداده فائزاً منصورا.

ضع يدك أيها المؤمن على قول الله لك فى كتابه «**لا تخف**». "وأرفع عينيك إلى فوق من حيث يأتى عونك" (مز ١٢١ : ١) وقل له : إلهى اجعل أذنى دائماً تصغى إلى هذا الصوت المشجع. فإنى حينما أسمع قولك لى «**لا تخف**» أرى نفسى قوياً كما لو كان معى ألف جيش، وحينئذ يخلق فىّ إيماناً لم تكن لتستطيع أن تخلقه ربوات الأسلحة.

لا تخافوا :

كان بنو إسرائيل معذبين فى أرض فرعون فأخرجهم الله بيد رفيعة وذراع ممدودة، وساروا فى طريقهم إلى أرض الميعاد التى تفيض لبناً وعسلاً.

لم يسيروا إلا قليلاً حتى وجدوا أن الطريق ليس كله ورداً، فالعدو قد خرج يسعى وراءه يريد أن يعيدهم إلى العبودية.

أليست هذه هى حال الإنسان الذى تخلص من عبودية الشيطان، فإذا أراد أن يسير فى الحياة المسيحية يجد أن العدو بالمرصاد يريد أن يتصيده ؟

خرج بنو إسرائيل من أرض مصر فوجدوا أنفسهم فى موقف حرج، البحر الأحمر أمامهم، والمصريون خلفهم ـ فى هذا المكان بالذات تكلموا مع موسى قائلين : "هل لأنه ليست لنا قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ ... لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية" (خر ١٤ :١١، ١٢) ماذا كان فى مقدورهم أن يفعلوا؟ كل مقاومة من الخارج أو من الداخل كانت تهاجم فى هذا المكان الصعب.. ربما كنت فى المكان ذاته ولا تستطيع أن ترجع للوراء، المستقبل يبدو عابساً أمامك، وأنت فى أزمة فى حياتك فهل لله رسالة لك ؟

استمع إليه يقول لهم :

لا تهتم :

فقال موسى للشعب : «**لا تخافوا**» فى كل أزمة توجد رسالة من الله لأولاده فلنفتح آذاننا جيداً لنستمع لهذه الرسالة. فهى ستحل مشاكلنا وتعزى قلوبنا.

عندما لا يعرف ابن الله ماذا يعمل، يجب عليه ألا يعمل شيئاً. وعندئذ سيعرف أنه لم يقترف ذنباً. عليه أن يضع أذنه على الكتاب المقدس ليسمع ماذا يقول الله له، وفوق الكل عليه ألا يهتم.

إن كان الله قد أخرجهم من مصر، فهل سيتركهم؟ ألم يقل الكتاب : "وكان الله يسير أمامهم" (خر ١٣ : ٢١) ؟ يسمح الله أن يمر فى هذه الصعوبات ليظهر قوته فينا. "انتظر الرب" .. خيرٌ أن ننتظر بدلاً من أن نهتم. ففى كل أزمة كانت رسالة الله لموسى «**لا تخف**». يحدث أن يكون كل شئ حولنا وفينا باعثاً على الخوف والاهتمام، لكن الله لا يزال ملكاً على عرشه، وصعوباتنا ليست غريبة عليه.

لا تتحرك :

إن ساعات الاختبار هى بالحقيقة ساعات صعبة. وعندما يحل بابن الله ضيق أو إثباط للعزيمة عليه أن يسرع إلى أبيه، حيث لابد أن يجد مخرجاً. يريدنا الله أن نكون ثابتين فى وسط العاصفة، وكثير من المسيحيين يتقدمون روحياً أثناء العواصف. كانت سفينة تعبر المحيط، وقد حدد أحد الركاب موعداً للوعظ قبل أن يضع رجله فيها. لقد حدد هذا الموعد بناء على ما تقطعه السفن من الوقت فى العادة.. لكن حدث أن هبت العواصف واستمرت فى شدتها لمدة ثلاثة أيام بعد أن انتهت قابل القبطان وقال له : إنى شديد الألم لأننى حددت موعداً للوعظ ولن أستطيع الوفاء به لأننا أضعنا كثيراً من الوقت بسبب هذا الجو الردئ. فأجابه القبطان : لكن هذه السفينة لم تضع ولا دقيقة واحدة أثناء العاصفة.

وهكذا يريدنا الله فى حياتنا المسيحية. ففى وسط عواصف الحياة يطالبنا الله أن نكون متزنين، ثابتين، عاقلين، قال معلمنا بطرس :" اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو." (١ بط ٥ : ٨).

وأوصى موسى النبى بنى إسرائيل أن يثبتوا فى ساعة الأزمة.

لا تشك :

كانت الرسالة واضحة من فم خادم الله لقلوبهم "انظروا خلاص الله". لقد تعهد الله أن يخلصهم من يد العدو، وقد فعل ليلة أن أخرجهم من مصر. أفلا يستطيع أن يسود على الظروف ليحول الأمور لمجده؟ فلا تشك إذن فى حكمته أو تستهين بقوته.

لا تتناقش :

تذمر بنو إسرائيل على موسى، فقالوا "هل لأنه ليست لنا قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية؟" (خر ١٤ : ١١)، إننا نبدأ فى مناقشة حكمة الله عندما نجد أنفسنا فى ظروف لا تسر الإنسان الجسدى.

قال لهم موسى : "الرب يقاتل عنكم وأنتم صامتون" (خر ١٤ : ١٤).

لابد أنهم كانوا متذمرين، منتقدين، باحثين عن الأخطاء، متناقشين فى طبيعة موقفهم... لقد كانوا يشكون فى عظمة الله، وقصدوا أن يثبطوا من همة قائدهم موسى. ربما لم يروا سبيلاً للخلاص واضحاً أمام عيونهم... ومن يستطيع أن يقول إننا نرى طريق خلاصنا؟ لكن الله يستطيع وهذا أهم شئ. لا تناقش الله، فكل طرقه كاملة، ولتطمئن أن عناية الله لابد أن تظهر. عندما ترى نفسك فى نهر لا يمكن عبوره، فإن الله لابد أن يرسل لك رسالة فى تلك اللحظة، وهى رسالة الحب والنعمة والقوة. ففى الوقت الذى نحتاجه أكثر نراه مستعداً أكثر لمساعدتنا.

لابد من وجود عواصف فى الطريق، لأن الريح دائماً مضادة. ولكن ثقوا تماماً أن السفينة لابد واصلة إلى الميناء بسلام لأنه فى وسطها، فلا تتزعزع إلى الأبد. فقط يعوزنا الصبر والإيمان، لأن "الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص". (مر ١٣ : ١٣)، وأيضاً : "بصبركم تقتنون أنفسكم" (لو ٢١ : ١٩).

كل سبيل نسلكه فى هذا العالم مفعم بالمخاوف. وكل طريق نسير فيه نجد الرعب يحيط بنا. ولأجل هذا كتب الله لنا قوله «**لا تخافوا**». هذا هو سلاح السماء الذى نستطيع به أن نقف أمام كل قوة فى الوجود.. نستطيع أن نمشى به فى أى سبيل منفردين. يمكننا أن نقف أمام الأعداء. يمكننا أن نقاوم به الشيطان فيهرب منا، والخطية فترتد خائبة، والموت فتنكسر شوكته ولكن يزيدنا الله ثقة بقوة هذا السلاح أتانا بشهادة الأفاضل الذين حملوه، فحفظهم من كل خطر وزادوا به عن أنفسهم فنجوا من كل الأضرار.

قال المرتل :"الرب نورى وخلاصى ممن أخاف. الرب حصن حياتى ممن أرتعب ... إن نزل علىّ جيش لا يخاف قلبى. إن قامت علىّ حرب ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ١ـ٣).

كان التلاميذ فى السفينة وهى تتخبط من تلاطم الأمواج وهياج العواصف. ولما وطأت قدما المسيح بطن السفينة ساد السكون والهدوء. فإذا كنت مرة فى سفينة الحياة، وقد تراكمت عليك أمواج الأحزان وهاجت ضدك رياح الآلام، فإنك إذا أطلت النظر فى تلك العبارة «**لاتخف**» ورددتها بين شفتيك كثيراً ونقشتها على قلبك جيداً، تسمع صوت يسوع المطمئن يقول للآلام اهدأى، وللأحزان اهربى، فيصير الهدوء العظيم.

إن هذه الحقيقة تتضح لنا من قول الله لعبده إشعياء "لا تخف لأنى معك" (إش ٤١ : ١٠، ٤٣ : ٥).

هذا هو سر انتصارنا، أننا فى وقت الجهاد تكون نعمة الله معنا، بل هو نفسه يكون معنا. فإذا سمعنا صوت الله يقول لنا : لا تخافوا فإنى معكم، "لذلك لا نخشى، ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار" (مز٤٦ : ٢). قال داود النبى أيضاً : "إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى" (مز٢٣ : ٤).

إن كثيرين يرتعبون فزعاً إذا سمعوا عن المرض أو الضيق أو الموت. أما المؤمن فلا يهمه شئ من ذلك. ففى المرض يكون إلهه بجانب فراشه، وفى الخطر يكون معه، ومن شدة الموت يحفظه.

كم من أُناس ينزعجون إذا تذكروا ماضيهم المملوء بالأخطاء، وينتظرون المستقبل بقلق وجزع، متوقعين فيه آلاماً مُرة. والآلام تخيف إذا لم يوجد الله مع الإنسان ليهونها بتعزياته ويخففها بعذوبته. أما المؤمن فلا يخاف مما يخبئه له الدهر فى مستقبل أيامه ... سيان عنده إذا أتت الأيام بخير أو بشر، لأن الله معه. وهذا هو فرح المسيحى ... أن الله معه. فالطفل الصغير لا ينزعج فى البحر كباقى المسافرين إذا جاء خطر، لأنه حينئذ يكون نائماً فى حضن أمه. هكذا يكفى للمؤمن أن يعرف فى أية حال أن يسوع معه. وإن كان يسوع معه فلا يهمه أن يتركه الناس... "إن كان الله معنا فمن علينا" (رو ٨ : ٣١).

إن يسوع عكاز متين وصخرة قوية، يسندنا فى كل أطوار حياتنا حتى لا نسقط. وهو

وسيلة سلام تحملنا بالنعمة إلى الأمان. فمن مبهجات نفوسنا أن الله معنا هنا، وأنه ليس بعيداً عنا، وليس هو فى عبر البحر أو وراء النجوم، ولكنه بجانبنا يسمع صوتنا. والوعد لكنيسة الله يقول : "يهوه فى وسطك" نعم، لقد غاب مخلصنا بالجسد، لكنه حاضر معنا بالروح وباقٍ معنا إلى الأبد، لأنه قال : "وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ : ٢٠).

قال الله لرسوله بولس : "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت.. لأنى أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨ : ٩، ١٠). فكون الله معنا فى وسط التجربة دليل على أنها لا تقدر أن تؤذينا، وهذا هو سر اطمئنان المؤمن. "بل نفتخر أيضاً فى الضيقات" (رو ٥ : ٣).

فإذا كان الله وحده معنا، دون أن يكون معنا أحد غيره، فنحن أقوياء. وإذا كنا محاطين بكل قوات العالم، والرب بعيد عنا، فنحن ضعفاء، لأن قوة الأرض جميعها كالقش أمام كل كلمة تخرج من فم الله. فالقوة فى الاتحاد بالرب، والضعف فى الانفصال عنه. لما فارق المسيح رسله هاجت الرياح وداخلهم الخوف، ولما أبصروه ماشياً على الماء يقول لهم :"أنا هو لا تخافوا".

فحينئذ سكن روعهم وهدأ انزعاجهم. وقد قال له المجد : "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً " (يو١٥ : ٥)، فلا تطلب القوة والخلاص إلا من الله. ولا يكون ذلك إلا بوجوده معنا، باطلاً نتكل على غيره. هو وحده الذى لم يَخزَ أحدٌ قصدَه. فليلجأ إليه المتضايق. ليؤمن به. وليتكل عليه حتى يأتى إليه ويخلصه. وإذا أردت معرفة ذلك فقارن بين شخصين، أحدهما مجرد من كل قوة عالمية، يكتنفه الفقر والضعف والهوان، وآخر له من القوة والغنى والمجد مالا يحتاج معه إلى مزيد. إلا أن الأول له نعمة الله والثانى محروم منها. تأمل، إذن، ترى ذاك المسكين يشعر بأن كوخه يضئ بنور حضور إلهه فيه. أى جمال تشاهده فى وجهه. وأى نور يتلألأ عليه فى أوقات ضيقه وكربه! إنه جمال سلام الله ونور تعزيته. أما الآخر فأنوار مصابيحه الباهرة التى تنير قصره يراها أمامه مظلمة، لأن قلبه مملوء بالظلام. فنور القلب يزيل ظلام الفقر والجوع، وظلمته تجلب معها الشقاء،

رغم وسائل السعادة الكاذبة.

ارفع أيها المؤمن علم إيمانك وراية خلاصك مكتوباً عليها شعارك "الله معنا". فهذا الشعار يلقى الرعب فى قلوب الأعداء، ويولد البهجة فى أفئدة الجنس المقدس المختار، فيهتف أولاد الله فى الحرب الروحية قائلين : رب الجنود معنا. ملجاؤنا إله يعقوب. فبينما يكون الأعداء حولنا يكون الله معنا، وينزع الفساد من قلوبنا، ويبدل ضعفنا قوة. فكيف نخاف، إذن ورب الجنود معنا؟

فالرب لا يرتب أعماله حسب قدرة الناس ولا حسب ما يتوهمون. وليس كثرة العدد والسلاح عنده بشئ. ولا تهمه العساكر المنظمة والقوات المدربة الظافرة، فما هم بشئ عند رب الجنود.

ذُكر فى الكتاب المقدس أن ملك آرام أرسل إلى أليشع النبى خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً لكى يحمله إليه. ولما رأى ذلك غلام النبى ارتعب، وقال : كيف نعمل؟ فأجابه أليشع النبى :"لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢مل٦ : ١٦).

فعين المؤمن ترى فى الخطر ملائكة الله يحيطون به لنجاته. لا غنى لنا عن الثقة بالله فى جميع المصائب التى تحل بنا. فإن إيماننا بذلك يعطينا شجاعة وعزيمة، ويمنحنا قوة لإنهاض حياتنا الروحية. ولا يبغى أن نرتاب مطلقاً، إذ ليس صعباً على الله أن يعمل أعظم ما نراه من الأعمال، فهو الإله الصانع العجائب فى ملكه، لا يتحير فى ما نتحير فيه نحن من الشدائد والضيقات. فإذا اعتبرناه كذلك، هان فى أعيننا ما يصادفنا فى هذه الحياة من الحوادث المقلقة، وتلقيناها بسلام القلب وسكون الفكر وعدم الاضطراب.

قال المرتل : "سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجرى" (مز٣٧ : ٥). وقال أيضاً : "ألقِ على الرب همك فهو يعولك" (مز٥٥ : ٢٢).

ففى شدة المحن والتجارب ننظر إليه كملجأ أمين، فيحول الأتون إلى إناء بارد، وكذلك هياج المياه يحوله إلى سكون. بولس الرسول، وهو فى السفينة مع القوم، قال

لهم فى وسط هياج الرياح واضطراب الأمواج: "سروا أيها الرجال لأنى أُومن بالله" (أع ٢٧ : ٢٥) والوعد يقول : "إذا اجتزت فى المياه فأنا معك، وفى الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت فى النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك" (إش ٤٣ : ٢).

قال إشعياء النبى :"اسمعوا لى يا عارفى البر، الشعب الذى شريعتى فى قلبه، لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم، لا ترتاعوا، لأنه كالثوب يأكلهم العُث وكالصوف يأكلهم السوس أما برى فإلى الأبد يكون وخلاصى إلى دور فدور...

إنما أنا هو معزيكم من أنت حتى تخاف من إنسانٍ يموت ومن ابن الإنسان الذى يُجعل كالعُشب، وتنسى الرب خالقك باسط السموات، ومؤسس الأرض وتفزع دائماً كل يوم من غضب المضايق" (إش ٥١ : ٧، ٨، ١٢، ١٣).

إن المؤمن، المسيحى الحقيقى، لا يخيفه شئ إلا ما لا يحبه الضمير.

إن ذهبى الفم لما تآمرت الملكة على إهلاكه، وحاول مشيروها أن يخترعوا طرقاً لإبعاده من أمامهم، كالنفى أو الموت، وحينما بلغه هذا التدبير صرخ قائلاً :

"اذهبوا وقولوا للملكة إن يوحنا لا يخاف شيئاً سوى الخطية"، أى أنه لا يهتم إلا براحة ضميره. أما راحة جسمه فلا تعنيه لأن سلامة الفؤاد وسكينة النفس لا تتمان إلا إذا كان الضمير هادئاً راضياً.

قال سليمان الحكيم :"فلنسمع ختام الأمر كله : "اتقِ الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كُله" (جا ١٢ : ١٣).

قال داود النبى :"هلمَّ أيها البنون استمعوا إلىَّ فأعلمكم مخافة الرب. من هو الإنسان الذى يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً. صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش. حِد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسعَ وراءها. عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم... أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح"

(مز٣٤ : ١١ـ ١٨).

أيها الإنسان المهموم،

أيها الإنسان الخائف،

حين يشتد عليك التعب، وتحيط بك المخاوف، تذكر فقط مواعيد الله وألقِ عليه كل همك.

ارفع الرأس وسر إلى الأمام تنتهِ ظلمتك، وتشرق شمسك، ويمتلئ قلبك بالهتاف والفرح والترنم، فليهزأ المؤمن بكل تجارب الحياة، وليدعها تهيج وتشتد. ليتأهب جيش الشر وليظهر العالم بكل أحزانه المخيفة وأفراحه الطاغية الكاذبة، فإنها لا تزعجنا لأن الله معنا.

ارتفعى يا أمواج المحن، واعصفى يا رياح التجارب، والطمى سفينة حياتنا، فإن الخوف لا يدنو منا لأن يسوع معنا، وهو يمسك الدفة فلا يصيبنا أى ضرر، بل نصل بسلام آمنين.

أبهج العمر.. أكمل الفخر.. أعظم النصر.. لمن أحب الله، الذى له المجد والإكرام إلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر بابة

إقامة ابن الأرملة فى نايين

«فقال أيهـا الشـاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه» (لو٧: ١٤، ١٥).

دخل الموت إلى العالم على إثر سقوط الإنسان من حال السعادة التى خُلق عليها إلى حالة الشقاوة والتعاسة التى وصل إليها بعصيانه ومخالفة أوامر باريه فحق عليه القول أنك تراب وإلى تراب تعود ـ ومع أن البشر يقاسون صنوف العذاب فى الحياه ويتجرعون كؤوس الألم إلا أن كل عذاب ومرار لا يعد شيئاً بجانب ذلك الكأس المُر كأس الموت الذى يفرق الأحباء عن بعضهم بعضاً وينتحبون ويتحسرون فيرتوى أديم الأرض بدموعهم وتكاد تحترق بلهيب تأوهاتهم وزفراتهم.

أرملة انكسرت قوتها من نكبات الدهر حتى أفرغت الدموع من مقليتها على زوجها وشريك حياتها وكلما فكرت فى أيام صباها وعزها يوم أن كانت البركات والخيرات تتزاحم فى بيتها تكثر زفراتها ويمتلئ قلبها من الحسرة. وقد عللت مستقبل حياتها على وحيدها الذى كانت تراعيه بعناية تامة وكلما شب ازدادت آمالها من أنه سيسد الفراغ الذى تركه والده وهى حالة طبيعية فى الإنسان الضعيف تلازمه دائماً ولابد أن تكون قد بنت العلالى على هذا الوحيد حتى صدمه الموت وأخذه شاباً كاملاً من بين يديها.

تصور حالة أم هذا ظرفها وهذه محنتها كم هو مقدار حزنها والمرائر التى شعرت بها. إن القلم يكاد يقف والمداد كاد يتجمد واليد ملكتها قشعريرة من آثار التخيل لحالة هذه المسكينة منكسرة الخاطر التى إذا جالت بفكرها فى ماضيها وطبقته على حاضرها ورأت جثة ابنها وحيدها قبل أن تشيعه إلى القبر. فإن كان التخيل يثير فى النفس هذا الحزن المفرط فكم تكون حقيقة المشاهدة وكم كانت صرخاتها وندبها وعويلها وحالتها بالإجمال...

خرجت مع الجماهير المشيعة وهنا نقطة الألم فكلما كانت تقترب الأم إلى القبر علا صراخها وازداد نحيبها فما أقسى الموت وما أشد جمرات النار المحرقة التى يكابدها العالم من جراء الفراق.

وإن كانت الآلام قد زادت فوق الحد والوجيعة كسرت القلوب ونار الأحزان قد اتسعت ولكن لا ننسى أن فوق العالى عالياً والأعلا فوقهما.

لا ننسى أن الله تعالى لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع بل عند التجربة يعطى المنفذ لنستطيع أن نحتمل.

ظهر المسيح له المجد فى هذه الشدة وقد امتاز فى ظهوره عن بقية المشيعين والمعزين والمتكلمين امتاز بقوة فائقة الحدود امتيازاً يفوق عن البشر جميعاً وعن العقول والأفهام ففى الحال دفعه الحنان والشفقة على هذه الأرملة المسكينة فتقدم ولمس النعش فوقف الحاملون وقال أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه.

وقد تغيرت الأحوال طبعاً واطفئت نار الحزن فى الحال وأندهش الجمهور من هذه المقدرة التى غلبت الموت وكسرت شوكته وسحقت سلطانه وأرجعت الأم بفرح وعزاء وسرور لا يمكن لأحد أن يصفه.

ولنا فى موضوعنا ثلاثة نقط نستلفت لها النظر :

الأولى ـ حنان الرب :

إذا فتشنا فى أدوار الحياة وبين سكان الأرض حتى بين قلوب الآباء والأمهات والأهل والمعارف والإخوة والأخوات لا نجد حناناً كاملاً وعطفاً يفوق العقول البشرية إلا حنان الرب يسوع له المجد الذى لما رأى دموع الأم وصراخها وظرفها وقلبها المنسحق تحت ثقل الحزن الموجع من تأثير سلطان الموت ورأها تنادى ابنها فلذة كبدها وترفع إليه يديها فلا يجيب ورأى الصمت والحيرة والدهشة ملكت على قلوب المشيعين تداخل ليعرف الكل ويستلفت نظر الجميع أن به ومنه وله وفيه كل الأشياء مستطاعة.

(تحنن) لفظة كاملة فى وصفها كاملة فى معناها عزى، كفكف العبرات ـ مسح الدموع، غير شكل المناحة، أطفأ نار الأحزان، ملأ القلوب بالسلام أقام الميت ودفعه إلى أمه حياً وهذا هو الفرق بين من يدخل بين العائلات المصابة بالأحزان لكى يزيدهم حزناً ووجعاً وألماً وضيقاً وبين من يعزى فيحن لمصاب الغير ويسكت الجماعة ويستفلت أنظارهم إلى مصدر الحنان والقوة.

إن الناس فى حاجة شديدة إلى هذا الحنان (وكفى) إن العالم مساق فى طريق الظلام بقوة الضعف والاستسلام فلماذا لا يدعوا هذا الحنون الرقيق فى صلواتهم وتضرعاتهم. لماذا لا يسألونه ليحن على القلوب الممزقة والنفوس الحزينة المتمررة؟ هل يتأخر عن أحد حين الدعوة؟ ألم يقل بفمه الطاهر القدوس اطلبونى فتحيا نفوسكم.

اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم ...

إنه مستعد أن يأتى وأن يعزى مستعد أن يقوى الضعيف ويغير الأحوال تغييراً كاملاً كما فى هذه الحادثة التى نحن بصددها. ولكن الحزن ملأ القلوب والأسف ملأ النفوس لأن الناس لم تدع هذا الحنون ليعزيهم فى أحزانهم ويطفئ نيران الأسى ويسكت ويبكم جميع العواصف عنهم. لكنهم يدعو ويدعوا بسرعة النادبات والمعددات فكلّ تجده يصرخ ويولول ويلطم بصورة مزعجة مبكية نسوا معها دعوة هذا القادر. ومن هنا تزداد نفوسهم حسرة وقلوبهم حزناً ومرارة. إن المسيح له المجد أظهر ذاته فى حادثة الأرملة فى نايين لكى يشوق العالم إلى شخصيته البارزة حتى يتجنبوا كل عصيان ويبتعدوا عن كل مخالفة وأن يكون هو هو وحده دون سواه فى قلوبهم ونفوسهم وأفكارهم لكى يسألونه بالإيمان أن يأتى ويتحنن عليهم فيشفيهم من أمراضهم ويعزيهم فى أحزانهم ويقويهم فى ضيقاتهم ويعالج كل عللهم التى تحاربهم فى هذه الحياة.

الثانية ـ أمره للأم بعدم البكاء :

إنه لغريب جداً أن يطلب السيد المسيح من أم أرملة تودع ابنها الوداع الأخير إلى

القبر (أن لا تبكى) وإن كانت لا تبكى فى مثل هذا الظرف المحزن فمتى تبكى يا تُرى؟

فقد رأت أن الدموع تخفف شيئاً من لوعة نفسها وحسرة قلبها لأنه ابنها فلذة كبدها والذى ليس لها من بعده سواه. تبكى على وحدتها وشقاوتها وتعاستها لأن الموت أخذ ونيسها وعائلها وحبيب قلبها بعد وفاة والده.

وكلما قلبنا فى موضوع الأرملة من نواحيه وفتشناه تفتيشاً دقيقاً رأينا أن الحالة مُرة حقيقة متعبة بدون أدنى نزاع.

لكن ليس من اعتراض ولا احتجاج على أعمال وأقوال الله ونواهيه فإنه له المجد رأى قبل دخوله لإقامة ابنها وتحويل حزنها إلى عزاء تام وتغيير ظرفها تغييراً كلياً أن يسكتها حتى تكتفى به وتصمت لترى ما سيعمل ...

لأن فى دموعها وصراخها ولطمها وعويلها (كانت تشوش عليه) فعلاً فلا يتفق الحنان والعزاء مع اللطم والبكاء والعويل ولا يتفق النور مع الظلام ولا المسيح مع بليعال ويجب أن تطيع الأم قول سيدها فتكف عن حزنها لترى نتيجة أعماله الباهرة.

فى الناس من يطلبون المسيح وهم فى طريق الظلام. يبسطون أيديهم إليه وتحت أقدامهم معبوداتهم ومصنوعات أيديهم وحاشا للسيد أن يدخل أو يُجيب النداء وإليك ما قاله بفمه الإلهى فى هذا الصدد :

"اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر حينما تأتون لتظهروا أمامى من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لى. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى صارت علىَّ ثقلاً مللت حملها فحين تبسطون أيديكم أستر عينىَّ عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيَّ كفوا عن فعل

الشر تعلموا فعل الخير..." (إش ١ : ١٠ ـ ١٧).

وقد منعها عن البكاء أيضاً ليعلن لها أنه هو صاحب السلطان المطلق فى العالم كما أنه مالك السماء وما فيها يديرها وينظمها حسب إرادته هكذا يملك الأرض ومن عليها.

فالأولاد والبنات الرجال والسيدات الملوك والعبيد وكل مخلوق فى عالم الوجود يداه هى الصانعة والخالقة والتى أوجدت من العدم أن يعمل فى جند السماء وسكان الأرض ما يحسن فى عينيه وكأنه يقول لها أنا الذى أعطيتك هذا الابن وأنا الذى أخذته منك فما رأيك إذن ؟...

إن كلمة (لا تبكى) والنهى الذى يدخل فى معناها لا يأمر به إلا من كان له وفى يده السلطان المطلق. فكم يكون خجل من جعلوا الحزن معبودهم واللطم والندب سلوانهم حينما يأتى رب المجد فيناقش كل منا الحساب. ماذا يكون جوابنا حينما يرانا قد خرجنا عن دائرة الكمال الكلى ونقرنا لأنفسنا آباراً مشققة لم تضبط ماء.

يعجبنى أيوب البار فإنه لما رأى أولاده وبناته العشرة جثثاً هامدة وقد وقع البيت عليهم جميعاً فى حادثته المعروفة وتجربته المُرة. فإنه لما استفزته طبيعته ونادت فيه عوامل الضعف الإنسانى أمام هذا المشهد المؤثر الموجع ...

"قال عُرياناً خرجت من بطن أمى وعُرياناً أعود إلى هناك الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً... فى كل هذا لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة" (أى ١ : ٢١، ٢٢).

الثالثة ـ واجب الشاب الذى نال الحياة :

تصوروا شاباً مائتاً بعد أن غسلوه وكفنوه ووضعوه فى صندوق ليواروه التراب كما فى هذه الحادثة التى نحن بصددها.

وجاء السيد كما سلف وأقامه ودفعه إلى أمه حياً.

ماذا يكون واجبه أمام من أحسن إليه وأعطاه هذه الحياة.

يتخيل لى أن الشاب لما رأى دموع أمه وأثر حزنها والجماهير المحتشدة حوله لابد وأن يكون قد سألها ماذا حصل يا أماه فأخبرته بواقع الحال وما كان من أمر موته وتكفينه ووضعه فى الصندوق الذى كان ولن يزال أمامه .. وأنها احتفلت بدفنه وهى تصرخ وتبكى فجاءها يسوع الحنون الذى أشارت له بأصبعها عليه ولمس النعش وأقامك من الموت وأعطاك الحياة.

لابد وأن يكون هذا الجميل والعطف الكامل أمام نظر الشاب قد أثر فى نفسه حتى أعاد الكره على أمه وقال لها وهذا صندوقى يا أماه ...؟

إنى من الآن أعيش للمسيح الذى وهبنى الحياة لأن هذا المعروف لا يُمحى آثاره من نفسى ولن يبارح ذهنى فأتعهد أن تكون حياتى فى هذا العالم مِلكُ سيدى الذى أقامنى وتحت إرادته.

كم من شاب فى نضارة حياته وفجر شبوبيته قوى الجسم صحيح البنية عائشاً فى هذه الحياة كما تعيش البهائم حياته خالية من خوف الله ومن عبادة من أوجدهم.

وكم من رجال وسيدات وبنات عائشون الآن عيشة لا ترضيه فهم لذواتهم ولذواتهم فقط فى أفكارهم يقودهم بعلزبول رئيس هذا العالم الشرير وخوف الله ليس أمام عيونهم وطريق السلام لم يعرفوه.

إن إرميا لما وجد الفوضى متغشية فى أيامه ندب أهل جيله ورثاهم قائلاً :

"يا ليت رأسى ماء وعينيّ ينبوع دموع فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى يا ليت لى فى البرية مبيت مسافرين فأترك شعبى وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب لا للحق قووا فى الأرض لأنهم خرجوا من شر إلى شر وإياى لم يعرفوا يقول الرب" (إر ٩ : ١ـ٣).

ولم يكتفِ بهذا الرثاء وذلك التنديد المُر بل زاد الأمر وضوحاً لكي يزيد أمته خجلاً وتقريعاً فقال :

"كيف أصفح لكِ عن هذه بنوك تركونى وحلفوا بما ليست آلهة ولما أشبعتهم زنوا وفى بيت زانية تزاحموا. صاروا حُصُناً معلوفة سائبة صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه أما أعاقب على هذا يقول الرب أو ما تنتقم نفسى من أمة كهذه." (إر ٥ : ٧ ـ ٩).

فإن كان حد الفوضى فى أيام إرميا قد بلغ هذا المقام المزرى فكم هى الفوضى فى أيام مدنيتنا الحاضرة هل شعر الناس أن الحياة هى مِلكٌ من أعطاها عملاً بالقول : "إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت إن عشنا وإن متنا فللرب نحن" (رو١٤ : ٨).

إنى أشعر أن الشاب ربما احتفظ بصندوقه لكى كلما يتطلع إليه يذكر جميل وحنان سيده يسوع حينما أقامه ووهب له الحياة فهل يتطلع شبابنا الناهض المتعلم والناس جميعاً إلى صليب يسوع مصدر الحنان للعالم كله لكى يذكروا له هذا الجميل لا عن حياة وقتية بل حياة أبدية لا نهاية لها.

هل تشخص عيونهم وتفكر عقولهم فى آلامه الموجع لما كان على الصليب ومات موت اللعنة من أجلهم.

إن فى نظر وفكر الإيمان حياة تربط الناس بالصليب ومن كان عليه فلا خجل ولا تبكيت للضمير ولا انفصال لأنه مادام الفكر عنده فالقلب معه والانتصار حليف الجميع.

وله المجد والإكرام من الآن وإلى الأبد. آمين.

مثل الزارع

«فقال لهم قد أُعطىَ لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ» (مر ٤ : ١١).

إن مثل الزارع هو أول مثل نطق به السيد المسيح. ولذا فإن التلاميذ تعجبوا من أن معلمهم الإلهى يخاطب الجمهور بهذا الأسلوب الذى لم يألفوه منه، وسألوه قائلين: لماذا تكلمهم بأمثال؟

على هذا السؤال البرئ أجاب يسوع بقوله: "أنتم قد أُعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله، أما الباقون ـ وقد عنى بذلك الكتبة والفريسيين ومن حذوا حذوهم ـ فكلمهم بأمثال لكى ينظروا ولا ينظروا ويسمعوا ولا يفهموا" (لو ٨ : ١٠).

وعلى ذلك فإن يسوع يضرب الأمثال لقصد معين، ألا وهو وعدم تعريض جواهر حكمته وتعاليمه السماوية لتهكم هؤلاء الرؤساء الحمق، الذى لم يقدروا هذه الجواهر والتعاليم السماوية حق قدرها.

فالأمثال، ولا سيما التى لايحاول المرء فهمها باستقامة نية، هى كالكتاب المختوم الذى لم تفضِ ختومه، صاحبه ينظر ولا ينظر، ينظر الظواهر لا الجواهر، أو كاللغة الأجنبية تسمع ولا تفهم. إلا أن ذلك وجه خاص، كشف عنه السيد المسيح لتلاميذه، ليبين لهم أنه بقدر ما يذل كبرياء المتكبرين يرفع المتواضعين، بل وكأنى بهم أصدقاء أوفياء يطلعهم على داخلية أسراره التى لا تثمن بثمن!.

وإذن فعلى رسُل الكلمة فى كلِ زمانٍ ومكان، اقتداءً بمعلمهم الإلهى وعملاً بوصيته، أن يكون رائدهم الفطنة، فلا يعطوا المقدسات وجواهر تعاليم البشارة لكل من هب ودب، ولا سيما للكلاب والخنازير، مخافة ابتذالها وانتهاك حرمتها: "لاتعطوا الكلاب ما هو مقدّس، ولا تلقوا جواهركم إلى الخنازير، لئلا تدوسها ثم ترتد إليكم فتمزقكم" (مت ٧ : ٦).

غير أن يسوع، وإن لم يكشف إلا عن هذا الوجه الخاص بعينه، فمع ذلك لايمكن أن ننكر ما للأمثال من مزايا حسنة كثيرة، لاتتوفر لغيرها من أنواع التعبير كسهولة الحفظ، وإثارة اهتمام السامع، لاكتشاف ما حوت من تعليم أدبى أو نظرى خفى. وذلك عن طريق فحصها وتأملها ملياً، أو بطلب تفسيرها ممن له خبرة بذلك. هكذا فعل الرسل حينما طلبوا من يسوع أن يفسر لهم ما غمض عليهم من أمثال وحيث أن للأمثال كل هذه المزايا، فلاعجب أن يكثر يسوع من استخدام الأمثال فى تعليمه للشعب الذى يمل، فى العادة، الأسلوب الأكاديمى، ويفضل عليه القصة والمثل. على أن استخدام يسوع للأمثال كان أيضاً لكى يتم ما قيل بالنبى القائل: "أفتح فمى بالأمثال وأنطق بالخفيات منذ إنشاء العالم" (مت ١٣ : ٣٥). إن النبى الذى يشير إليه متى هنا هو آساف صاحب المزمور ٧٧ فى العدد ١٢.

قال يسوع فى تفسير مثله الأول: "الزرع هو كلمة الله". وقد شبه المخلص بصواب كلمة الله بالزرع، لأنه كما أن الزرع هو مبدأ وأساس الحياة المادية، كذلك الكلمة هى دون جدال مبدأ وأساس الحياة العقلية. ذلك أنه عن الكلمة، والكلمة المسموعة بالذات، تنشأ وتتكون جلّ خواطرنا وأفكارنا، وبالتالى أحكامنا، وحبنا وتقديرنا للأشياء. فهى التى تغرس فينا المبادئ، وهى التى تنمى وتربى فينا الملكات، وأعنى بذلك القواعد الأساسية لسلوكنا وكل تصرفاتنا.

غير أن الكلمة، كما لا يخفى، إما جيدة وإما رديئة. الكلمة الجيدة هى بلا شك كلمة الله. وكذلك كل كلمة مطابقة لهذه الكلمة، أو على الأقل غير مناقضة لها.

بعكس ذلك، رديئة هى كل كلمة بمنأى عن تعاليم الإنجيل، كلمة الله المحيية، وبالأحرى كل كلمة مناقضة لهذه التعاليم السماوية وسواء نطق صغير أو كبير بهذه الكلمة النابية، غير المطابقة للإنجيل، فيجب أن تنبذ نبذ كل ما هو ضار وسام وقتّال. وقد تراءف الله بالإنسان فأعطاه كلمته منذ خلقه ووضعه فى الفردوس الأرضى، فى جنة عدن. وتابع الله زرع كلمته فى الأجيال القديمة بواسطة الآباء والأنبياء القديسين.

ولما جاء ملء الزمان، كلمنا الله بواسطة ابنه الوحيد يسوع المسيح مخلصنا يقول

القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين: "إن الله الذى كلم الآباء قديماً بالأنبياء كلاماً، متفرق الأجزاء، مختلف الأنواع، كلمنا أخيراً، فى هذه الأيام فى الابن الذى جعله وارثاً لكل الأشياء، وبه أنشأ الدهور" (عب ١ : ١ ، ٢).

ثم، من بعد صعود الرب يسوع إلى السماء، عمل الرسل على نشر كلمة الله فى كل البقاع والأصقاع. وذلك تنفيذاً لوصية المعلم الإلهى القائل: "اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر" (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠).

ومن بعد الرسل ما زالت الكنيسة حريصة على تأدية رسالتها القدسية هذه، ألا وهى بذر كلمة الله بين كل شعوب الأرض بجد ونشاط لا يعرفان الكلل. وذلك رغم ما يصادف أبناءها من اضطهادات عنيفة من أركان العالم الشرير.

على أن كلمة الله وهى من الخصب والحيوية بحيث أنها تستطيع أن تأتى فى النفوس الصالحة بأينع الثمار، إلا أنها فى النفوس الرديئة، التى شبهها المخلص بالطريق العام والأرض المحجرة والأرض ذات الشوك، لا تأتى ولا يمكن أن تأتى بثمر البتة.

سبب ذلك هو أن النوع الأول من النفوس، وهى التى أذلها إبليس، وقد قبلت حال العبودية طائعة مختارة، لا ترضى عنها بديلاً، تسمع ولا تفهم. ولذا، فلا عجب أن المارة، أى التعاليم الزائغة، والزائفة تتغلب فيها على كلمة الله، وأن عصافير السماء، أى مختلف التشتتات التى مصدرها الشيطان تذهب بالكلمة قبل أن تتأصل فيها.

أما النوع الثانى من النفوس فلا تثمر فيه كلمة الله، لأنه جبان، لا عزم له ولاقوة، بحيث أنه عند أول تجربة يتقهقر متخاذلاً.

أما النوع الثالث، فلا تثمر فيه كلمة الله لإنهاكه فى الملذات وطلب خيرات هذا العالم الفانية بإفراط.

هذا عقبات ثلاث يجب أن نتغلب عليها بنعمة الله، فتثمر فينا كلمته، كلٌّ بحسب اجتهاده وتجاوبه مع النعمة: الواحد مائة، والآخر ستين والآخر ثلاثين.

والمجد لإلهنا ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر هاتور

السامعين لكلمة الله

«من له أذنان للسمع فليسمع» (لو ٨ : ٨).

عام انقضى وأضيف إلى سنى حياتنا وما أكثر الكلمات الإلهية التى استمعنا إليها خلاله وجميل بنا أن نتأمل فيما أودعه الروح القدس فى قلوبنا من معرفة أسرار ملكوت الله.

لقد أراد السيد له المجد أن يحذرنا من الاستماع الذى لمجرد الاستطلاع أو اللذة الذهنية. أراد أن يثبت فى عقولنا أننا مسئولون عن النتيجة التى تثمرها الكلمات التى قد سمعناها فمقدار استفادة السامع يتوقف على مقدار أمانته.

سامع كلمة الله الحكيم يجب أن يسمعها بانتباه وتقدير. وإذ يقدرها يحفظها فى أعماق قلبه. يعمل بها ويثمر لمجد الله. والعامل بالكلمة يُعلم بها الآخرين أيضاً.

إن سيدنا له المجد بفصل إنجيل اليوم قد مثل الكرازة الإنجيلية بالزرع. وهوتمثيل فى غاية المناسبة. لأنه كما أن الزارع يلقى البذار من يده فى الأرض. كذلك الواعظ يلقى كلمة الله من فمه فى مسامع المؤمنين. وكما أن الزارع إما أن يصادف أرضاً جيدة فينمو ويثمر. أو لا يصادف فلا يثمر. كذلك التعليم بالكلمة إما أن يصادف استعداد الإنسان وميله فيثمر فى نفسه. أو لا يصادف فلا يأتى بفائدة. ينتج من هذا أن ليس كل الذين يسمعون الكلمة يخلصون لأن التأثير يختلف حسب اختلاف السامعين. وهو ما ضرب من أجله هذا المثل.

إننا نتعلم من فصل إنجيل هذا اليوم السامعين لكلمة الله أربعة أنواع كما يأتى:

النوع الأول ـ القلب المتمرد:

هم الذين يسمعون الكلمة بدون اكتراث ويشبهون الزرع الذى سقط على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء لأن قلوبهم غير مستعدة وقاسية حتى أن كلمة الله لا تؤثر

فيها. ولذا تراهم يجلسون فى الكنيسة إن أتوا إليها غارقين فى بحار التفكير بأمور يعرفونها هم. وإن انتبهوا فإلى الواعظ وصوته. وإن سمعوا الواعظ فبقصد الانتقاد على الواعظ والتنديد عليه لا لسماع كلمة الله. وفاتهم إنهم فى تلك اللحظة يكونون فى حضرة الله. نعم قد احتاطت الكنيسة لهذا فرتبت فى القداس الإلهى أن يسأل الكاهن المصلين قائلاً: أين هى قلوبكم، وحرصت بعض الكنائس أن ترسم أمامهم عين الله تراقبهم، أو تعلق بيض النعام أمامهم فيتعلموا منه ألا يحولوا أنظارهم، وبهذا يقاومون إبليس فيهرب منهم كما قال الرسول بولس (يع ٤ : ٧) على أنه رغم ذلك نرى الكثيرين من المجتمعين فى الكنائس يتذمرون من إطالة الصلاة مثلاً، أو من أمور أخرى لا تروقهم. ونرى غيرهم يعتذرون عن قلة حضورهم بأوهى المعاذير وبذلك تفلح سعاية الشيطان فى حرمانهم من الغذاء الروحى للنفوس.

وسيأتى وقت يردد فيه كل منهم قول سليمان الحكيم:

"كيف أنى أبغضت الأدب ورذل قلبى التوبيخ ولم أسمع لصوت مرشديَّ ولم أمل أذنى إلى معلميَّ" (أم ٥ : ١٢ ، ١٣).

النوع الثانى ـ القلب المتردد :

هم الذين يسمعون الكلمة بفرح ولكن إلى حين. ويشبهون الزرع الذى سقط على الصخر. ولما نبت جف لأنه لم تكن له رطوبة. لأنهم يسمعون التعليم بابتهاج وتنتعش عواطفهم من شدة الفرح ولكن بما أنهم ليس فيهم أصل للإقرار بالخطايا. ولا محبة فيهم ولا قداسة فإن فرحهم لا يدوم ويشبه السرور الذى وصفه الوحى حزقيال النبى قائلاً: "ويأتون إليكَ كما يأتى الشعب ويجلسون أمامك كشعبى ويسمعون كلامك ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم وها أنت لهم كشعر أشواقٍ (الغزل) لجميل الصوت يُحسن العزف فيسمعون كلامك ولا يعملون به" (حز ٣٣ : ٣١، ٣٢).

لأنهم عند أول تجربة يعثرون ويسقطون. كزوجة أيوب التى تذمرت حين حلت

بزوجها المرض. قالت له فى انفعال بارك الله ومت أى كفاك احتمالاً للتجربة فلتجدف على الله الذى لم يرفع عنك آلام التجربة ثم تموت. لكن أيوب حسم الموقف حين قال إجابته الخالدة:

"تتكلمين كإحدى الجاهلات. الخير من الله نقبل والشر لانقبل" (أى ٢ : ١٠). فهؤلاء الذين يتحمسون للفضيلة حماساً وقتياً ولايلبثون أن يتركوا يد الله وينفلتوا منها بعيداً بسبب ما قد يحل بهم من تجارب وآلام. ناسية أو متناسية أنه وهب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط بل وأن نتألم لأجله أيضاً. ومن أجل هذا يوصى الرسول قائلاً: "من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ثم يقول:

فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولارؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو ٨ : ٣٥ـ ٣٨، ٣٩).

نعم إنهم يسمعون الكلمة باشتياق حار ولكنهم لا يفهمون البشرى أى الإنجيل فهماً تاماً. وخصوصاً من جهة كونهم خطاة ومعرضين لغضب الله. فتراهم يسلمون بحقائق البشرى ويتصورنها. ولكنهم لايجددون ذهنهم باتضاع قلوبهم وبخضوع إرادتهم وتقديس أهوائهم ويأخذون آراءهم عن الدين من شهادة البشر ويتلذذون بسماع الوعظ من واعظ ويبغضون الآخرين. لايتأملون فى أمورهم ولا يمتحنون ذواتهم. وبالإجمال "لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (٢تى ٣ : ٥).

فهذا النوع ديانته باطلة أيضاً كالنوع الأول وإن امتاز عنه بفرحه وقت سماع الكلمة.

النوع الثالث ـ القلب المتجمد:

هم الذين يسمعون الكلمة ولكنهم لا يستفيدون لارتباكهم بهموم الحياة.

وكما يقول معلمنا مرقس البشير:

"إن هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر" (مر ٤ : ١٩).

ويشبهون الزرع الذى سقط فى الشوك فنبت معه الشوك وخنقه.

لأنهم يقبلون الكلمة بفرح وتنمو فيهم نمواً يُبشر بثمرة صالحة. فتراهم كأنهم آخذون فى التجديد. ولكنهم بسبب هموم الحياة الحاضرة وملذاتها وغرور الغنى وسائر الشهوات يسقطون ويصيرون بلا ثمر.

ومثل الشاب الغنى من أحسن الأدلة على أثر محبة المال فى خنق الكلمة فقد قال عنه المخلص: "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله" (مر ١٠ : ٢٣).

وبولس يؤيد ذلك حين يقول عن الأغنياء:

"وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تى ٦ : ٩، ١٠). وهو يوصيهم موجهاً الخطاب لتلميذه تيموثيئوس فيقول : "أوصِ الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع" (١تى ٦ : ١٧).

وأما الذين يتركون خدمة الكلمة من أجل محبة العالم. فينحى عليهم بالائمة، كما يتضح من رسالته إلى تيموثيئوس ومنها يقول:

"بادر أن تجئ إلىَّ سريعاً لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى" (٢ تى ٤ : ٩، ١٠).

فما السبب الداعى لسقوط هذه الأنواع الثلاثة من الناس وهلاكهم؟

إن سبب هلاك النوع الأول هو عدم الاكتراث.

وسبب هلاك النوع الثانى هو فقد المبادئ.

وسبب هلاك النوع الثالث هو محبة العالم.

أى نعم فإن عدم الاكتراث يضر بكثيرين. والتوانى يضر بآخرين. وغرور الحياة الدنيا يهلك البقية.

النوع الرابع ـ القلب المتجدد:

القلوب التى عبر أصحابها ـ فى صبر ـ صعاب الآلام مُسلمينَ حياتهم لله، ومروا بأشواك العالم فاقتلعوها لكى يهيئوا قلوبهم كبيئة صالحة لنمو كلمة الله فأثمرت.

فإذن هم الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها ويحفظونها. ويشبهون الزرع الذى سقط فى الأرض الصالحة. ولما نبت صنع ثمراً مائة ضعف.

ويبين كل من معلمنا متى ومعلمنا مرقس مقدار الثمرة التى يعطيها المزروع فى الأرض الجيدة فيقول معلمنا متى:

"فأعطى ثمراً بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين" (مت ١٣ : ٨).

ويقول معلمنا مرقس : "ويثمرون واحد ثلاثين وآخر ستين وآخر مائة" (مر ٤ : ٢٠).

والمفهوم عن هذه الأرقام الثلاثة ٣٠، ٦٠، ١٠٠ هو (حساب الأرقام فى الكتاب المقدس) إن لأرقام الكتاب المقدس معانى روحية كرموز ثابتة لا تتغير فى كل أسفار الوحى الإلهى.

ولكى نفهم معنى أثمار ملكوت السموات فى حدود هذه الأرقام الثلاثة.

إن رقم ٣٠ دائماً خاص باليهود سواء يهود العهد القديم أو اليهود فى وقتنا الحاضر. أى ثمار ملكوت السموات فى اليهودية وعن اليهود يرمز لها دائماً برقم ٣٠.

فربنا يسنوع المسيح كيهودى يمثل اليهود الأبرار وهو رأسهم ورئيسهم الرب يسوع المسيح بصفته اليهودية ويقول عنه الإنجيل:

"ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة" (لو ٣ : ٢٣).

فلماذا حددت بداية خدمة المسيح بثلاثين سنة. مع أنه ـ يعلم فى الهيكل وله من العمر اثنتى عشر سنة وبهت السامعون من تعاليمه (لو ٢ : ٤١ـ ٥٢).

نعم حدد الوحى سن الثلاثين لأن الرب يسوع بدأ خدمته كيهودى فأوصى تلاميذه قائلاً: "إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينة للسامرين لاتدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت ١٠ : ٥ ، ٦).

وقال مرة أخرى للمرأة الأممية: "لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت ١٥ : ٢٤).

وقال عنه يوحنا الحبيب فى إنجيله: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه" (يو ١ : ١١ ، ١٢).

وأيضاً يهوذا الإسخريوطى التلميذ الخائن وهو يمثل اليهود الأشرار. يهوذا هذا. لأنه كان فى اليهودية. يهوذا من اليهود. سلم المسيح للصليب والموت بثلاثين من الفضة. وكان يمكن أن يسلمه بأكثر أو أقل من هذا الثمن. ولكن تحديد الثمن بثلاثين من الفضة مثل تحديد خدمة المسيح بثلاثين سنة. أى لا صدفة فى أقوال الكتاب المقدس وأرقامه وأمثاله. فالمسيح اليهودى الذى يمثل اليهود الأبرار بدأ خدمته فى سن الثلاثين كيهودى من أصحاب العهد القديم. ويهوذا التلميذ الخائن الذى يمثل اليهود الأشرار سلم سيده بثلاثين من الفضة كيهودى من يهود العهد القديم. وكان صلب المسيح ليس صدفة ولا بمشيئة الناس أو لعجز الله عن خلاصه بل بسماح من الله وطبقاً لتعاليم ناموس اليهود (زك ١١ : ٢٠ ، مت ٢٦ : ١٥).

أما رقم ٦٠ فعن أثمار ملكوت السموات فى المسيحية حسب تعاليم إنجيل العهد الجديد ولكن مع الموت الجسدى. وهذا الرقم ٦٠ هو الخاص بموضوع بحثنا هنا.

الذى هو لماذا سن الأرملة إن لم يكن أقل من ستين سنة. أى هى المسيحية مع الموت.

أما رقم مائة الخلاص الكامل أو الحياة وعدم الموت.

وهكذا فتأثير الإنجيل يتوقف على القلوب، فإن كانت مستعدة لقبوله أثمر فيها وإلا فلا يأتى بثمر.

وعلى ذلك فالكنيسة لا تحتاج إلى جماعة من الوعاظ المهرة فحسب بل إلى جماعة من السامعين الراغبين أيضاً.

ومن تعاليم المسيحية لنا أننا لكى نحيا فى المسيح يجب أن نموت عن العالم. لا بمعنى أن نترك واجباتنا، وإنما أن نكون كالسفينة تسير على الماء دون أن يدخل إليها الماء، إذ لو دخل إليها لأغرقها.

فالبذرة قبل أن تتغير إلى شجرة وأغصان وثمار يجب أن تموت فى التربة. وموت البذرة علامة حياتها، وعلامة تغيرها إلى ما هو أفضل.

فإذا أردنا أن تنمو كلمة الله فى قلوبنا فلنحتفظ بها كنزاً ثميناً مهيئين لها البيئة الروحية حتى تأتى ثمراً متكاثراً ثلاثين وستين ومائة.

وله المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر هاتور

لاتهتموا للغد

«فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تهتموا» (لو ١٢ : ٢٩).

ما أعجب الأيام ... ! ما أعجب الغد... !

من الناس من ينتظرونه ويترقبونه بفارغ الصبر ... يعجلون الزمن ليُسرع الخطى إلى الغد ... ومن الناس من يرتجفون من الغد ويخافونه، ويتوسلون إلى الزمن لو يُبطئ الخطى نحو الغد، بل يتمنون لو لم يأتِ ذلك الغد.

والزمن دائماً يسخر من الاثنين، بل هو لا يسمح نداء المتعجلين ولا توسلات الداعين إلى البطء. والغد يأتى فى موعده ومن الغريب أن لكل غد غداً.

ومن مفاجآت الأيام أن الغد قد يأتى إلى أحبائه ومنتظريه فارغ اليدين، يخيب آمال المتعلقين به كما يأتى أحياناً إلى الخائفين المتوجسين منه أهون مما ظنوا وأيسر مما هولوا، بل أحلى وأجمل مما قدروا.

ومع ذلك مازال البشر يهتمون للغد ولنا أن نتساءل: هل نملك الغد؟ وماذا يجدى اهتمامنا به؟. إن الغد يؤرق البعض لأن إيمانهم ضعيف. كما أن قليلى الإيمان هم الذين يضعون رجاءهم فى الأيام. أما الذين يضعون الله رجاءهم فى الزمن فإنهم يعيشون باطمئنان وسلام، يسلمون حياتهم لمشيئة الرب، وهى دائماً صالحة وحكيمة.

إن كانت فى لفائف الغد أشباح الحاجة والفقر، فلماذا ننسى أن الله يسد أعواز المحتاجين ويمنح المساكين ويغنى الفقراء والمعوزين.

إن العصافير ـ كما قال السيد المسيح ـ لاتزرع ولا تحصد وليس لها مخازن، ومع ذلك لا يخطر فى بال عصفور واحد أمر الغد. بل ما من عصفور يدرى شيئاً عن الغد... إنه يعرف أن الشمس كلما أشرقت فإن هناك طعاماً جديداً ينتظره. لم يخرج يوماً باحثاً عن طعام وعاد فارغاً.

والسيد المسيح له المجد، عندما يرفع عيوننا إلى زنابق الحقل لنرى جمالها الرائع الذى وصفه السيد بأن سليمان فى كل مجده لم يلبس كواحدة منها، يخجل إيماننا الذى الذى يرهب الأيام ويحسب حساب الزمن.

إن الذين يحملون فى قلوبهم هموم الغد هم الذين لايعرفون يقيناً أن الله هو الذى خلقهم.. إن مجرد الإيمان بالخالق العظيم القدير يفرض الإيمان بأن من خلق هو يدبر ويرعى ويعطى الحياة التى خلقها كل ما تحتاج إليه.

أليس لنا الإيمان بغنى إلهنا غير المحدود الذى لا يستقصى؟ ثم أليس لنا اليقين فى محبته الكاملة التى من أجلها أعطانا ذاته؟ فكيف نهتم للغد ونحن فى كنف غنى القدير ومحبته، وقد ذخر لنا طريق حياة البشر بعشرات الأمثلة التى تُقوى رجاءنا وتحمى إيماننا وتنزع الخوف من قلوبنا؟.

لقد أرانا الغراب الذى عال أحد رجاله... حدثنا عن شعبه الذى ارتحل أربعين عاماً فى سيناء وكان يمنحهم الطعام والشراب يوماً بيوم، ولم يتخلف يوماً. حتى الصخرة الجامدة فجرها بالماء أمام أعينهم ليعرفوا أنهم يسيرون مع القادر أن يوجد من غير الموجود، وأن يخلق من العدم.

وروى لنا عن دهنة الزيت التى لم تكن الأرملة تملك سواها، فوضع فيها سر البركة، وفاضت نهراً من الزيت ملأ كل الأوعية التى جمعتها المرأة من بيتها ومن بيوت جيرانها، وباعت الزيت وسدت دينها.

وكم قرأنا عن كوز الزيت وكوار الدقيق، وليس فى كل منهما إلا القليل. ثم يأتى قول الإيمان: "حى هو الرب. إن كوز الزيت. لا ينفذ وكوار الدقيق لا ينقص حتى يأتى الفرج من عند الرب" (١ مل ١٧ : ١٤) أو يبقى كوز الزيت نبعاً لا يجف وكوار الدقيق كنزاً لا يفنى حتى يعود المطر الذى أمسكه إيليا بصلاته.

نقرأ ونسمع بل ونرى فى حياتنا المعاصرة معجزات البركة العجيبة التى يُجريها الرب

مع أولاده، فيتشدد فينا الإيمان. ثم ما أسرع ما نعود إلى هم الغد.

لعل السر فى ذلك أن الهدف غير محدد فى الحياة ولذلك نرى أنه حتى الذين يكثر المال فى أيديهم وتمتلئ مخازنهم خيرات لا يسلمون من القلق والخوف من الغد ... وهم معذورون، لأن المال مهما كثر قد يتبخر فى لحظة، والخيرات مها كثرت يكثر معها الجوع، ولا يعرف أصحابها الشبع، كمياه البحر التى لا تطفئ ظمأً.

كان هناك غنى جاء يوماً إلى السيد المسيح جاثياً سائلاً: "ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية؟" (لو ٨: ١٨)، لأن ما معه لم يشبعه ولم يقنعه.

إن خيرات الأرض لاتغنى لأنها ليست لأصحابها. لا يستطيع أحد أن يأكل أكثر من حد الشبع، ولا يقدر أن يشرب أكثر من حد الرى، ثم يترك كل شئ للأرض. وهذا الذى أعددته لمن يكون...؟

ثم. لا ننسى أن الذين يكنزون للأرض، مهما كنزوا ـ فإن أمنوا الأيام لا يأمنون على ما كنزوا فهناك السوس والصدأ يعملان. وهناك اللصوص ينقبون ويسرقون.

إن الذين يحاولون أن يهربوا من شبح الأيام فى كنوزهم إنما يهربون إلى أوجاع وطعنات يحتمون فيها.

وعلاجاً لذلك صحح السيد المسيح مسار الإيمان فى حياة الإنسان، فحول إيمان الإنسان بالمال كحارس من الزمن إلى إيمان بالسمائيات تسمو على الزمن.

إن الذين يحاربون الأيام بالأبدية ينتصرون، لأن الأبدية تبتلع الزمن وتبقى. لذلك رفع السيد القلوب إلى فوق ونصح: "لا تكنزوا لكم كنزواً على الأرض... أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء... حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ١٩ـ ٢١). أى أن الكنز هو هدف القلب... هو المغناطيس الذى يشد القلب. فإذا كان الهدف فى التراب جذب القلب إلى التراب ودفنه فيه فمات. وما أكثر الذين طواهم التراب وأصبحوا أثراً بعد عين، لأنهم وضعوا آمالهم وكنوزهم فى التراب. ملوك وأباطرة وعظماء أخذهم بريق

المال حتى جذبهم إلى الحفر المظلمة، وأسدل الغموض والنسيان عليهم ستاراً من الظلام، وانتهى ذكرهم بعدما انتهى أمرهم.

أما إذا كان الهدف فى السماء ـ أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ـ وعاش القلب متعلقاً بالسماء، عاش بين كواكب النور وأضواء المجد وتأملات الأبدية، عاش حياً لأن السماء هى الحياة... عاش فوق التراب لا يهتم بالزمن ولا يخافه ولا يحمل همه، لأنه معلق بكنزه السماوى أقوى من هيبة الأرض وهيبة الغد.

قد يكون فقيراً فى التراب الذى يملكه، لكنه غنى بالمجد الذى يكلله. وكلما مضى الزمن باعد بين أصحاب كنوز الأرض وبين كنوزهم حتى يفترقوا أما هو فكلما مضى قرب بينه وبين ما كنز فى السماء حتى يتلاقيا.

أليس الإنسان مسافراً غريباً عن الأرض وفى كل يوم يبتعد الإنسان عن الأرض ليرتحل إلى السماء...؟ فالذى كنز فى الأرض يبتعد كل يوم عما اكتنز. والمفاجأة يوم الرحيل... هذا يجد نفسه فجأة يقول: "تعبنا الليل كله ولم نمسك شيئاً" (لو ٥ : ٥).

وذاك يجد نفسه فجأة أمام كنزه السعيد يناديه: "ادخل إلى فرح سيدك" (مت ٢٥ : ٢١).

وقد عرف كثيرون هذه الحقيقة، وهم بعد فى الأرض.. وسليمان الحكيم عبر أبلغ تعبير عن الأولين. حينما نظر إلى كنوز الأرض وقال: "باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح، ولامنفعة تحت الشمس" (جا ١ : ٢، ٢ : ١١) كما عبر الرسول بولس حينما نظر إلى كنوز السماء قائلاً: "كفقراء ونحن نُغنى كثيرون" (٢كو ٦ : ١٠). ناظراً إلى غنى المسيح الذى لا يستقصى... كل الذين يكنزون فى الأرض يملأهم هم الغد، مهما كنزوا وكل الذين يكنزون للسماء يملأهم السلام أمام الأيام مهما فرغت أيديهم من تراب الأرض.

وإذا كانت كنوز الأرض "ماديات" فإن كنوز السماء "روحيات". ولذلك تبقى كنوز

الأرض مادة كما هى. أما كنوز السماء فتحول إلى تيجان ولآلئ وعروش، والذين يكنزونها يضيئون كالكواكب فى ملكوت أبيهم.

ومن المُسلمْ به أن الذى يهتم بالكنوز على الأرض ينشغل على الكنوز التى فى السماء. لا يمكن أن يجمع بين الأرض والسماء لأنه لا يقدر إنسان أن يخدم سيدين ـ الله كنز الكنوز، والمال كنز التراب ـ لأنه إما أن يحب الواحد ويبغض الآخر، أو يلازم الواحد ويترك الآخر. ومن هنا كان عابد المال فى قلق لأن سيده خائن. مهما بذلت فى خدمة المال فإنه يخونك فى أى لحظة. أما من يعيش لله خادماً فلا يهتم لغد ولا لأيام لأنه خادم الأمين الذى لا يخون أبداً. ليس عنده تغيير ولاظل دوران. وفضلاً عن ذلك هو برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع. "الساكن فى ستر العلى، فى ظل القدير يبيت لايخشى من خوف الليل. ولا من سهم يطير فى النهار، ولا من وباء يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة. لا يلاقيه شراً، ولا تدنو ضربة من خيمته. لأنه يوصى ملائكته به لكى يحفظوه فى كل طرقه" (مز ٩١ : ١، ٥، ٦، ١٠، ١١). فى ظل المواعيد الثمينة يعيش، فكيف يهتم للغد أو للدهر كله...؟ إن الذين اختاروا الرب نصيباً لهم يرتفعون فوق مستوى الرهبة والخوف والهم.

إن العالم لايتعامل إلا مع الساجدين له. وللأسف، فإنه يطأ بأقدامه الثقيلة أعناقهم فيرزحون تحت هموم متنوعة كل أيام حياتهم.

عار على أولاد الله أن ينحنوا للعالم، ويحملوا هم الغد، وهم المدعوون إلى الميراث الأبدى الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

فلنسلك فى موكب النصرة برؤوس مرفوعة إلى السماء، حيث يأتى عوننا من لدن إلهنا، مكللين بمجد الصليب، متوجين بعظمة فادينا، متعمقين فى المحبة الأبدية الصادقة.

ولإلهنا المجد من الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من شهر هاتور

كلام الله

«فكلمهم كثيراً بأمثال قائلاً: هوذا الزارع قد خرج ليزرع» (مت ١٣ : ٣).

المثل ــ هو إيراد حقيقة مادية لإيضاح حقيقة عقلية روحية وهو مأخوذ من شئ منظور تشعر به الحواس فيكون مذكراً مستمراً لِمَ سمع كما أنه يلفت النظر ويسترعى السمع فى وقته وقد كان كثير من تعليم الرب يسوع بأمثال حتى قيل عنه أنه كان يخاطبهم بأمثال وبغير مثل لم يكن يكلمهم لأنهم كانوا مبصرين لا يبصرون وسامعين لايفهمون.

وأكثر الأمثال الدائرة على الألسنة اليوم هى تصورية خيالية لا أصل لها فى الواقع حتى جرى بعضها على ألسنة الحيوان الأعجمى لكن ليس كذلك أمثال السيد المسيح التى كانت خالية من التعبيرات الخيالية التى تنسب النطق للحيوان والعقل للنبات والحركة للجماد فهى أمثال فياضة بروح الوقار خالية من السخرية والهزل والسخف ومبنية غالباً على حوادث حقيقية واقعية.

وقد قرئ على مسامعكم فى إنجيل قداس اليوم أحد هذه الأمثال الرائعة وهو مثل الزارع الذى يحبه الناس فى كل أنحاء العالم لأنه حيثما وجد إنسان على الأرض فإن إحدى المهن الأولية التى يقوم بها هى مهنة الزراعة.

لهذا ولِمَ يوضحه هذا المثل من أخطر الحقائق الروحية شأناً نرى كنيستنا المحبوبة توجه إلى هذا المثل الجميل اهتماماً خاصاً فتكرره فى إنجيل القداس على أحدين متواليين فى الأحد الماضى والأحد الحالى أى اليوم.

وجهوا أنظاركم معى قليلاً إلى كفر ناحوم تلك المدينة الصغيرة التى اتخذّها السيد المسيح وطناً ثانياً له بعد الناصرة وتأملوا السيد له المجد وقد جلس فى صبيحة يوم على قارب صيد فى بحر الجليل الذى تطل عليه هذه المدينة وقد اتخّذ من القارب منبراً ومن الشاطئ الذى ازدحم بالجماهير الغفيرة العديدة هيكلاً.

وهناك على منحدر أحد التلال فلاح زارع يبذر بذار الربيع، المسيح يرقبه فى صمت وتفكير والناس المرهفة بآذانهم لسماع تعاليم المسيح يتبعونه بألحاظهم وبغتة يستدعى السيد انتباههم بقوله للجماهير:

انظروا هوذا الزارع قد خرج ليزرع إلى نهاية المثل الذى سمعتموه اليوم. والذى أريد بنعمة المسيح أن تكون رسالته موضوع تأملاتنا وبحثنا فى هذه الفرصة السانحة الصغيرة فلا ندعها تفلت وتضيع منا دون جدوى كضياع الزرع الثمين بين الأشواك.

أولاً - رسالة المثل:

إن الرسالة التى يقررها هذا المثل البليغ هى مسئولية سامعى كلام الحياة الخطيرة. لأنه ليس كل من يسمع يعمل بما يسمع "وليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات" (مت ٧: ٢١).

ههنا الجماهير الكثيرة ترهف آذانها لتسمع كلام الحياة ثم بعد ساعة تتفرق وبعضهم ينال خيراً إلى الأبد والبعض الآخر لا ينتفع شيئاً. لماذا؟

لأن أثر التعليم كما يقول يسوع يتوقف على طبيعة السامعين أنفسهم ولذا يقول انظروا ما تسمعون فكروا فيما تسمعون. لأن الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة.

هو "إما رائحة حياة لحياة وإما رائحة موت لموت" (٢كو ٢: ١٦).

والعالم اليوم فى شوق إلى وعاظ صالحين وليس فى هذا من بأس ولكن السيد هنا يشير إلى ضرورة السامعين الصالحين وعلى الواعظ أن يدرك مسئوليته ولكن السيد المسيح يقول: إن على السامع أيضاً تبعة خطيرة ومسئولية كبيرة لأن النتيجة فى آخر الأمر إنما تتوقف على طبيعة السامع ومقدراً بتعداده للعمل بما يسمع.

قال السيد المسيح مثلاً من يسمع كلامى ويعمل به أريكم من يشبه. يشبه إنساناً حكيماً بنى بيته على الصخر فلما هبت الرياح ونزلت الأمطار وجاءت الأنهار وصدمت ذلك البيت فلم يسقط لأنه مؤسساً على الصخر. وأما من يسمع أقوالى ولا يعمل بها

فأشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فلما هبت الرياح ونزلت الأمطار وجاءت الأنهار (السيول) وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً لأنه كان مؤسساً على الرمل.

ثانياً ـ غاية المثل :

أما المراد بهذا المثل أيها الأحباء فهو أنه ليس كل الذين يسمعون الإنجيل يخلصون. بل أن تأثيره يختلف باختلاف الأشخاص وفيه قد شبه ربنا له المجد الواعظ أو المبشر : بالزرع. والعالم: بحقل. وكلام الله: ببذار.

وقال أن بعض الحبوب وقع على الطريق المتصلب من كثرة وطئ الناس إياه. وبعضه على أماكن تربتها رقيقة وتحتها صخر وبعضه بقرب السياج بين الشوك والهشيم وبعضه فى أرض جيدة حيثما بَقَيِ مدة ثم نبت ونما وأثمر.

وقد شخص سيدنا بهذا المثل أنواع سامعى الكلمة بوضوح لا يفوقه وضوح وبلاغة كلية لأن من السامعين من هم قليلو الاكتراث لا يبالون بشئ ومنهم من يظهرون الاقتناع حالما يسمعون ولكن هذا الاقتناع يتلاشى حالاً فهو إلى وقت قصير جداً ومنهم من يفقدون انتفاعهم بالكلمة بداعى فرط اهتمامهم بالعالم. ومنهم من يقبلون الحق بنعمة الله ويأتون بثمر كثير لتمجيد اسمه وخلاص نفوسهم.

ثالثاً ـ واجبنا بإزاء كلام الله ومزايا المادية الروحية:

فما هو إذن واجبنا أيها الأحباء بإزاء كلمة الله؟

قال داود النبى : "خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطئ إليكَ" (مز ١١٩ : ١١).

وقال أيضاً: "كلامك أحلى من العسل وقطر الشهد" (مز ١٩ : ١٠).

وقال السيد له المجد الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة وقال بفم الرسول:

"كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين" (عب ٤ : ١٢).

وقال الرسول أيضاً يناشد تلميذه تيموثيئوس:

"وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص" (٢ تى ٣: ١٥).. ومن كل هذه النصوص يتضح إن كلمة الله تحفظ من الخطية وهى سراج وسلاح، حلو كقطر الشهد. تعطى عقلاً وحياة وتخلص النفوس فما هو واجبنا بإزائها؟

فى مثل الزارع مع إننا نرى نوعاً واحداً قد أفلح مقابل أنواع لم تفلح فيها الكلمة ومع أن الاختبار يرينا بأن أبناء الظلام أكثر من أبناء النور لكن المسيح لم يقصد بهذه الأنواع لا الكمية ولا العددية بل النوعية وهذا لأن يوماً قد يقوم بعام ورجلاً بألف. والمهم ليس الكثرة العددية بل جودة النوع. ففى التربة الأولى اختطف البذار حالاً من غير أن تمتزج بالأرض. وفى الثانية نمو سريع وذبول عاجل. وفى الثالثة نمو للنبات غير مصحوب لا بقوة ولا ثبات للإتيان بالثمر. وفى الرابعة صلاح وقوة وصبر وثمر صالح فمن أى نوع أنتم على أن تكونوا؟ وأيهما تفضلون؟

أرسل سيد وراء خدمه ودعاهم إليه يوماً ليقدم إليهم هدايا عيد ميلاده وخير كلا منهم بين عشرين ريالاً أو الكتاب المقدس.

فقال السايس: أنا لا أعرف القراءة ولذلك أفضل العشرين ريال.

وقال البستانى: أنا أعرف القراءة ولكن حالتى تضطرنى إلى تفضيل العشرين ريالاً. لأن زوجتى مريضة وأنا ملزم أن أذهب بها إلى الطبيب ولايسهل علىَّ هذه المهمة سوى العشرين ريالاً.

ولما جاء دور مريم الطباخة قال لها السيد أظن ستختارين الكتاب المقدس لأنكِ تعرفين القراءة ولستِ فى حاجة كبيرة إلى المال فأجابت آسفة ياسيدى أن أرفض الكتاب لأن أعمالى وأنت أدرى بها لا تترك لى لحظة واحدة للقراءة.

وأما الوصيفة فتقدمت قائلة: لو لم يكن عندى توراة لفضلت أن آخذ كتاب التوراة.

وأخيراً تقدم غلام المراسلة وانحنى أمام سيده متواضعاً وقال: لقد علمتنى أمى أن كلام الرب أثمن من الذهب والأبريز الكثير ولذا فأنا أفضل الكتاب على العشرين ريالاً فقدمه إليه سيده مثنياً عليه ومبدياً سروره به ولكن الغلام ما كاد يفتحه حتى وجد أنه بين كل ورقتين ورقة مالية مقدارها عشرون ريالاً من أول الكتاب إلى آخره.

نعم لأن كلام الله وشريعته من يسمعها ويعمل بها ويطيعها من القلب لا ينال الحياة الأبدية فحسب ولكن لا يعدم ثمر صلاحه فى الحياة الحاضرة بسبب أمانته وحسن سلوكه وثقة الناس فيه ولذا يقول الرسول لتلميذه ثيموثيئوس:

"اتبع البر مع الجميع والتقوى التى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة" (٢ تى ٢ : ٢٢).

ويخبرنا الإنجيلى لوقا (١١ : ٢٧) عن السيد له المجد أنه بينما كان يخاطب الجمع بكلام الحياة رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: "طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما أما هو فقال: بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" (لو ١١ : ٢٨) وكثيراً ما حث المسيح سامعيه قائلاً لهم:

"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى تشهد لى" (يو ٥ : ٣٩).

وقال أيضاً تضلون إذ لاتعرفون الكتب ولما سأله الشاب قائلاً : ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية قال له احفظ الوصايا.

ولما جاءه إبليس فى البرية ليجربه لم يشأ له المجد أن يغلبه بإعلان مجده الإلهى ولا بقوته الفائقة الطبيعة التى لا يمكنا استعمالها ولا بنفس كلامه بل بالكلمة المكتوبة نستطيع حفظها والعمل بها والتى شددت عزم القديسين زماناً طويلاً ـ معلماً إيانا له المجد بهذا المثال كيف نحارب خصمنا العظيم ونصرعه.

وفى حادثة موت الغنى البخيل رفع عينيه وهو فى الهاوية فى العذاب ونادى إبراهيم بأن يرسل لعازر المسكين الذى ينعم فى حضنه ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانه.

فقال له إبراهيم: يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا والآن هو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا بيننا وبينكم هوة عظيمة. فقال إذن أسألك يا أبتى أن ترسله إلى بيت أبى حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم عندهم موسى (أى أسفار موسى الخمسة) والأنبياء (أى النبوات) ليسمعوا منهم، ولما اعترض بقوله لا يا أبى إبراهيم، بل إن مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. "فقال له إن كانوا لايسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون" (لو ١٦ : ٣١).

أخيراً أختم حديثى معكم بهذه القصة الواقعية الدالة على قوة تأثير كلام الله فى النفوس لتجديدها وتقديسها.

لما صار نقولا الأول إمبراطوراً لروسيا كان أول ما شرع فى عمله هو اخماد ثورة مخيفة بين أعيان مملكته، فسجن كثيرين من الأكابر كمجرمين وكان أحد هؤلاء العظماء المسجونين بريئاً ولكنه كان حاد الطبع جداً وزاده القبض عليه ظلماً من تلك الحدة حتى أصبح يزمجر كوحش مفترس وإذ طال الزمان عليه فى السجن أخذ يزبد ويرعد ويلعن الإمبراطور ويجدف على الله لأنه لم يمنع عنه ذلك الظلم. وفى أحد الأيام زاره كاهن فى سجنه وترك له كتاباً مقدساً راجياً منه أن يقرأه. وبعد أن ذهب القسيس رفس ذلك الشريف العظيم كتاب الله برجله وألقى به فى زاوية قائلاً: كيف يمكنى أن أقرأ كلام الذى سمح بإساءتى وسجنى ظلماً؟

إلا أن الوحدة المخيفة والقنوط فى حالته قاداه إلى أن يقرأ الكتاب فقرأه ليس حباً فى قراءته بل من قبيل التسلية وتضييع الوقت وقتله لأنه لم يكن لديه عمل آخر ليعمله فى السجن وأخيراً شعر بلذة واهتمام ـ فاستظهر (حفظ غيباً) أصحاحات كاملة وقد أثرت فيه قصة حياة المسيح وغيرت قلبه إذ رأى نفسه رفيقاً للسيد المسيح وشريكاً له فى آلامه وفى الظلم الذى وقع عليه حتى الموت. حينئذ زال الغضب الإنتقامى عنه وحل مكانه روح الاستشهاد وتلاشى شبح الظلم والموت أمام النور الجديد الذى أضاء عليه وهكذا

فعل الكتاب الوحيد فى العالم فعله فى إعطاء الشريف المتكبر قلباً جديداً. وفى وقت المحاكمة لم يستطع الشريف أن يُبرأ نفسه فحكم عليه بالإعدام فترك الأمر لله ولكن لما فتح باب السجن لم يرَ رسول الموت الذى كان ينتظره، بل رأى الإمبراطور نفسه واقفاً أمامه يعتذر إليه ويطلب منه الصفح لأن مكتوباً قد وصل إليه يظهر براءة هذا الرجل الشريف بصورة لا تحتمل شكاً فجاء الملك إليه ليصلح ما يمكن إصلاحه مما أصابه ظلماً وهكذا نجا هذا البرئ من الموت فى آخر لحظة.

ومنذ ذلك الوقت وإن كان ذلك الشريف قد انتهت حياته على الأرض ولكن أثمار تقواه وأمانته ولطفه بين إخوته والمستشفيات التى بناها لأجل المرضى والبائسين لتكريس هذا الرجل حياته تكريساً تاماً بفضل قراءته للكلام والعمل به.

فليت الرب يسوع يعطينا نعمة كاملة لسماع كلمة الوعظ كما هو من الله، كلامه الحى الفعال المؤثر فى النفوس كسيف ذى حدين لتجديدها وتقديسها وتكريسها حتى تثمر بالصبر فى خدمته لمجد اسمه وخير كنيسته وخلاص النفوس الكثيرة، ثمراً مقبولاً ولائقاً ثلاثين وستين ومائة.

وله المجد من الآن وإلى آباد الدهور كلها. آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم الثانى عشر من شهر هاتور

عيد رئيس الملائكة ميخائيل

«يُرسل ابن الإنسان ملائكته ...» (مت ١٣ : ٤١).

الملائكة هم خلائق روحية عاقلة متوسطة بين الإنسان والله.

أى أعلا من الإنسان وأدنى من الله، مخلوقين منذ ابتداء العالم متصفون بالنعمة والفضل والإرادة والعواطف وسائر المواهب اللازمة لهم ليثبتوا فى محبة خالقهم ويصلوا إلى السعادة القائمة بالنظر إلى وجه الله.

وهم نوعان :

ملائكة مختارون أو مقدسون وهم الذين ثبتوا فى النعمة.

وملائكة أشرار أو ساقطون وهم الذين لم يثبتوا على أمانتهم لله والحق فسقطوا من رتبتهم وهلكوا هلاكاً أبدياً (١ تى ٥ : ٢١ ؛ مت ٢٥ : ٤١).

معنى كلمة ملاك :

إن كلمة ملاك باليونانية تعنى مرسل، أو رسول، أو حامل رسالة، وقد استخدمت نفس الكلمة اليونانية "أنجيلوس" للإشارة إلى الرسولين اللذين أرسلهما يوحنا المعمدان إلى المسيح (انظر بشارة لوقا ٧: ٢٤)، وأيضاً استخدمت للإشارة إلى الرسل الذين أرسلهم المسيح إلى قرية السامريين (انظر لوقا ٩: ٥٤)، ودُعِىَ ملاكاً كل من يستخدمه الله لإتمام إرادته الإلهية. نبياً كان ذلك المرسل أو كاهناً فقد دُعِىَ يوحنا المعمدان ملاكاً بقوله: "ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ طريقك قدامك" (مل ٣ : ١).

ودُعِىَ كل من أساقفة الكنائس السبع ملاكاً بقوله: "أكتب إلى ملاك كنيسة أفسس" (رؤ ٢ : ١).

غير أن لفظة ملاك قد اشتهر استعمالها بنوع أخص للأرواح السمائيين الذين يستخدمهم الله لإجراء إرادته الصالحة، ومن ثم امتازوا "باسم ملائكة الله" (مت ٢٥ : ٣١) وهؤلاء الملائكة محظور عليهم أن يتقبلوا من البشر أى سجود أو عبادة (انظر كولوسى ٢ : ١٨ ؛ رؤيا ٢٢ : ٨، ٩).

أما البشر الذين دعوا بهذا الاسم فهم يشابهون الملائكة فى الخدمة والوظيفة ويختلفون عنهم فى الطبيعة.

يعتقد معظم اللاهوتيين أن للملائكة رئيساً واحداً وهو ميخائيل استناداً على ما جاء عن ذلك فى النصوص الإلهية حيث قيل فى رسالة يهوذا: "وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس مُحاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء" (يه ١ : ٩). وقيل فى نبوة دانيال: "ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك" (دا ١٢ : ١). وقيل فى سفر الرؤيا: "وحدثت حرب فى السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وملائكته" (رؤ ١٢ : ٧).

ومن أقوال السيد المسيح له المجد عن الملائكة، وإشاراته إليهم، يمكن أن نعرف الكثير عن طبيعتهم ونوع خدمتهم.

أولاً ـ من هم الملائكة:

+ الملائكة هم أرواح مخلوقة نيرة كاملة بذاتها. "صنع ملائكته أرواحاً وخدامه من لهيب نار" (عب ١ : ٧).

+ الملائكة هم بهجة فى السماء وبهجة فى الأرض وهم الأرواح العلوية المتلألئة بالنور التى تملأ طغماتها السماء والكواكب. والبر والبحر. وهم رسل الجلالة الإلهية إلى البشر وسائر الموجودات.

+ الملائكة هم الأجواق الصداحة، التى تملأ نغماتها الأخدار السماوية وترنم ليل

نهار بلا انقطاع "قدوس قدوس قدوس رب الجنود" (إش ٦ : ٣).

+ الملائكة هم حراس الأطفال، فالمسيح فى حديثه عن الصغار قال: "إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات" (مت ١٨ : ١٠). وقد أثار هذا القول الكثير من الجدل، خاصة مع وجود اعتقاد بأن هناك ملاكاً حارساً لكل واحد من الأولاد، ومن منا لم يكن ولداً صغيراً فى مرحلة من عمره!؟ إذن فكل منا له ملاكه الحارس ...

غير أن الإنسان عندما ينتقل إلى مرحلة الشباب، وتبدأ تطلعاته تتغير، وخطواته على درب البراءة تتعثر ـ يتغير الحال بالنسبة له، ولموقف ملاكه الحارس منه. إذن لكى يعود الوضع إلى ما كان عليه.. ليرجع هذا الإنسان ليصير ولداً، يتعلم، ويقبل التوجيه، ويتخلى عن الكبرياء... ويصبح تقياً يخاف الله ويعمل رضاه وعندئذ يتحقق له الوعد القائل: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز ٣٤ : ٧).

خاصة وأن كل مسيحى ينبغى أن يكون واحداً من هؤلاء الصغار، أى ولداً .. فى الشر لا فى التفكير ...

+ الملائكة تحفظ عباد الله الذين يطيعونه. والذين يصمدون أمام الشيطان عندما انتصر على الشيطان، "جاءت ملائكة وصارت تخدمه" (مت ٤ : ١١؛ مر ١ : ١٣).

لو أننا رجعنا إلى المزمور الحادى والتسعين لقرأنا وعد الله القائل: "لأنك قلت أنت يارب ملجأى جعلت العلىَّ مسكنك. لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك" (مز ٩١: ٩ ـ ١٢).

وهنا يجب أن نلاحظ أن الذى يتمتع بهذه الحراسة التى من فوق، هو الساكن فى ستر العلى، الذى يبيت فى ستر القدير ... الإنسان المؤمن الأمين الذى ارتفع عن دنايا هذا العالم، وسما لكى تصبح سكناه مع الملائكة ـ هو الذى يحظى بسكناها معه فى

الأرض، وحراستها له، بحسب ما جاء فى المزمور المشار إليه.

إن الذى أبدع الكائنات وجعلها جماداً ونباتاً وحيواناً وإنساناً على الأرض جعل الملائكة أرواحاً زكية بهية قوية عديدة فى السماء.

يقول دانيال النبى : "كنت أرى أنه وضعت عروش جلس قديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى. عرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة، نهر نارٍ جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه وتقف بين يديه ربوات ربوات" (دا ٧ : ٩ ، ١٠).

ويقول القديس توما اللاهوتى:

إن عدد الملائكة يفوق عدد البشر وسائر الخلائق.

+ الملائكة هم أسمى مقاماً وأرفع شأناً وأكمل طبيعة من البشر.

لأن الملاك روح والبشر روح فى مادة. "من هو الإنسان حتى إنك تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟ وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله" (مز ٨ : ٤ ، ٥).

وبسبب كمال طبيعتهم فإنهم يعرفون الأمور المستقبلة التى لابد من وقوعها أما الأمور المقيدة بإرادته من سماوية وأرضية فلا سبيل لهم إلى معرفتها. فهى من خصائص الله فلا يعرفونها إلا بوحى من عند الله.

+ الملائكة هم الحصادون فى الزمان الأخير.

وهذا ما أشار إليه المسيح فى أقواله المدونة فى الأصحاح الثالث عشر من بشارة متى (أعداد ٣٩ ، ٤١ ، ٤٩).

ففى مثل الحنطة والزوان أشار الرب إلى زرع الشيطان، الذى زرعه فى وسط الزرع الجيد: وسوف ينمو الزوان مع الحنطة، إلى آخر الزمان ـ وفى وقت الحصاد سيأتى الحصادون الملائكة، أو بحسب تعبير القديس مرقس: "يُرسل الله حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء" (مر ١٣ : ٢٧).

+ الملائكة سوف تأتى مع المسيح فى مجيئه الثانى:

"فإن ابن الإنسان يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته" (مت ١٦ : ٢٧).

" ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه" (مت ٢٥ : ٣١).

"من استحى بى وبكلامى فبهذا يستحى ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين" (لو ٩ : ٢٦).

+ الملائكة يشبهون الأبرار حال قيامهم:

"فى القيامة لايزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء" (مت ٢٢ : ٣٠).

وفى الإنجيل، لا نجد أية إشارة للملائكة بصيغة المؤنث، بل هناك جبرائيل وميخائيل ورافائيل..

+ الملائكة تفرح لخلاص الخطاة:

"هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥ : ١٠)

ولئن كانت الملائكة تفرح لكل ما يحس به الخاطئ، من شعور بالندم على الخطية، والتوبة عنها، فهل هناك غاية أسمى من هذه، تستحق أن يسعى لها الإنسان... أن يفرح قلب الملائكة، وقبل هذا كله يفرح قلب الله؟.

+ الملائكة هم القوات المجُنحة التى تحمل نفوس الصالحين وتطير بهم إلى العلاء تدخلهم دار النعيم.

ثانياً ـ متى خُلقت الملائكة :

لم يذكر الكتاب المقدس متى خُلقت الملائكة صريحاً ولكنه ذكر ضمناً حيث قال: "فى البدء خلق الله السموات والأرض" (تك ١ : ١).

ولم يبين الكتاب المقدس خلق الملائكة بالتصريح لأن مقصوده كان يريد أن يبين فقط أصل هذا العالم المحسوس لأن الملائكة موجودة ومنتشرة وتملأ السموات والأرض وكل مكان فهى إذن خُلقت منذ بدء الخليقة والعالم.

ثالثاً ـ طغمات الملائكة:

الملائكة هم جموع منظمة وفرق مقسمة ويظهر من الكتاب المقدس أن الملائكة عدة طغمات أى عدة مراتب.

١ ـ الكاروبيم :

وذُكرت جلياً فى سفر التكوين: "فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تك ٣ : ٢٤).

٢ ـ السيرافيم :

الذين قال عنهم إشعياء النبى: "السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد منهم ستة أجنحة باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير" (إش ٦ : ٢).

٣ ـ العروش ٤ ـ السيادات ٥ ـ الرياسات ٦ ـ السلاطين

وهذه الأربع طغمات ذكرها لنا القديس بولس الرسول بقوله:

"فإنه فيه خُلِقَ الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله خُلِقَ" (كو ١ : ١٦).

٧ ـ الملائكة ٨ ـ رؤساء الملائكة ٩ ـ القوات :

وهذه الطغمات الثلاث تظهر من قول بولس الرسول: "فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله" (رو ٨ : ٣٨، ٣٩).

سبب سقوط الملائكة :

سبب سقوط طغمة الملائكة المسماة شياطين هى الترفع والكبرياء كما يتضح من قول

إشعياء النبى: "كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم وأنت قلت فى قلبك أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلى. لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب" (إش ١٤: ١٢ـ ١٥).

ومن قول المخلص عن الشياطين: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨).

ومن قول يهوذا: "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه ٦).

ويتبين بصراحة أن سبب سقوط طغمة الشياطين هو التصلف والكبرياء من قول بولس الرسول: "ويجب أن يكون الأسقف ... غير حديث الإيمان لئلا يتصلف ويسقط فى دينونة إبليس" (١تى ٣: ٦).

وبعد سقوط طغمة الشياطين خلق الله عوضهم آدم وحواء بجسمين ماديين. وإذ قد علمنا أن مراتب الملائكة تسعة ويكون الإنسان قد خُلق لتكملة عدد المنتخبين أى ليقوم مقام الطغمة العاشرة التى سقطت بسبب كبريائها.

رابعاً ـ لماذا خُلقت الملائكة:

١ ـ خُلقت الملائكة ليسجدوا لله وللمسيح:

كما قال نحميا: "أنت هو الرب وحدك، أنت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها أنت تُحييها كلها وجند السماء لك يسجد" (نح ٩: ٦).

وكما قال القديس بولس الرسول: "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١: ٦).

وقال أيضاً: "لكى تجثو باسم المسيح كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض" (فى٢: ١٠).

٢ ـ خُلقت الملائكة لكى يعلنوا إرادة الله:

كما تظهر من كلام دانيال النبى فى الأصحاحات (٨، ٩، ١٠) ومن إعلان إرادته "بواسطة الملاك ليوسف بأن "يأخذ الصبى وأمه ويهرب إلى أرض مصر" (مت ٢ : ١٣) ومن إعلان إرادته لزكريا بواسطة جبرائيل "فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها فأجاب الملاك وقال: "أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا" (لو ١ : ١٨ ، ١٩). ومن إعلان إرادته للرسل وهم فى سجن العامة بواسطة الملاك. "ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال اذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام الله" (أع ٥ : ١٩ ، ٢٠).

ومن إعلان إرادة الله أُرسل الملاك جبرائيل وقال للسيدة العذراء : "لاتخافى وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع وهذا سيكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١ : ٣١ـ ٣٣).

٣ ـ خُلقت الملائكة لكى يخدموا المؤمنين الصالحين :

كما يتضح من قوله : "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة للأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١ : ١٤).

ومن إتيان الملاك لإيليا بالخبز والماء "ثم سار إيليا فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال قد كفى الآن يارب خذ نفسى لأننى لست خيراً من آبائى واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا ملاك قد مسه وقال قم وكُلْ فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع واضطجع ثم عاد الملاك ثانية ومسه وقال قم وكُلْ لأن المسافة كثيرة عليك فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل حوريب" (١مل ١٩ : ٤ ـ ٨).

ومن ظهور الملاك لبطرس: "ولما كان هيرودس مزمعاً أن يقدمه كان بطرس فى تلك

الليلة نائماً بين عسكرين مربوطاً بسلسلتين وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن.وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء البيت فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً: قم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه. وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعنى فخرج يتبعه وكان لا يعلم أن الذى جرى بواسطة الملاك هو حقيقى بل يظن أنه ينظر رؤيا فجازا المحرس الأول والثانى وأتيا إلى باب الحديد الذى يؤدى إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت فارقه الملاك (أع ١٢ : ٦ـ ١٠).

ومن كان ذا قلب مستقيم أمام الله وعاملاً بمقتضى أوامره الخلاصية ووصاياه الإلهية تحيط به ملائكته الروحيون المرسلون من عند البارى مساعدة له على كل خير.

وله المجد دائماً آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من شهر هاتور

التواضع

«تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب ...» (مت ١١ : ٢٩).

إن التواضع الحقيقى ليس هو تواضع المظهر، ولا مجرد تواضع الفم. وعبارة "أنا خاطئ" و"أنا غير مستحق" إنما التواضع الحقيقى يكمن فى أعماق القلب.

فإن قال إنه خاطئ أو غير مستحق يكون مقتنعاً بهذا تمام الاقتناع فى قلبه.

قال الأنبا موسى الأسود:

"تواضع القلب يتقدم الفضائل كلها، والكبرياء هى أساس الشرور كلها".

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن النقاط الثلاثة:

أولاً ـ ما هو الاتضاع :

ليس الاتضاع مجرد مظهر خارجى يظهر به الإنسان، كالملبس الخشن، أو الصوت الخفيض، أو الرأس المطرق إلى أسفل. وليس هو مجرد كلمات يرددها الإنسان عن نفسه على مسمع من الآخرين بأنه خاطئ وشرير وغير مستحق. وليس هو مجرد عبارات يرددها فى حضرة الله معلناً حقارته وذله ومسكنته... ليس هو ذلك فحسب لأنه لو كان كذلك فقط لأُمكن لكل إنسان أن يكون متواضعاً. لكنه حياة يحياها الإنسان، بين نفسه وبين الله، فيها يشعر بأنه عدم، ولا شئ بل أقل من لا شئ، وإن كل ما فيه من حسن وخير هو من الله، وأنه بدونه، تعالى، تراب وظلمة وشر.

قال مار إسحق: "ليس من يذكر زلاته وخطاياه لكى يتواضع يسمى متواضعاً، وإن يكن ذلك حسنٌ جداً، إلا أنه يدنو فقط من التواضع ويحاول أن يصل إليه. أما المتواضع الحقيقى فلا يحتاج إلى أن يقنع ذاته أو يغصب فكره للشعور بالتواضع، أو خلق أسبابه بل قد صار طبيعياً عنده أن لا يحسب ذاته شيئاً بلا تعب".

وهكذا لا يكون الاتضاع أمراً هيناً سهلاً. لكنه يتطلب منا قهراً لمشيئاتنا وسحقاً لميولنا المنحرفة، وإماتة لشهواتنا الجسدية "من أراد أن يكون أولاً فليكن آخر الكل". هكذا علمنا رب المجد بحياته وأقواله ومهما رجع الإنسان إلى الوراء ـ متضعاً ـ فإنه يرى يسوع مازال وراءه باتضاعه العجيب، فيجاهد أن يرجع أيضاً... ولكن هيهات أن يصل إلى مبلغ الاتضاع الذى اتضعه القدوس الممجد فيما فعله لكى يرفعنا إلى الآب.

هكذا فهم الآباء القديسون التواضع، وعبروا عنه فى أقوالهم، وكلٌ بحسب اختباراته: وقد أجمل القديس يوحنا الدرجى بعضاً منها وزاد عليها، فقال : "قال البعض عنه إنه نسيان كل مافعله الإنسان من الصلاح. وقال آخر: هو أن يحسب الإنسان نفسه أفشل الناس وأحقرهم وأكثرهم خطأ. وقال آخر هو أن يعرف العقل ضعفه. وقيل هو سحق النفس وجحد المشيئة. وأنا أقول إن الاتضاع نعمة فى النفس لا يعرفها إلا الذين اقتنعوها.

قال الرب : "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب" أى ليس من ملاك، وليس من إنسان، وليس من كتاب تتعلمون اتضاع القلب، ولكن منى واستطرد قائلاً: "فتجدوا راحة لنفوسكم" أى راحة من الأوجاع والأفكار الرديئة.

ثانياً ـ شرف فضيلة الاتضاع :

١ ـ إذا كانت الكبرياء تعتبر أشر الخطايا ـ الأم التى تلد وتحتضن وتحصن خطايا كثيرة خطيرة ـ فبلا شك، يكون الاتضاع من أولى الفضائل ـ الأم التى تلد فضائل وتخلص من خطايا كثيرة عديدة. بل تعتبر، كما سترى. أساس جميع الفضائل على الاطلاق. ولذا فإن من يتقن الاتضاع يضع أساساً صالحاً متيناً لبنيان حياته الروحية، بل لقد شبه أحد الآباء بشجرة الحياة التى لا يموت آكلوها.

٢ ـ ويزيد الاتضاع شرفاً أن السيد المسيح نفسه هو الذى علمنا إياه فى مقدمة ما علمنا، سواء بمثال حياته أو أعماله أو تعاليمه الإلهية.

فالسيد المسيح لم يقل تعلموا منى عمل العجائب وشفاء المرضى وإقامة الموتى، بل

قال: "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩).

وذلك لأن الاتضاع الحقيقى هو أقوى من الارتفاع، والتعبد لله بالاتضاع خير من عمل العجائب والآيات. بل إن معلمنا بولس الرسول يطلق على فكر الاتضاع "فكر المسيح" فيقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس" (فى ٢ : ٥ ــ ٧).

قال الأنبا باخوميوس أبو الشركة: "إذ رأيت إنساناً متواضع القلب، طاهراً، فهذا أعظم من سائر المناظر، لأنك بواسطته تشاهد الله الذى لايُرى".

٣ ــ ومما يزيد الاتضاع شرفاً أن الله يحب المتواضعين وينظر إليهم. قال المرتل : "الرب عالٍ والمتواضع يعاين" (مز ١٣٨ : ٦). بل ويسكن معهم: "لأنه هكذا قال العلى المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه، فى الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، ولأُحيى روح المتواضعين ولأُحيى قلب المنسحقين" (إش ٥٧ : ١٥).

ثالثاً ــ الاتضاع فى حياة السيد المسيح:

إن الاتضاع هو الثوب الجميل العجيب حقاً، الذى ارتداه رب المجد،وأظهر لنا ذاته فيه !!! فما كان ممكناً للترابيين أن يروا إله الآلهة ورب الأرباب فى بهاء مجد لاهوته، وهو الذى قال قديماً لصفيه موسى النبى: "لاتقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر ٣٣ : ٢٠) .فحينما حل بمجده قديماً على جبل سيناء، كان الجبل مضطرماً بالنار يدخن. وكان الأمر هكذا "إن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم. وكان المنظر هكذا مخيفاً، حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد" (خر ١٩ ، عب ١٢ : ١٨ــ ٢١).

فى العهد القديم كانوا لا يجسرون على الاقتراب من الجبل الذى حللت بمجدك فوقه، وفى العهد الجديد ــ عهد النعمة والاتضاع ــ حملتك أمك الطاهرة، وحملك

سمعان الشيخ على ذراعيه (لو ٢ : ٢٨). أكلت وشربت مع البشر، بل قدمت ذاتك مأكلاً حياً لهم ليثبتوا فيك وأنت فيهم... لقد قيل إنك: "نار آكلة" (عب ١٢ : ٢٩)، فكيف استحالت هذه النار التى أفنت المضادين وأبادت المدن (٢ بط ٢ : ٦)، إلى سلام يملأ العقل والفكر والقلب، حتى قيل عنك: "إنك سلامنا" (أف ٢ : ١٤).

ما كان ممكناً للبشر أن يروا "القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل" (مز ٢٢ : ٣) إلا فى ثوب الاتضاع. لهذا كان القديس أوغسطينوس يقرن التجسد بالتواضع، ويقول فى ذلك إن ابن الله تجسد ليصالح البشر مع الله، وليشفى قلب الإنسان من داء الكبرياء. فحقق الغاية الأولى بموته، والثانية باتضاعه. وهكذا كانت حياة المسيح محبة وتواضعاً وآلاماً.

لقد استعرض القديس باسيليوس الكبير حياة السيد المسيح من ميلاده إلى موته، واستنتج منها أن المسيح علمنا بسائر أعماله فضيلة الاتضاع خاصة: لقد أوضح الرب اتضاعه بمشاركته لطبيعتنا، حينما أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس" (فى ٢ : ٧). كما أظهره بولادته من أم فقيرة فى مكان حقير، دون أفقر فقير فى هذه الدنيا. وفى هروبه من وجه هيرودس الطاغية كأنه ضعيف، بينما هو ميناء المتعبين وملجأ الهاربين. وفى خضوعه لأمه الطاهرة ويوسف النجار (لو ٢ : ٥١). وفى تقدمه إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه كأحد الخطاة. وفى عيشة الفقر الاختيارى التى عاشها، التى عبر عنها الرسول بقوله: "فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى، لكى تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو ٨ : ٩). وفى خضوعه للناموس، وفى دخوله أورشليم (مت ٢١ : ٥).

وفى الإهانات الكثيرة التى لحقته من الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة، التى ختمها بموته على الصليب ميتة العار واللعنة (مز ٢٢ : ٦، ٦٩ : ٩، إش ٥٣ : ٣) ـ الأمر الذى عبر عنه الرسول بقوله: "وإذ وجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فى ٢ : ٨).

لقد لاحظ القديسان أوغسطينوس وإيرونيموس أن السيد المسيح بدأ عظته على الجبل بالحديث عن الاتضاع، بقوله: "طوبى للمساكين بالروح" (مت ٥ : ٣)، وهكذا، يكون قد بدأ وعظه بالاتضاع، وسار فيه حياته كلها وانتهى به بموته.

لقد عاش السيد الرب فقيراً، دون طير السماء وثعالب الحقل، حتى أنه قال عن ذاته: "للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (مت ٨ : ٢٠).

كان يخفى مجده، بينما يعلن عاره.. فقد كشف مجده فوق جبل التجلى لثلاثة من تلاميذه، بينما أظهر عاره وموته لأمم كثيرة، حتى كتبت علة صليبه بأشهر ثلاث لغات فى العالم آنذاك!!.

وحتى هؤلاء التلاميذ الثلاثة الذين كشف مجده أمامهم، نجده يوصيهم ـ وهو نازل من الجبل ـ ألا يعلموا أحداً بما رأوا حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات (مت ١٧ : ٩). ولما أراد الشعب أن يقيمه ملكاً عليهم اختفى عنهم (يو ٦ : ١٥)، وحينما أرادوا إهانته واحتقاره، أسلم ذاته لهم بإرادته. وعندما كان الناس والشياطين يمدحونه كان ينتهرهم ليسكتوا. وحينما كان يُشتم، كان يصمت ولا يفتح فاه.!

لقد كانت الخطية الأولى التى أسقطت جنسنا هى الكبرياء. فلا عجب إن رأينا الله يعالجها بالاتضاع. وبعد لعل أبرز صورة فى حياة رب المجد، وأروعها جميعاً، هى حينما انحنى وغسل أرجل تلاميذه، فبعد أن سجل يوحنا التلميذ الوديع مجد لاهوت المخلص بقوله: "يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شئ إلى يديه، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى" (يو ٣ : ٣٥). سجل اتضاعه العجيب فقال: "قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها، ثم صب ماء فى مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان مُتزّراً بها" (يو ١٣ : ٤، ٥)، على أى شئ تدل تصرفات رب المجد حينما "خلع ثيابه، وغسل أرجل تلاميذه ومسحها؟".

إن خلع الثياب يشير إلى التخلى عن الكرامة الشخصية والمجد الذاتى وغسل الأرجل يدل على وضع الذات إلى أبعد الحدود، وعلى الخدمة المتضعة المنكرة لأتعابها، ومسح الأرجل يظهر الحنان والعناية فى اتضاع بليغ...

وبعد أن أتم العملية أتبعها بالوصية الروحية، فقال لهم: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله. إن عملتم هذا فطوباكم إن عملتموه" (يو ١٣ : ١٢ـ ١٧).

هو القادر أن يجعلنا نتسربل بالتواضع مع جميع الناس حتى نكون تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين يسيرون حسب وصاياه المقدسة.

وله المجد الدائم ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر هاتور

ملح الأرض

«الملح جيد ولكن إذا فسد الملح فبماذا يصلح» (لو ١٤ : ٣٤).

لا شك أن طغمة الإكليروس هم خدام مباركون ـ وخدمة الكهنوت لا تقوم على أداء رسوم وفرائض العبادة فحسب بل القصد منها قيادة البشر إلى طريق الحق والكمال إذن الكاهن يمثل الله ويرشد الشعب إلى سنن الاستقامة، قال ملاخى النبى:

"لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود" (ملا ٢ : ٧) . وبالأحرى يكون ملحاً يصلح ما أفسده الدهر، وراعياً يقود الخراف الناطقة....

قال المسيح معلماً إياهم (أنتم ملح الأرض) فالإكليروس جميعاً يمثلون هذا الملح الذى لايستغنى عنه فى حفظ الأشياء من الفساد.

وقد أشار حزقيال إلى ذلك بقوله: "لم تُملَّحى تمليحاً يوم ولدتِ" (حز ١٦ : ٤).

ولا يخفى إن الملح يستعمل لإصلاح الطعام لذا قال أيوب الصديق: "هل يؤكل المسيخ بلا ملح" (أى ٦ : ٦) فما دام الإكليروس يرفعون أصواتهم بالمناداة بالحق لكى تظهر أعمالهم الصالحة بين الناس فلا شك أنهم يشبهون الملح المصلح يصلح العالم لأنه إن لم يستعمل يبطل مفعوله بل بعلمهم هذا يشبهون أليشع النبى الذى ألقى الملح فى النبع الذى كان ينبع ماءاً ردياً فأصلحه وطهر ماءه (٢ مل ٢ : ٢١).

الملح هذا يعتبر رمـزاً للصداقة مع الله والثبات فيه وهو رمز الحكمة ففى كولوسى (٤ : ٦) يقول الرسول بولس: "ليكن كلامكم كل حين مصلحاً بملح"، ورمزاً للبقاء ـ لقد جرت عادة العرب أن يعدوا كل من يأكل ملحاً معهم صديقاً حميماً وفى روسيا يقدمون لكل من زار عاصمة بلادهم من القياصرة والملوك ملحاً وخبزاً إشارة إلى الصداقة. ومفاد ذلك أن الملح حافظ للأشياء مانع لفسادها. ألم تكن هذه وظائف خدام

الكنيسة فى هذا العالم؟ وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن الملح الجيد:

الملح الجيد :

الكنيسة ملح الأرض. غايتها مجد المسيح ونصرة إنجيله وامتداد ملكوته. فلا يمكنها أن تتغاضى عن الخطية فتقف بإزائها مكتوفة الأيدى وكيف يمكن للكنيسة أن تسكت وهى ترى الخطية تفتك بالذين افتداهم سيدها بدمه؟ وكيف تتساهل مع قوات الظلمة والفساد وهم يعملون على إفساد هياكل الله التى قدسها بروحه. وعلى هدم بناء نعمة الله وتشويه بهائه وجلاله؟ فالكنيسة عروس المسيح تغار على مجد الذى دعاها. وغسلها من خطاياها بدمه. وجعلها شريكة له فى ملكوته ومجده. لايسعها إلا أن تصارع الخطية وأن تجاهد ضد الشر.

الكنيسة ملح الأرض. فلا بدع إن كانت تحارب الفساد الذى يذهب بتأثيرات نعمة الله وثمارها الشهية ـ هذا هو عملها ـ لأن هذه إرادة ربها. الذى دعاها "كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أف ٥ : ٢٧) . وهى لاتدفع الخطية عن ذاتها فقط، ولكنها كملح الأرض ينبغى لها أن تتجند لمقاومة فساد الخطية إينما وجد "فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له" (يع ٤ : ١٧) . وما أشنع خطية السكوت على الخطية. لا سيما إذا جاءت من أولئك الذين ينبغى لهم أن يقولوا: "إذ الضرورة موضوعة علىّ فويلٌ لى إن كنت لا أُبشر" (١ كو ٩ : ١٦) . لأن "من ليس معى فهو علىّ ومن لا يجمع معى فهو يفرق" (مت ١٢ : ٣٠) . فالكنيسة الأمينة التى تعرف مقامها الممتاز ومسئولياتها الجسيمة لا تتردد "فى احتمال مشقات التجند لهذه الخدمة المباركة" (٢تى ٢ : ٣ ـ ٥) . ولابد لها إذن، لتحقيق غايتها السامية ورسالتها المقدسة أن تعمل حساب النفقة والكنيسة كملح الأرض ينبغى أن تعامل كالملح ـ ولا ينبغى لها أن تتوقع غير ذلك وهل سُمع أن ملحاً طهر أو وقى أو أصلح بدون تضحيته؟

والملح كمادة لا يمكن الانتفاع به في الأغراض المتنوعة التي يستعمل لها إلا بسحقه أو إذابته.

وحياة الأمناء الذين يريدون أن يتاجروا فيما مُنح لهم من وزنات. وأن يستخدموا مواهب الروح المعطاة لهم في خدمة الملكوت والبر والفضيلة. هي تضحيات مستمرة صورها بولس في كلماته:

"من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح" (رو ٨: ٣٦).

فهم يحملون الصليب فرحين "احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١ : ٢) ويحملون الصليب راجين ومفتخرين أيضاً كما قال الرسول بولس: "فبكل سرور أفتخر أيضاً في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح. لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح" (٢ كو ١٢ : ٩، ١٠).

وأنا لست أعني بهذا أن ليس للكنيسة أن تحتج ضد ما تعامل به من جور وظلم، وما يوجه إليها من اضطهادات وافتراءات. كلا. بل لها أن تحتج على المظالم وأن تقيم الحجة على أولئك الذين يعتدون عليها بلا ذنب ولا جريرة وكل ذنبها الذي استوجبت لأجله جميع أنواع التعديات التي تقع عليها هو تمسكها بإيمانها ودفاعها عن حق ربها. والمسيح نفسه قال للذي لطمه: "إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وإن حسناً فلماذا تضربني" (يو ١٨ : ٢٣).

وهكذا احتج بولس على رئيس الكهنة "الذي أمر بضربه بمخالفته للناموس الذي يحكم به بهذا التعدي الصارخ" (أع ٢٣ : ٢، ٣).

إن التماس النجاة من الضيق لا يمكن أن يعد ذنباً أو شراً إلا التمسنا النجاة بالنكوص على الأعقاب والتنكر للدعوة المقدسة التي دعينا إليها والمؤمن الذي يريد أن يكون نافعاً ومصلحاً ورابحاً ينبغي أن يصلب الجسد وأن يقمع ميله إلى الشهوات ويكبح رغبته في أباطيل الحياة وأمجاد العالم وأن يكون شعاره على الدوام "لست أحتسب لشئ ولا نفسي

ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله" (أع ٢٠ : ٢٤).

ومتى انتصر المؤمن على الغايات الذاتية والأغراض الشخصية أصبح نافعاً لإصلاح الفساد الذى يتطرق من العالم إلى الكنيسة. بل يصبح قادراً بنعمة الله على محاربة الفساد الذى فى العالم نفسه.

وتضحيات المؤمن تكمل "بالآلام فرئيس الخلاص العظيم نفسه قد تكمل به" (عب ٢ : ١٠).

فإذا كان "الآب السماوى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو ٨ : ٣٢) بل قد كتب أن الرب قد سُرَّ أن يسحقه بالحزن أن يجعل نفسه ذبيحة إثم فهل يمكن للكنيسة أن تعفى من هذه الآلام المكملة؟

وقد تكون ضيقات الكنيسة آتية إليها عن طريق أمانتها لربها وقيامها بواجبها فى محاربة الخطية ومقاومة الفساد، وهى غالباً تأتى عن هذا الطريق لأنها بهذا الجهاد تجعل ذاتها هدفاً لسهام الشرير الملتهبة ناراً فيصب عليها جامات سخطه ويهيج عليها غضب قوات الظلمة ويثير عليها الذين يحيطون بها. "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو ١٥ : ١٩).

فحياة الكنيسة التى لا تشاكل أهل هذا الدهر ولا تشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة. بل بالحرى توبخها وتحاربها تجعلها مكروهة لدى هذا العالم الشرير كما هى مكروهة لرئيس هذا العالم الفاسد.

ولكن ما أعجب أعمال العناية وما أعمق حكمة الله. أنه يحول ضيقات الكنيسة إلى بركات مختارة وثمرات شهية "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٢٨).

١ ـ فبالضيقات تنقى الكنيسة ذاتها مما تطرق إليها من فساد العالم. وكثيراً ما تنسى

الكنيسة محبة خطبتها وغيرة صباها وتنزل عن مستواها الروحى السامى. تنسى أنها صارت منظراً للعالم للملائكة والناس ولذلك "يفتقد بعصي معصيتهم وبضربات إثمهم" (مز ٨٩ : ٣٢). فتكون معاملات الأشرار القاسية لهم هى عصا الرب المؤدبة والشافية ويكون قضاء الرب هو وسيلة الإنقاذ. "به يغسلها وينقيها ويطهرها" (إش ٤ : ٤) ومن ثم يوجهها إلى الخدمة "إن طهر أحد نفسه.. يكون إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح" (٢ تى ٢ : ٢١).

٢ ـ وبالضيقات يدرب الكنيسة على الخدمة ـ فهى المدرسة التى تتعلم فيها الكنيسة أن ترثى للضعفاء فتمد يد الإنقاذ للذين اقتنصهم الشيطان لإرادته أليست هى ملح الأرض ! أليست هذه الغاية النبيلة أول غايات الكنيسة المخلصة؟ والذى يختبر مرارة الخطية يشفق على المخدوعين بها المأخوذين ببريقها فيذكرونهم بأن أجرة الخطية هى موت وإنه لا سلام للأشرار وإن البلية لا تنبت من التراب ولكن الزارعين إثماً والحارثين شقاوة يحصدونها والذى يحتمل غضب من يخطئ إليه يستطيع أن يشفق وأن يحذر كما قال النبى: "وبروح منتدبة اعضدنى فأُعلم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون" (مز ٥١ : ١٢).

٣ ـ والضيق يصقل الكنيسة ويشهر جمالها ويعطيها جمالاً وجاذبية لا تقاوم. فالعالم الذى يراقب الكنيسة ليراها كما يرجو ـ ينخر فيها دود الفساد ـ يعجب إذ يراها وقد عم فيها القول: "لاتخرج لكِ اسم بين الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليكِ" (حز ١٦ : ١٤).

أجل. أن العالم يرى الكنيسة وقد صمدت للعواصف الشديدة وخرجت من أتون التجارب نقية كالذهب الخالص. وكثيراً ما سبر العالم غورها وغمز قناتها فرأى ما لم يره فى غير الكنيسة. رأى ثباتاً عجيباً. رأى صبراً وافراً ومحبة كاملة. رأى شيئاً غريباً بالنسبة إلى أهل هذا العالم، هو محبة الكنيسة لأعدائها وإحسانها إليهم وصلاتها لأجلهم. فإذا بهذا الجمال يسبى عقولهم ويملك قلوبهم. وكم كان هذا الجمال سبباً فى استجابة الناس لدعوة الكنيسة واعتزالهم للعالم وشره.

٤ ــ وبالضيقات نؤهل لملكوت الله ومجده، فالضيق هو طريق الملكوت "بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤ : ٢٢).

لقد شهد الروح القدس لآلام المسيح والأمجاد التى بعدها (١بط ١ : ١١).

هكذا آلام الأتقياء والأمناء هى البينة على قضاء الله العادل. إنكم تؤهلون لملكوت الله لأجله تتألمون أيضاً.

فليس للكنيسة أن تطلب مجد المسيح بدون أن يكون لها شركة فى آلامه. فللذين يصطبغون بالصبغة التى اصطبغ بها ويشربون من الكأس التى شرب منها، ملكوته ومجده.

من أجل هذا يترنم المؤمن وسط الضيقات (فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا) "لأنه إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه وآلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو ٨ : ١٧، ١٨).

أنتم ملح الأرض. والملح جيد

فكن ملحاً بحياتك. وليكن الملح فى داخلك وفى كلامك.

لايمكن للكنيسة أن تسود على العالم وهى مجردة من ملوحتها إذ تكون تافهة وتنتزع منها قوتها وتأثير نفوذها مثل كنيسة لاودكية فإنها كانت على جانب عظيم من الإحترام فى عين نفسها كما قيل فى سفر الرؤيا على لسان ملاكها (أسقفها) قد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ.

ومع ذلك لم يكن لها مركز بين الكنائس إذ فقدت ملحها وقوتها. فنهوضاً روحياً يا رجال الله يا من وضعت الخدمة فى عنقكم يا من استؤمنتم على وكالة لكى تخبروا بفضائل الذى دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب.

ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر هاتور

ارحـــــم ابنـــــى

«ياسيد ارحم ابنى فإنه يُصرع ويتألم شديداً» (مت ١٧ : ١٥).

هذه صرخة الإنسان العاجز الفاشل، حين يُغلب على أمره، وتوصد أمامه أبواب النجاة، فيصرخ من أعماق قلبه الممزق بالألم، مستغيثاً بالإله القادر على كل شئ لكى ينقذه ويخلصه.

إن رحمة الله كانت، ولاتزال، الملجأ الوحيد الأمين الذى يستطيع أن يحتمى فيه كل متضايق ومُر النفس. فلا يستطيع الإنسان أن يلتجئ إلى عدل الله أو بر الله أو قداسة الله بالنسبة لشعوره بحقارته وعدم استحقاقه، لكنه يستطيع أن يقترب إلى الله على أساس رحمته "للرب إلهنا المراحم والمغفرة" (دا ٩ : ٩).

"كثيرة هى مراحمك يارب" (مز ١١٩ : ١٥٦). كانت هذه هى صرخة داود حين سقط فى خطيئته الشنيعة، فاستغاث بإلهه قائلاً: "ارحمنى يا الله حسب كثرة رحمتك، حسب كثرة رأفتك، امحُ معاصىَّ" (مز ٥١ : ١). كذلك كانت صرخة الأعميين اللذين تبعا يسوع "يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود" (مت ٩ : ٢٧).

وصرخة الرجل الذى كان ابنه مريضاً، فقال للرب يسوع: "ارحم ابنى فإنه يُصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً فى النار وكثيراً فى الماء" (مت ١٧ : ١٥).

وصرخة بارتيماوس الأعمى الذى "ابتدأ يصرخ ويقول يا يسوع ابن داود ارحمنى" (مر ١٠ : ٤٧).

وصرخة الغنى الغبى الذى لم يستعد للأبدية "ومات ودفن، فرفع عينيه فى الجحيم وهو فى العذاب... فنادى وقال يا أبى إبراهيم ارحمنى .... لأنى معذب فى هذا اللهيب" (لو ١٦ : ٢٢ ـ ٢٤).

وصرخة عشرة الرجال البرص الذين وقفوا من بعيد "ورفعوا صوتاً قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا" (لو ١٧ : ١٣).

وصرخة العشار التائب، النادم عن خطاياه، الذى قرع على صدره قائلاً: اللهمّ ارحمنى أنا الخاطئ" (لو ١٨ : ١٣).

أيها القارئ العزيز، إن كنت واحداً من المتألمين بسبب الخطية، أو عذاب الضمير أو المرض، أو الوحدة أو اليأس أو الفشل، أو معاملة الناس السيئة لك، فما عليك إلا أن تقرع باب مراحم الله لأنها كثيرة، وتضم صوتك مع هؤلاء المتألمين وتصرخ معهم قائلاً : "ارحمنى".

إن باب الرحمة مفتوح ليلاً ونهاراً "ورحمته إلى جيل الأجيال (لو ١ : ٥٠)، ومهما بلغت حالتك من البؤس والشقاء، فلابد أن تجد لنفسك مكاناً فى مراحم الله الواسعة، استمع إلى ما قاله داود، وتشجع من اختباره عن معاملات الرب معه: "الرب رحيم ورؤوف. طويل الروح وكثير الرحمة لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا. ولم يجازنا حسب آثامنا، لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا، كما يتراءف الأب على البنين يتراءف الرب على خائفيه، لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣ : ٨ ـ ١٤). بقدر ما يعلن ملكوت المسيا فينا بتجليه فى حياتنا، تنهدم مملكة الشيطان ولايكون له موضع فينا. لهذا أورد الإنجيلى بعد التجلى ـ أى إعلان مملكة المسيح ـ إخراج الشيطان من إنسان، إذ يقول الإنجيلى: "ولما جاءوا إلى الجمع تقدم إليه رجل يصرخ جاثياً له وقائلاً: ياسيد ارحم ابنى فإنه يُصرع ويتألم شديداً، ويقع كثيراً فى النار وكثيراً فى الماء" (مت ١٧ : ١٤، ١٥).

هذه هى علامات العبودية لإبليس والدخول فى مملكته، يفقد الإنسان اتزانه الداخلى وسلامه، فيصير فى حالة صرع، ويخسر كل سلام حقيقى، فيعيش فى آلام داخلية عنيفة، ويلقيه فى صراعات متضاربة ـ تارة يلتهب بنار الغضب العنيف يحرق كل ما هو حوله، بل يحرق نفسه فى نيران لا تنطفئ ـ تارة يرتمى فى مياه الشهوات الجسدية ومحبة العالم، مستهيناً بكل شئ من أجل لذة مؤقته. فى مرارة نقول أن الإنسان بخضوعه للخطية وارتباطه بمملكة الظلمة يفقد سلام فكره وجسده وروحه، فيعجز عن التفكير

السليم ويخسر حياته الروحية، وحتى الجسد أيضاً يصير تحت الألم !!!

اشتكى الرجل، قائلاً: "أحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه" (مت ١٧ : ١٦). "فأجاب يسوع وقال: أيها الجيل غير المؤمن، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم. قدموه إليّ ههنا" (مت ١٧ : ١٧).

"عدم الإيمان" هو العائق الذى حرم حتى التلاميذ من إمكانية إخراج الشيطان. وكما يقول القديس أوغسطينوس: "انتهر ربنا يسوع غير المؤمنين حتى الذين هم تلاميذه كما سمعنا فى الإنجيل الذى قرئ الآن" لأنه عندما قالوا له: لماذا لم نقدر أن نخرجه؟ أجابهم قائلاً: "لعدم إيمانكم". إن كان الرسل غير مؤمنين، فمن هم المؤمنين؟ ماذا نفعل نحن الحملان إن كانت الكباش تهتز؟ لكن الله برحمته لم يستخف بهم فى عدم إيمانهم بل انتهرهم وسندهم، جعلهم كاملين... لقد شعروا بضعفهم إذ قالوا فى موضع آخر: "زد إيماننا" (لو ١٧ : ٥)، وكان لمعرفتهم بنقصهم نفع عظيم، إذ تعرفوا على من يسألونه... توجهوا بقلوبهم إلى الينبوع، قارعين ليفتح لهم فيمتلئون، فقد أراد أن يقرع عليه البشر !!!.

كما يقول: "لنصلِ، ولنتكل على الله فنحيا... لندعوه كما دعاه التلاميذ، قائلين للرب: "زد إيماننا".

لقد عجز التلاميذ عن طرد الشيطان بسبب عدم إيمانهم (مت ١٧ : ٢٠) لهذا نصحهم السيد بالصوم والصلاة لمساندتهم فى طرده خلال الإيمان، إذ يقول: "الحق الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هناك فينتقل، ولا يكون شئ غير ممكن لديكم. وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧ : ٢٠، ٢١).

هكذا يربط السيد المسيح الإيمان بالصلاة والصوم، فإن كنا بالإيمان نختفى فى المسيح يسوع ربنا الحال فينا ليطرد العدو عنا هذا الذى لا يقدر أن يقف أمامه، فإن إيماننا هذا لا يكون بدون الجهاد خلال الصوم والصلاة.

وله المجد والسجود الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر هاتور

الشاب الغـــنى

«عند الناس غير مستطاع ولكن ليس عند الله، لأن كل شئ مستطاع عند الله» (مر ١٠ : ٢٧).

تقدم إلى السيد المسيح له المجد ـ رجل له غرض شريف. يريد أن يقف على أهم الحقائق. وسأله لعلمه أنه هو الوحيد الذى يمكنه أن يجيبه، وأن يجيبه بالحق قائلاً أيها المعلم الصالح: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟

فأجابه السيد المسيح له المجد بقوله: "أنت تعرف الوصايا: "لاتزن. لاتقتل. لاتسرق. لاتشهد بالزور. لاتسلب. أكرم أباك وأمك" (مر ١٠ : ١٩).

فأجابه السائل مرة أخرى وقال : يا معلم هذه حفظتها منذ حداثتى. فنظر إليه يسوع وأحبه. وهذا دليل على أن هذا الإنسان كان حافظاً للوصايا من جهة، وساعياً لنيل الحياة الأبدية من جهة أخرى.

ومثل هذا الإنسان يحبه السيد المسيح. غير أنه عندما طلب منه أن يعمل لأجل الحياة الأبدية ليكون كاملاً، سكت ومضى حزيناً، لأن أمواله كانت كثيرة (مر ١٠ : ٢٢).

فالحياة الأبدية التى كان يُظهر شدة ميله لعمل الوسائط التى بها يتحصل عليها، لما رأى أنها فى بيع كل أمواله وإعطائها للفقراء، حزن. وقد أصبح محصوراً بين أمرين: حبه لنيل الحياة الأبدية. وحبه لأمواله وعدم ميله لتركها كأن الحياة الأبدية وأمواله صارتا على طرفى نقيض. ومما يؤسف له أنه فضل الأموال على نيل الحياة الأبدية.

وعمله هذا حدى بالسيد المسيح له المجد أن يقول لتلاميذه: "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله (مر ١٠ : ٢٤، ٢٥) ولذلك تحير التلاميذ وقالوا "إذا كان الأمر هكذا فلن يستطيع واحد من الناس أن يخلص" (مر ١٠ : ٢٦).

فأجابهم السيد له المجد بقوله: "عند الناس غير مستطاع. ولكن ليس عند الله. لأن كل شئ مستطاع عند الله" (مر ١٠ : ٢٧). وقوله هذا معناه:

إن الإنسان بنفسه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، ولكن بنعمة الله المساعدة له يستطيع أن يقوم بعمل كل شئ صعب. الإنسان بقدرته الذاتية ضعيف، ولكن بقدرة الله المعضدة له فهو قوى وقوى جداً.

بحسب طبيعته الغير المتجددة لا يستطيع القيام بإتمام أية وصية، ولكن متى تجدد وصار خليقة جديدة فى المسيح يسوع، يصير كل شئ عنده سهلاً للغاية. بل الإنسان بحسب الطبيعة خاطئ أثيم، لا يقدر على الخلاص من خطاياه ونيل الحياة الحقيقية، ولكن بولادته من الله يصير زرع الله ثابت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. وبما أنه باتحاده بالله يصير هيكلاً للروح القدس، ومسكناً للثالوث فيصبح الله هو العامل فيه أن يريد وأن يعمل من أجل المسرة (فى ٢ : ١٣).

هذا هو معنى هذا التعليم الجليل الذى يريد السيد المسيح له المجد أن التفاتنا إليه بقوله: عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله، لأن كل شئ مستطاع عند الله.. وهو تعليم من ألذ وأفيد التعاليم التى يجب أن نوجه كل حواسنا إليها. وسننال بركة عظمى، متى التفتنا إلى ما يريد أن يلخصه لنا الوحى من هذه الآية المقدسة فى أمرين:

أولاً ـ الخطية :

الخطية حمل ثقيل جداً. ويجتهد الخاطئ البائس فى أن يرفع عن كاهله هذا الحمل، ولكن لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً.

فهب أنه وقف تجاه جبل عظيم واستطاع أن يزحزحه من موضعه، فلا يستطيع أن يزحزح حمل الخطية الملقى على نفسه. فكم هو ضعيف وضعيف جداً، إذ يصرخ بأنين قائلاً: "ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت" (رو ٧ : ٢٤). ولكن إذا جاء إلى الله له المجد، وطلب من السيد المسيح أن يساعده على نزع الشر من داخله، استطاع حالاً الحصول على التحرر من عبودية الخطيئة المهلكة، لأن كل شئ مستطاع

عند الله. إذا جاء إلى الله واستطاع أن يؤمن بقدرته على كل شئ فكل شئ مستطاع للمؤمن.

١ ـ أريكم الإنسان الآن فى قوته أمام الخطية ومعه الله، ثم أريكم إياه وهو بعيد عنه: ترون هذه الحقيقة صورة واضحة فى شمشون الجبار. فكم من الغرائب صنع هذا الجبار الصنديد. إذ بلحى حمار قتل ألف رجل. وكانوا يوثقونه بسبعة أوتار طرية لم تجف، فكان يقطعها كما يقطع الفتيل عندما يحترق. حمل على كتفه باب المدينة مع العارضة والقائمتين، وصعد بها كلها فوق الجبل. ولكن لما خان الله بتدنيس نفسه، وابتعد عنه عز وجل، فارقه روح الرب.

ولما قيل له كما فى كل مرة الفلسطينيون عليك ياشمشون؟ قال "أنتصب حسب كل مرة وأقوم. ولم يعلم أن الرب فارقه. فبدأوا بإذلاله. ثم أخذوه وقلعوا عينيه، وعملوا به من ضروب الهزء والسخرية مالا يقف عند حصر. وقد كان بالأمس جباراً رعديداً لايقف أمامه أى جيش من الأعداء" (قض ١٥، ١٦) فالإنسان بقوته الطبيعية أمام الخطية ضعيف جداً. ولكن بروح الله الساكن فيه يستطيع أن يدوس الخطية والشر وكل قوة العدو (لو ١٠ : ١٩).

٢ ـ ثم أريكم الإنسان بحسب طبيعته قبل أن يتغير ويتجدد. وأريكم إياه أيضاً بعد تغييره وتجديده ترون صورة واضحة عن ذلك فى شاول بن قيس.

يخبرنا الكتاب المقدس عن شاول أنه كان شريراً يصاحب الأشرار والبطالين . وكانت له سمعة رديئة عند جميع عارفينه. وكانت الأمثال تضرب بانغماسه فى السوء والرذيلة. وفوق ذلك كان معجباً بنفسه وبطول قامته، فخوراً وقحاً أنانياً.

ولكن لما صب صموئيل النبى على رأسه من قنينة الدهن المقدس، وتنبأ له أنه عندما يجد جماعة الأنبياء يتنبأون ويدخل بينهم، إنساناً، يحل عليه روح الرب، فيتنبأ معهم، ويتحول إلى رجل آخر بمعنى أنه يصير إنساناً جديداً، له قلب جديد وروح جديدة، له عينان جديدتان، ويدان جديدتان، ورجلان جديدتان. وهكذا تتبدل جميع حواسه بحواس جديدة مقدسة، بحسب الإنسان المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق. وقد تم ذلك

لشاول. إذ أنه عندما دخل بين زمرة الأنبياء وركع بينهم، حل عليه روح الرب، وصار يتنبأ معهم. الأمر الذى جعل الناس يندهشون ويتخذون من هذا الأمر العجيب مثلاً قائلين: "أشاول أيضاً بين الأنبياء" ؟ (١صم ١٠ : ١١).

ولما طلبوه للمُلك على مملكة إسرائيل، فمع أنه كان فخوراً، إذ أنه تواضعاً منه فقد هرب واختبأ بين الأمتعة على السطح. ولما لم يرضى به بنو بليعال (اللؤماء) ليكون ملكاً عليهم، مع أنه كان حقوداً غضوباً، صفح عنهم. ولما أراد الشعب إدانتهم والإنتقام منهم بالموت، رفض هو بتاتاً. وقال: "لا يُقتل أحد فى هذا اليوم، لأنه فى هذا اليوم صنع الرب خلاصاً فى إسرائيل" (١صم ١١ : ١٣).

فما أعظم الفرق بين حالته الأولى، قبل التجديد. وحالته الثانية، بعد التجديد. فاستطاع بعد تجديده أن يعمل هذه الأمور المدهشة، بمساعدة الله له، لأن كل شئ مستطاع عند الله.

حدث بين كاهن وبين إنسان حديث طلى، له مساس بموضوعنا هذا، لذلك أورده الآن لإتمام الفائدة وهو:

قال السائل للكاهن: هل إذا تاب الخاطئ عن خطاياه يقبله الله؟

فأجابه بالإيجاب. فقال أيضاً: وهب أنه عاد ورجع إلى خطاياه مرة ثانية، فهل إذا تاب وندم يقبله الله؟ أجابه: بلا شك يقبله. فكرر ثالثاً قائلاً: وافرض أنه بعد توبته الثانية، عاد إلى فعل الخطية، ثم ندم ورجع إلى الله بالتوبة، فهل يعود الله ويتراءف عليه ويقبله؟

ثم أراد السائل أن يكرر ذكر التوبة والارتداد مراراً. أجابه قائلاً: مهلاً. أن هذه التوبة التى تنوه عنها ليست هى توبة حقيقية. بل هى توبة وهمية. لأن التوبة الحقيقية لا تكون بمجرد عمل الإنسان وحده. كلا، ولكن بعمل الله فيه. فيقبل توبته، ويعطيه قوة سماوية تباعده على ترك خطاياه بالمرة. ويسوع له المجد يخلصه ويغسله من خطاياه غسلاً تاماً، وبعد ذلك يملأه من النعمة، ويساعده بروحه.

ومتى كانت هذه التوبة الحقيقية توبة أى خاطئ فلا ولن يعود إلى الخطية ليستعبد

لها، كما كان قبلاً عائشاً فيها.

فقال السائل: وهل يستطيع إنسان فى العالم أن يعيش بلا خطية؟ وكيف ذلك فأجابه : إن الإنسان يستطيع أن يعيش بلا خطية لأن الله معه وفيه يقول بولس الرسول : "لأنه إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية" (رو ٨: ١٠). ولأن الله معه فكل شئ مستطاع عند الله.

أمامنا شاول الطرسوسى. وكيف إنه كان ذاهباً إلى دمشق، وليس له غرض إلا اضطهاد وتشتيت المسيحيين، والإنتقام منهم بكل وسيلة، ليتركوا المسيحية ويتهودوا. ولكن ظهر له الرب يسوع المسيح فى الطريق فى نصف النهار، وأبرق حوله بنور عظيم، فسقط على الأرض من بهاء النور، الذى هو أفضل من لمعان الشمس. وناداه قائلاً شاول. شاول. لماذا تضطهدنى؟ فقال شاول من أنت يارب؟

فقال الرب : "أنا يسوع الذى أنت تضطهده، صعبٌ عليك أن ترفس مناخس" (أع ٩ : ٣ ـ ٥) عرف شاول ضلاله، وأدرك مقدار شره العظيم.

فقال للرب : "ماذا تريد يارب أن أفعل ؟" (أع ٩ : ٦). ثم قدم توبة حقيقية قبلها الله. وما أعجب وأغرب من أن نعلم أن شاول الخاطئ هذا بعد توبته يصير بولس الرسول العظيم والإناء المختار للرب ولسان العطر وبوق المسيحية.

ولقد تعجب المؤمنين عندما رأوا شاول الطرسوسى يتغير هكذا، وينادى بغيرة وقادة باسم المسيح الذى كان عازماً على إبادة ديانته فكانوا يسمعون "أن الذى كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذى كان قبلاً يتلفه. فكانوا يمجدون الله فيه" (غلا ١ : ٢٣، ٢٤).

فالخطية أيها الخاطئ وإن تكون لديك من المستحيل تركها والابتعاد عنها والتغلب عليها، ولكن بنعمة الإله ومساعدته وعمل يسوع المسيح له المجد فيك تصير كلا شئ أمامك. ويجب عليك لكى تجعل الله يعينك ويساعدك عليها أن تمقتها وأن تبتعد عنها

فيجعلك تسود عليها. لأن ذلك ما قرره بقوله : "إن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها" (تك ٤ : ٧).

ثانياً ـ محبة المال :

لما قال السيد له المجد لهذا الغنى : "بع كل مالك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالَ اتبعنى" (مر ١٠ : ٢١). لم يقبل ومضى حزيناً وفضل أمواله على نيل الحياة الأبدية التى كان يطلبها بتلهف شديد.

وهذا حال وعمل سائر أهل العالم الماديين الذين لم تتجدد طبيعتهم، فإن حبهم للمال حب متين، حتى أنهم يعبدونه كإله.

ألم يقل عنهم السيد المسيح له المجد: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لاتقدرون أن تخدموا الله والمال" (مت ٦ : ٢٤).

ومع أن هذا الإنسان كان حافظاً للوصايا إلا أن محبة المال كانت متملكة عليه لدرجة فاقت عن محبة الله كما ترون. وهكذا محبو المال طالما يعبدون الله ويحفظون كثيراً من وصاياه (إلا فيما يختص بالمال) فيخالفون. وطالما يظهرون كقديسين، وأحياناً يتوهمون فى نفوسهم أنهم من القديسين، ومع الناس لسانهم طيب جداً (حلو اللسان وعديم الإحسان) وعندما يطلب منهم شئ ليقدموه من أموالهم فيما يؤول لمجد الله وخلاص النفوس تراهم يتنحون ويحزنون ويكتئبون ويهربون هروب الفريسة من الأسد، كأنهم بأموالهم يعيشون ويتحركون ويسعدون ـ وبدونها يموتون جوعاً وعطشاً، وكل ما هو لله ينسبونه لأموالهم. ولكن الناس المؤمنين الذين تجددت طبيعتهم ونالوا نعمة الميلاد الشافى، عندهم أموالهم أمانة محفوظة لديهم إلى وقت الطلب، فعندما يطلبها صاحبها يقدمونها له بأرباحها. لذلك تراهم عندما يلاحظون أن عملاً من الأعمال.أنشئ لمجد الله كبناء بيت له أو إنشاء مدرسة أو عمل مشغل أو مستوصف أو مستشفى. يقدمون من

نفوسهم عن طيب خاطر وبسخاء عظيم مدهش. وما لنا نذهب بعيداً وهوذا القديسون الأُول في الجيل الرسولى كانوا يبيعون ممتلكاتهم ويأتون بأثمان المبيعات ويطرحونها عند أرجل الرسل فيوزعونها على إخوتهم المسيحيين بالتساوى دون أن ينتظروا لها رجوعاً.

ولكى نقدم لكم دليلاً محسوساً به ترون الفرق بين الإنسان القديم والإنسان الجديد.

فهوذا زكا العشار بالأمس، كان طماعاً يظلم ويكذب ويشى في الناس ويجمع من الأموال المحرمة بطمع وجشع وحشيين.

واليوم بعد ما دخل المسيح له المجد إلى بيته، يشعر بكراهية تامة لعمله الأول، ويقرر أن أمواله صارت ليست له وحده، فيقول: "يارب. ها أنا أعطى للمساكين نصف أموالى" (لو ١٩ : ٨).

يا للعجب: يقدم نصف أمواله للمساكين مرة واحدة؟

وكذلك يقرر أيضاً قائلاً: وإن كنت قد وشيت بأحد فأرد أربعة أضعاف.

فنرى أن زكا الثانى هو غير زكا الأول وذلك بالتجديد الإلهى له.

أمامنا شخص آخر وهو متى الإنجيلى والرسول. فقد كان عشاراً أيضاً. وكان بالأمس يجمع الأموال المحرمة ويكتنزها، ويطمع ويكذب ويشى ويسرق ويبيع دينه بدنياه. واليوم عندما ذهب إليه السيد المسيح وقال له اتبعنى "فترك كل شئ وقام وتبعه" (مت ٩ : ٩).

يا للعجب فى أن يترك كل شئ مرة واحدة، وهذا منتهى العفة والتقوى الحقيقية. وما أعظم الفرق بين متى هذا وبين هذا الشاب الغنى الذى كان يفتش على الواسطة التى بها يتحصل على ملكوت السماء وعن أمجادها، وأما معلمنا متى هذا فلم يطلب منه شئ ومع ذلك يترك كل شئ ـ وهذا طبعاً عائد إلى عمل النعمة فى القلب وتجديد الروح القدس للطبيعة الفاسدة فى الإنسان.

الشهداء والقديسون يخبرنا التاريخ إن معظمهم كانوا من أولاد الملوك وأولاد الوزراء والعظماء والأمراء والأغنياء، وكانت تسلب منهم أموالهم أمام أعينهم، فكانوا لا يهتمون

لها، لأنهم كانوا يطلبون الحياة الأبدية.

وما أحسن ما يخاطبهم به بولس الرسول بقوله لهم:

"فإنكم قبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين فى أنفسكم أن لكم مالاً أفضل فى السموات وباقياً" (عب ١٠ : ٣٤).

فهذا الشاب المسكين مع أنه كان يشخص للأمجاد الأبدية ويسرع إليها ويركض ويجثو للسيد المسيح ليدله عن الواسطة التى يفوز بنيلها، إلا أنه كان يشخص إليها بعينيه الجسدنيتين فى الطبيعة القديمة الغير المتجددة بخلاف معلمنا متى وزكا والشهداء والقديسين الأُول، فإنهم كانوا يشخصون إليها بعيونهم الجديدة فى الطبيعة الجديدة التى تحصلوا عليها من الله. فاعتبروا أن لهم مالاً أفضل من هذا المال فى السماء وهو مال يبقى إلى الأبد. لذلك ضحوا بكل شئ من أموالهم وممتلكاتهم بكل رضى وارتياح.

إذن الناس البخلاء الذين لأموالهم سلطان عليهم فيكتنزونها ولا يجودون منها على الأعمال الخيرية التى تمجد الله، هم أُناس عالميون غير متجددين، ولا ولن يمكن لهم أن يكونوا يوماً ما أسخياء لأنهم محرومون من النعمة بعيدون عن الله الذين بقدرته يستطيعون كل شئ. وكما رجع الشاب خائباً وحُرم من الفردوس والحياة الأبدية، هكذا هم سيحرمون منها، ومرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل أحدهم إلى ملكوت الله. ولكن إن أدركتهم النعمة الإلهية، بل بالحرى إن أتوا إلى الله وتابوا عن بخلهم هذا وطلبوا منه أن يهبهم نعمة التجديد والتغيير، فإنه له المجد يقبلهم ويجددهم ويصيرهم خليقة جديدة. فيضحون بكل شئ إكراماً له، وتكون أموالهم وفقاً لإرادته ويتصرفون فيها حسب مشيئته. لأن الغير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله ـ لأن كل شئ مستطاع عند الله.

الذى له المجد إلى أبد الآبدين وإلى دهر الداهرين. آمين.

كلمة موجزة فى ليالى الآحاد الأربعة لشهر كيهك

السبعة وأربعة

تقيم الكنيسة القبطية فى ليالى الآحاد الأربعة لشهر كيهك صلوات باسم السبعة وأربعة وهى الصلوات التى يسهر فيها الشعب فى انتظار الملك الآتى بالفرح والتسبيح. وفكرة السهر لملاقاة السيد المسيح فى مجيئه الثانى تنفيذاً لأمره القائل: "اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم" (مت ٢٤ : ٤٢).

١ ــ مجيئه ثانية:

أما أنه له المجد سيأتى فأمر لا خلاف عليه بدليل قوله: "وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ" (يو ١٤ : ٣). ومبدأ مجيئه الثانى مقرر فى قانون الإيمان وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات.

٢ ــ مجيئه ليلاً:

إن مجيئه الثانى سيكون ليلاً من قوله له المجد:

+ "لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب" (مت ٢٤ :٤٣).

+ وأيضاً فى كلامه عن عودة سيد العبيد "وإن أتى فى الهزيع الثانى" (لو ١٢ : ٣٨).

+ وقوله فى مثل العذارى "ففى نصف الليل صار صراخ...." (مت ٢٥ : ٦).

+ ومن أدلة مجيئه وحدوث القيامة ليلاً أن يسبق ذلك "إن الشمس تظلم والقمر لا يُعطى ضوءه ونجوم السماء تتساقط" (مر١٣ : ٢٤ ، ٢٥). لأن نوره (المسيح) يقهر نورهما.

+ وكما قام من الأموات ليلاً "باكراً جداً والظلام باقٍ" (يو ٢٠ : ١).

+ وكانت قيامته عربوناً لقيامتنا "فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام" (١كو ١٥ : ١٣).

+ كذلك يكون مجيئه ليلاً. وكانت قيامته ليلاً ليعلمنا أنه النور الذى به نستضىء من ظلمات الخطيئة ولهذا تحتفل الكنيسة بعيد القيامة ليلاً.

٣ – مجيئه ليلة الأحد:

قرر آباء الكنيسة أن ليلة مجيئه تكون ليلة الأحد بدليل:

١ ـ قيامته من الأموات كانت ليلة الأحد.

٢ ـ فى اليوم السادس "أُكملت السموات والأرض وكل جندها" (تك ٢ : ١).

٣ ـ وفيه لابد أن ينقضى العالم طبقاً للقاعدة الإلهية المعروفة وهى أن كمال التدبير يكون مثل بدايته. والأمثلة كثيرة:

+ فآدم خُلق وأخطأ ومات روحياً وطُرد من الفردوس يوم الجمعة ولهذا صُلب فاديه يوم الجمعة.

+ وقد ارتكب خطيته فى بستان والسيد وهب الخلاص بقبره فى بستان.

+ وخُلق آدم فى سن الثلاثين واعتمد رب المجد آدم الثانى ومبدأ العالم الجديد فى سن الثلاثين.

+ وكما أنه عند إنشاء العالم تكونت أكثر الأشياء حتى السموات من المياه المخلوقة فى اليوم الأول فقد أراد الله أن يولد الإنسان ولادة ثانية روحية من ماء المعمودية.

+ وكما أخفى الشيطان نفسه فى الحية فأسقط آدم هكذا أخفى المخلص لاهوته فى الناسوت وخلص البشرية.

+ وكما بدأ شعب الله المختار من عجوز وشيخ هما سارة وإبراهيم. كذلك كان انتهاؤه على يد عجوز وشيخ هما أليصابات وزكريا.

٤ ـ هذه الليلة تسبق يوم الرب، يوم الراحة الذى يشير إلى يوم الرب السعيد وراحته الأبدية، ذلك اليوم الذى لا يعقبه ليل أو تعب.

٥ ـ هذه الليلة هى نهاية الأسبوع اليومى الذى يشير إلى الأسبوع الدهرى فى نهايته يكون المجىء الثانى للمسيح.

٤ ـ مجيئه فى ليلة من ليالى آحاد كيهك:

قال الرب فى حديثه عن مجيئه الثانى: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد" (مت ٢٤ : ٣٦) وتحديد هذا المجىء تقريباً هى فترة الصوم التى تقع فى شهر كيهك وهى التى يعقبها الاحتفال بمجيئه الأول حتى يكون مجيئه الثانى فى مثل ميعاد مجيئه الأول.

طقس السبعة وأربعة

بشرت البتول العذراء مريم بالحَبَلْ الإلهى فى التاسع والعشرين من شهر برمهات حسب التقويم الأرثوذكسى ونظراً لأن المولود الإلهى شارك البشر فى كل شىء ما خلا الخطية فقد ظل محمولاً به في بطن العذراء تسعة شهور كاملة.

ولأن الشهر التاسع للحمل هو شهر كيهك لذلك كانت له أهمية خاصة فى الكنيسة الأرثوذكسية ولأن فى التاسع والعشرين منه تحتفل الكنيسة بذكرى ميلاد المخلص الفادى والإله المتأنس بالجسد. لذلك رتبت الكنيسة الأولى أن تقام الصلوات طوال ليالى آحاد هذا الشهر وتقرأ فيها التسابيح والمدائح التى تشيد بفضل السيدة العذراء وطهارتها. ويطلق على هذه الصلوات هاتين الكلمتين المشهورتين: "سبعة وأربعة".

وقبل أن أبدأ بشرح هذه التسمية أشير إلى أن صلاة العشية فى ليالى آحاد شهر كيهك تختلف اختلافاً بيناً عنها فى الشهور العادية إذ تتميز بأن يقرأ بعد كل قطعة من القطع التسع من ثاؤطوكية يوم السبت ما لا يقل عن ستة تفاسير ثلاثة منها تقرأ باللغة القبطية ومثلها بالعربية من بين التفاسير الاثنى عشر المذكورة بالابصلمودية الكيهكية وهى ستة باللغة القبطية ومثلها بالعربية وكلها مدح فى السيدة العذراء وشرح لعملية الفداء ويمتاز هذا المديح بنغمة خاصة تمييزاً للشهر الكيهكى عن الشهور الأخرى من السنة.

أعود الآن إلى شرح سبعة وأربعة فأقول أن هاتين الكلمتين تنقص كل منهما كلمة أخرى وبوضع الكلمتين الناقصتين يكون القول الصحيح هو سبع ثاؤطوكيات وأربعة هوسات. ومعنى كلمة ثاؤطوكية بالعربية مديح لوالدة الإله وأما هوس فمعناها تسبيح.

ونظراً لأن الأسبوع سبعة أيام فقد رتبت الكنيسة الأولى أن يكون لكل يوم ثاؤطوكية (مديح) خاصة تقرأ باللغة القبطية حتى إذا أقيمت الصلاة يومياً وجد مرتل الكنيسة الثاؤطوكية الملائمة.

وتتميز كل ثاؤطوكية عن الأخرى بقرار خاص لا مانع من ذكره باللغة العربية.

فثاؤطوكية الاثنين: أشرق متجسداً من العذراء بغير زرع حتى خلصنا.

وثاؤطوكية الثلاثاء: لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا.

والأربعاء: الآب تطلع من سماه فلم يجد من يشبهك. أرسل وحيده أتى وتجسد منكِ.

والخميس: لم يزل إلهاً. أتى وصار ابن بشر. لكن هو الإله الحقيقى أتى وخلصنا.

والجمعة: هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له. نسبحه ونمجده ونزيده علواً.

وثاؤطوكية السبت: السلام لكِ يا ممتلئة نعمة. السلام لكِ يا من وجدت نعمة. السلام لكِ يا من ولدت المسيح. الرب معكِ.

والأحد: نسأل ونطلب أن نفوز برحمة بشفاعتكِ عند محب البشر.

وأما الأربعة هوسات (تسابيح) فكلها تسبيح للعزة الإلهية وتخدم الأربعة هوسات طوال أيام الأسبوع.

ونظراً لأن التسبحة الكيهكية تبتدئ بعد ظهر السبت وتظل مستمرة حتى صباح الأحد وفى هذه الليلة تقرأ القراءات الخاصة بالأسبوع كله وهى الثاؤطوكيات السبع والهوسات الأربعة مع المدائح المرتبة عليها لذلك يطلق على هذه التسبحة هاتين الكلمتين المشهورتين "سبعة وأربعة".

وما المدائح التى تقرأ فى هذه التسبحة فهى مدائح مشجية نغماتها متعددة غير أن هناك نغمتين غالبتين هما نغمة الآدام ونغمة واطس. والأولى تردد أيام الأحد والاثنين والثلاثاء، والثانية أيام الأربعاء والخميس والجمعة والسبت.

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من شهر كيهك .

كلمة الحق تريح وتتعب

«الحق أقول لكم...» (مر ١٤ : ٩).

إن الصراع بين الحق والباطل ليس بالأمر الهين. ولا يجدنَ الإنسان يوماً هذا الميدان متكافىء العدد بين صفى المتصارعين، بل على العكس، يرى صف الباطل وقد ازدحم بالمتطوعين بينما يكاد يخلو صف الحق من المجاهدين.

فيرفع أهل الباطل عقيرتهم يعيرون الحق وأهله والمنتسبين إليه، حتى يطفح كيل الباطل وتزداد وقاحة أهله إلى حد التجديف على قوة إله الحق فيغلى دم الشجاعة فى عروق أحد الغيورين على مجد الله فيندفع إلى الميدان.

وبنعمة الله وإرشاده نتكلم عن أربع نقاط وهى:

١ـ كلمة الحق تريح:

كلمة الحق تريح قائلها، تريح ضميره وقلبه، لأنه شهد للحق.

وكلمة الحق تريح سامعها أو قارئها، إن كان محباً للحق، غير متحيز للناس، وغير متحيز لنفسه. إنها تريح الضمير الحى ـ حتى إن كانت تمسه أو إن كانت ضده ـ لأنها صالحة لخلاص نفسه.

الذى يسير دائماً فى طريق الحق لا يستاء مطلقاً من كلمة الحق أن تقال أو أن تكتب، بل يشجعها.

وكلمة الحق تريح الملائكة وأرواح الأنبياء والرسل والقديسين، لأنها شهادة للحق الذى عاشوا فيه وعاشوا به وعاشوا له.

وفوق الكل فإن كلمة الحق تريح الله ذاته. لذلك كان باستمرار يشجع قائليها، ويقف إلى جوارهم يدافع عنهم... ما أجمل قوله فى ذلك لبولس الرسول: "لا تخف، بل

تكلم ولا تسكت، لأنى معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨ : ٩، ١٠).

ونحن نقول الحق لهذه الأسباب جميعاً:

أولاً: لنرضى الله، ونرضى الحق ذاته.

وثانياً: لنرضى ضمائرنا.

وثالثاً: لنرضى جميع محبى الحق من المنتقلين والأحياء. نرضى المنتقلين بأن نتمم رسالتهم التى عاشوا لها، ونفرح الأحياء بأن نعبر عما يحسونه ويريدون أن يقولوه...

ورابعاً: فإننا نقول كلمة الحق حرصاً على خلاص نفس من تمسه هذه الكلمة، لكى يعرف أين هو سالك، ويتدبر أمره. .

٢ - كلمة الحق تتعب:

على أن كلمة الحق قد تتعب كثيرين من الذين لا يسيرون فى طريق الحق... تتعبهم لأنها تكشفهم، وذلك لأنها مضيئة تنير أذهان الناس.

والبعيدون عن الحق يستترون دائماً بالظلام لأنه يخفيهم ويسترهم. لذلك قال عنهم الكتاب المقدس: أنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور" (يو٣ : ١٩).

إن الحق نور يكشف أستار الظلام، لذلك فهو مكروه من العاملين فى الظلام. وهم يكرهون كلمة الحق أيضاً لأنها تحرمهم من المجد الباطل ومن مديح الناس. لذلك، إن تعبت يا أخى من كلمة الحق، فلا تتهم كلمة الحق ـ بل حارب نفسك فى محبتها للمجد الباطل. واشكر من قال لك الحق، لأنه أيقظ ضميرك ودعاك للتوبة...

إن كلمة الحق تريح من يهتم بخلاص نفسه لأنه يفرح بمن يكشف له خطأه لكى يعالجه. ولكنها تتعب الذى لا يفرح إلا بالكرامة العالمية، حتى إن هلكت نفسه ضحية لتلك الكرامة الزائفة.

من أجل هذا قال بولس الرسول: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله، فى الذين يخلصون،

وفى الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة" (٢كو٢: ١٥، ١٦).

نعم، إن كلمة الحق متعبة للبعض. كان أخآب الشرير يتعب من كلام ميخا النبى. لذلك قال عنه: "إنه يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب به ولكنى أُبغضه لأنه لا يتنبأ علىّ خيراً بل شراً" (١مل ٢٢: ٨).

وهكذا نظر أخآب إلى إيليا النبى كعدو له. وعندما قابله النبى، جابهه أخآب بقوله: "هل وجدتنى يا عدوى؟!" فقال إيليا: "قد وجدتك، لأنك بعت نفسك لعمل الشر فى عيني الرب" (١مل ٢١: ٢٠).

٣ ـ هل يصمت الحق لأنه يتعب البعض؟!:

إن كانت كلمة الحق تتعب بعض الناس، فهل نبطل قول الحق لكى يستريح الناس؟! أى هل نجامل الناس على حساب الحق؟ وإن فعلنا ذلك، فهل يستريح ضميرنا؟ وهل يستريح الناس حقاً بالمعنى الروحى للكلمة؟!!.

قال المعمدان كلمة حق. كانت تريح الله، وتريح روح موسى النبى كاتب الشريعة، وتريح الذين يحبون الحق ويشمئزون من الباطل. ولكنها كانت تغضب هيروديا. فهل كان ينبغى أن يمتنع يوحنا المعمدان عن قول الحق الذى يغضب هيروديا ويحرج هيرودس؟!!.

إن كلمة الحق لم تكن تتعب هيروديا فقط، وإنما كانت تتعب يوحنا نفسه، حسب الجسد، لأنه بسببها قُبض عليه وسُجن وقُتل. ولكن راحة ضميره كانت بالنسبة إليه هى كل شىء.

حسنٌ إذن أن نقول: إن كلمة الحق تريح الروح وتتعب الجسد.

كثيراً ما كلف الله أولاده بأن يقولوا كلمة حق متعبة للبعض، فهل كان يجوز أن يمتنعوا عن توصيل كلمة الحق مجاملة للناس؟!! أم يقولوا الكلمة طائعين الله، وليدبر

الرب الأمر كما يشاء....؟

رسالة صعبة وضعها الرب على عاتق صموئيل الطفل لينقلها إلى كاهن عظيم، وأكبر منه مقاماً وسناً، هو عالى الكاهن، الشيخ الكبير الذى تولى تربية صموئيل من صغره... فهل كان يجوز لصموئيل أن يمتنع عن قول الحق إجلالاً للشيخ الوقور الذى رباه؟ (١ صم ٣).

موقف آخر من نفس النوع حدث بين بولس وبطرس: أخطأ بطرس الرسول العظيم إذ سلك مسلكاً ريائياً فهل يجرؤ بولس ويقول كلمة الحق، أم يستحى منه لأنه أكبر منه سناً وأقدم منه فى الخدمة والكرازة والتلمذة للرب يسوع، كما كان من أعمدة الكنيسة، وكان أحد أعضاء المجمع الذين أرسلوه للخدمة...؟

كلا، إن بولس لم يستحِ، بل قال: "قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً" واستطرد: "لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟!" (غل ٢: ١١، ١٤).

موقف آخر من نفس النوع حدث فى تصرف أليهو بن برخئيل البوزى مع أيوب وأصحابه الثلاثة. "وكان أليهو قد صبر على أيوب (وأصحابه) بالكلام، لأنهم أكثر منه أياماً"... كان فتى وكانوا هم شيوخاً. لذلك خاف وخشى أن يبدى لهم رأياً. وأخيراً لم يستطع أن يصبر. فلم يتكلم فقط، وإنما حمى غضبه أيضاً عليهم. وتكلم الله على فم أليهو، فوبخ أيوب وأصحابه وشهد للحق فقال: "أُبدى أنا أيضاً رأيى، لأنى ملآن أقوالاً. روح باطنى تضايقنى. لا أحابينَ وجه رجل، ولا أملث (أتملق) إنساناً. لأنى لا أعرف الملث، لأنه عن قليل يأخذنى صانعى" (أى ٣٢: ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢). وهكذا قال لأيوب: "ها إنك فى هذا لم تصب. أنا أجيبك" (أى ٣٣: ١٢). وأيوب الذى جادل أصحابه الثلاثة لم يستطع أن يرد على أليهو الذى كان يتكلم بكلمة الله.... كان يجب على أليهو أن يقول كلمة الحق، مهما أتعبت أيوب.

قلنا أن كلمة الحق تريح وتتعب وبقىَ أن نقول:

٤ ـ الحق يُعذب ولكنه لا يغلُب:

خرجت على أثناسيوس الرسول جحافل الأريوسيين، وجردت عليه سيوفها، فما لانت للبطل قناة، لأنه كان معتصماً بحب الله، فطاردوه، حتى نُفِيَ ثمانى مرات. ولكنه ظل راسخاً على صخرة الحق والثبات، فَضُرِبَ به المثل فى الجهاد، فقيل: (أثناسيوس ضد العالم).

أجل لقد صار أثناسيوس مثالاً... فلقد قيل له: "العالم ضدك يا أثناسيوس" فقال: "وأنا ضد العالم" ـ فقالوا له: كيف ذلك؟ فقال: "لأن الله معى. فإن كان الله معنا فمن يقدر علينا؟؟".

وهكذا انتصر صاحب الحق الأعزل على جيوش الباطل (هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل، أما نحن فباسم الرب إلهنا ننجو". فمن روح أثناسيوس نتعلم أن الحق يُعذب ولكنه لن يغلُب.

وهكذا فى كلِ زمانٍ ومكان يتصارع الحق مع الباطل، والخير مع الشر، والطهارة مع الفساد، والحرية مع الطغيان، فتزدحم صفوف الباطل والشر والفساد بالمتطوعين لأن الشر والفساد فى طبيعة البشر، فتراهم بطبيعتهم يميلون إلى الجانب الباطل الأثيم. كما إن الطبيعة البشرية تنفر من التعب والكفاح المضنى الذى يستلزمه الحق فى صراعه مع الباطل. ولكن الحق لا يعدم أنصاره، وإن كان أنصاره من القلة بمكان حتى لا تراهم العيون، وإذا وقعت عليهم العيون احتقرتهم كما احتقر جليات داود.

إلا أن هذه القلة الضئيلة لها قدرتها على تبديد ظلام الباطل الكثيف. ألا ترى كيف يبدد مصباح كهربائى صغير الحجم جداً ظلام غرفة كبيرة فسيحة.

إن هذه القوة التى تتغلب على الباطل والشر والفساد هى قوة غير طبيعية، وأسلحتها ليست الأسلحة العادية، ومخازنها ليست من الأرض ولا معامل الأرض، بل هى أسلحة

سمائية يستوردها جنود الحق عن طريق الصلاة، كما يقول الوحى الإلهى بلسان بولس الرسول: "أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته، البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذى هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة" (أف ٦ : ١٠ــ ٨).

فيا دعاة الحق وطلابه، هذه هى أسلحتكم الوحيدة. إن للشر جنوده العديدين، وللخير جنوده القليلين، فاستعيضوا عن قلتكم بالصلاة والالتصاق برب السماء لتستمدوا العون. ومهما طال الجهاد فإن النصرة فى النهاية للحق والكسرة للباطل والشر والفساد.

فيا جيش الحق لا ترهب العدا لأن الحق هو الله، ومن كان الله إلى جانبه وهو إلى جانب الله فيترنم دوماً قائلاً: "الرب نورى وخلاصى ممن أخاف، الرب حصن حياتى ممن أرتعب. عندما اقترب إلىَّ الأشرار ليأكلوا لحمى، مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا. إن نزل علىَّ جيش لا يخاف قلبى. إن قامت علىَّ حرب ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ١ــ٣).

وله المجد دائماً أبدياً ــ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر كيهك

الإمتلاء بالروح القدس هو سر العظمة

« لأنه يكون عظيماً أمام الرب..... ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو١ : ١٥).

منذ أمد بعيد كان زكريا الكاهن، وامرأته أليصابات يطلبان أن يرزقهما، ولداً يقر أعينهما، ويفرح قلبيهما وينزع من بين الناس عارهما.

وإذ طال الانتظار، وضعف فيهم الرجاء الأصيل، أرسل لهم الواقف قدام الله رئيس الملائكة جبرائيل (أى قوة الله) الملاك المحارب والمخصص للرحمة وبشرهما بميلاد العظيم فى مواليد النساء يوحنا المعمدان ابن الموعد ورسول السماء. خاف زكريا من منظره وارتعب، وهلع قلبه واضطرب، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لكَ ابناً وتسميه يوحنا به يفرح قلبك ويبتهج. ويكون عظيماً أمام الرب خمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس.

لقد دقت ساعة الزمن التى فى علم القدير فكلم الرب البشر بفم ملاكه جبرائيل بعد مضى أربعة قرون ٤٠٠ سنة حيث كانت كلمة الرب عزيزة فلم يحملها نبى إلى شعبه طوال هذه المدة حتى مجىء يوحنا المعمدان مهيىء الطريق للسيد المسيح والنبى المعد كحلقة الاتصال بين العهدين القديم والجديد.

ومن الغريب إن الله قبل أن يفدى شعب إسرائيل من مصر مضت مدة أربعة قرون ٤٠٠ سنة وقبل أن يفدى إسرائيل الروحى فداء أبدياً مضت أيضاً مدة أربعة قرون ٤٠٠ سنة.

ومن الغريب أيضاً أن عائلة عمرام التى أنجبت موسى كليم الله هى العائلة التى خرج منها يوحنا المعمدان "صوت حقه" الصارخ بالتوبة والرجوع إلى الله.

ولقد كان أبوه زكريا ومعنى اسمه (الرب يذكر) كاهناً من فرقة أبيا الذى معناه (أبى

هو الله) من نسل أليعازر الكاهن كما كانت أليصابات أمه ومعناها (الله قسم) من بنات هارون أى من نسله وقد شرفها الله بأن جعلها بنت كاهن وزوجة كاهن وقد شهد الكتاب المقدس عن أبوى يوحنا هذين إنهما كانا "بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم" (لو١ : ٦).

وكيف لا يكون يوحنا ومعناه (الرب يتحنن) عظيماً وقد كان ممتلئاً بالروح القدس فرد بكرازته الملتهبة كثيرين إلى البر. وكان يتقدم السيد المسيح بروح إيليا روح الشجاعة والإقدام فكان يعنف أكبر هيئة دينية فى وقته على ريائهم وهم جماعة الكتبة والفريسيين قائلاً لهم: "يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة لأنه هوذا الفأس قد وضعت على أصل الشجر فكل شجرة لا تثمر تقطع وتلقى فى النار" (لو ٣ : ٧ ـ ٩).

ما هو إذن سر عظمة ونجاح يوحنا المعمدان؟

يجيبنا الملاك على هذا بقوله كما سمعنا فى إنجيل القداس:

"لأنه من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس" (لو ١ : ١٥).

والإمتلاء من الروح القدس هو غير قبول الروح. فقد اجتمع السيد المسيح مع الرسل فى مساء يوم القيامة وقبل أن فارقهم نفخ فى وجوههم وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس" (يو٢٠ : ٢٢) ولكنهم فى يوم الخمسين امتلأوا بالروح (أع ٢ : ٤).

وكما أنه يوجد فرق عظيم بين النفخة والريح الشديد فى العاصفة كما حصل فى يوم الخمسين هكذا يوجد فرق عظيم بين من يقبل الروح القدس ويصير بواسطته خليقة جديدة وبين من يمتلىء بالروح ويصير فى يده آلة مجيدة، ومع ذلك فجميع الذين لم يقبلوا عن طريق التجديد، لا نصيب لهم فى بركة الإمتلاء بالروح، ولو كانوا من أعظم الأعضاء ظهوراً فى كنيسة المسيح.

أيضاً الإمتلاء بالروح منه ما حصل بكيفيات محسوسة ونتائج معجزية، وهذا قد

انحصر دائماً فى الأنبياء والملهمين ومنه ما حصل ولا يزال يحصل بطرق سرية وكيفيات غير واقعة تحت الحواس كلية وبدون نتائج معجزية بالمرة. وهذا حق ممنوح لكل فرد من أفراد المؤمنين الحقيقيين في جميع أجيال الكنيسة.

إن الإمتلاء بالروح معناه هو أن تخضع النفس لقيادة الروح القدس وتأثيراته وأفكاره وإرشاداته إلى حد فيه تمتلىء تلك النفس بقوته وتظهر فيها أثماره الروحية المذكورة صريحاً فى (غل ٥: ٢٢، ٢٣) "وهى محبة. فرح. سلام. طول أناة. لطف. صلاح. إيمان. وداعة. تعفف" ويصبح المؤمن الحقيقى قادراً أن يستعمل جسمه وجميع حواسه الظاهرة مضافاً إليها شغله ونفوذه، وأوقاته. وكل ما يمتلكه كوسائط صالحة لإتمام إرادة الله المرضية الكاملة في حياته. هذا هو الإمتلاء بالروح فى أبسط معانيه فإننا ككنيسة وأفراد حاجتنا العظمى لا تسد إلا بهذا الإمتلاء.

فأولاً. نحن فى أشد الاحتياج لأن تباد من طبيعتنا جراثيم الخطية إبادة قطعية. وكما أن جراثيم بعض الأمراض لا تباد إلا بواسطة مصل مخصوص هكذا الإمتلاء بالروح فإنه المصل الوحيد فى عالم الوجود لإبادة جراثيم الخطية إبادة قطعية أى أن كل مؤمن حقيقى عضواً كان أم خادماً غير ممتلىء بالروح لا يبعد مطلقاً أن تعاوده عدة خطايا، كأن يعتقد بأنها قد فارقته نهائياً فيعيش أغلب أيام حياته مريضاً روحياً.

ثانياً: حاجتنا أن يختفى منا ككنيسة المسيح روح العالم وروح الحسد أو الغيرة الردية. وروح الأنانية أو محبة الذات وروح التحزب وروح الترأس أو حب الظهور تلك الأرواح التى لا تنزع نزعاً تاماً إلا عن طريق الإمتلاء بالروح الذى يقى الكنيسة من خطر الارتداد فكما تجرى الحكومة أحياناً كثيرة تطعيماً عاماً للوقاية من أى مرض معدٍ.

هكذا يحتاج المؤمنون أن يطعموا بالإمتلاء بالروح فى كل حين إيقافاً لسريان ذلك السم القتال سم الارتداد عن محبة المسيح، وقد عبر السيد المسيح نفسه فى (يو ٧: ٣٨) عن الإمتلاء بالروح "بأنهار ماء حى" لأنه يحفظ حياتنا الروحية من التعفن ويطرد مياه الفتور الراكدة المتعفنة من حياة الكثيرين الروحية.

ثالثاً: نحتاج إلى الإمتلاء لأنه لا نكتفى بأن يطهرنا من دنس الروح والجسد فحسب بل يفيض فينا إلى درجة نستطيع معها تطهير ما حولنا أيضاً من الفساد لأن المقصود بالإمتلاء هو الفيضان لجذب الآخرين إلى بر المسيح ومحبته وتخليص نفوسهم كما من لهيب نار هذا العالم الفاسد. وكأن صوت من السماء ينادى ليس فقط خدام الدين بل كل مسيحى بالحق أن "يتكلم ولا يسكت" ارفع صوتك كبوق وأخبر شعبى بتعديهم. وبخ عظ انتهر بكل سلطان. ولو كانت النتيجة أن يفترى على صلاحك بأشنع التهم، أو أن يؤتى برأسك على طبق كيوحنا المعمدان.

الكنيسة فى حاجة إلى خدام بل إلى أعضاء أحياء فى الإيمان ممتلئين بروح الله فيعبرون عن غيرتهم لخلاص النفوس كما عبر سيدهم بقوله: "طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله" (يو ٤ : ٣٤). أو أن يقال عنهم كما قيل عنه "غيرة بيتك أكلتنى" (مز ٦٩ : ٩). أو على الأقل جداً أن يقولوا مع بولس الرسول: "إننى لست أحتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله" (أع ٢٠ : ٢٤).

أما كيف نمتلىء بالروح فهو الأهم فى موضوعنا هذا لا سيما والروح القدس نفسه يأمرنا صريحاً أن نمتلىء بشخصه الإلهى وهذا الأمر الصريح القائل امتلئوا بالروح لا معنى له مطلقاً إن لم يكن معناه أن نضع كل شيء فينا ولنا تحت تصرف الروح القدس.

١ ــ نفوسنا بجميع قواها الباطنية.

٢ ــ أجسادنا بجميع حواسنا الظاهرة وكل ما يوجد بين أيدينا من هبات الله وعطاياه. وإلا كنا غير مخلصين كلية فى طلب الإمتلاء بالروح وبالتالى لا نحصل على شيء قط من هذه البركة العظمى وتفسير ذلك ما يأتى:

١ ــ أما نفوسنا بجميع قواها الباطنية فيمكننا بكل سهولة أن نضعها تحت تصرف الروح القدس وهذا طبعاً بعد التوبة والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين.

نضع بواسطة شركتنا الدائمة والمستمرة مع الله. وهذا معناه أن تعتبر من ضروريات الحياة الروحية التى لا يمكن الاستغناء عنها فنصرف كل يوم وقتاً كافياً فى درس الكتاب المقدس والصلاة لله ليحول كلمته إلى نور وقوة وحياة لنفوسنا الخالدة فهذه الواسطة حسب اختبار الكثيرين من الأتقياء كافية تماماً لجعل عقولنا وضمائرنا وقلوبنا وإرادتنا وجميع قوانا الباطنية تحت تصرف الروح القدس التام خصوصاً إذا كنا نجدد تكريسها لجلاله من يوم إلى يوم ونطلب منه فعلاً أن يستعملها لإتمام إرادته فى حياتنا.

٢ ـ أما وضع أجسادنا بجميع حواسها الظاهرة تحت تصرف الروح القدس فأنا لا أفكر أن الجزء الأصعب فى مأموريتنا هذه ولكن شكراً لله لأنه توجد بعض الوسائط التى تسهل هذا وتجعله ممكناً فعله.

قال السيد المسيح له المجد: إن كنت تستطيع أن تؤمن فكل شىء مستطاع للمؤمن. باعتبار أنك مؤمن حقيقى عليك أن تعتقد من كل قلبك إمكانية وضع جسدك بجميع حواسه الظاهرة تحت تصرف الروح القدس ويسيرا على هذا الاعتقاد فتراه ممكناً فعلاً. أيضاً اذكر النص فى (رو ٨ : ١٤) "وهو كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله".

وأنت بنعمة التجديد قد صرت ابناً لله فعلاً وبالتالى أصبحت تحت قيادة الروح القدس وخضوعك لتلك القيادة يسهل عليك جداً وضع الجسد بجميع حواسه الظاهرة تحت تصرف الروح القدس.

قيل عن المسيح فى (لو٤ : ١) "وأما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً بالروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية". أى أن المسيح وضع جسمه بكل قواه تحت تصرف الروح القدس فقاده الروح إلى البرية ليجرب من إبليس وخضوعه التام لتلك القيادة كان دليلاً قاطعاً على كونه ممتلئاً بالروح. وهذا نفس ما يطلب منكم إذا أردتم أن تمتلئوا بالروح.

أخيراً يجب أن تذكروا النص الوارد فى (عب ٤ : ١٦) وهو "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة وعوناً فى حينه".

فإذا شعر أحد يوماً ما أنه على وشك أن يضعف أمام إرادة الجسد فليرفع نظره حالاً إلى عرش النعمة وليطلب عوناً فى حينه فيخضع الجسد فى الحال لإرادة الروح. وطالما كنا روحاً وجسداً تحت قيادة الروح فلا نجد أقل صعوبة بل بكل سرور نضع تحت تصرف الروح القدس كل ما وضعه الرب بين أيدينا من سلطة ونفوذ ومال وعقار وأوقات وأعمال ويصبح الوصف الدائم والمستمر لحالتنا الروحية إننا ممتلئون بالروح.

قوانا الله بنعمته حتى نقدر هذه البركة العظمى حق قدرها فنصبوا إليها ونتلهف لنيلها ونجهز ذواتنا بالتوبة الصادقة لقبولها ثم نضع كل شيء فينا ولنا تحت تصرف الروح القدس المطلق ومن ثم نطلبها واثقين إن الذى أعطى يوحنا المعمدان ووعد أن يعطى الروح القدس للذين يطلبونه. لأن يتمم وعده فننال هذه البركة فنصير عظماء ليس أمام الناس فحسب بل أمام الله نفسه.

ليتمجد فى مختاريه إلى الأبد وله المجد من الآن وإلى آباد الدهور كلها. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر كيهك

توبة المرأة الخاطئة

«فقال للمرأة إيمانكِ قد خلصكِ اذهبى بسلام» (لو ٧ : ٥٠).

نتكلم اليوم لا فى آية من أصحاح، بل فى إنجيل بأكمله. لأنه إذا كان الإنجيل معناه بشرى أو خبر مفرح، وإذا كان الفرح الحقيقى هو ما ينشأ عن شعور النفس بغفران خطاياها، كان موضوع المرأة الخاطئة التى غسلت قدمى السيد المسيح فى بيت سمعان الفريسى إنجيلاً كاملاً، لأنه يُبشر الخطاة بيسوع المخلص ويعبر عن مبلغ عطفه على الخطاة، فإذا تكلم عنهم أو إليهم كان البلسم فى كلماته لتضميد جراحهم الدامية، وإذا نظر إليهم كفكف دموعهم الجارية وغفر خطاياهم ... ومما يخفف من قساوة أهل العالم عليهم. فمع كون الناس خطاة، إلا أنهم يعيرون الخطاة نظيرهم ويتقسون عليهنَ فى الأحكام.

أما يسوع، فمع كونه "قدوس وبلا خطية وقد انفصل عن الخطاة" (عب ٧ : ٢٦)، فتراه دُعى خَليلهم ومحبهم، يأكل معهم ويشرب، يفتح ذراعيه إليهم ويرحب وينادى: "تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨).

إن إنجيل هذا المساء يقدم لنا ثلاثة شخصيات متباينة:

الأولى: فى شخص المخلص الإلهى، مثال الوداعة والتواضع.

الثانية: فى شخص سمعان الفريسى، الذى يمثل الرجل المتكبر المعتد بذاته وبره.

الثالثة: فى شخص المرأة الخاطئة مثال التوبة الصادقة.

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن:

أولاً ــ المخلص الوديع:

إنى لم أحاول فى هذه العجالة أن أصف لكم شخصية المخلص، وهى أعظم من أن يصفها لسان بشرى، إن لم يمنعنا ذلك من تأمل هذا الفادى الحبيب، كيف مارس ــ

فى هذا الموضع ـ فضيلتى الوداعة والتواضع لتعليمنا. فهو القائل: "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩).

أجل، إن يسوع كان يعرف تمام المعرفة، وهو الإله الذى ترقب عينيه ما فى السماء وما على الأرض، من هو سمعان هذا وتلك الحلقة الخبيثة من المدعوين التى كانت تحيط به. ومع ذلك فقد لبى الدعوة. لماذا؟

لأنه وديع ومتواضع القلب.

دخل يسوع بيت سمعان، ولكن استقبال الفريسى له كان فاتراً إلى أبعد الحدود. فقد أغفل، ودون اكتراث، كل واجبات الضيافة. فكانت العادة عند اليهود إن يقُبل رب البيت ضيفه، ثم يقدم له ماء لغسل رجليه، ودهناً لرأسه. لكن كبرياء الفريسى أبت عليه أن يقوم بشىء من واجبات الإكرام والمحبة هذه، التى كانت تبذل للضيوف، ومع ذلك، فإن يسوع لم يظُهر أى استياء من هذه المعاملة الشاذة، ولم ينطق بكلمة واحدة تشير إلى هذا الإغفال المهين... لماذا؟ .

لأنه وديع ومتواضع القلب.

أجل إنه سيتكلم، ولكن حينما تضطره المحبة إلى ذلك. فقد تكلم ليدافع عن المرأة التى اتهمها الفريسى ظلماً بأنها خاطئة، فى اللحظة عينها التى كانت قد غُفرت لها جميع خطاياها بسبب ندمها الكامل.

وقد تكلم لعله ينير بأشعة كلمته الظلام الدامس الذى كان يخبط فيه ذلك الفريسى المتهور، الذى حكم بأن يسوع ليس نبياً، لا لداعٍ إلا لأنه لم يطرد من أمامه المرأة الخاطئة.

تكلم يسوع، وكان ذلك عن طريق المثل: يا سمعان، عندى كلمة أقولها لك، فقال: قلها يا معلم. قال: "كان لمداين مديونان، على أحدهما خمسمائة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما كليهما. فقل لى أيهما يكون أكثر حباً له؟" فأجاب سمعان قائلاً: "هو فيما أظن الذى سامحه بالأكثر فقال له: بالصواب

حكمت" (لو ٧: ٤٠ ـ ٤٣).

وهاكم تفسير المثل: الدائن هو يسوع نفسه، والمديونان هما سمعان الفريسى والمرأة الخاطئة فهى كانت مدينة ليسوع بخمسمائة دينار، أى أن دين خطاياها كان أعظم من دين خطايا الفريسى، الذى لم يكن مديناً للرب إلا بخمسين ديناراً فقط، ومع ذلك فإن المرأة هى الآن فى حال يمكن للفريسى أن يحسدها عليها، لأن دينها وإن كان عظيماً ـ فقد غُفر لها جميعه بسبب إيمانها وندمها. أما هو فدينه، وإن كان صغيراً نسبياً ـ إلا أنه لا يزال باقياً عليه بسبب عدم إيمانه وعدم توبته.

كذلك فإن محبة المرأة، التى غُفر لها كثيراً، لا يمكن أن تقاس بحال بمحبة الفريسى المعدومة، الذى لم يُغفر له شىء من دين ذنوبه بسبب كبريائه.

وقد أورد يسوع لسمعان ثلاثة أدلة تشهد جميعها بعدم إيمانه ومحبته. وذلك بتلك المعادلة اللطيفة بين ما عملته هى للدلالة على حبها وما أغفله هو من واجبات الضيافة.

قال له: دخلتُ إلى بيتك فلم تسكب على رجلىَّ ماء، وهذه بلت رجلىَّ بالدموع. أنت لم تقبلنى، وهذه منذ دخلتُ لم تكف عن تقبيل قدمىّ. أنت لم تدهن رأسى بزيت، وهذه دهنت قدمىَّ بالطيب.

وكان بعد هذا العتاب الرقيق أن التفت يسوع إلى المرأة وقال لها: "مغفورة لكِ خطاياكِ"، وإذا بالمتكئين جميعهم يجدفون عليه فى أنفسهم قائلين: من هذا الذى يغفر الخطايا أيضاً؟

قرأ يسوع على صفحة قلوبهم هذه التجاديف المهينة لشخصه الإلهى، ولكنه لم يجبهم ببنت شفة لقساوة قلوبهم. وكانت الغلبة فى ذلك لتواضع يسوع ودعته.

فما أعظم تواضع يسوع! صبره وأناته، دعته ووداعته مع كل أعدائه ومقاوميه!.

ثانياً ـ سمعان الفريسى:

هو مثال الرجل المتكبر، المعتد بذاته وبره فوق كل حد واعتبار، الذى يظن فى نفسه

أنه كامل ولا ينقصه شيء، وبالتالى يحق له أن يزدرى بكل من هو دونه صلاحاً وكمالاً!!.

ومن هنا جاء تهوره فى الحكم على المرأة بأنها خاطئة، رغم ما كان يرى منها من دلائل توبة صادقة، وإن يسوع ليس بنبى لأنه لم يزجر الخاطئة، ولو كانت تائبة. كأنى بالأنبياء والقديسين هم بالمرصاد لسحق الخطاة المساكين، لا لأن يعملوا على جذبهم وهدايتهم.

لنقصينَ عنا روح الكبرياء، الذى يضع نصب أعيننا نقائص وعيوب الآخرين. أما عيوبنا نحن ونقائصنا فنضعها وراء ظهورنا.

ولا نحكم على أحد البتة. بل لنترك الحكم لله وحده، وهو الذى لا يمكن أن يغش ولا أن يغُش.

ثالثاً ـ المرأة الخاطئة:

إن هذه المرأة، التى أحبت السيد المسيح كثيراً، قبل أن تصبح تلميذة له، وتلميذة من أشد التلاميذ تعلقاً به، كانت فريسة الحب العالمى وغروره، وقد لوثت سمعتها بعدة فضائح مخزية.

على أن ذلك لم يثنها عن عزمها على إصلاح سيرتها. ولا سيما بعد أن رأت يسوع وسمعته ينذر بالتوبة واقتراب الملكوت.

وفيما هى تفكر كيف تتصل بيسوع لكى تطلب منه مغفرة خطاياها، بلغها خبر مجيئه إلى المدينة (وهذه المدينة هى الغالب نايين) وأنه يقيم فى بيت سمعان الفريسى. فنهضت لساعتها مهرولة إلى بيت ذلك الفريسى تطلب يسوع المعلم الإلهى.

وها هى الآن، عند قدمى هذا المعلم، تبكى خطاياها مراراً، فتبل رجليه بالدموع، وتمسحهما، لا بمنديل، بل بشعر رأسها، تعظيماً له. ولا تخشى أن تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب، إشهاراً لإيمانها ومحبتها له واعترافاً بجميله.

إنها تؤمن أن يسوع يستطيع أن يغفر لها خطاياها. لأنها آمنت أنه المسيح المخلص. وهى تبالغ فى إظهار محبتها له ليعلم الجميع أنها، من الآن فصاعداً، لن يكون لها من صديق غير يسوع الختن الإلهى.

فبقدر ما أطاحت بنفسها فى الخطيئة، بقدر ما شاءت أن تلقى بكل ذاتها ـ دون شرط أو تحفظ ـ فى أتون المحبة الإلهية. وقد شهد لها يسوع عن هذه المحبة النشطة المتقدة بقوله عنها: إنها أحبت كثيراً.

لنتأمل أيضاً ثقتها: إنها تعلم كثرة خطاياها وشناعة هذه الخطايا. فقد قضت أجمل سنى شبابها بعيدة عن الله، ولكنها لا تيأس، بل هى على رجاء وطيد أن رحمة يسوع غير المحدودة لا يمكن أن تردها خائبة.

ثم ماذا نقول عن توبتها؟ إنها بلا رياء، توبة صادقة بكل ما فى هذه الكلمات من معانٍ. وعليه فلا شيء فى الدنيا يمكنه أن يقف حائلاً دون هذه المرأة والوصول إلى يسوع: لا ذكر حياتها الماضية المخجل، ولا وجود يسوع فى بيت ذلك الفريسى المتزمت والمملوء من ذاته، وسط جماعة هم أشد ما يكون إزدراء لها. فما أعظم شجاعة هذه المرأة! وما أشد عزمها فى توبتها! فلن يكون هناك خلاص إلا بالتوبة أولاً. ولن تكون توبة إلا بالندامة والدموع. فالتوبة تسبق الخلاص، ودينونة الإنسان لنفسه تمهد طريقاً لتوبته. والمرأة الخاطئة بللت قدمي يسوع بدموعها الغزيرة ومسحتهما بأعز ما تعتز به امرأة، وهو شعر رأسها. فكان لا بد لها من دموع الندامة لتصل إلى التوبة حتى تحصل على الخلاص.

ومن الذين ندموا قديماً فبكوا بدموع غزيرة داود الملك عندما أخطأ فقال: "أعوم كل ليلة سريرى. أبل فراشى بدموعى. تعكرت من الغيظ عيناى" (مز ٦ : ٦)، وإذ أفرط فى ندامته باكياً، ظهر أمام الله تائباً. فأرسل إليه النبى قائلاً: "والرب قد نقل خطيتك" (٢ صم ١٢ : ١٣). ونرى بطرس الرسول، عندما سمع الديك صائحاً مرتين، تذكر قول السيد له المجد: "قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات. فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً" (لو ٢٢ : ٦١ ، ٦٢). وإذ قدم بدموعه ندامة وتوبة، عاد إليه السيد بعد القيامة

قائلاً: "ارعَ خرافي".. ثم: "ارعَ غنمي" (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦).

فأول مراحل الخلاص هي التوبة المقرونة بدموع الندامة. قال القديس أوغسطينوس: إن الدموع علامة على السلام المفقود والرغبة في الحرية من عبودية الخطية. وهذا صحيح: إن النفس قد فقدت سلامها مع الله، وسلامها مع نفسها وضميرها، وسلامها مع الناس.

لم تعد المرأة الخاطئة تخشى أحداً من الناس لأنها صارت في سلام مع الله والضمير، فقد صارت أيضاً بالتالي في سلام مع الناس.

لقد حصلت المرأة الخاطئة على خلاصها من يسوع وبإعلان ندامتها بدموعها، وإظهار توبتها ببكائها، وبذل تضحيتها بسكب قارورة طيب كثير الثمن على قدمي ذاك الذي بررها وغفر خطاياها.

لقد دعمت إيمانها بالعمل الصالح، وذلك لأن : "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع ٢ : ٢٠).

وهكذا صيرت نفسها مثلاً أعلى لكل تائب... ألا يتقدم بيدين فارغتين أمام قدس الأقداس وعرش النعمة، كقول الكتاب المقدس: "لا يظهروا أمامي فارغين، بل أن يملأوا إيديهم حال إقترابهم للتوبة" (خر ٢٣ : ١٥).

"أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو ١٢ : ١).

"ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية. قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله" (رو ٦ : ١٣).

ونحن أيها الإخوة الأحباء حين وافتنا النعمة، هل رجعنا إلى الله رجوعاً صادقاً حقيقياً، عازمين على قطع كل علاقة بالماضي، أم ازدرينا هذه النعمة ولم نكترث لأمر خلاصنا؟

وحينما تقدمنا إلى الاعتراف أمام الكاهن لنيل الحل من خطايانا، أكان إيماننا

عظيماً، بحيث أننا كنا على يقين من أن الكاهن، فى سر التوبة، يمثل السيد المسيح حقاً، وبالتالى له السلطان أن يحلنا من خطايانا؟ وأيضاً حينما تقدمنا إلى الاعتراف، أكانت ثقتنا فى رحمة الله شديدة على نحو ما كانت ثقة تلك المرأة، أم يئسنا من الخلاص، وقلنا إن خطايانا أعظم من أن تُغفر؟!

وماذا أيضاً؟ أتقدمت بخشوع، واعترفت بجميع خطاياك بكل بساطة، أم تملك عليك خجل جهنمى، فلم تقر بها؟ وحين عزمت على التوبة، أكانت فيك الشجاعة الكافية للتغلب على كل العوائق التى كانت تحول دونك والاعتراف، أم خفت أقاويل الناس وتهكم الأشرار؟

وبعد عزمك هذا، أكنت حقاً أكثر حباً ليسوع المسيح فاديك، أم بقيت فى فتورك الروحى، فلم تكترث لمحبته لك فتبادله محبة بمحبة؟

وأنت أيها الأخ المتردد، الذى لا ينوى أبداً الاعتراف أيوسوس لك الشيطان أن خطاياك فظيعة، وأنك لا تستطيع أن تتخلص من هذه وتلك العادة الرديئة؟

إذن، فاعلم أن تلك المرأة كانت إنسانة ضعيفة مثلك، بل ربما كانت أضعف منك بكثير، وقد لازمت الخطيئة سنين عديدة، ومع ذلك فقد استطاعت بقوة النعمة أن تضبط الطبيعة الجانحة إلى الفساد، وتنتصر على عاداتها القديمة المشؤومة.

نعم، لقد أخطأت كثيراً، ولكنك بتوبتك ومحبتك ليسوع تستطيع أن تسوى مسألة خلاصك، فارجع الآن إذن إلى الحضن الأبوى، ولا تكن ابناً جاحداً يصر دون داعٍ على هلاك نفسه.

إن يسوع أبا المراحم، يدعوك. فتقدم إليه بثقة، وبثقة اعترف بجميع خطاياك أمام الكاهن، ممثله ووكيله على الأرض، تحظَ بغفران وسلام يؤهلانك لمرضاة يسوع فى الدنيا والآخرة.

ولربنا ولإلهنا المجد الدائم. آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد االثانى من شهر كيهك

بشارة الملاك للعذراء مريم

«هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى ويملك .. ولا يكون لملكه نهاية» (لو ١ : ٣٢، ٣٣).

لقد مرت السنين. والجنس البشرى يتألم متقلباً فى المشقات والأحزان التى آلت إليه بطريق الميراث عن أبويه الأولين وفى الأثناء كانت رحمة الله تنظر إلى خراب العالم مفكرة فى طريقة جديدة تكفر عن العصيان وتعيد العمران. لأن الله قد وجه سهام سخطه إلى بنى الإنسان. نظير المخالفة والعصيان. تارة بالطوفان وطوراً بالنار والكبريت وأحياناً بافتتاح الأرض فاهاً.

وبواسطة الرحمة قد تقرر منذ الأزل وصُدرت المراسيم الإلهية بأنه حيث أن الخراب قد حدث للعالم بواسطة ثلاثة هم: لوسيفورس (سطانائيل) وحواء وآدم فيجب أن يتجدد بواسطة ثلاثة هم جبرائيل ومريم ويسوع. وقد مضى وقت من الزمان والجنس البشرى ينتظر بفروغ صبر ذلك الوقت السعيد ـ إلى أن جاء ملء الزمان.

ففى الشهر السادس من بشارة الملاك لزكريا جاء جبرائيل الملاك إلى مدينة الناصرة ومعناها المحروسة. وهناك قصد بيتاً خاصاً بمنطقة العين تسكنه عذراء طهور اسمها مريم مخطوبة لرجل اسمه يوسف ومعناه يزيد "فدخل إليها وقال لها سلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة الرب معكِ. مباركة أنتِ فى النساء ولما اضطربت منه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها: لا تخافى يا مريم لأنكِ قد وجدتِ نعمة عند الله وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى ويعطيه الرب كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد... فأجابها: الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلى تظللكِ فلذلك المولود منكِ يُدعى ابن الله. وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضاً حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله فقالت مريم هأنذا أمة الرب ليكن لى كقولك فمضى من عندها الملاك" (لو ١ : ٢٨ ـ ٣٨).

وأما الآية التى أريد بنعمة الروح القدس أن تكون موضوع تأملنا فى هذا الصباح المبارك فهى قول الملاك عن فادينا.

هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى ويملك إلى الأبد.

فأوضح بنعمة عظمته له المجد:

١ ـ فى اسمه.

٢ ـ فى مقامه ونسبته.

٣ ـ فى خلود ملكه.

أولاً ـ عظمته فى اسمه:

وهذا واضح من قول الملاك للسيدة العذراء: وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. والاسم هو الصيغة اليونانية للكلمة العبرية يهوشوع وتفسيرها (الله يفرج ويخلص) وإننا إذا نظرنا إلى البشر وقابلنا الأسماء مع المسميات لنجد أحياناً كثيرة أن الاسم لا يوافق المسمى مطلقاً فقد يُدعى إنسان ما "عبد الله" لكن إذا نظرت إلى أعماله وصفاته لتجده عبداً للخطية والشيطان والعالم ـ أما الله فأنه بعيد مبتعد عن عبادته بالمرة. وقد يسمى آخر "سعيد" لكنه فى الواقع ونفس الأمر شقى وتعيس. وآخر جميل وهو بلا جمال وغير ذلك كثيراً لكن إذا التفتنا وأمعنا النظر بشخص الكمال يسوع الذى تفسيره مخلص. نجد أنه له المجد مخلص كاسمه وصفاته وأعماله. كاسمه تماماً لأنه قد خلص منذ القديم ويخلص إلى المنتهى وككلام الوحى الإلهى أنه "ليس بأحد غيره الخلاص" (أع ٤ : ١٢).

"لأنه هو الله قد ظهر فى الجسد" (١تى٣ : ١٦) ليفدى جميع المتسلط عليهم إبليس. وقد قال قديماً عن نفسه: "أنا أنا الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها" (إش ٤٣ : ٢٥).

التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا المخلص وليس آخر. ولا شيء يجذب قلوبنا بالمحبة مثل يسوع الحبيب لأنه كله مشتهيات فذوقوا وانظروا ما أطيب الرب الذى أحبنا الذى افتقر من أجلنا وهو الغنى ليغنينا بفقره. من أجلنا وُلِدَ فى المذود مع أنه ملك السموات والأرض ومن أجلنا حفظ الناموس وهو البار من كل خطية فلم يعمل ظلماً ولا وجد فى فمه غش الذى ضُرب وجُلد وكُلل بإكليل الشوك لكى يخلصنا ويعطينا إكليل الحياة، من أجلنا جاع وعطش وهو خبز الحياة وماء الحياة للجياع والعطاش إلى البر اتضع وأطاع فمات مصلوباً من أجلنا حسب قول الرسول فى (فى ٢ : ٥ ـ ١١) "فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه، أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب"

ثانياً ـ عظيماً فى مقامه ونسبته:

وقد وضح الملاك هذا بقوله للسيدة العذراء عنه هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى والمعنى المقصود بابن العلى أو ابن الله ليس الولادة الطبيعية الذاتية من الله وإلا لقيل فيها ولد الله كما لم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً إنهم أبناء الله لأن نسبة المسيح لله هى غير نسبة المؤمنين عامة لله لكنه تعبير ليكشف لنا عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله. وهى محبة متبادلة. وما المحبة التى بين الآب والابن سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها كما يراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذى حاز رضى الله وأطاع فقبل الموت موت الصليب لذلك يقول فيه الله: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا" وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تمم إرادة الله فى الفداء.

وكذا أريد بها إظهار التشابه والتماثل فى الذات وفى الصفات وفى الجوهر كما يكون بين الآب والابن فقيل عن المسيح: "أنه بهاء مجد الله ورسم جوهره". وقال هو عن نفسه: من رآنى فقد رأى الآب. أنا فى الآب والآب فىَّ (يو ١٤ : ٩، ١٠). "أنا والآب واحد" (يو ١٠ : ٣٠).

ويراد بها علاوة على هذا أن شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شيء الذى منه وبه وله كل الأشياء" كما قد يراد بها معانٍ أخرى كثيرة غير محدودة لا يدركها العقل البشرى العاجز المحدود.

وإن أردت أن تعرف من هو المسيح؟ فتأمل جيداً فى قول الوحى بفم الرسول بولس: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تى ٣ : ١٦).

وقد قال هو عن نفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦).

وقال أيضاً: "أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا" (يو ١١ : ٢٥) "أنا أتيت لتكون لهم حياة وليكن لهم أفضل" (يو ١٠ : ١٠).

ثالثاً ـ عظيماً فى ملكه الخالد:

إذ قال الملاك عنه: ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. وهذا لأن "الآب يحب الابن" (يو ٥ : ٢٠). "وقد دفع كل شيء فى يديه" (يو ٣ : ٣٥).

والذى كل شيء فى يديه لا يكون إلا ملكاً. وقد أوحىَ إلى المجوس فى المشرق فجاءوا إلى أورشليم قائلين: "أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له" (مت ٢ : ١، ٢).

وقد قال زكريا النبى يخاطب مدينة أورشليم: "ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا ابنة أورشليم هوذا ملكك يأتى إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على أتان وجحش ابن أتان" (زك ٩ : ٩).

ولما تجسد المسيح وتمت فيه هذه النبوة حرفياً فعند دخوله أورشليم راكباً الأتان كانت الجماهير السابقة والاحقة تصرخ قائلة: "مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (يو ١٢ : ١٣؛ مر ١١ : ١٠).

وقد رآه دانيال قبل ولادته بمئات السنين فقال: "كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض ملكوته ملكوت أبدى وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون" (دا ٧ : ١٣، ١٤، ٢٧).

كما رآه يوحنا الإنجيلى الرسول اللاهوتى بعد صعوده له المجد بعشرات السنين فقال: "ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً وعلى رأسه تيجان كثيرة وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويُدعى اسمه كلمة الله والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه وله على ثوبه وفخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ ١٩ : ١١ ـ ١٦).

وقد شهد نثنائيل فى (يو ١ : ٤٩) بقوله له: " يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل".

إذن المسيح هو ملك إسرائيل وإسرائيل هو شعب الله فى كل الأزمنة.

وليس هو ملكاً عالمياً محصوراً ملكه فى بلاد واحدة أو فى هذه الدنيا كلها ولا ملكوتاً زمنياً محصوراً فى السنين القليلة التى فيها سكن هذه الدنيا بل كما قال هو نفسه لبيلاطس البنطى ملكوتى ليس من هذا العالم، وقال فى الأنبياء والرسل أن ملكوته ملكوت أبدى (عب ١ : ٨) وأما عن الابن يقول كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك. فإذن المسيح هو ملكنا نحن اجمالاً وأفراداً إذا كنا من شعب الله. ونحن فى أشد الحاجة إلى ملك أعظم من ملوك العالم. ملك يقدر أن يغير قلوب

البشر وعاداتهم وطبائعهم ويحكم على إرادتهم وأهوائهم وهذا لا نجده إلا فى يسوع الملك الإلهى الذى له وحده سلطان الحياة والموت ويقدر أن يخلص إلى التمام لأنه يستطيع أن يجدد القلوب والأفكار ويقدس الأميال ويطهرها لا بل يخلقنا خلقة جديدة مشابهين له فى الفكر والقول والعمل حتى كل من يرانا يمجد الله ويشهد بإننا تلاميذه لا بل أولاده وهذا ملكنا المسيح لا يغير طبيعتنا الخاطئة الضعيفة إلى طبيعة جديدة طاهرة وقوية فقط بل يسلحنا أيضاً له كجنود للخلاص فى ملكوته بسلاحه الكامل ضد أعدائنا الروحيين وهم العالم والخطية والشيطان كما يمنحنا الغلبة والنصر المبين عليهم وقد وعد بأن يحمينا فلا يستطيع أحد أن يختطفنا من يده وهذا بشرط أن نُملِكهُ على قلوبنا مكرسين له حياتنا كما يفعل الجندى مع ملكه الأمين المحبوب.

فهل معاملتنا مع ملكنا هذا تليق بمقامه كملك ورب الأرباب الذى أحبنا ونحن بعد أعداء فقدس ذاته وأسلم نفسه لأجلنا وبعد ما صنع فداء وتطهيراً لخطايانا صعد إلى السماء وجلس عن يمين العظمة دياناً للأحياء والأموات؟

فيا أيها المسيحى أتعلم أن يسوع المسيح قد دفع فعلاً ثمن فداء نفسك العزيزة إذ افتداك منذ زمن بعيد بدمه الكريم وليس لك حق مطلقاً أن تبقى عبداً للخطية. فلك فى أى لحظة الحق المطلق والحرية التامة أن ترجع إلى المسيح وخدمته وها هوذا يدعوك ويناديك أن ترجع إليه الآن فهل أنت راجع إلى المسيح ولا حاجة لك أن تنتظر إلى فرصة أفضل من هذه الساعة ولا تظن أنه يجب أولاً أن تصلح نفسك بل تعالَ إليه كما أنت وهو ليس فقط يقبلك بل يرحب بك أيضاً ويعمل بك وفيك مالا تستطيع أنت تعمله بنفسك إذ هو يصنع كل شيء جيداً فتتغير وتحيا حياة طاهرة جديدة فيكون هو فيك وأنت فيه.

وله المجد من الآن وإلى آباد الدهور كلها. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد االثالث من شهر كيهك

قدوس الله

«أنا أعرفك من أنت قدوس الله» (مر ١ : ٢٤).

تعرفَ الشيطان أو الروح النجس على السيد المسيح من حيث كونه قدوس الله الذى تجسد باتضاع وقد أدرك أن اتضاع السيد يغلب كبرياءه، وقد حسب أن الوقت قد حان لإدانته. "لذلك صرخ قائلاً: " آه! مالنا ولك يا يسوع الناصرى، أتيت لتهلكنا أنا أعرفك، من أنت قدوس الله" (مر ١ : ٢٤).

الله قدوس، ونحن صورة الله ومثاله، لذلك ينبغى أن نكون مثله قديسين والكتاب المقدس يقول: "كونوا قديسين، كما أن أباكم الذى فى السموات قدوس" (١ بط ١ : ١٥). إنها القداسة "التى بدونها لا يعاين أحد الرب" (عب ١٢ : ١٤).

ولهذا كان المؤمنون فى الكنيسة الأولى يدعون قديسين: بولس الرسول يرسل إلى مؤمنى أفسس فيقول: "إلى القديسين الذين فى أفسس" (أف ١ : ١)، "كما أختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه" (أف ١ : ٤)، ويرسل إلى العبرانيين فيقول: "من ثم أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية..." (عب ٣ : ١).

ومع ذلك فإن "الجميع زاغوا وفسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد". ليس أحد صالحاً إلا الله" لذلك نقول له فى الكتاب: "لأنك أنت وحدك قدوس" (رؤ ١٥ : ٤) أما عن الناس، فإنما نقول فى أوشية الراقدين "ليس أحد بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض".

لذلك عندما نصلى صلاة الثلاثة تقديسات هذه، ننحنى أمام الله، لسببين:

السبب الأول: اجلالاً لله، الذى يستحق السجود، الله القوى الذى لا يموت...

السبب الثانى: لأننا أمام قداسة الله نذكر خطايانا، فننحنى بمطانية أمامه "أنت يارب

البار، ونحن الخطاة، أنت وحدك قدوس، أما نحن فلنا خزى الوجوه، لأننا أخطأنا أمامك" هكذا صلى عزرا، وهكذا صلى دانيال...

لهذا فإن كل القديسين، أمام قداسة الله، كانوا يشعرون بأنهم خطاة.

الكل فى الموازين إلى فوق، حتى الرسل: بولس الرسول يقول: "الخطاة الذين أولهم أنا" (١ تى١ : ١٥)، ويعقوب الرسول يقول: "عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع ٣ : ١، ٢).

ويوحنا الرسول يقول: "إن قلنا إننا لم نخطىء، نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (١يو ١ : ١٠).

ولهذا فكل منا يصلى فى المزمور الخمسين فى كل صلاة قائلاً:

"انضح علىّ بزوفاك فأطهر، واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" . كما نقول فى الصلاة الربانية "اغفر لنا ذنوبنا"...

أمام قداسة الله "يستد كل فم"، فى السماء وعلى الأرض. "السماء ليست طاهرة أمامه وإلى ملائكته ينسب حماقة كل بر الإنسان مثل خرقة الطامث "وإن فعلتم كل البر، قولوا إننا عبيد بطالون" (لو ١٧ : ١٠).

وهكذا نرى أن إشعياء النبى حينما رأى الرب على كرسى عالٍ وحوله السيرافيم يسبحون: "قدوس قدوس قدوس" صرخ قائلاً: "ويلٌ لى قد هلكت، لأنى نجس الشفتين" (إش ٦ : ٥). ولم يجامل السيرافيم، بل أخذ واحد منهم جمرة من على المذبح ومس بها النبى وقال له: "إن هذه قد مست شفتيك، فانتزع إثمك، وكفر عن خطيتك" (إش ٦ : ٧). عبارتا إثمك وخطيتك، يدلان على أننا كلنا خطاة وعبارة (التكفير) تدل على أننا هنا أمام سر الإفخارستيا، لأنه "لا كفارة إلا بدم المسيح".

إننا ننحنى أمام الله ونحن نقول "قدوس" كأنها مطانية عن خطايانا التى نعرف أنها تفصلنا عن الله... لأنه لا شركة للنور مع الظلمة، ولا للمسيح مع بليعال. ولا شركة

لروح الله القدوس مع خطايانا، فنحن بخطايانا نحزن روح الله القدوس ونبتعد عنه كمصدر للحياة، فنعتبر أمواتاً.

الله قدوس، وكل ما ينسب إليه مقدس...

فبيت الله بيت مقدس "ببيتك تليق القداسة يارب" وخيمة الاجتماع كانت من قسمين: القدس، وقدس الأقداس. وكل المحلة كانت مقدسة. لذلك فإن الذبائح التى كانت تحمل خطايا الناس، كانت تحرق خارج المحلة. والهيكل أيضاً كان مقدساً. ولما استغله الناس للبيع والشراء، جاء السيد المسيح وطهره بسوط.

وأورشليم السمائية، مسكن الله مع الناس، سميت "المدينة المقدسة" قال الرائى: "وأنا يوحنا، رأيت المدينة المقدسة أورشليم السمائية، نازلة من السماء" (رؤ ٢١ : ٢). لذلك قيل أنه "لن يدخلها شيء دنس" (رؤ ٢١ : ٢٧).

وأبناء الله قديسون، لأنهم تقدسوا بالدم، ولأنهم هياكل مقدسة لروح الله القدوس. ومع ذلك فنحن ما زلنا نخطىء، نطفىء الروح، ونحزن الروح، ولا تظهر فينا صورة الله. وكلما نقترب إلى الله، نشعر بمقدار عمق خطايانا.

وبسبب شعورنا بخطايانا، نصرخ ثلاث مرات ونقول: "ارحمنا" فى نهاية الثلاثة تقديسات ولولا خطايانا ما كنا نطلب الرحمة..

بل فى كل صلاة نصرخ يارب ارحمنا (كيريا ليصون) ٤١ مرة. وفى لحن "إفنوتى ناى ناى" نقول: "يا الله ارحمنا". وفى نهاية كل صلاة نقول: "ارحمنا يا الله" فلماذا كل طلب الرحمة هذا، لولا شعورنا بأننا خطاة بعيدون عن القداسة؟.

بل إن الكاهن فى بداية القداس، أثناء فرش المذبح، يقول: أيها الرب القدوس، المستريح فى قديسيه، الذى بلا خطية وحده، القادر على مغفرة الخطايا، أنت يارب تعلم أننى غير مستحق ولا مستوجب. وليس لى وجه أن أفتح فاى. بل بكثرة رأفاتك اغفر لى أنا الخاطىء... امنحنى أن أجد نعمة ورأفة فى هذه الساعة...

فلا تفتخر إذن باطلاً، ولا تقل تجددت وتقدست... إن القداسة ليست مجرد لقب، وإنما هى حياة إن كنت قد اغتسلت فى المعمودية فأنت كل يوم تخطىء، وتحتاج أن تغتسل بالتوبة وبالدموع وبحياة الانسحاق..

ولا تنسب إلى نفسك آيات لا تنطبق على حالتك! لا تقل أنا تقدست. واغتسلت من الخطية، ولم أعد أُخطىء، لأننى ابن الله، "والمولود من الله لا يُخطىء" حقاً، إن المفروض فى المولود من الله أنه لا يُخطىء. ولكننا مع ذلك ما زلنا نُخطىء. لذلك يقف كل منا أمام قداسة الله فى مذلة وإنسحاق ويقول: "لست مستحقاً أن أُدعى لك ابناً" لأنه ليست لى صورتك فى القداسة، ولأن المولود منك لا يُخطىء.

إن كانت عبارة "قدوس الله" تذكرك بخطاياك وتدفعك إلى الانسحاق، فإن عبارة "قدوس القوى" تملأ قلبك بالرجاء...

أنت خاطىء أمام الله القدوس. ولكنك أمام الله القوى تقول مع القديس بولس: "أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣).

المسيح الذى يقودنا فى موكب نصرته، الذى قال لتشجيعنا: "ثقوا. أنا قد غلبت العالم".. المسيح الذى انتصر على جبل التجربة، والذى تحدى العالم قائلاً: "من منكم يبكتنى على خطية؟!" هذا القوى يشدد الركب المخلعة، ويعطينا قوة، فنستطيع كل شيء بقوته... الله قدوس، لأنه قوى غلب العالم والشيطان، وسحق رأس الحية، وغلب الموت. لذلك فهو الحى الذى لا يموت.

الموت هو أجرة الخطية، وهو بلا خطية، لذلك هو وحده الذى له عدم الموت لأجل بره، وأيضاً لأجل لاهوته ولكن، لأنه حمل خطايانا التى تستحق الموت، مات عنا بالجسد...

هذا الحى الذى لا يموت هو أملنا فى الحياة، لأننا سنحيا معه، ونملك معه، "ولا يكون موت فيما بعد"..

ونحن فى أسبوع الآلام نرتل له فى تسبحة الثلاثة تقديسات هذه باللحن الطويل الحزاينى... فلماذا؟ إننا إذ نراه معلقاً على الصليب، وقد أُحصِىَ بين أثمة، نقول له: نحن نعرف من أنت. أنت قدوس الله. اللص اليمين قال لزميله "نحن بعدل جوزينا" أما أنت فقدوس لا تستحق الموت. قد مُت عن غيرك، وتألمت بسببنا، وحملت خطايانا. لذلك نقول لك "قدوس.." بلحن الحزن. لأننا فى حزن إذ تسببنا لك فى كل هذا.... ونحن أيضاً نقول لحن الثلاثة تقديسات فى الجنازات... وكأننا نقول للرب: أنت "قدوس الله" أنت قدوس لأنك الله وأنت "قدوس القوى" قدوس لأنك قوى. أما هذا الميت، هذا الراقد المنتقل، فهو إنسان "تحت الآلام مثلنا" بطبيعة ضعيفة قابلة للميل. فارحمه وارحمنا، لأن مولود المرأة لن يتزكى قدامك. ليس أحد بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض.

ولك المجد دائماً أبدياً ــ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر كيهك

تحية والدة الإله

«مباركة أنتِ فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنكِ. فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ» (لو ١ : ٤٢، ٤٣).

هذه كانت التحية النبوية بل التحية القدسية التى فاض بها الروح القدس على لسان أليصابات عند سماعها صوت سلام السيدة العذراء لها.

مضى الملاك من عند السيدة العذراء مريم كما سمعنا من إنجيل قداس الأحد الماضى بعد أن أحاطها بسر هائل هو سر المولود. ابن العلى الذى سيتجسد منها بالروح القدس. وكما تعلمون أن مثل هذا السر العظيم لم تعهده امرأة سواها من قبل. فصعدت مسرعة إلى جبال يهوذا لتكشف هذا السر الذى أنبأها به الملاك إلى امرأة مثلها ولم يكن فى وسعها أن تفضى بمكنونات قلبها حتى ولا أمام خطيبها لأن المرأة فى مثل هذا الظرف لا تودع سرها إلا لامرأة مثلها. وقد كان لها نسيبة تدعى أليصابات زوجة لكاهن قروى وهذه عندما جاءت مريم العذراء إلى بيت زكريا الكاهن فى جبال حبرون لتلتقى بأليصابات ولتروى كل منهما قصتها المفرحة على الأخرى والمسرات إن وزعت زادت. بعكس الأحزان إن قسمت هانت.

فبدأت مريم أليصابات بالتحية عليها قائلة: سلام لكِ أو الرب معكِ حسب عادة اليهود فى ذلك الوقت. فلما سمعت أليصابات سلام مريم امتلأت من الروح القدس وارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها وصاحت قائلة: "مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنكِ. فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ "وكانت هذه من أليصابات أخلص تحية لمريم وابنها.

وبنعمة الله وإرشاده من روحه القدوس نتكلم عن النقطتين كما يلى:

أولاً ـ مباركة أنتِ فى النساء:

وهذا تعبير عبرى يراد به أقصى أنواع البركات وقد نطقت به أليصابات بصوت عظيم. دليلاً على عمق شعورها وشدة انفعالها وعظم تقديرها للزائرة العظيمة. وأنها لم تكن تقصد مريم كما هى بالجسد.

فالقديسة مريم العذراء كانت أصغر من أليصابات عمراً. وخطيبها يوسف النجار كان بالطبع أقل مقاماً من زكريا الكاهن ولكن إذ امتلأت أليصابات بالروح القدس وعلمت بواسطته هى وجنينها يوحنا من أن الزائرة الكريمة استحقت أن تحمل فى أحشائها ما لم تستطيع حمله السموات والأرض. خرا كلاهما لثمرة بطنها المقدسة وصرخت أليصابات مغبرة عن عدم استحقاقها لزيارة القديسة والدة الإله لها قائلة بالروح:

"فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ. فهوذا حين صار صوت سلامكِ فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى" (لو : ٤٣ ، ٤٤).

وقد أنكر البروتستانت على السيدة العذراء أن تُلقب بوالدة الإله منقاضين بهذا نطق الروح القدس على لسان أليصابات. "فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ". ومتحدين قول الملاك جبرائيل لها حين بشرها:

"أن القدوس المولود منكِ يدعى ابن الله" (لو ١ : ٣٥).

وقال الوحى بفم إشعياء النبى: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (مت ١ : ٢٣).

وقال بولس الرسول: "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غل ٤ : ٤).

وقال إنجيل الله: "الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد" (رو ١ : ٢ ، ٣).

وقول الملاك للسيدة العذراء: "ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون

عظيماً وابن العلى يُدعى" (لو ١ : ٣١، ٣٢).

وغير هذا كثير من النصوص الإلهية التى تثبت تماماً أن القديسة مريم أحق بأن تُدعى بوالدة الإله لأنها قد ولدت المسيح الذى هو "الله ظهر فى الجسد" (١تى ٣ : ١٦).

ولهذا نرى أن هؤلاء الناكرين بفضل العذراء ومن يقول قولهم أنهم يسقطون فى هرطقة نسطور الكافر الذى أنكر على السيدة العذراء أن تُلقب بوالدة الإله. فانعقد المجمع المسكونى الثالث بأفسس مؤلفاً من ٢٠٠ أسقف بسبب ذلك سنة ٤٣١م تحت رئاسة كيرلس الكبير البابا الإسكندرى المعروف بـ عامود الدين أو عمود الإيمان والذى تميز بالفصاحة والبلاغة وعمق الفكر ـ وقد قاد الفكر المسيحى فى العالم كله. ضده الحكم الآتى: من المجمع المقدس الملتئم فى عاصمة أفسس إلى نسطور يهوذا الثانى. اعلم أنك منزوع من كل وظيفة (وكان وقتئذ بطريركاً للقسطنطينية) ودرجة فى الكنيسة من المجمع المقدس بمقتضى القوانين البيعية وذلك من أجل خطبك الغير المهذبة وأضرارك وعنادك ضد القوانين المقدسة. وعلى إثر ارفضاض المجمع أرسل أعضاؤه الأساقفة المسكونيون إلى الملك رسالة هذا نصها: نحن نؤمن إن عمانوئيل هو الإله المتأنس. وأما نسطور فلم يشأ أن يشاركنا فى هذا الإيمان ولذلك فهو غريب عن الآب والابن والروح القدس. غريب عن ميراث الرسل. غريب عن البيعة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية هو وكل من لا يقول: أن العذراء مريم ولدت الكلمة متجسداً. يسوع هو الخالق. يسوع هو الغالب. يسوع هو المخلص.

ثم وضع هذا المجمع أيضاً مقدمة دستور الإيمان التى تثبت إن القديسة مريم هى والدة الإله وهى: نعظمك يا أم النور الحقيقى.... إلخ.

فكل هذا وغيره يحتم علينا كمؤمنين أن نعظم القديسة والدة الإله. وأن نقدر تلك التى جاز فى داخلها بسبب خلاصنا سيف، ليس سيف الشك والريبات التى أحاطت بطهارتها أثناء الحبل المقدس فقط بل سيف الحزن والألم الذى شق قلبها كأم يوم كانت شاهدة لآلام وحيدها وربها. فكان يسهل عليها أن تدق المسامير فى حبات عينيها

من أن تدق في يديه الطاهرتين.

وكانت الحربة التي شقت جنب مخلصنا شقت في نفس الوقت أحشائها معه فمباركة أنتِ إذن أيتها القديسة العذراء في النساء.

ثانياً ـ ومباركة هي ثمرة بطنكِ:

وهذه كلمة موجهة إلى يسوع المسيح إشارة إلى أنه له المجد يكون بركة ويوافق هذا ما جاء عنه في التلمود اليهودى:

طوبى للساعة التي يولد فيها مسيا (أى المسيح) وطوبى للبطن الذى يحمله وطوبى للجيل الذى يراه وطوبى للعين التي تنظره.

ولم تكن أليصابات وحدها فقط تعظمه لكن الجنين أيضاً ارتكض في بطنها بابتهاج متهللاً ومستبشراً بقدوم ربه وفاديه فكان هذا عربون الخدمة التي قام بها يوحنا المعمدان للمسيح فيما بعد مهيئاً الطريق قدامه.

فالمسيح يكون مباركاً لأن الله الآب باركه أى كرسه ليكون حملاً لله ورافعاً لخطايا العالم لتكون ذبيحته التي بلا عيب المقبولة للفداء للجميع. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦). وبدمه غفران الخطايا.

والمسيح يكون بركة لأن فيه ليس فقط فداءنا وخلاصنا بل أيضاً حياتنا لأن الله حسب قول الرسول بولس: "لم يمنحنا روح الفشل بل روح القوة والنصح" (٢ تى ١ : ٧). "ولأننا في جميع هذه يعظم انتصارنا بالذى أحبنا" (رو ٨ : ٣٧).

فنحن مادمنا في هذا الوجود ونذهب كل يوم وسط الخطر ويهجم علينا الناس والأبالسة تارة هجوماً وطوراً بطعنات خفيفة وأحياناً بتدابير شريرة ومكائد شيطانية وإهانات وتهديدات لكن إذا فتحنا للمسيح بالإيمان قلوبنا فهو يسكن فيها ويحمنا من أعدائنا الخفيين والظاهرين كما يقول المرنم: "لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في

النهار ولا من وباء يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة يسقط عن جانبك ألوف وربوات عن يمينك. إليك لا يقرب" (مز٩١ : ٥، ٧).

إن الله فى المسيح لا يكتفى بأن يحمينا فقط بل يملأ نفوسنا ويشبعها لأنه غذاؤها الوحيد، الله الذى يملأ السموات والأرض يملأ قلوبنا فهو كفايتنا العظمى لأنه وعد أن يكون معنا ولنا. وقد أظهر لنا فى المسيح ذاته ومحبته فى أطهر وأنقى حال. فهو مكافأتنا العظمى قد منحنا ذاته العزيزة نفسها. فهل حياتك عقيمة ولا شيء عندك؟

وهل هجرك المحب والصديق فأصبحت منفرداً ومهجوراً من رفاق الصبا؟

فالجواب على ذلك: ألك الله فى المسيح؟

إنه إذا كان لك فقد ملكت الحب كله والحياة وكل حلاوة ورقة وجميع ما يشبع القلب ويسر العقل لأنه الذى له الله، له كل شيء ولو حُرم من كل شيء ولو امتلك كل ما عداه.

لأن الله "الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ألا يهبنا أيضاً معه كل شيء" (رو ٨ : ٣٢) كقول الرسول بولس.

لقد قال الملاك حين بشرها: "سلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة، الرب معكِ، مباركة أنتِ فى النساء" (لو ١ : ٢٨).

وقالت لها أليصابات تطوبها وتمدح إيمانها وتعلن عظمتها.

"مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنكِ، فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ" (لو ١ : ٤٢، ٤٣).

لكن السيدة العذراء لعلو سموها فى التقوى والقداسة والقرب منه قابلت هذا المديح الملائكى بكل إيمان وشعور وعدم استحقاق فأجابت الملاك قائلة: "هوذا أنا أمة الرب (أى عبدته) ليكن لى كقولك" (لو ١ : ٣٨). وقابلت تطويب أليصابات ومدحها لها بتمجيد الله وتسبحته تلك التسبحة الشهيرة قائلة:

"تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى، لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه" (لو ١ : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠). حقاً، ما أجمل هذا النشيد، وما أعظم الدروس التى نتعلمها منه.

١ ـ مريم تترنم بالشكر: "تعظم نفسى الرب".

جميل أن نبدأ ترنيماتنا وصلواتنا بتعظيم الرب، وأن نبدأ عبادتنا لله بتقديم الشكر لجلاله، وجميل أيضاً أن نبدأ كل حديث وكل عمل بالدعاء والشكر كما قال الكتاب "اشكروا فى كل شيء" (١تس ٥ : ١٨).

ليتنا نتعلم أن "نشكر الله كل حين (١تس ١ : ٢)، وعندما نستيقظ من النوم، قبل تناول الطعام، فى خروجنا ودخولنا، عند البدء فى العمل وبعد انتهائه، قبل الذهاب للنوم.

٢ ـ مريم تترنم لله مخلصها: "وتبتهج روحى بالله مخلصى".

إنك لا تستطيع أن تدرك مقدار فرح مريم ما لم يصبح الله مخلصك الشخصى من عبودية الخطية وسلطان إبليس ومنقذ حياتك من الجحيم الأبدى. فليتك تفتح قلبك له الآن معترفاً بخطاياك نادماً عليها وتائباً عنها، فيغفرها لك بحسب وعده المبارك. ويصبح نصيباً لنفسك، ملكاً على قلبك، مسيطراً على مشاعرك، مغيراً لطبيعتك، وعاملاً بك.

٣ ـ مريم تترنم بعظائم الله: "لأن القدير صنع بى عظائم".

جدير بنا أن نردد إحسانات الرب لنا، وأن نذكر العظائم التى صنعها معنا، كيف حفظ حياتنا من الشرور، وأنقذنا من الأخطار والمخاوف، ونجانا من الموت، وشفانا من المرض يحق لنا أن نشارك المرنم الذى قال: "باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته" (مز ١٠٣ : ٢).

٤ ـ مريم تترنم بقداسة الله وعدله: "اسمه قدوس"

ما أكثر الذين لا يستطيعون الترنم بقداسة الله لأنها تُظهر نجاستهم، أو بعدل الله لأنه

يدينهم. أما العذراء المطوبة فقد جعلت من قداسة الله وعدله موضوعاً للترنم. وهكذا الحال، فمتى تصالحنا مع الله نستطيع أن نفرح بقداسته التى كانت قبلاً مصدر خوفنا.

٥ ـ مريم تترنم بمراحم الله: "رحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه".

كم هو مفرح ومبهج أن يمتزج العدل بالرحمة. إن كان عدل الله يديننا ويبكت ضمائرنا فإن رحمته الكثيرة تصفح عنا وتغفر لنا. دعونا إذن نتغنى بمراحم الله القدوس لتكون حياتنا كلها أنشودة عذبة للإله المقتدر الذى أحبنا.

ألا تدل هذه التسبحة على تعمق العذراء فى القداسة ومعرفة الكتب المقدسة. بل ألا يُشعرنا هذا بوجوب تعظيمنا وتكريمنا للقديسة مريم وإذا كان المسيح له المجد قال لخدامه: من يكرمكم يكرمنى.

ألا يعد إكرامنا لوالدته سيدتنا كلنا، إكراماً وتمجيداً له.

أخيراً يختم معلمنا لوقا الإنجيلى إنجيل قداس هذا الصباح المبارك بقوله: "فمكثت مريم عندها (أى عند أليصابات) نحو ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها" (لو ١ : ٥٦).

ويقول بعض المفسرين أن مريم سافرت قبل ميلاد يوحنا ويقول آخرون أنها انتظرت حتى ميلاد يوحنا وختانه لكن العادات الشرقية تجعلنا نميل إلى الأخذ بالرأى الأخير وهو الانتظار ومشاركة القريب فى أفراحه ثم رجعت إلى بيتها وهى فى طريقها قد ضمت عليها سحابتان مختلفتان، سحابة الفرح النيرة من جانب السماء وسحابة الحزن المظلمة من جانب الأرض.

فالأولى: لأنها كانت تحمل فى أحشائها مخلص العالم.

والثانية: لأنها كانت تخشى أن يلصق الرأى العام بها إثماً يستنزل عليها الإزدراء فالإعدام لولا تداخل السماء السريع فماذا كان يتصور يوسف فى خطيبته التى طال غيابها خارج منزلها على غير العادة المألوفة.

لا شك أن سيف الألم كان يجتاز فى نفسها وكانت وخزاته شديدة عليها كل تلك الأوقات حتى أظهر ملاك الله ليوسف براءتها وطهارتها. أن السيد المسيح له المجد هو أمس واليوم وإلى الأبد.

يعلم مكنونات قلوبنا. أننا نحبه وإن أغضبناه فليس إلا نزولاً على إرادة سلطان الخطية القاهرة لكنه مع ذلك يحبنا ويتداخل فى دقائق أمورنا ولا يتركنا فريسة لضعفاتنا وشكوكنا فعند اللزوم يسرع بنجدتنا لكى نمجده لأنه القائل:

" ادعنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز ٥٠ : ١٥).

فليت الرب يسوع يشعرنا بضيق الخطية الذى نحن فيه فنصرخ إليه كى يرحمنا بتوسلات القديسة العذراء وبشفاعة ثمرة بطنها المسيح مخلصنا الذى له المجد إلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر كيهك

فى خطى المسيح

«يكرز ويبشر بملكوت الله» (لو ٨ : ١).

عندما بدأ يسوع خدمته الجهارية فى المجتمع اليهودى، واجهته المتاعب فى كل مكان وكثيراً ما كان يعمل لتغيير الأوضاع والمفاهيم الخاطئة، التى كانت قد سادت وتفشت فى ذلك المجتمع، وطبعته بطابع العنصرية البغيض، وضيق الأفق الممقوت. فبحسب تفكيرهم كان الله هو إله الأمة اليهودية وحدها، والعبادة مقصورة على هيكلها العظيم فى أورشليم، والجميع يجب أن يسخروا لخدمة شعب الله، الذى هو شعب اليهود دون سواه.

وما أكثر ما وجه القادة الدينيون اللوم عنيفاً للسيد المسيح، وكانت جريمته العظمى عندهم أنه يأكل مع العشارين والخطاة، وقد جعلوا هذا دليلاً على أنه لم يأتِ من عند الله. وقد كان لهؤلاء القادة الدينيين تأثيرهم على الرأى العام، وإثارته ضد المسيح ولكن الأمر لم يكن سهلاً لأن الشعب كان يحكم على المسيح بحسب أعماله، وما كان يلمسه فيه من حنو وعطف ومحبة تفوق كل وصف. فالمسيح كان يجول فى كل مدينة وقرية يكرز باقتراب ملكوت الله، ويصنع خيراً، ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس. شفى المرضى وضمد جراحات المجروحين، وعزى الحزانى والبائسين، وفتح أبواب الرجاء على مصاريعها فى وجوه المنبوذين والمطرودين. وكان رجال الدين، من كهنة ولاويين، قد ظنوا أن عملهم هو الخدمة فى الأقداس، ولا شأن لهم بشىء آخر بين الناس وقد وجه السيد المسيح إليهم اللوم على تلك النظرة المحدودة الخاطئة، وقدم لهم قصة ذلك الرجل الذى كان قد خرج من أورشليم وحول وجهه نحو أريحا، وهناك فى الطريق وقع بين أيدى اللصوص الذين فعلوا به ما فعلوه.

لقد كان الكهنة يعتبرون أورشليم والهيكل وحدهما مجال القيام بأعباء وظائفهم

الدينية، ويقدمون خدماتهم فقط للقادمين إلى أورشليم، أما الخارجون منها فلا شأن لهم بهم. نظرة غير صحيحة وبخها السيد المسيح بعنف، عندما وجه الأنظار إلى موقف اللامبالاة الذى وقفه كل من الكاهن واللاوى، اللذين مرا فى ذلك الطريق، دون أن يبديا أى اهتمام بذلك الجريح الطريح هناك على جانب منه. ويمضى السيد المسيح فى رسم اللوحة وإكمال الصورة، فيقول إن سامرياً غريب الجنس مر بذلك المسكين، فرقَ له قلبه، وحنت عليه أحشاؤه. فاحكموا على أنفسكم يا سادة الهيكل وقادة الشعب وخدام الأقداس، أيكم أكثر إنسانية، أنتم يا أبناء الأمة المقدسة وأعضاء الكهنوت اللاوى، أم هذا الغريب المرذول الذى لا تعتدون به ولا تعاملونه؟

أيكم أكثر براً ، أنتم يا حماة الناموس وحافظى الفرائض والطقوس، أم هذا الذى تخطى حدود الجنس وعبر حاجز الخوف ـ الخوف من الإتهام بأنه هو الذى فعل بالمصاب ما به؟

أيكم أقرب إلى هذا الجريح المسكين ، الكاهن بما يمثله من وساطة بينه وبين الله، واللاوى الذى يشارك فى خدمة القدس، أم هذا السامرى الذى لم يكن له أدنى نصيب فى هذه الخدمة أو تلك؟ نعم، أجيبوا: أيكم أقرب لهذا الإنسان؟

ومن فم المتسائل تأتى الإجابة الصحيحة والرد السليم: الذى صنع معه المعروف، الذى لم يعبأ بوقته أو جهده أو بماله فى سبيل الوصول بهذا الإنسان إلى بر السلامة والأمان. تأملوا ما فعله: نزل من على دابته، غسل جراحاته، أركبه، أوصله إلى فندق، دفع مبلغاً مقدماً تحت الحساب على ذمة علاجه، ثم وعد بأن يسدد الباقى عند عودته. كل هذا فى سبيل إنسان لم تكن له به معرفة سابقة. فيالها من روح. وياله من قلب! ويالها من محبة ليس لها نظير!.. محبة تضمد الجراح وتوقف النزف.. محبة أمامها يطأطىء الكثيرون منا رؤوسهم خجلاً لأن محبتهم التى يتشدقون بأنهم قد ضربوا فيها بسهم وافر، هذه المحبة تقوم بعمل عكسى، هو تفتيح الجراح، حتى تلك التى هى على وشك الاندمال. وقد فلسفوا هذا العمل بأنهم يقومون به من أجل خير هذا الجريح أو ذاك،

لأنهم بتفتيح الجراح يقونه شر المضاعفات ـ هكذا يقولون. فمن أين جئتم بهذا، يا فلاسفة العصر وحكماء الزمان؟ ألم تسمعوا ما قاله المسيح الكريم، الذى تزعمون أنكم تسيرون على مثاله، وتنهجون على منواله!؟ ألم يأتكم نبأ الوصية الجديدة التى جاء بها "أن تحبوا بعضكم كما أحببتكم أنا" .. محبة تتأنى وترفق وتستر كثرة من الخطايا؟ ماذا فعلت هذه التى تنهشونها؟ أُمسكت فى زلة!؟ إن الكتاب لم يقل لكم هذا، لكنه قال: "أصلحوا أنتم الروحانيون مثل هذا بروح الوداعة"(غل ٦ : ١)، أرأيتم الجموع تترافع وتتزاحم حول هذه المسكينة التى ألقوا عليها الأيادى؟ إنهم قد عقدوا لها مجلس تأديب كنسى، ووجهوا إليها التهم، وصبوا عليها من اللعنات ما أسعفتهم به ذاكرتهم القوية، وها هم الآن فى الطريق إلى تنفيذ حكم الرجم، فهيا بنا نتبع الموكب. تأمل ها هم يعرجون فى طريقهم على شخص المسيح المبارك، وها هم قد أوقفوا تلك المجرمة فى حضرته القدسية، وهم يزمجرون ويصرون بأسنانهم، وفى يد كل منهم حجر كبير يرغب أن يكون أول من يرمى به هذه التى تعدت على شريعة الله.

عجباً!! عجباً!! ماذا يا هذا؟ إلى أين أنت ذاهب يا قائد الموكب وزعيم المظاهرة؟ لماذا أراك هكذا تولى الأدبار؟ ولماذا تخلت عنك حماستك؟ وأنت يا شاهد العيان، لماذا تراخت قبضتك ووقع منها الحجر الكبير الذى كنت مصمماً على أن تكسر به رأس تلك الشريرة؟ وأنت أيها الشيخ ماذا دهاك؟. أتجرى هكذا كما يفعل الولد الصغير؟ حتى تفعل مثلهم وتجرى؟ ولماذا تنكس رأسك هكذا؟ ألست أنت بلا خطية؟ وأنت يا حامى حمى الفضيلة، والمدعى العام أمام محكمة العدل الإلهى، أحتى أنت عندك خطية؟. وفى مثل لمح البصر لا نجد أمامنا سوى المسيح المبارك، وتلك المتهمة المقدمة للمحاكمة. فهيا بنا نسترق السمع ونصغى لِمَ سيدور بينهما من حوار. أتظن أنه سيوبخها أو يلومها؟ ها قد بدأ الحوار.. أين المشتكون عليكِ؟ أما دانك أحد؟

لا يا سيد.

ولا أنا أدينك. امضى وحذار من الرجوع للخطية. شكراً لك يا سيدى البار. وهذا هو

عهدى أقطعه أمامك، لن أعود، لن أعود للخطية. اذهبى بسلام مغفورة لكِ خطاياكِ. وهكذا أُسدل الستار على مسرحية وضع مشاهدها الأولى التظاهر البشري الكاذب بالغيرة على وصايا الله، والافتخار بالبر الذاتى، الذى تحطم على صخرة الواقع المرير، ووضع خاتمتها حب المسيح للنفوس ورحمته التى لا تبارى.

سيدى. أشكرك لأنك لست كالبشر لكنك الإله العظيم المحب، الواسع الرحمة والكثير الإحسان لبنى الإنسان، وأرجوك أن تعلمنى أن أقتدى بك، وأسلك فى خطاك، فأحب الجميع، وأشفق على الجميع، وهبنى نعمة لكى لا أتسرع أو أحكم فى شيء قبل الوقت، أو أدين عبد غيرى، عالماً أنه لمولاه، بل وأصلى من أجل ضعفاتى وضعفات الآخرين، حتى نتقوى كلنا فيك وفى شدة قوتك.

ولك القوة والمجد إلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر كيهك

ولادة يوحنا المعمدان

«وأما أليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابناً» (لو ١ : ٥٧).

يوحنا المعمدان هو الرجل الذى اختاره الله ليكون سفيراً لابنه الحبيب الرب يسوع المسيح. لذا اهتم الكتاب المقدس بوصف ظروف ميلاده وصفاً دقيقاً، من الساعة التى بشر فيها الملاك جبرائيل أباه زكريا بميلاده إلى حفلة ختانه.

أولاً ـ ظهور الملاك لزكريا فى الهيكل:

فبينما كان زكريا الكاهن داخل الهيكل يبخر، ظهر ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور، وقال له: "إن طلبتك قد سمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، وسيكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس، ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته لكى يهيىء للرب شعباً مستعداً" (لو ١ : ١٣، ١٥، ١٦، ١٧).

فشك زكريا فى هذه البشرى، واستبعد إتمامها لأنه بلغ من العمر عتيا، وزوجته كانت فى سن اليأس ولا يمكن أن تنجب أولاداً، وجاهر بهذا الشك أمام ملاك الرب، وصرح باستحالة حصول ما يقوله مادياً:

فأجاب الملاك قائلا: "أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وأُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنت تكون صامتاً، ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته" (لو ١ : ١٩ ، ٢٠).

وبذلك انتزع كل شك من قلبه، وامتلأ زكريا ثقة بمواعيد الله وأيقن بأن الأمر من عند الله، والله قادر على كل شيء، وأن ابنه القادم سيكون معجزة .... وفى هذه الواقعة نتبين الحكمة من عقاب زكريا فوراً، لأن والد يوحنا العظيم، بل أعظم مواليد النساء

كما شهد له الرب يسوع، يجب أن يكون ممتلئاً من نعمة الإيمان، وإلا تسرب الشك منه إلى ابنه النازل من صلبه، وهذا يبين وجوب امتلاء الآباء والأمهات بروح الله القدوس، ويقين العقيدة السليمة، لينجبوا جيلاً مؤمناً قوياً فى المبادىء المسيحية الصالحة.

ثانياً ـ ظروف الميلاد:

وفى هذه الظروف المعجزية وُلِدَ (يوحنا المعمدان) ففرحت أليصابات، لأنها أصبحت أماً، والأمومة هو الشرف الأسمى الذى تناله المرأة، فقد تصل المرأة بذكائها إلى أن تكون عظيمة فى عالم الأدب، أو فى عالم الثروة والغنى والجاه، أو فى عالم السياسة فتصبح ملكة، ولكنها لن تصل فى كل ذلك إلى المكانة السامية التى أهلتها وتؤهلها لها الأمومة، فإن المرأة استطاعت عن طريق الأمومة أن تكن أماً للعلماء، وأماً للوزراء وأماً للملوك، وأماً للأنبياء، وأماً لله، وهذا شرف لا يمكن لأحد من عظماء الرجال أن يحلم به أو يفكر فيه فالطفل الوليد هو فخر أمه، ومتمم لسعادتها وهنائها.

والطفل هو أعظم البركات التى يهبها الله للأم، لأنه يهذب عواطفها ويكمل فضائلها، فالطفل هو المعلم الكفء الذى يعلم والدته فضيلة الصبر، وفضيلة الإيثار، والتضحية، وإنكار الذات والمحبة، وغير ذلك من الكمالات الملائكية.

فوظيفة الأم هى الواجب الأقدس الذى تقوم به الأم أمام الله، وللكنيسة وللوطن، لأن طفلها هو الجوهرة الكريمة التى تقوم بصقلها وتهذيبها، لتكون لامعة فى تاج مخلوقات الله، وهو القطعة الذهبية التى تصوغها حلية كريمة فى جسد الكنيسة، وهو الحجر الذى تنحته لتضعه فى زاوية بناء الوطن. وبالجملة فالطفل هو الذى يمكن المرأة من تأدية واجبها الذى خُلقت من أجله.

فواجب المرأة الأول أن تتفرغ لتنشئة طفلها، وذلك بأن توقف كل جهودها ومواهبها، ووقتها على تربيته، وتهذيبه جسدياً، وعقلياً، وروحياً. وهى المسئول الأول عن تقدم الكنيسة والأمة، وعلى فهمنا لخطورة وظيفتها يتوقف تقدم الكنيسة فى معارج السمو والخلود.

فالطفل يأخذ من لبن أمه الصحة والنمو والحياة، وفى هذا اللبن يتلقى الأخلاق، والعادات التى لا تقوى كل وسائل التربية على انتزاعها من طبعه. والأم تتلقى من رضيعها دروس الأمومة الكريمة فالأم تهذب الطفل، وهو يلقنها فن الأمومة.

ثالثاً ـ فرح الجيران:

وفرح جيران أليصابات معها عملاً بقول الكتاب "فرحاً مع الفرحين، وشاركوها فى فرحها، ليزيدوا بهجتها وسرورها، لأن كل شيء إذا قسم نقص ما عدا الفرح فإنه يزداد بالاشتراك فيه.

وفرح الجيران بميلاد يوحنا. لأنه رزق جديد للبيئة التى يعيشون فيها، وجندى جديد بل قوة أضيفت إلى مجد الوطن، فكل طفل يولد هو كسب لا لعائلته فقط بل لأمته أيضاً، فكما تبنى عائلته عليه آمالها الكبار، كذلك الأمة تأمل أن يكون رجلها الذى تعول على عضده وعقله ونفسه الكبيرة، ونبوغه، والجيران رأوا فى يوحنا قوة الله، وتأكدوا أنه طفل غير عادى، وطربوا له، وبنوا على ميلاد يوحنا قصوراً من الآمال الوطنية والدينية.

وظهر فرح الجيران فى حفلة ختان يوحنا، والختان هو العلامة المحسوسة التى فرضها الله على اليهودى الدالة على اندماجه فى شعب الله، وتبرهن على إنه أصبح من أولاد الله، ومكرس لله وفى هذه الحفلة العائلية يختار والدا الطفل "اسمه" الذى سينادى به فى المستقبل طول أيام حياته، وسيذكر به بعد مماته، وسيُكتب هذا الاسم فى سجل الحياة الأبدية.

رابعاً ـ اسم المولود:

ولذلك كان الاهتمام باختيار اسم الوليد جديراً بالتقدير من القوم فسأل الجيران أليصابات عن الاسم الذى عزمت أن تطلقه على طفلها فأجابت يُدعى "يوحنا" فاعترضوا عليها، لأن هذا الاسم ليس فى عشيرتها ولا يحمل طابع قوميتها. فطلبوا منها أن تسميه بأسماء أسرتها تخليداً لها. وغيرة القوم أسماء أمتهم. واعتزازهم بهذه الأسماء. واطلاقهم

إياها على أبنائهم عادة حميدة. وفضيلة وطنية تستحق كل ثناء. لأن الاسم، هو العلامة الأولى الدالة عَلى الجنسية. والإشارة الدالة على ماهية الشخص وبلده ودينه وعقيدته وكنيسته. فإذا ما أهملها قوم وتسموا بأسماء أجنبية أنكروا قوميتهم ووطنيتهم وجنسيتهم ودينهم وعقيدتهم وكنيستهم. وهذه كلها جرائم أدبية لا تُغتفر. فاحتجاج الجيران على أليصابات لخروجها عن هذه العادة الجميلة فى التسمية كان فى محله. وتشدد الجيران فى ضرورة الرجوع فى تسمية الطفل إلى تقاليد العشائر أمر واجب. غير أن أليصابات صممت على تسميته (بيوحنا) فتركوها ولجاؤا إلى والده زكريا وسألوه عن الاسم الذى يرغب فى اطلاقه على الطفل. فطلب لوحاً وكتب "يوحنا" وهنا عرف الجيران أن أمر هذا الطفل عجيب. وأن وليد الله دخل فى الموضوع. فاذعنوا إلى إرادة الله.

خامساً ـ زكريا يتكلم:

وفى الحال انفتح فم زكريا وانطلق لسانه وتكلم وبارك الله قائلاً: "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه. كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر. خلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا. ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدى أعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا. وأنت أيها الصبى نبى العلى تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه. لتُعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم. بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضىء على انجالسين فى الظلمة وظلال الموت لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام (لو ١ : ٦٨ ـ ٧٩).

لقد صمت زكريا تسعة شهور. صرفها فى التأمل العميق. واستعاد فيها مواعيد الله القدير. ودرس النبوات العديدة وخرج من كل ذلك بالتسبحة المتقدمة الدالة على نضوجه الروحى وإيمانه القوى. وتعتبر هذه التسبحة من ذخائر الكتاب المقدس. فقد أظهر فيها زكريا إيمانه بخلاص الله وتسليمه التام لإرادة الله. وابتهاجه بعناية الله بشعبه. وبقرب

مجیء مسيا المنتظر.

نستنتج من ذلك:

إن الله كثيراً ما يتمهل ولكنه لا يهمل فى الوقت المناسب والمعين لدى مشيئته يقوم عاجلاً وينصفهم سريعاً. وإنا نلمس عدم استجابة صلاة زكريا وامرأته فى حينها للأسباب الآتية:

١ ـ إن المكنى عنها (لتكون أماً للمسيح ... مريم العذراء) لم تولد بعد.

٢ ـ إن ملء الزمان لتحقيق سر التجسد لم يكمل بعد.

٣ ـ إن معمودية التوبة والاعتراف والتطهير لم تتأسس بعد.

٤ ـ لكى يتشرف يوحنا بتعميد (الأقنوم الثانى .... الابن الكلمة. الله الظاهر فى الجسد ـ يسوع المسيح) الذى لم يولد بعد.

ولأسباب أخرى كثيرة فى علمه العظيم، لم يستجب الله لصلواتهما فى حينه، ولكنه حققها فى الوقت المناسب.

وفوق ما افتكر وطلب زكريا وأليصابات اللذين طلبا ولداً (مجرد ولد) ولكن الله أعطاهما أعظم مواليد النساء.

"لأنى أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان" (لو ٧ : ٢٨).

وله المجد إلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم الثامن والعشرين من شهر كيهك

برمون الميلاد (المولود العجيب)

«فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» **(لو٢ : ١٠)**.

تحتفل كنيستنا القبطية مساءً بعيد الميلاد المجيد هو أحد الأعياد السيدية الكبرى استمع فيه ساكنوا الأرض لهتاف ساكنى السماء، فكانت بشائر الحب الأقدس، والإيمان الأوثق، وتحقيق الرجاء. استمع إلى أغاريد الملائكة رعاة الغنم، بينما أغفل عنها جهابذة ذلك العصر من رعاة الأمم.

فبينما كان الرعاة يحرسون قطعانهم، ويتناجون فيما بينهم، إذا أبرق حولهم نور، وبدت تباشير السرور.

قال الملاك المبشر: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه وُلِدَ لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (لو ٢ : ١٠ ، ١١) وفجأة ظهرت كوكبة من الملائكة تترنم بصوت عذب، يجلله رنين الحب:

"المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو ٢ : ١٤).

وهرع الرعاة إلى بيت لحم، وتحققوا العلامة التى أشار إليها الملاك "فوجدوا طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود" (لو ٢ : ١٢).

كانت الآية العظمى لآحاز: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧ : ١٤).

وقصد إشعياء أن يقرر من هذه الآية أو المعجزة، معجزة الدهور فى ذهن آحاز وأذهان شعبه، أن عمانوئيل ومعناه الله معنا، الله مع يهوذا، وأراد أن يؤكد هذا المعنى لآحاز ليطيب نفسه ويطمئنه.

"تشاوروا مشورة فتبطل، تكلموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا" (إش ٨: ١٠) كما أراد أن يؤكد أن بلاده "هى بلاد عمانوئيل" (إش ٨ : ٨).

القادر أن يحفظها ويحميها وينقذها من الأعداء. وفى صورة أبعد ومعنى أسمى وأعمق، أشار النبى إلى عمانوئيل السيد المنتظر، على المدى البعيد، الذى فى مجيئه إلى الأرض بخلاف الناموس، فيولد من عذراء لا تعرف رجلاً، الطفل الذى سيولد للنبى علامة على تحقيق الوعد والنبوة، والابن الذى سيولد عندما ينتهى المُلك من يهوذا ومشترع من بين رجليه فيأتى مولود العذراء ليخلص العالم. ومع مرور الأيام وكر الأعوام تتحقق على وجهها الثانى، "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غل ٤ : ٤).

فبعث الرب ملاكه جبرائيل وبشر العذراء مريم. "ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية خاتماً على صدق النبوة التى سبق إشعياء منذ سنة ٧٥٠ (إش ٧ : ١٤) (لو ١ : ٣١ ـ٣٣). وهو ما أدركه معلمو اليهود، وأكده القديس متى، مقتبساً نفس الوارد فى إشعياء. ثم يتقدم إشعياء إلى دائرة النور، ليرسم لنا هالة المجد التى يراها تحيط بمولود العذراء، عمانوئيل، وليكشف جلال مجده، ومجد ألوهيته قائلاً: "لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش ٩ : ٦).

فهو عجيب حقاً، لأنه من نوع وطراز آخر من المواليد، إذ هو الإله المتجسد، لهذا قال، يولد لنا ولد، مشيراً إلى طبيعته البشرية، سيولد كما يولد البشر، من عذراء لم تعرف رجلاً ليكون "بلا خطيئة" (عب ٤ : ١٥). ميلاداً حقيقياً، ليكون آدم الثانى، وليس ميلاداً خيالياً، ولا إنساناً حل عليه روح الله، ولا آخذاً هيئة جسد. إن أعجوبة العجائب هى أنه وهو الإله الأزلى يولد كطفل، خالق الكل يولد من عذراء، القادر على كل شىء يتعلق بصدر امرأة، الذى مسك الكون بيمينه تحمله ذراعا أم، الذى يعطى الجميع حياة

وقوتاً، وفراخ الغربان طعاماً يرضع لبن الثديين ملك الملوك ورب الأرباب يحسب ابن يوسف.

عجيب، لأنه عمانوئيل، الله معنا، الله ظهر فى الجسد. الخالق جاء ليجدد الخليقة التى فسدت، ولن يجتذبنا بالقوة وإنما لبس جسدنا لكى فى صورتنا يأسرنا. فأخذ الذى لنا ليعطينا الذى له.

وميلاده صار ميلاداً وتجديداً لجميعنا، وعندما تحطم أمل الإنسان، صار تجسد الإله ينبوعاً يفيض له بالأمل والرجاء. ولهذا قال بلسان هوشع: "كنت أجذبهم بحبال البشر وبربط المحبة" (هو ١١ : ٤). وذلك عن طريق جسد بشريته، ليس بالخوف والرهبة كما كان يكلم موسى من وسط النار والبروق والرعود بل فى جسده الطاهر الوديع، فى محبته المتدفقة التى أنزلته إلى ضعفنا ليرفعنا إلى مجده، "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣).

وقد عرفته الملائكة أنه الله مع البشر، فلم تحتمل الصمت، فتحركت تحركات لم ترها البشرية من آدم إلى الآن. لقد خرجوا فرحين من عالمهم غير المنظور ليظهروا للبشر عظمة الحدث، لقد كانت مظاهرة ارتجت لها السماء وذهل سكان الأرض، إذ ظهر جمهور من الجند السماوى يسبحون الله ويقولون: "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو ٢ : ١٣).

إنه مولود سماوى عرفه جند سماوى قبل أن ينزل إلى الأرض. ولقد كان عجيباً حقاً أن جاء هذا الجمهور من الجند السماوى ليحيطوه بالتهليل والتسبيح الخاصين بالله والذى تعودوه ويداومون عليه فى السماء، ويدعون البشر ليشتركوا معهم فى هذا الفرح والتمجيد، فأعلن الملائكة أنه الرب، وصدق الرعاة أنه الرب، وآمن المجوس أنه الرب، ونحن أيضاً نؤمن أنه الرب.

لقد شد انتباه وتساؤل الناس، وما زالت حياته على الأرض لغزاً يحير الكثيرين.

أما قالوا عندما سمعوه يتكلم "من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟" (مت ٣: ٥٤).

أما تعجبوا "لأنه بسلطان يأمر الأرواح النجسة فتطيعه" (مر ١ : ٢٧).

أما أسرعت السامرية تنادى: "هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت ألعل هذا هو المسيح" (يو ٤ : ٢٩).

عجيب فى مولده من عذراء، وهى معجزة المعجزات التى لم ولن تحدث فى العالم، ولكنها الآية التى يعطيها السيد الرب، فلم نقرأ عن شخص وُلِدَ من عذراء إلا يسوع، ولم نسمع عن عذراء أنها حبلت وولدت بغير رجل إلا مريم. وفى هذا كل العجب. وذلك لتظهر قوته، ويتميز ميلاده عن سائر البشر.

وولادة الرب يسوع من عذراء بهذه الصورة المعجزية، غير العادية، يشير إلى حياته التى انفردت بهذا الميلاد، لأنه سيكون شخصاً غير عادى، يتميز بالقوة والقداسة الإلهيتين اللتين سيظهر بهما للعالم. ولذا فهو عجيب، مميز، ممتاز، منفرد. امتاز عن كل بشر كما وصفه سليمان الحكيم: "معلم بين ربوة" (نش ٥: ١٠).

فقد كانت حياته ورسالته وتعاليمه، دعوة الكمال والقداسة.

"لم يتكلم قط إنسانٌ هكذا" (يو ٧ : ٤٦). وكان بشخصه المثال الكامل للبشرية المنحدرة، "لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر" (١ بط٢ : ٢٢)، لهذا وصفه المرنم: "أنت أبرع جمالاً من بنى البشر" (مز ٤٥ : ٢) ولا توجد أدنى مقارنة بينه وبين أى من الأنبياء، لذلك ميزه الرسول بولس عن الجميع بقوله: "أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (عب ١ : ٩).

ليس الجمال الجسدى، بل الجمال الأدبى والروحى، فى الصفات الطاهرة والأعمال القدسية. جمال قداسته، جمال فدائه وتطهيره، ولم يكن جميلاً فقط بل ويمنح ويضفى الجمال والطهر على الآخرين كما قال إشعياء (إش ٦١ : ٣)، وأعلن الرسول بولس إتمامه فى كنيسته المقدسة "لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو

شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أف ٥ : ٢٧).

وعذراوية الميلاد العجيب كانت مؤشر القداسة الكاملة والكمال الإلهي الذى لم يضارعه فيه بشر، "لأنه قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عب ٧ : ٢٦).

وهو ما أوضحه السيد بقوله: "لأن رئيس هذا العالم (إبليس) يأتى وليس له فيَّ شيء" (يو ١٤ : ٣٠).

ولذلك فهو لا نظير له قد تميز عن سائر الأسماء "اسماً فوق كل اسم" (فى ٢ : ٩).

ولأنه جاء لنا بما لم يأتِ به غيره.

"لأن الناموس بموسى أُعطِيَ وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١ : ١٧).

وبشارته المفرحة لم تقف عند حدود اليهودية بل تعدتها إلى العالم أجمع موجهاً تلاميذه ليكرزوا بالإنجيل "للخليقة كلها" (مر ١٦ : ١٥).

الذى وإن كتب بلغة واحدة فاليوم يقرأه ملايين البشر فى أكثر من ألف لغة فى كل بقاع الأرض. لم يعرف تحزب.

يا إلهنا العجيب، الذى جمعت إلى لاهوتك الكامل ناسوتك الكامل، وإن جهل العالم حقيقتك لكن فيك كانت الحياة. فيك ظهرت محبة الله مخلصة غنية كريمة، فى حنان ورحمة متدفقة، ونور وقداسة إذ أنت بار وقدوس، عرفتنا ذاتك وحللت بيننا حتى لا تكون بعيداً عنا متعالياً علينا، بذلت ذاتك "واشتريتنا بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ ٥ : ٩).

فوضعت مباديء التضحية والإيثار، ولم يقلل هذا من مجدك وعظمتك وألوهيتك، وإنما فى جلال ربوبيتك تواضعت ولبست جسد بشريتنا لترفعنا إلى مجدك.

حقاً إنها آية الآيات ومعجزة الدهور فى هذا الميلاد الباهر العجيب وكيف أن الإله

العظيم الذى لا ينظر ولا يراه أحد مطلقاً يتنازل ويولد ميلاداً عجيباً فى هذا الوجود ويسكن مع البشر وديعاً متواضعاً ليرفع الإنسان المسكين من سقطته وينقذه من الهوة السحيقة التى انزلق فيها ويعيد إلى البشرية جمعاء ما فقدته بعصيانها ومخالفتها لوصية الله المقدسة ويفكها من أسرها وعبوديتها المُرة التى كانت تعيش فيها والظلام الذى كان يحوط بها من كل جانب وينير لها طريق المجد والخلود حيث بميلاده الباهر سطع بنوره عليها وأضاء على كل نواحى حياتها وبدد عنها كل ظلمات الخطية وشرها الوبيل.

وليتمجد اسمه العظيم القدوس من الآن وإلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم التاسع والعشرين من شهر كيهك

عيد الميلاد المجيد

«أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له»(مت ٢ : ٢)

وطبيعى أنه يكون هذا أول سؤال يلقيه أولئك المنجمون، وهو سؤال يثير الرعب والاهتمام فى أورشليم، ففى المدينة المقدسة ما كانوا يعرفون شيئاً عن مدارس التنجيم.

أصاب الفزع هيرودس الطاغية الظالم، فإن إعلان ميلاد ملك جديد يحيط شكوكاً حول سلطانه وملكه. أما الشعب فقد أصيب بنوع من الهوس، كما تُنبئ عن ذلك المصادر التاريخية.

وفى هذا يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى أنه حوالى ذلك الزمن ذاعت شائعات قوية مؤداها أن الله قد افتقد شعبه، وأن حكم الرومان الغرباء أوشك على نهايته، وأن علامة من السماء قد أعلنت مجئ ملك يهودى، وكان الرومان هم الذين عينوا هيرودس ملكاً، ولم يكن يهودياً بل كان أدومياً.

لم يتردد هيرودس لحظة، "فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح" (مت ٢ : ٤). وراح هؤلاء ينقبون فى الأسفار المقدسة القديمة وعثروا على إشارة فى نبوات النبى ميخا الذى عاش قبل سبعمائة سنة فى مملكة يهوذا تقول : " أما أنتِ يا بيت لحم أفراته وأنتِ صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا ٥ : ٢).

ودعا هيرودس الحكماء ثم "أرسلهم إلى بيت لحم" (مت ٢ : ٧، ٨).

"وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم" (مت ٢ : ٩).

وفى كل سنة يسمع ملايين من البشر من كل أنحاء العالم قصة حكماء المجوس من المشرق، ونجم بيت لحم تقترن بعيد الميلاد، وتتخذ القصة أوضاعاً رائعة فى الأدب والقصة

والرسم إلى جانب تاريخ الميلاد.

وفى اليوم التاسع والعشرين تحتفل الكنيسة بعيد الميلاد المجيد، وفى كل عام نحتفل بهذه الذكرى بقلوب أفعمت بالسرور وامتلأت بالبهجة.

فما أقدس هذا العيد وما أحب هذه الذكرى لقلوب المؤمنين الذين ينعمون بها إذ تذكرهم بإحسان الله إلى العالم باسمى عطاياه. ومحبة الله الفائقة المعرفة. تلك المحبة التى أظهرت فى إرسال الابن الوحيد إلى العالم... مخلصاً ومانحاً الحياة (١يو ٤ :٩، ١٤).

ولقد كان مجئ المسيح المخلص إلى العالم أمنية خفقت لها قلوب وتاقت إليها نفوس. فالقدير قد تكلم بالسلام لشعبه وأعطاهم وعداً بالخلاص وعهداً بالسلام "لأنى قد عرفت الأفكار التى أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر. لأعطيكم آخرة ورجاء" (إر ٢٩ : ١١).

أما رئيس ذلك السلام وصانعه فهو ذلك الذى أشار إليه إشعياء فى نبوته منذ سنة ٧٥٠ قبل الميلاد : "لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيبا "مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش ٩ : ٦).

ولقد مكث العالم فى ظلام الخطية وعتمة الجهالة الدامسة نحو ٥٥٠٠ سنة وكان الرجاء بمجئ المخلص والفادى والمنقذ ـ هو أغنية ذلك الليل الطويل فكان الآباء والأنبياء وجميع الأمناء من شعب الله. يتطلعون بحنين واشتياق إلى بزوغ نجمه ولسان حالهم يقول مع النبى "ليتك تشق السموات وتنزل" (إش ٦٤ :١).

وقد كان بين هؤلاء الذين آمنوا بصدق المواعيد الإلهية الكريمة والذين كانوا ينتظرون الفداء، وتعزية إسرائيل "سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل وغيرهما" (لو ٢ : ٢٥، ٣٦، ٣٨).

ومنذ عشرين قرناً. وفى إحدى ليالى الشتاء القارسة البرد ظهر ملاك الرب من السماء لرعاة يحرسون رعيتهم عند مدينة بيت لحم ومعناها (بيت الخبز) منادياً لهم : "لا تخافوا

فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه وُلِدَ لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (لو٢ : ١٠، ١١).

وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة" (لو ٢ : ١٤).

بهذه الكلمات زفت بشارة الميلاد إلى سكان الأرض، وبهذا الهتاف الملائكى أعلنت سنة اليوبيل لأسرى الخطية وعبيد الشيطان.

لقد أشرقت شمس البر والشفاء فى أجنحتها للجالسين فى الظلمة وظلال الموت. ولئلا يتوهم البعض أن ميلاد الرب يسوع الثانى بالجسد من العذراء القديسة مريم، يناقض أو يتعارض مع ميلاده الأول الأزلى من الآب قبل كل الدهور، فقد دُعِىَ ابن الله "الله ظهر فى الجسد" (١تى ٣ : ١٦).

وإننا كمسيحيين نعرف ونؤمن أن الله لم يلد ولم يولد، معاذ الله أن يلد الله كما يلد الإنسان أو كما يلد الحيوان. فإن الولادة فى عالم الإنسان والحيوان يقتضى الجسد يعنى يقتضى اجماع ذكر مع أنثى.

بينما أن الله روح "كما يقول يوحنا البشير" (يو٤ : ٢٤).

فقد دُعِىَ إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، ونوح نبى الله.

ولكن هذه الصفات يمكن أن تسند إلى البشر.

أما أن نقول عن المسيح أنه كلمة الله فهذا لم يسند إلى بشر وخصوصاً إذا عرفنا أن الكلمة كانت موجودة قبل ميلاد المسيح من عذراء. يقول يوحنا الإنجيلى "ففى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.. كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو١ : ١، ٣) وهذا إن دل على شئ فعلى أزلية المسيح إنه موجود قبل ولادته من مريم، والشخص الموجود قبل ولادته لا يمكن أن يكون إنساناً بل هذا وحده

من صفات الله الأزلى على حد تعبير القديس باسيليوس: (أيها الكائن السيد الرب الإله الحق، الكائن قبل الدهور والمالك إلى الأبد) القداس الباسيلى إذن فالمسيح هو كلمة الله والمسيح هو روح الله وعلى هذا القياس فالمسيح أيضاً هو ابن الله.

وفى حدود عقولنا البشرية وباللغة التى تدركها مشاعرنا كلمنا الله وعبر لنا عن ذاته لتحوط أفهامنا معرفته، ولهذا نقرأ فى الكتب المقدسة، ويكتب العلماء عن وجه الله، ويد الله، وفم الله، وأصبع الله وما شاكل ذلك. ولم يفكر أحد مطلقا فى أعضاء جسدية للذات الإلهية، بل نفهم على أن وجهه يعنى رضاه وعينه تعنى عنايته ويده أى قدرته.

وهكذا يجب أن نفهم أن ابن الله ليست أكثر صعوبة من هذه التعبيرات والتشبيهات، فينصرف التفكير إلى بنوة جسدية صرفية، وإنما يلزم أن نفهمها ونأخذها بمعناها الروحى "أن الآب فىَّ وأنا فيه" (يو١٠ : ٣٨).

وللبنوة أكثر من معنى، فقد استعملت كلمة ابن فى عدة مواضع بمعانٍ مختلفة نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

كما قيل "آدم ابن الله " (لو ٣ : ٣٨) أى أن الله خلقه.

كما دُعِيَ البشر أبناء الله لأنه خالقهم : "أليس أب واحد لكُلينا. أليس إله واحد خلقنا" (ملا ٢ : ١٠).

كقول الكتاب بنو صهيون، وابنة أورشليم (صف ٣ : ١٤).

وكما نقول نحن ابن مصر وأبناء النيل ... إلخ.

فمرحباً بعيد ميلاد الفادى الحبيب. مريح التعابى ورجاء البائسين وملجأ المتضايقين وعزاء الحزانى. مرحباً بعيد ملك الملوك ورب الأرباب.

ولكن كثيرون يعيدون عيد ميلاد المسيح وهم لا يعرفون كما ينبغى من هو يسوع المسيح. فمن هو الشخص العجيب، الذى علقت عليه آمال البشرية. وشخصت إليه أبصار الجميع.

من هو يسوع المسيح الذى رأى إبراهيم بالإيمان يومه وتهلل والذى نشده إشعياء وإرميا؟

لا يوجد سؤال يشغل أفكار الملايين من البشر كهذا السؤال، والمسيح نفسه يسألنا ماذا تظنون فىَّ ؟ من تقولون إنى أنا ؟ "وإذ ليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطِىَ بين الناس به ينبغى أن نخلص (أع ٤ : ١٢) فلذلك يجب أن نعرف الجواب الصحيح.

وشكراً لله "الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح" (٢ كو ٤ : ٦). يسوع المسيح هو ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦).

وهذا الإيمان هو الإحساس الذى بنيت عليه كنيسة الله عامود الحق وقاعدته، وقانون إيمان الكنيسة المقدسة الجامعة يعترف (برب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الآب قبل كل الدهور نورٌ من نور إله حق من إله حق ...).

واسمه يسوع المسيح مركب من كلمتين (ياه - سوع) أى يهوه مخلص. وهو الاسم الذى تسمى به من الملاك "تدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت ١ : ٢١).

أما الكلمة (مسيح) فمعناها الممسوح (المدهون بدهن المسحة).

وإلى هذه المسحة قد أشار الكتاب المقدس فى المزمور الخامس والأربعين عدد ٧ يقول : "أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥ : ٧).

ولذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم.

أما عصمة يسوع المسيح فقد آمنت به فى العهدين القديم والجديد.

ففى اليهودية نقرأ عن المسيح أنه مولود من عذراء "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعِىَ اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (مت ١ : ٢٣).

وفى المسيحية قال عنه بطرس الرسول : "الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر" (١بط ٢ : ٢٢) ووقف السيد المسيح له المجد يوماً أمام أعدائه يتحداهم قائلاً :

"من منكم يبكتنى على خطية" (يو ٨ : ٤٦) فخرسوا جميعاً.

ففى الوقت الذى نرى فيه لكل إنسان خطية بل خطايا كثيرة. نرى يسوع المسيح الواحد الوحيد بلا خطية منزهاً عن كل معصية وإثم. والكتاب المقدس يلقبه "بابن الله" (يو ١ : ٣٤).

فإن كنا نحن قد وهبنا لقب أبناء الله. فذلك لأن "الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو ١ : ١٢) فنحن أبناء بالنعمة "من ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو ١ : ١٦) "فمبارك هو الله الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح" (أف ١ : ٣) أما هو فابن الله بالطبيعة والجوهر.

"ففى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو ١ : ١ ، ٣).

فالمسيح لم يكن رباً بين أرباب كثيرين ولكنه هو إله الآلهة وملك الملوك ورب الأرباب. "المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى له وحده عدم الموت ساكناً فى نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه (فى مجد لاهوته وعظمة قدرته) الذى له الكرامة والقدرة الأبدية آمين" (١تى ٦ : ١٥ ، ١٦).

وفى نبوة إشعياء عن رئيس السلام نسمع عجباً أن يقول : "يولد لنا ولد ونُعطى ابناً ... ويُدعى اسمه عجيباً مُشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً " (إش ٩ : ٦).

وكان ميلاده فى مدينة بيت لحم وفى زمن تملك أوغسطس قيصر. ولكن ميخا النبى يشهد بأزلية هذا المولود العجيب قائلاً : "أما أنتِ يا بيت لحم وأنتِ صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا ٥ : ٢).

وما أشد عجب اليهود ودهشتهم عندما سمعوا المسيح نفسه يقول لهم : "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح. فقالوا له ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم.

أجاب يسوع :" الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو ٨ : ٥٦ ، ٥٨). أجل فهذا المولود من عذراء هو الابن الوحيد "صورة الله غير المنظور" (كو ١ : ١٥).

"وهو بهاء مجده ورسم جوهره" (عب ١ : ٣) وهو فى هذه الآية كأنه يُشبه الآب بالشمس والابن بالشعاع الذى يصدر من الشمس ليس متأخراً عنها بزمن لأنه متى وجدت الشمس وجد شعاعها. فلا تستلزم بنوية الابن تقدم الآب بالزمن عن الابن. فولادة الابن من الآب أزلية كظهور النور الأزلى من النور الأزلى كما قال الآباء فى مجمع نيقية :

"نورٌ من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق".

(آدم مخلوق غير مولود، المسيح مولود غير مخلوق، الإنسان مخلوق ومولود). ونحن ينبغى لنا أن نصدق شهادة المسيح لنفسه. ولا يمكن أن يشهد المسيح لنفسه بغير الحق إلا إذا نقضنا أعظم المبادئ سمواً. وأرسخها ثباتاً (يو ٣ : ٢ ، ٩ : ٣٠ ـ ٣٣) فماذا قال عن نفسه:

سأله فيلبس أن يريهم الآب فقال له المسيح : "أنا معكم زماناً هذا مدته ولم تعرفنى يا فيلبس" (يو ١٤ : ٩) وكأن فيلبس يقول يا سيد نعم نحن نعرف من أنت "أنت المسيح ابن الله الحى" (يو ١ : ٤٩) "أنت الذى خرت الأرواح عند قدميه معترفة بأنك القدوس ابن الله" (مت ٨ : ٢٩) (مر٣ : ١١) وأنت الذى شهد له الآب من السماء. ولكننا نريد أن نرى الآب.

فكان جواب السيد أيضاً : "الذى رآنى فقد رأى الآب. فكيف تقول أرنا الآب. ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ وإلا فصدقونى بسبب الأعمال نفسها" (يو ١٤ : ٩ـ ١١).

ولقد أدرك اليهود من إعلانات السيد عن ذاته أنه يجعل نفسه معادلاً لله (يو ٥: ١٧، ١٨، ٨: ٥٩) ولقد أعلن أنه قد جاء من السماء (يو ٣: ١٣، ١٦، ٢٧) وأنه والآب واحد (يو ١٠: ٣٠) وأنه رب الحياة (يو ٥: ٢١) وأنه صاحب المجد الأزلى.

هذا هو جواب الكتاب المقدس على السؤال. من هو المسيح؟.

وهذا هو إعلانه عن ذلك المولود العجيب "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب" (يو ١: ١٤).

أجل مولود العذراء العجيب هو "الله ظهر فى الجسد" (١تى ٣: ١٦).

لقد تنازل لخلاصنا. فشاركنا فى اللحم والدم. "والذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس" (فى ٢: ٦، ٧).

قال أوغسطينوس فى كتاب اعترافاته :

إن الوسيط بين الله والناس يجب أن يكون فيه شئ يشبه الله وشئ يشبه الناس لئلا يكون بعيداً عن الله إذا كان فى الأمرين شبيهاً بالناس أو لئلا يكون بعيداً عن الناس إذا كان فى الأمرين شبيهاً بالله وهكذا لا يكون وسيطاً (لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين).

فهذه الشخصية العجيبة كانت لمولود بيت لحم الذى قيل عنه "من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو ٨: ٩).

قدم المجوس للطفل ذهباً ولباناً ومراً. قدموا هذه الهدايا الثلاث رمزاً لوظائف المسيا.

الذهب : رمز لملكه إذ أنه ملك السموات والأرض.

"له على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ١٩: ١٦).

واللبان : رمز للكهنوت لأنه قدم ذاته ذبيحة أبدية عن البشر.

"لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس" (عب ٧: ٢٦).

والمر : رمز لآلامه كما قال عنه إشعياء النبى.

"لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ... وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبجراحاته شفينا" (إش ٥٣ : ٤، ٥).

وقيل أنهم قدموا هذه الهدايا كما تعودوا أن يقدموا فى بلادهم، إذ كانوا يقدمون الذهب للملوك واللبان للآلهة، والمر لتكفين الموتى.

فاليوم نعيد عيداً مجيداً ونفرح فرحاً عظيماً، وكل إنسان يمكنه أن يشترك معنا فى هذا الفرح، الخطاة والعبيد، المرضى والأسرى. إن باب الخلاص قد فتح للجميع. فلندخل آمنين. ولنشكر ذلك المصالح الذى وضع يده على كلَيْنا (أى ٩: ٣٣).

يجب أن نفرح ونبتهج فى هذا العيد المقدس، متمثلين فيه بركات الله العظيمة التى أعطاها لنا فى ابنه.

المسيح أدخل إلى العالم روح سرور وبهجة، وكان شعار تلاميذه "افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤ : ٤).

وهكذا دخل يسوع إلى العالم بين هتاف ملائكة وتهليلات سماوية وهدايا تحف به.

فالفرح الحقيقى هو بالخلاص من إلهك الأبدى. ومركزه القلب النقى. أما الذين لم ينالوا نصيبهم للآن من بركات هذا العيد فأولى بهم أن يحزنوا. بينما كان الرعاة فرحين يوم ميلاد المسيح كان هيرودس مغموماً مضطرباً. وهكذا فالمؤمن الذى رأى مخلصه يفرح اليوم، أما الذى لم يأتِ إليه فهو شريك هيرودس فى همه. هكذا يفرح المؤمنون بميلاد المسيح، بينما يكون هذا الميلاد حزناً لغيرهم.

فاليوم، يريد الله منا أن نذهب بعقولنا إلى بيت لحم لنرى ابنه متجسداً لأجلنا. لنسرع

إليه مؤمنين برسالته فرحين بقدومه. ولكن للأسف ففى وسط ضجة الفرح هذه نرى الكثيرين لا يلتفتون لمخلصهم، ولم يذوقوا بعد طعم الفرح به.

ومثل هؤلاء يناديهم إرميا قائلاً : "حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتدة. لأن الرب قد خلق شيئاً حديثاً فى الأرض أنثى تحيط برجل" (إر ٣١ : ٢٢).

إن عيد الميلاد معناه تجديد نفوسنا. فما أجمل أن يسود روح عيد الميلاد بهذه الصورة فى كل يوم من أيام السنة.

أيها الطفل اللطيف المولود فى بيت لحم، تعالَ اتكئ على صدر النفس، لتجعل الأحزان فى باطنها مسرة، واليأس مجداً، والوحدة سلاماً.

أيها الابن الجليل : لم يستقبلك أحد ليلة ميلادك جاهلين شرف مقامك. أما نحن فنرفع إليك سبحنا لأنك أعلنت لنا.

يا نجم بيت لحم. أشرق بلمعانك الشائق وقدنا إلى حيث يسوع.

أيها الآب السماوى ليزد نور هذا النجم ضياء فى كل عام، وليرسل أشعته بعيد حتى ينير الأرض كلها.

فى مثل هذا اليوم وُلِدَ يسوع. من هذا العيد يستمد المؤمنون سروراً يدوم معهم إلى مجئ العيد الآخر وهكذا إلى ما شاء الله تبقى ولادة يسوع بهجة مستمرة لا تنقطع أبداً.

فما أحلى وما أجمل أن يكون لنا فى كل يوم عيد ميلاد يسوع.

هذا هو المولود العجيب. الذى خلب آلباب البشر.

"إذ لبس الجلال والقدرة وائتزر بالبهاء" (مز٩٣ : ١).

ويقف العز والجمال فى مجلسه (مز ٩٦ : ٦). فهل عرفته؟ (أم ٣٠ : ٤).

أعرفه. وتعرف به ففى معرفته السلامة والخير.

وفى هذا العيد اسمع صوته وافتح قلبك له ليدخل ويسكن فتفرح بخلاصه. وتبتهج بشركته وتتلذذ بسلامه.

منذ سنة ٢٠٠٠ مضت نادت جوقة من ملائكة السماء بالسلام وعلى الأرض السلام. فهل حقيقة نحن فى السلام. أسلام بيننا وبين الله؟

أسلام بيننا وبين ضمائرنا؟ أسلام بيننا وبين نفوسنا وبين آبائنا وأمهاتنا وبين زوجاتنا وأولادنا وأقربائنا وجيراننا وإخوتنا ومواطنينا وبين من نعاملهم؟

ربى وإلهى : يسوع المسيح رئيس السلام. أنشر لواء السلام. وحقق سلامك بين الجوانح والصدور فنحن أحوج ما نكون إليه الآن.

إن البشرية فى ذكرى ميلاده العجيب لتنحنى حمداً وشكراً وترفع تمجيداً وسبحاً لله القدوس الذى تجسد وصار إنساناً من أجلها. وليفتقد الرب كنيسته فى هذه الأيام المباركة فيهبنا سلامه الكامل الذى يفوق كل عقل. وليمنحنا مولود بيت لحم أن نعمل فيما للمحبة والسلام. وأن يرفرف بسلامه الكامل على ربوع بلادنا المصرية المحبوبة التى كرمها وباركها الرب بحضوره إليها وتنقله بين ربوعها.

هذا هو مسيحنا الذى نُعيد الآن لذكرى ميلاده المجيد، فهو يهوه الكائن، والكلمة الذى كان، ومسيا الذى يأتى.

عظيم هو سر التقوى. الله ظهر فى الجسد، فلنسبحه ونبارك اسمه قائلين مع الملائكة:

المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من شهر طوبة

فوضع يديه عليهم

«وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم فشفاهم» (لو ٤ : ٤٠).

نعم... وضع يديه عليهم... وشفاهم... لمسهم جميعاً بلمسته الشافية (لو ٦ : ١٩) أولئك الذين صرخوا إليه. الذين توسلوا.. الذين أتوا على أقدامهم. الذين ارتموا على قارعة الطريق... الذين استطاعت أن تحملهم أرجلهم والذين حملهم أقاربهم... الذين خرست ألسنتهم، فاكتفوا بحديث العيون الباكية. هؤلاء وأولئك، كان طريقهم الوحيد للوصول إلى قلبه حاجتهم، وحبه.

فوضع يديه على كل منهم. إن كل واحد يحتاج إلى عناية خاصة... إلى لمسة خاصة. ولكل واحد وجّه عنايته وقدم لمسته. إن أعماله "بشائر" وحركاته دروس خالدة. وما عمله فى القديم لم يتوقف عن القيام به يوماً بعد يوم. إن إرسالية فدائه مازالت مستمرة فى أعماق نفس الإنسان، ولو بصورة غير منظورة. إنه مازال يمر بين صفوف العمى والعرج والمفلوجين فى دائرة الروح، ويضع يديه على كل واحد منهم. ومع ذلك ماكنت أدرى عمل نعمته... ماكنت أعرف تعب محبته... ماكنت أوقن تمخضات روحه المتألمة معى، حتى فتحت عينى يوماً على حقيقة حالى. وسمعت صوته يهتف لى: سلم نفسك لى، لكى تولد من جديد. وكما فى الموت، هكذا فى الولادة، ينبغى أن نستودع نفوسنا بين يديه.. لكى نجدها.

إننا ما دمنا نعتقد أننا أصفار فى موكب الحياة.. ما دمنا نظن أن كلمات السيد قد وجهت إلى جمهور عابر، لتطير مع الريح العابرة... ما دمنا نتخيل أن مواعيده لا تتجه إلى نفس معينة.. ما دمنا نعتبر التدين فى حياتنا واجباً جماعياً ظاهرياً، لا يمس كيان النفس، تبقى النفس فى رقاد الموت والخطية. ولكن اليوم الذى يشهد إشراقة النعمة على

الإنسان، اليوم الذى يهتف فيه الآب أمام الغمر والظلمة: "ليكن نور". فيكون نور، تبدأ الرعشة... رعشة الحياة، فى العظام اليابسة.. بل تبدأ قصة الحياة مع أبناء القبر.

وعندما نوقن أن صوته يوجه إلينا... إلينا نحن ونرى عينيه مثبتين علينا نحن.. ونحس بخطواته تقترب منا، منا نحن... إنه يسير إلىّ، فأنا هدفه. لقد ميزنى أنا من بين الجموع حينئذ يمتلكنى الرعب.

الرعب المقدس المُطهر، يختلط بالرغبة الخانقة والألم. إن ذاك الذى يقترب منى هو الذى "لا يستطيع أحد أن يراه ويعيش" بل إنه هو الذى لا يستطيع أحد أن يراه ويموت تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الذين فى القبور صوته. فينالوا الحياة. وكانت هذه لمسة التكريس.

فحينما توضع الأيدى على الكاهن، فهذا يعنى أن كل شئ قد تغير بالنسبة له. لقد أصبح محرراً فى دعوة جديدة، بل فى دائرة جديدة. لم يعد ملكُ نفسه بعد... لم تعد له الحرية ليفعل ما شاء. لقد خُتمت حياته وكيانه ورغائبه، وكل شئ، بخاتم مقدس.

وهذا هو المفهوم الذى أدركته، ياسيدى المسيح، حين وضعت يديك علىّ. لقد أدركت أن هناك قضية تريد أن تصفيها معى.. إن مشروعاً جديداً شاملاً قد بدأ بيننا... إن عهداً جديداً تريد أن تبدأه معى، وأن أقطعه معك. وعلىّ أن أحنى بخضوع رأسى، وأقول: "آمين ياربى". فكل شئ فىّ ينبغى أن يصبح قدساً لك.

كرسنى لك ياسيد. انظر إلىّ بنظرتك الإلهية العميقة الفاحصة، فتحطم أصنامى وتذوب. حطم فىّ أصنام الأنانية والذات والجسدانية. كسر القيود التى أحببتها والتى أصبحت جزءاً منى ـ الرغائب الجامحة التى تجتذبنى بعيداً عن طريقك. وفى هذه لمسة القوة..

فلى كل الثقة بلمستك القوية الرافعة. لى الثقة بأننى عن طريقك سأصبح أهلاً لك. إن العواصف تحاول أن تزعزعنى عن ثباتى. وطريق البرية القاسى بأحجاره ومتاعبه يحاول

أن يثنينى عن المسير. وسفينتى كم بدت كأرجوحة على كف الأمواج.. ولا قوة فىّ إلا بك، وفيك. وطريق الخدمة والواجب، ما أقساه! إننى لن أجاهد فى طريق القداسة إن لم يكن القائد الأعظم بجوارى. لن أسير للعمل فى كرمك إلا بقوتك.

"فوضع يديه عليهم".

نعم ياسيد! كما أنه متعب.. مريض.. أذاب المرض القاسى أحاسيسه، فلم يعد يعرف شيئاً، ولم يعد يدرك الخطر الذى يتهدده فى عيادة الطبيب الأعظم، فى غرفة الكشف، كنت أنا وأنت فقط وجهاً لوجه. كانت جماهير المرضى تدق بابك. ولكنك خصصت لى وقتى.. وساعتى.. وفرصتى. وكانت ساعة الحياة.. ومددت يديك.. يديك اللتين كونتا الوجود.. يديك اللتين تمسك بهما السماء والأرض وكل ما فيهما، يديك اللتين ثقبتا من أجلى على الصليب. يديك اللتين تمسك بهما مفاتيح الموت والهاوية، والخلود. ولمستنى.. وأنا مطروح ومُمدد أمامك، فامسكت بيدى وقلت. أيها الشاب لك أقول قم!

فشكراً لك. لقد وجدت فيك الحياة!

ولك المجد من الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر طوبة

هروب يسوع المسيح إلى مصر وعودته

«قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر» (مت ٢ : ١٣).

أيها الأحباء قدم المجوس الذين أتوا من المشرق إلى الطفل الملكى هداياهم : ذهباً إشارة إلى أنه ملك، ولباناً (أو بخوراً) إشارة إلى أنه إله، ومُراً لأنه يدخل مواد تحنيط الموتى ورمزاً إلى آلامه.

ثم انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم دون أن يرجعوا إلى هيرودس كما أُوحِيَ إليهم بذلك فى حلم.

بعد هذا أرسل ملاك الرب إلى يوسف قائلاً له فى حلم: "قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه" (مت٢ : ١٣).

وبنعمة الله نتكلم عن النقط الآتية:

أولاً ــ اهرب لحياتك :

إن الله يعرف مكر أعدائه وأعداء كنيسته وقد قال قديماً لسنحاريب الطاغية عدو شعبه المختار "ولكننى عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك علىّ" (إش ٣٧ : ٢٨).

وقد بدأت ضيقات المسيح فأُضطهد وهو فى المهد ولم يمضى زمن قصير من ولادته إلا وهو مضطر إلى الهروب فقام يوسف وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس.

لقد قال الملاكان للوط قديماً عندما أرسلهما الله لكى ينقذاه وأهل بيته من الهلاك الذى قضى به على سدوم وعمورة " اهرب لحياتك" (تك ١٩ : ١٧).

ويقول الملاك فى إنجيل قداس اليوم "قم وخذ الصبى وأمه واهرب... وفى هذا إشارة

بينة إلى الخطر ووجوب السرعة فى الهروب منه. وفى العالم يحيط بالمؤمنين خطراً أشر من كبريت سدوم وعمورة أو من سيف هيرودس.

هو خطر الخطية الذى يداهمهم فى أشياء متعددة وأنواع مختلفة ويريد الرب أن نهرب من الخطية وأشباهها حتى لا تمسنا أضرارها ولا نتعرض لأخطارها.

فيقول لنا الوحى الإلهى: "اهربوا من الزنى... كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد لكن الذى يزنى يخطئ إلى جسده" (اكو ٦ : ١٨) اهربوا من الزنى. كما هرب لوط من سدوم وعمورة لأن وراء هذا الشر هلاك عظيم يصيب النفس والجسد والعقل والمال ونجاح الحياة والمستقبل ثم يمتد ضرره إلى الأبدية فيحكم على الذين يرتكبون هذا الإثم بالخلود فى جهنم النار حيث الدود الذى لا يموت والعذاب الذى لا ينقطع ولا يهدأ. "وأما الخائنون... الرجسون.. والزناة.. فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى" (رؤ ٢١ : ٨) ويقول الوحى الإلهى مخاطباً الشباب: "وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها" (٢تى ٢ : ٢٢) من النظرات النجسة المستبيحة من السماح للأذن بسماع الأغانى المبتذلة القبيحة من العشرة الفاسدة المستهترة "لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو ١٥ : ٣٣) اهرب أيها الشاب فهذا جميعه يبدو لك حلواً لذيذاً ولكن آخرته مُرة كالأفسنتين وهذه طرق تبدو لك واسعة جميلة ولكن نهايتها الموت فالنظرات النجسة والأغانى المبتذلة والعشرة الفاسدة طريق ينتهى حتماً بالسقوط فى هذه النجاسة والفساد طريق الشقاء الحاضر وهلاك الأبد. ويقول الوحى الإلهى فى معرض كلامه عن محبة المال: "وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا" (١تى ٦ : ١١) "لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١تى ٦ : ١٠) "والذين يريدون أن يكونوا أغنياء يسقطون فى تجارب وفخاخ وشهوات كثيرة وغبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك" (١تى ٦ : ٩).

ثانياً ـ اهرب من الطمع ومحبة العالم :

لأن العالم يمضى وشهوته: "وكل ما فى العالم هو شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم

المعيشة" (١يو ٢ : ١٦) هذه ليست من الآب بل من العالم ويقول معلمنا يعقوب الرسول:

"من أين الحروب والخصومات بينكم أليست من هنا من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم تشتهون ولستم تمتلكون، تقتلون وتحسدون ولستم تقدروا أن تنالوا. تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون، لأنكم لا تطلبون. تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديئاً لكى تنفقوا فى لذاتكم. أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله" (يع٤ : ١-٤).

إن يوسف خطيب مريم العذراء لما ظهر له الملاك وأنذره بالهرب من سيف هيرودس لم يتوانى بل قام وأخذ الصبى وأمه وهرب إلى مصر ولذلك نجا الطفل يسوع من مذبحة أطفال بيت لحم الفظيعة.

وكذلك لوط "لما أراد أن يتوانى أمسك الملاكان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة" (ويبدو فى هذه اللحظة أن الرب بنفسه قد حضر لإنقاذ لوط، لأن صيغة المثنى تحولت فجأة إلى صيغة المفرد بالنسبة للمتكلم مع لوط (... ولما جاء الرب إلى سدوم) كفَ الملاكان عن التحدث مع لوط، وصار هو المتكلم كما يوضح السفر ذلك...)، فإذا بالرب يقول للوط "اهرب لحياتك، لا تنظر إلى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك" (تك ١٩ : ١٧).

وأيضاً يوسف الصديق لم ينجُ من تجربته المُرة القاسية ويحفظ ثوبه نقياً صافياً إلا لأنه أسرع "فترك ثوبه فى يدها وهرب إلى الخارج" صارخاً فى وجهها "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩).

وهكذا لا يستطيع شاب أن ينجو بحياته من النجاسة.

وأخطارها إلا إذا اختط لنفسه خطة الهروب من تجارب الشهوة وشراكها متمماً لوصية الرسول بطرس القائلة: "هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة" (٢بط١ : ٤).

لكن أصهار لوط الآخذين بناته لما خرج إليهم لوط وأنذرهم قائلاً: قوموا أخرجوا من هذا المكان لأن الرب مُهلك المدينة، سخروا به وبكلامه وكان كمازح فى عيونهم، لأنهم كانوا يرون الجو صحواً وليس فيه ما ينذر بذلك الشر الوبيل ولكن بالرغم عن ذلك المزاح والاستهتار حل بهم الهلاك وراحوا طعاماً للنار.

وكذلك كان الحال مع جيران نوح وأهل زمانه فقد كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ونوح يعظهم وينذرهم وهم عنه لاهون وفى خطاياهم وشرورهم غارقون حتى جاء الطوفان وأهلك الجميع ولم ينجُ إلا نوح وعائلته وعددهم ثمانية أنفس.

واليوم ينذر الرب الناس أن يهربوا من الزنى والمال والشهوات ويتوعد الفجار والأثمة بالدينونة المخيفة والهلاك الرهيب فى الحياة العتيدة وفى هذه الحياة الحاضرة يرى الناس الذين يعيشون فى النجاسة يتلقون الضربات من اليمين والشمال. ما بين عمى يصيب الأبصار وجنون تصاب به العقول، وشلل تبتلىء به الأجسام وموت وفناء قبل الوقت وفقر وعوز بعد الغنى والمجد ونكبات تصيب الأزواج والبنين. ومع ذلك يستهتر القوم بالإنذار ويقابلون النصح بالهزء والاستهتار ويظلون يتمسكون بخطاياهم المحبوبة منهم لا يفارقون حضن دليلة كشمشون وإذا بالهلاك يصيبهم فجأة كما أصاب قوم نوح وأصهار لوط ويتم فيهم القول المكتوب: "وعندما يقولون سلام وأمان يفاجئهم الهلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون" (اتس ٥ : ٣).

ثالثاً: إلى أين نهرب؟:

لقد هرب يوسف بالعائلة المقدسة من سيف هيرودس إلى مصر.

ولجأ لوط وابنتيه إلى صوغر. وتحصن نوح وعائلته من خطر الطوفان فى الفلك.

ونحن إلى من نذهب يا يسوع وكلام الحياة الأبدية هو عندك فأنت ملجأنا واسمك حصن "إليه يذهب الصديق ويتمنع" (أم ١٨ : ١٠) وأنت فلكنا الذى فيه نحتمى من طوفان الخطية الذى أغرق العالم كله فيها "لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله (رو ٣ : ١٢، ٢٣).

أما أنت فبرنا وصلاحنا وحياتنا إذ أفتديتنا وخلصتنا.

أخيراً. هل كان يسوع عاجزاً عن أن يطيح بقصر هيرودس وعرشه حتى يهرب أمام بطشه ؟

لم يكن الهرب بدافع الخوف من هيرودس بل كان سببه التدبير الإلهى، فحاشى لصانع المعجزات ألا يجد وسيلة من هيرودس سوى الهرب، إنما كان الهرب بناء على هذا التدبير لتحقيق الأغراض الآتية.

١ ـ القضاء على عبادة الأوثان والكواكب فى مصر كما قُضِىَ عليها فى فارس على يد المجوس، وذلك إتماماً لنبوة إشعياء القائلة: "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها" (إش ١٩ : ١) فهكذا تنبأ قبل المسيح بأكثر من ٧٥٠ سنة. ولذلك كان بترتيب كل شئ قد صنعه الرب، وقد عين لكل حدث وقتاً ومجريات الأمور هى بحسب مشيئته وإرادته. ولعله من حسن حظ مصر أن يختصها الله دون سائر بلاد العالم بعد أورشليم، أن يأتى إليها طفلاً وديعاً ولقد تم ما قيل بإشعياء النبى "مبارك شعبى مصر" (إش ١٩ : ٢٥).

وتقول الأخبار القديمة أن الأسرة المقدسة حينما دخلت أرض مصر سقطت أصنامها وتحطمت ولم تقم الوثنية فيها بعد ذلك قائمة.

٢ ـ إتمام نبوة هوشع القائلة: "من مصر دعوت ابنى" (هو ١١ : ١).

هكذا كانت هذه النبوة أيضاً ليدعو الله ابنه من مصر إلى فلسطين ويبارك مدينة الناصرة بعد بيت لحم الجليل. لأنه مزمع أن يصنع خلاصنا فى وسط الأرض كلها (أورشليم) مدينة السلام ولكى تتقدس تلك الأماكن بحلوله فيها ومباركته لها.

٣ ـ الصديق يبصر الشر فيتوارى. هو (أى يسوع) أول من نفذ وصيته القائلة: "ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاذهبوا إلى الأخرى" (مت ١٠ : ٢٣)، مع ما تنطوى عليه هذه القدرة من تشجيعنا على احتمال الشدائد. كان "هيرودس يطلب الصبى ليهلكه" (مت٢ : ١٣). لقد ظن ذلك الملك الغيور المغرور البغيض أن يسوع قد جاء ليملك ويؤسس مُلكه

على أنقاض مملكته فخاف واضطرب وجميع أورشليم معه فتآمر على قتله وفى سبيل ذلك أرسل وقتل صبيان بيت لحم وتخومها لعل المسيح يكون واحداً منهم. وبمقتل أولئك الأطفال تمت نبوة إرميا النبى القائلة: "صوت سُمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (إر٣١: ١٥).

الأمر الذى من أجله جاء الملاك خادم سر التجسد وظهر ليوسف فى حلم قائلاً: قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر. لأن السيد المسيح رئيس السلام وقد وُلِدَ ليوطد السلام على الأرض ويبهج قلوب الناس. فقد كان يمكنه أن يبيد هيرودس بنفخة من فيه. ولكن كيف تكمل الكتب وتتم النبوات وكيف يكون لنا هذا التعليم أن نهرب من وجه الشر ولأن الحمقى يعبرون فيعاقبون.

٤ ـ لا يغلبنك الشر. أحياناً يسود الشر وينجح الشرير ولكن إلى حين. لأن الشر لا أساس له مثل الخير.

وما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً فمن يزرع شراً إياه يحصد ومن يزرع خيراً يحصد خيراً. "ومن الثمرة تُعرف الشجرة فمتى كانت الشجرة جيدة كانت الثمرة جيدة أيضاً" (مت ١٢ : ٣٣).

ورب المجد فى قوة اقتداره كان ممكناً له على أن يحمى نفسه من بطش هيرودس ولقد قال مرة لتلميذه فى حماسة أنه يستطيع أن يأتى باثنى عشر جيشاً من الملائكة ليحاربوا عنه. ولكن كيف تكتمل الكتب ويتم كل بر، ألم يكن هو الصانع الأعظم للسلام، وطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون" (مت ٥ : ٩).

٥ ـ إتمام نبوة موسى القائلة : "يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون" (تث ١٨ : ١٥)، فموسى ويسوع تعرضا فى صغرهما لسخط الملك، هذا بيت له هيرودس وذاك بيت له فرعون، وكلاهما نجا من خصمه هذا بفضل سخرية المجوس وذاك بفضل سخرية القوابل وكلاهما نجا من مذبحة الصبيان وكانت أحدهما

ضد المخلص فى بيت لحم والأخرى ضد موسى فى مصر.

وكلاهما التجأ للهرب يسوع إلى مصر وموسى إلى مديان، وموسى راعٍ فعلاً ويسوع راعٍ حكماً، وكلاهما صعد إلى الجبل فموسى استنار وجهه أما يسوع فبدأ فى سناه الإلهى يوم التجلى. أن يسوع الذى يهرب من أمامه الحزن والكآبة والتنهد، هو يسوع الذى يعلمنا فى هروبه كيف ينبغى أن نهرب من وجه الشر.

انظر كيف أحاقت الآلام بيسوع مبكراً جداً. أن الذين تلاقيهم المتاعب والأخطار فى نضوج الحياة يقضون أيام طفولتهم عادة فى هدوء وسلام. ولكن لم يكن الأمر كذلك مع يسوع، فإن آلامه بدأت منذ بدأت حياته، إذ أنه ولد إنسان نزاع كإرميا (إر ١٥ : ١٠) الذى قبل أن "يخرج من الرحم قدسه الله" (إر ١ : ٥).

إذن فالمسيح الذى هو الرأس، والكنيسة التى هى الجسد، يتفقان فى القول "كثيراً ما ضايقونى منذ شبابى" (مز ١٢٩ : ١). لقد اشتدت حماقة فرعون وعظمت قسوته حتى أمر بقتل كل ابن يولد للعبرانيين، والتنين وقف أمام "المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت" (رؤ ١٢ : ٤).

وهكذا أعطانا المسيح فى فجر حياته مثلاً عميقاً للقاعدة التى وضعها متى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. وذاك الذى جاء لكى يموت عنا هرب لنجاته إذ كانت ساعته لم تأتِ بعد. وإن كان احتفاظ الإنسان بسلامة نفسه جزءاً من ناموس الطبيعة فهو بلا شك جزء من ناموس الله.

خلاصة ما نريد أن نقول أن يعطنا الرب نعمة كى نهرب من شرور الخطية ونلتجئ بالتوبة إلى يسوع مخلصنا ليحمينا شر أخطارها ويجعل حتى التجارب والمصائب تخدمنا "لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" رو ٨ : ٢٨).

ولإلهنا كل مجد وكرامة وسجود إلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم السادس من شهر طوبة

عيد الختان المجيد

«ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سُمِىَ يسوع» (لو ٢ : ٢١).

عيد الختان وهو أحد أعيادنا السيدية الصغرى السبعة يقع فى السادس من شهر طوبة القبطى، وهو اليوم الثامن لعيد الميلاد المجيد. ولقد رسم الله، الختان ليكون علامة ظاهرة بالدم فى لحم كل ذكر، على الدخول فى عهد مع الله، بأن يكون من شعبه لا يعرف إلهاً آخر سواه "الرب إلهك تتقى وإياه تعبد وباسمه تحلف" (تث ٦ : ١٣، ١٠ : ٢٠). فكل ذكر لا يختتن يقطع ويفرز من شعب الله، ويصير بالتالى خارجاً عن الجماعة وخارجاً عليها. والختان فى اللغة العربية هو قطع قلفة الصبى. والقلفة أو الغرلة أو الغلفة هى الجليدة التى يقطعها الخاتن من عضو التناسل.

بدأ (عهد الختان) (أع ٧ : ٨) قبل النبى موسى، فكان أمر الله به أولاً إلى إبراهيم الخليل بعد أن جعله رأساً لأمة لا تعبد غير الله وحده..

"وقال الله لإبراهيم.. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كل ذكر منكم، فتختنون فى لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. وابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم.. فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إذ أنه قد نكث عهدى" (تك ١٧ : ٩ – ١٤) وتنفيذاً لهذا الأمر الإلهى أختتن إبراهيم نفسه فى ذلك اليوم عينه "وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتن فى لحم غرلته" (تك١٧ : ٢٤) ثم "أخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضته، كل ذكر من أهل بيت إبراهيم، وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه.. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن فى لحم غرلته" (تك ١٧ : ٢٣ – ٢٥).

ولما وُلِدَ إسحق لإبراهيم بعد ذلك "خُتن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله" (تك ٢١ : ٤)، (أع ٧ : ٨).

واستمر العمل بمبدأ الختان لكل طفل ذكر فى اليوم الثامن لميلاده (اللاويين١٢ : ٣) ولو وقع فى يوم سبت أو عيد (يو ٧ : ٢٢). حتى أنه لما وُلِدَ طفل ذكر للنبى موسى وأهمل أن يختنه فى اليوم الثامن كاد الرب أن يقتله لولا أن أسرعت صفورة أمه وأخذت صوانة وقطعت غرلة ابنها فنجا من الموت (خر ٤ : ٢٤ - ٢٦).

ولما خرج بنو إسرائيل من مصر، وأقاموا أربعين سنة فى البرية، فلم يختتنوا أبناءهم الذكور لم يسمح الرب لهؤلاء أن يدخلوا أرض كنعان إلا بعد أن يختتنوا "فى ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان، واختن بنى إسرائيل... فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فى تل القلف" (يشوع ٥ : ٢ - ٨).

ولأهمية الختان ومعناه صار بنو إسرائيل يؤجلون إعطاء الاسم للطفل إلى اليوم الثامن لميلاده عندما يختتنونه وقد ورد فى الإنجيل عن يوحنا المعمدان "وفى اليوم الثامن جاءوا لختان الطفل وسموه زكريا على اسم أبيه، فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا" (لوقا١ : ٥٩، ٦٠). وكذلك قال الإنجيل عن مخلصنا يسوع المسيح "ولما تمت ثمانية أيام لختان الطفل، دُعِىَ اسمه يسوع كما سماه الملاك قبل الحبل به فى بطن أمه" (لوقا٢ : ٢١).

فى الأسبوع الماضى احتفلت الكنيسة بعيد ميلاد المخلص له المجد، وفى هذا اليوم الثامن نحتفل بعيد ختانه المبارك. ففى هذا اليوم المبارك تم شيئان عظيمان وهما:

ختان المخلص ـ وتسميته يسوع.

أولاً ـ ختان المخلص

إن المسيح أُختتن فى اليوم الثامن حسب عادة اليهود لثلاث أسباب:

١ ـ أختتن بصفته ابن إبراهيم:

فقد جعل الله الختان عهداً مع إبراهيم وصيره علامة فى نسله له يتميزون عن باقى الشعوب كشعب مفرز للرب (تك ١٧). قال بولس الرسول: "أقول إن يسوع قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء" (رو ١٥ : ٨). قال بولس الرسول أيضاً: "من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شئ" (عب ٢ : ١٧).

٢ ـ أختتن المسيح إطاعة للشريعة:

كما خضع المسيح بتجسده للنواميس الطبيعية فى ملء الزمان "مولداً من امرأة كذلك خضع للنواميس الطقسية "مولوداً تحت الناموس" كقول بولس الرسول "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى" (غل ٤ : ٤، ٥) فهو الذى لا يحتاج إلى تطهير اعتمد قائلاً: "اسمح الآن لأنه هكذا يليق أن نكمل كل بر" (مت ٣ : ١٥). إنه أطاع الناموس وأُختتن، ومع أن الناموس ثقيل والختان مؤلم ولكن المسيح سفك دمه قطرات فى الختان استعداداً لسفكه جارياً لينقذنا من الآلام. وحمل نير الناموس ليحررنا من الناموس ويمتعنا بسلطان البنين.

٣ ـ أختتن المسيح بالجسد ليرشدنا إلى ختان القلب بالروح:

فالختان فى ذاته هو ظل الخيرات العتيدة، وهو رمز للنقاوة والطهارة. فأبونا إبراهيم آمن وتبرر وأُختتن ختماً لحصوله على بر الإيمان. فالختان علامة خارجية تمثل نزع الخطية من القلب قال موسى النبى "فاختتنوا غرلة قلوبكم" (تث ١٠ : ١٦).

وقال بولس الرسول "لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة" (غل ٦ : ١٥).

ففى هذا العيد المبارك إنما يدعونا المسيح لطهارة القلب ونقاوة الضمير. وكما قبل

المسيح الختان وهو صغير، كذلك يقبل أطفالنا المعمودية التى نقبل فيها المسيح مُطهراً لخطايانا قال بولس الرسول: "وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أُقمتم أيضاً معه... مسامحاً لكم بجميع الخطايا إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض" (كو ٢ : ١١ - ١٤).

ثانياً ـ تسمية يسوع

يوم أن أُختتن إبراهيم أعطى اسمه الجديد المناسب لإيمانه، فبعد أن كان اسمه ابرآم دُعِيَ إبراهيم أى أب لجمهور الأمم.

والمسيح يوم ختانه أعطى اسمه كعادة اليهود فسمى يسوع كما سماه الملاك جبرائيل لمريم العذراء قال لها "ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع" (لو ١ : ٣١). ولما ظهر فى حلم ليوسف خطيبها قال له "يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حُبل به فيها هو الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت ١ : ٢٠، ٢١).

والاسم يسوع كثير الاستعمال بين بنى إسرائيل ففى العهد الجديد أُطلق هذا الاسم على تلميذ اسمه يسطس (كو ٤ : ١١).

وفى العهد القديم تلقب بهذا الاسم يشوع بن نون مساعد موسى وقائد إسرائيل فى الحروب والذى أدخلهم أرض كنعان. وتلقب بهذا الاسم أيضاً "يهوشع بن يهو صاداق الكاهن العظيم" (زك ٦ : ١١) فكما حارب يشوع أعداء إسرائيل وأسكن إسرائيل أرض أعدائهم، هكذا المسيح حارب أعداءنا الروحيين وأدخلنا كنعان السماوية. ولما كهن يهوشع فى الهيكل الجديد الذى بُنِيَ بعد السبى، هكذا المسيح هو كاهننا الأعظم الذى يشفع فينا فى المسكن الأعظم والأكمل فى السماء عينها. ويسوع معناه مخلص وهذا هو عمل المسيح: الخلاص من الخطية خلاص إلى التمام، خلاص من قوة الخطية، ومن جرمها، ومن نتيجتها:

١ ـ الخلاص من قوة الخطية :

يخلص إلى التمام العجزة المكبلين بقيود الخطية، إلى الذين يرزحون تحت أثقال

الخطية، إلى الذين يئنون قائلين : "ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت" (رو ٧ : ٢٤) إلى هؤلاء يقول المخلص: "ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩ : ١٠) ويقول يوحنا الرسول: "نعلم أن كل من وُلِدَ من الله لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه" (١يو ٥ : ١٨) ويقول بولس الرسول "لأنه يقول فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم خلاص أعنتك هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص" (٢كو ٦ : ٢).

٢ ـ خلاص من جرم الخطية:

يا له من عفو شامل. ما أحلى هذه المواعيد وما أعذبها. قال الله بفم إشعياء النبى: "قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك ارجع إلىَّ لأنى فديتك" (إش ٤٤ : ٢٢).

وقال بفم إرميا النبى "لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد" (إر ٣١ : ٣٤).

وقال بفم زكريا النبى "وارجعهم لأنى رحمتهم ويكونون كأنى لم أرفضهم" (زك١٠ : ٦) ياله من غفران كامل.

٣ ـ خلاص من نتيجة الخطية:

إن ثمرة الخطية هى الموت، ولكن الذى خلصنا من الخطية فى الزمان الحاضر سيخلصنا من الموت عند مجيئه، عندما يبتلع الموت إلى غلبة فنقول "أين شوكتك يا موت، أين غلبتكِ يا هاوية" (١كو ١٥ : ٥٥) "إنه سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩ : ٢٨) ومن ثم نملك معه فى الراحة والمجد إلى الأبد الآبدين.

والكنيسة تحتفل بعيد الختان المجيد لتُذكرْ بنيها بأن الرب بختانه لم يكن محتاجاً للتطهير بل كان ذلك منه إشارة إلى وجوب ختان القلب بالروح ولتحرضهم على التمثل بتواضعه، لأنه من هذه الناحية كان فى ختانه أعظم منه فى ولادته. لأنه فى ولادته أخذ صورة إنسان أما بختانه فأخذ صورة خاطئ.

والخلاصة:

إن الختان فى جوهره ومعناه الدينى كما أمر الله به لإبراهيم أولاً وموسى بعد ذلك،

كان علامة ظاهرة على معنى روحى عظيم، وهو الدخول فى عهد مع الله. وكان الدم الناتج من قطع جليدة فى لحم البدن، رمزاً وإشارة إلى دم المسيح الآتى الذى متى صار الدخول به إلى ملكوت الله، وهذا يناله المؤمنون فى المعمودية المقدسة.

وبذلك سقطت من الختان فى الجسد أهميته الدينية بعد أن جاء المسيح، وحلت المعمودية محل الختان وصارت المعمودية هى (ختان المسيح). أما الختان فى الجسد فقد أصبح فى المسيحية (نظافة) لا (طهارة)، أمراً مندوباً إليه لِمَ له من فوائد صحية، مثله فى ذلك مثل تقليم أظافر اليدين والرجلين حتى لا تتراكم فيها الأوساخ وبالتالى الميكروبات الضارة.

وإذن فالختان للذكور حسن ومفيد، ولكنه لم يعد شريعة فى الدين المسيحى بحيث يعاقب الإنسان على تركه.

ولذلك فإنه على الرغم من أن القديس بولس الرسول علم كثيراً بعدم نفع الختان فى الجسد، وقال "فها أنا بولس أقول لكم إنكم إن اختتنتم فالمسيح لا ينفعكم شيئاً" (غلاطية٥ : ٢) إلا أنه استحسن أن يختتن تيموثيئوس الذى من أصل يونانى يقول سفر أعمال الرسل "ثم وصل إلى دربة ولسترة، وإذا تلميذ هناك اسمه تيموثيئوس ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يونانى... فأراد بولس أن يخرج هذا معه، فأخذه وختنه من أجل اليهود فى تلك الأماكن، لأن جميعهم كانوا يعرفون أن أباه كان يونانياً" (أع ١٦ : ١ـ ٣).

وعملاً بمبدأ ضرورة المعمودية للخلاص وتفاهت القيمة الروحية للختان مع فائدته الصحية، أمرت الكنيسة بأن يسبق الختان العماد، وحذرت من الختان بعد العماد، حرصاً على توكيد قيمة المعمودية وبياناً لسموها، وأنها المرموز إليه بالختان القديم. وإذا جاء المرموز إليه بطل الرمز.

جاء فى كتاب (مجموع القوانين) لجامعة الشيخ الصفى ابن العسال فى الباب الواحد والخمسين قوله: "وأما الختان فهو من الفرائض العتيقة.. وأما فى الحديثة، فالختانة

عند من يختتن من أصحابها على سبيل العادة لا من الفرائض الشرعية... والختانة عندنا مما يجوز تركها، ويجوز عملها عملاً غير شرعي... ولا يجوز الإختتان بعد التعميد" (باب٥١، الفقرات ٧ - ١٣).

ويقول العلامة الأنبا أثناسيوس أسقف قوس فى أواخر القرن الثالث عشر "والحذر من الختان بعد المعمودية فأنه... عليه فى ذلك إثم وخطية (المرجع السابق فى حاشية على الباب الثالث).

هذا، ولا ختان للبنات أو الإناث. فالشريعة القديمة أمرت بالختان للذكور وحدهم (التكوين ١٧: ١٠، ١٢، ١٤، ٢٣، ٢٤) (٣٤: ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٥) (الخروج٤: ٢٥)، (اللاويين ١٢: ٢، ٣)، (يشوع ٥: ٤).

ويقول العلامة الأنبا أثناسيوس أسقف قوص الآنف الذكر عندما سُئل هل يجوز ختان البنات بعد عمادهنَ، كان جوابه: لا رخصة لهنَ فى ذلك لا بعد عمادهنَ ولا قبله.

والمعروف علمياً أن ختان البنات يستأصل فى الأنثى جزءاً حيوياً من جهازها التناسلى. ولذلك يحذر الأطباء والطبيبات فى المراجع الطبية من ختان البنات.

وأخيراً قال القديس أبيفانيوس:

للأسباب كثيرة أُختتن المسيح: أسباب سبق هو فرآها. فى المقام الأول أكد بختانه حقيقة تجسده، وقهر بذلك هرطقة ما فى الذى حسب بدعته أنه ظهر كما لو كان قد وُلِدَ. وكذلك لكى يؤكد أن جسده ليس من ذات جوهر لاهوته، كما أدعى أبو ليناريوس. أو أنه جاء بجسده من السماء، كما أدعى الفنوس فالنتينوس.

وفى المقام الثانى لكى يكمل الناموس الذى وضعه هو، والذى كان خادماً للخلاص حتى مجيئه هو. كما أننا لا يجب أن ننسى أنه بقبوله الختان منع اليهود من اتخاذ فرصة لمقاومته ورفضه لأنهم كيف يقبلون المسيح وهو غير مختون.

وله المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر طوبة

الشك

«يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟!» (مت ١٤ : ٣١).

فى دراستنا لسفر الخروج سمعنا موسى النبى وشعبه يسبحون الله من أجل خلاصهم وهلاك فرعون وجنوده، قائلين: "قد هبطوا فى الأعماق" (خر ١٥ : ٥)، فالشر كالحجر أو الرصاص يغطس فى المياه حتى الأعماق. أما الفضيلة فخفيفة تطفو على المياه، والذين يسيرون فيها إنما "يطيرون كالسحاب وكالحمام بأجنحتهم الصغيرة" (إش ٦٠ : ٨). يقول العلامة أوريجينوس: "لقد مشى ربنا ومخلصنا على المياه، هذا الذى بالحقيقة لا يعرف الخطية، ومشى تلميذه بطرس مع أنه ارتعب قليلاً إذ لم يكن قلبه طاهراً بالكلية، إنما حمل فى داخله بعضاً من الرصاص... لهذا قال له الرب: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" فالذى يخلص إنما يخلص كما بنار" (١كو ٣ : ١٥)، حتى إن وجد فيه رصاص يصهره.

الشك عكس الإيمان. والشخص الروحى شخص ثابت لا يتزعزع ولا يشك.. ثابت فى علاقته بالله، وفى علاقته بالناس. وأول مرحلة ينقل الشيطان إليها الإنسان ليحطمه هى الشك لأن الإنسان فى مرحلة الشك يفقد ثباته، ويتزعزع، فيمكن للشيطان أن يحطمه. وبالشك حارب الشيطان أبوينا الأولين: "أحقاً قال لكما الله..؟!.. كلا، لن تموتا" (تك ٣ : ١ ، ٤). أحقاً أن الله لا يحبكما، حتى يمنع عنكما خيراته. وبنفس الشك يحارب الشيطان من جهة الفضائل... أحقاً هذا حرام؟! من قال هذا؟ أحقاً يريد الله الفضائل، أم هو يريد الروح؟ أحقاً يهلك الإنسان المؤمن مهما أخطأ؟.

وبهذا التشكيك أراد أن يحارب رب المجد. هل الله يريد لابنه الوحيد أن يجوع؟ هل يوجد خطأ فى استخدام حقوقك كابن وتحويل الحجارة إلى الخبز؟ لماذا لا تستخدم الخبز للخلاص؟ الشك قد يأتى من الشيطان، وأيضاً من العشرة الرديئة. من الناس، من

القراءة، من البيئة، من أُناس يدخلون الفكرة إلى عقول الآخرين، ولا يخرجونها، ولا يوجدون لها حلاً..

يوجد شك فى الله، وفى الدين عموماً، مثل حرب الإلحاد، والشك فى الإيمان، الذى يحاربك من الخارج، من الشيطان الذى يعرف كل البدع والشكوك التى مرت على العالم، لأنه صانعها، ويعرف مدى قوتها وخطورتها.

شيطان الشك يريد منك أن تتفاهم معه أن تعطيه أذنيك، ولا يهمه ردودك، لأنه سينقلك من فكر إلى فكر، إلى غير نهاية، بلا رحمة. فأحسن وسيلة هى طرد فكر الشك وعدم الجدال معه لئلا يتمكن منك.

لذلك لا تقرأ كتب الشكوك قبل التثبيت من الإيمان أولاً. ولا تأخذ مبادئك الروحية من كتب لا تثق بروحياتها، ولا تأخذ روحياتك من مذاهب أخرى قبل التثبيت فى الأرثوذكسية، لئلا تضع الطوائف لك أساساً غريباً، تقبله دون إدراك لخطورته، لأنه لم يكن لك أساس كنسى من قبل.

إذن ادرس عقيدتك أولاً، لكى تعرف الرد على الأفكار الأخرى، كما قال الرسول: "مستعدين فى كل حين لإجابة كل من يسألكم عن سر الرجاء الذى فيكم". حينئذ تكون كبيت مبنى على الصخر، لا تزعزعه الرياح ولا الأمطار.

ومع ذلك، إن تعبت فاسأل من هو أعلم منك. وأعلم أن كل شك له رد، وله إجابة، مهما كان يبدو لك صعباً، وبديهياً ولا حل له...

هناك نوع آخر من الشك، هو الشك فى الآخرين: هناك أشخاص بسطاء يصدقون كل أحد، ولا يشكون فى أحد وهؤلاء قد تنفعهم البساطة إلى حين، وما أسهل أن يستغل البعض بساطتهم، ويحشو عقلهم بأفكار تشككهم فى غيرهم، فيقبلونها فى بساطة غير واعية، ويشكون...

وهناك أشخاص أقوياء، يتناولون كل فكر بالفحص والدراسة، ولا يشكون بسرعة، ليس عن بساطة وإنما عن عقل وفكر، ومناقشة عميقة داخلية لكل ما يسمعونه.

وقد يصل الشك إلى الوسوسة إذا شك فى كل شئ... كإنسان يصدم فى صديقه، فيشك فى كل الأصدقاء... أو تخونه زوجته، فيفقد الثقة بكل النساء.. أو أبناء يرون نزاعاً بين أبويهم، فيشكون فى الزواج جملة، وفى إمكانية الحياة المنزلية السعيدة، ويحولهم الشك إلى خوف.

غلطة هؤلاء أنهم يحولون الحكم الخاص إلى حكم عام. وهذا خطأ لأنه يوجد تباين وتنوع بين الناس، بل بين حالات الشخص نفسه بين فترة وفترة أخرى والأفضل أن تعامل كل إنسان كفرد له حالة خاصة، وليس كمثل للجميع، بل الشخص الواحد عامله فى كل وقت بحكم المناسبة، ولا تحكم عليه حكماً يشمل عمره كله بلا تغير. وما أخطر أن يحكم إنسان على أخلاق شعب بأكمله، أو بلد بأكملها، فيشك فى كل أهلها وسكانها...

إن الشك فى الآخرين جحيم يتعب النفس... وإذا أصيب به الإنسان قد يقع فى إشكالات أخرى فى معاملتهم، مثل المراقبة، والمحاسبة، والظن السيئ، وعدم تصديق أعذارهم. وبهذا يتعبهم ويتعب منهم، وقد يؤدى به الأمر إلى أن يفقد صداقات كثيرة، ويخسر من سبق فأحبهم...

وقد يعالج الشك فى الناس بالثقة والحب والمعذرة. فإن كنت تثق فى أحد، مهما قيل لك عنه لا تصدق، وتكون مستعداً أن تعذره وتبرره ولا تشك فيه. مثلما قيل للمولود أعمى عن المسيح إنه رجل خاطئ قد كسر السبت، فلم يصدق، ودافع عنه.

وإذا لم تعالجوا الشك بالثقة، عالجوه بالصراحة... كاشف غيرك بشكوكك بروح المحبة، وأعطه فرصة أن يجيب عن نفسه، ربما يوضح لك الموقف بما يزيل شكك. أعطِ كل شخص فرصة للدفاع عن نفسه، ولا تسر وراء الشائعات والأقاويل ومن يوقعون

بغيرهم. فما أكثر شهود الزور فى العالم، وما أكثر أمثلتهم فى الكتاب المقدس... هؤلاء الذين ضد القديسين وضد الرب نفسه.

ومن الأسباب التى تدعو إلى الشك حصر التعليل فى سبب واحد متعب، بينما قد توجد أسباب أخرى. فمثلاً، قد تشك فى محبة إنسان وعدم رغبته في مساعدتك. وقد يكون هناك سبب آخر قد عاقه، مثل النسيان أو الظروف الضاغطة... إلخ.

يوجد نوع آخر من الشك، هو الشك فى النفس... كأن يشك إنسان فى قدرته، وفى إمكانياته ، وفى مدى نجاحه فى الحياة وكثير من الطلبة يحاربون بهذا الشك فى أيام الإمتحانات. وقد تحارب بها بنت يأتى أحد لخطبتها. وقد يشك إنسان فى الطريق الذى اختاره له الرب... وهذا لا يمشى على أرض ثابتة، ويصاب بالتردد وبالخوف وعدم الثبات. وقد يأتى هذا الشك من السرعة فى إصدار الأحكام، ثم معرفة خطئها، وشك الإنسان فى حكمه على أى أمر.

وقد يكون السبب معاملة قاسية فى الطفولة، جعلت الطفل لا يثق فى أى تصرف يقوم به، أو يكون ذلك نتيجة لمعلم شديد يوبخ على كل صغيرة وكبيرة، فيشعر المسترشد به بصغر نفس وشك.

حاول أن تتباطأ فى أحكامك، وأن تفكر قبل أن تتصرف، وتناقش الأمر قبل حدوثه، حتى لا تندم عليه بعد فعله، وإن أخطأت خذ هذا الخطأ درساً يصحح سلوكك فى المستقبل، بدلاً من أن يدعوك إلى الشك فى نفسك. وهكذا تتعلم من أخطائك، بدلاً من أن تيأس من قدراتك.

وحتى إن شككت فى قدرتك وفى إمكانياتك الخاصة، فإنك بالإيمان لا تشك، إذ تذكر نعمة الله القادرة على كل شئ، التى يمكنها أن تعطيك قوة، فتقول مثلما قال بولس الرسول: "أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣).

ومن نواحى الشك التى تتعب الإنسان الشك فى تقييم الأشياء، هل هى خير أم شر،

نافعة أم ضارة. وفى هذه الحالة يقف متردداً، لا يعرف ماذا يفعل، أمامه مفترق طرق لا يدرى أى طريق يختار ولا يدرى كيف يتصرف، وقد يختار تصرفاً معيناً، ثم يشك فى صحته، ويقف حائراً. فى مثل هذا الوقت تنفعه المشورة والإرشاد الروحى وسؤال من هم أكثر منه علماً وخبرة.

والبعض قد يلجأ إلى القرعة كحل، ثم يشك فى القرعة وفى نتيجتها، ويحاول أن يعالجها بقرعة أخرى. فإذا جاءت نتيجتها عكس الأولى قد يشك فى الاثنتين، ويحتكم إلى ثالثة...

إن الشك يورث الحيرة والتعب، وأيضاً التردد...

وهو مرحلة من عدم الاستقرار، سواء بالنسبة إلى الفكر أو إلى الضمير أو التصرف...

ومن مظاهر الشك فى قدرة النفس حرب أخرى يشنها الشيطان، وهى الشك فى إمكانية التوبة. أى أن الخاطئ يشك فى قدرته على ترك الخطية، ويشك فى استطاعته أن يحيا حياة البر. وهكذا يقع فى اليأس، ويستمر فى حياة الخطية، ويقول: "لا فائدة منى". وهذا ما يريده الشيطان من حرب الشك...

ومن جهة الخدمة، قد يشك الإنسان فى فائدتها إذا تأخر ثمرها ولم يلمس فائدة سريعة. وربما ييأس فلا يخدم.

وهذا ما يريده الشيطان أيضاً، حتى يجرد الإنسان شيئاً فشيئاً من كل عمل روحى. ولعل من الدروس التى تعطى لنا فى هذا المجال قصة أم أوغسطينوس، التى لم تكف عن البكاء والصلاة لأجله على مدى عشرين عاماً تقريباً، دون أن تيأس. وقال لها القديس أمبروسيوس: "إن ابن هذه الدموع لن يهلك". ولنتذكر أن ربح النفوس يحتاج إلى صبر وإلى وقت... وهناك ثمر متأخر...

أخطر ما فى الشك أن يتحول إلى طبع، فيشك الإنسان فى كل شئ، وربما يتحول الشك إلى وسوسة، ويبحث عن اليقين والثقة فلا يجدها....

وقد يتحول الشك إلى مرض نفسى، كمن يشك فى علاقة الناس، ويظن أنهم يضطهدونه، ويريدون به شراً... أو كمن يشك فى أنه يعانى مرضاً خطيراً ويظل فى خوف منه.

ويسأل البعض: هل هناك شك صالح أو نافع؟

إن كان هناك سبب معقول يدعو إليه، يكون صالحاً. كأن يشك الإنسان فى صحة خبر يصل إليه، أو فى دسيسة يحبكها البعض له. فالأمر يحتاج إلى ذكاء وإلى روحانية. وليس معنى التخلص من مرض الشك أن يقبل الإنسان كل شئ قضية مُسلمة، هناك أمور تستدعى الشك بل الرفض...

وإننى أختم عظتى بهذه القصة:

حكى خادم إحدى الكنائس قائلاً: كان على كنيستنا يوماً ما دين كبير. فجعلته موضوع صلاتى. وذات يوم زارنى غريب لا أعرفه، وقال لى: لقد علمت أن على كنيستكم ديناً تريدون سداده، وإنى أرغب فى مساعدتكم. ثم وضع على مكتبى شيكاً أبيض وقال لى: املأ هذا الشيك بالقيمة التى تطلبها وسأعود بعد قليل لأوقع عليه، ثم مضى.

أما أنا فقد أخذت أتطلع إلى الشيك، وقلت فى نفسى: إن هذا الرجل بكل تأكيد، لا يعلم أن ديننا بألوف الجنيهات ولا يعقل أن يقدم هذا المبلغ الكبير، مع أنه طلب منى أن أكتب كل المطلوب لنا. ولذلك سأكتب النصف فقط، مع أنى غير واثق حتى بإمضائه على هذا المقدار. بعد قليل رجع الزائر ومضى الشيك بدون أن يقرأ ما كتب فيه، وتركه وخرج.

ثم يختم الراعى حديثه قائلاً: بعد خروجه نظرت إلى التوقيع فوجدته توقيع محسن مشهور غنى جداً تمكنه إمكانياته المالية واستعداده من سداد أضعاف ديننا، فوبخت نفسى على قلة إيمانى وتعهدت ألا أشك أبداً.

وله المجد دائماً.

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من شهر طوبة

كمال العينين

«سراج الجسد هو العين، فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً» (لو ١١ : ٣٤).

العين عضو الإبصار بالجسم وأحد الحواس الخمس وهم (النظر الشم الذوق السمع اللمس) التى يتمتع بها الإنسان. وهبها له رب المجد ليسخرها ويستخدمها كأى عضو آخر فى جسده لمجد اسمه القدوس.

حقاً قال السيد المسيح إن العين هى سراج الجسد وأن الجسم عن طريق العين يصبح كله نوراً إذ منها يدخل النور إلى الجسم وينصب فيه وهناك المخ بقابليته ونشاطه يتلقى هذا النور ويوزعه ويعمل وفقا له.

أن هذه القوة الباصرة تساعد على تلقى أنواع التأثيرات والمعرفة وتساعد العقل على الحركة والعمل.

والجسم بدون العين يضل الطريق ويُخطئ الهدف وتكون حركات الإنسان كمن يضارب الهواء فتتبدد قواه الحيوية على غير جدوى وذلك بخلاف ما إذا كان للإنسان عين باصرة فأنه يكتسب قدوة وكفاءة مبنية على المعرفة والفهم وليس على مجرد قوة جسمانية.

فالعين هى التى تتلقى النور من الشمس فإذا أصابها العمى كان كل الجسم ظلاماً وإذا أصابها مرض كانت الصورة التى تقدمها إلى العقل غير واضحة ولا مميزة ولا بسيطة بل مشوشة غامضة مركبة، تربك صاحبها وتوقعه فى الحيرة بل تكون أشد خطراً من الظلام العادى لأنها تزيف التأثيرات الآتية عن طريقها وتضلل كل عمل يصدر فتكون النتيجة ظلاماً وإن كان يخالطها نور إلا أن هذا النور لا يؤدى عمل النور الصحيح. وكما أن العين هى سراج الجسد هكذا العقل أو القلب هو عين النفس وجزؤها الأعلى

والجسد هو جزء النفس الأدنى كالرغبة الحسية الشهوانية والغضبية وهذه الرغبات الجسدية يلزم أن يسودها ويديرها جزؤها الأعلى وإلا ساقت الإنسان إلى الإثم والفساد وطوحت به إلى التيه والضلال.

وإذا كان القلب مثبتاً على أهداف جسدية منحطة فإن العقل لا يستطيع أن يميز بوضوح الأشياء العليا السماوية لأنه لا يتلقى نور شمس البر.

وإذا كان القلب الذى هو جزء النفس الأعلى قد أصبح أعمى ورديئاً مفسوداً بالشهوات ومحبة المال ففى هذه الحالة يكون الجسد كله لخلوه مما ينيره ويقتاده إلى طرق الرشاد لأن الجسد بطبيعته يميل إلى الشر فكم يكون ظلامه. وكم يكون ظلام الأفعال الصادرة عنه فى هذه الحالة. إنها حالة أشد خطراً من ظلام العين إذ يحل الباطل محل الحق والدنس مكان الطهر والنقاوة والإنسانية، يخطف تاج التضحية ويبرز التمرد مكان الطاعة وتحل مقامة الروح القدس وإغاظته محل قبول إرشاده.

وإذا تعطل سراج وانطفأ آخر من هذه القوى الروحية التى فينا وقف كل تقدم صالح وكل عمل خير وحق ودنست الأقداس فينا واغتصب الروح الشرير مسكن الروح القدس وعندئذ يكون حال الإنسان أسوأ مما لو كان بلا عقل أو ضمير بل وأسوأ ممن لم ينلهم تهذيب إلهى قط بل وأشر من الشياطين حسب منطوق الآية "فالظلام كم يكون" (مت٦ : ٢٣).

فإذا كان القلب وعاء، والقداسة زيتاً والعين سراجاً يضئ الجسد بكماله، فإذا ما فسد الوعاء، وانطفأ السراج اظلم الجسد وفسد بلمعانه وجماله، وصارت عينه مدخلاً للعثرات الباطلة، ومصدراً للموت والهلاك والظلمة القاتلة: فطهر يارب قلوبنا وحواسنا وأفكارنا وعيوننا، لنستضئ بنور العينين لنراك نوراً من نور، لأنك أنت نور الحياة الذى يضئ فى الظلمة والظلمة لم تدركه.

وعلينا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور أن نتأمل كثيراً فى كلام سيدنا لنستشف

فيه البعد الشاسع بين العين البسيطة والعين الشريرة وهو بُعد السماء عن الأرض أو بُعد الأمجاد عن الهاوية.

١ ـ فالعين البسيطة:

يفرح بها القلب "نور العينين يفرح القلب" (أم ١٥ : ٣٠) هى تنظر مجد يسوع وتؤمن به فتتخلص "قال له فيلبس تعالَ وانظرْ" (يو ١ : ٤٦) "فالحكيم عيناه فى رأسه أما الجاهل فيسلك فى الظلام" (جا ٢ : ١٤) إن أول ما ينظر إليه الحكيم هو فادينا ومخلصنا يسوع الذى رسم لنا مثالاً لنحتذِ به "وهذا الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة" (ايو ١ : ٥) فإن رأينا كتلاميذ يوحنا "العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون" (مت١١ : ٥) نؤمن أنه هو رب المجد ولم نعد نعثر فيه بل "لتنظر عيناك إلى قدامك وأجفانك إلى أمامك مستقيماً" (أم ٤ : ٢٥) لنرَ نوره العجيب الذى أشرق علينا فبدد ظلمات هذا العالم الشرير ورسم لنا طريق الحياة وشاء بجوده أن يطلب إلينا "يا ابنى أعطنى قلبك ولتلاحظ عيناك طرقى" (أم ٢٣ : ٢٦) "عيناى تنظران الرب كل حين لأنه يخرج من الفخ رجلىّ" (مز ٢٥ : ١٥) "رفعت عينىَّ إلى الجبال من حيث يأتى عونى" (مز ١٢١ : ١) "من كان منكم قائماً فلينظر لئلا يسقط" (١كو ١٠ : ١٢). ثم على الحكيم أن ينظر إلى نفسه فقد قال يوحنا الرسول "انظروا لأنفسكم لئلا نضيع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً" (٢يو ٨).

إن الله قد وهبنا النظر لنتأمل جمال العالم فنسبح الخالق ونلهج بحمده ونتخذ لنفوسنا دروساً وعظات بالغة ما كنا نحصل عليها لو أغمضنا عيوننا "اذهب إلى النملة أيها الكسلان تأمل طرقها وكن حكيماً" (أم ٦ : ٦)

انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها... تأملوا زنابق الحقل كيف تنموا لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها" (مت ٦ : ٢٦ ــ ٢٩).

ثم علينا ألا نعطى لأجفاننا نعاساً أن وقعنا فى شدة فلا ننام حتى تحل مشاكلنا بهدوء وسلام ومثابرة "إذن فافعل هذا يا ابنى ونجِ نفسك إذا صرت فى يد صاحبك اذهب ـ ترامَ ـ وألح على صاحبك لا تُعط عينيك نوماً ولا أجفانك نُعاساً" (أم ٦ : ٣، ٤).

ثم هذا النور الذى وضعه الله فينا لِمَ لا نستخدمه فى خدمة الآخرين؟ أليس من واجبنا أن نُبصر العميان ـ وما أكثرهم فى هذه الأيام ـ بنور الإيمان ونقودهم إلى الطريق الصحيح، وأليس من واجبنا أن ننظر إلى احتياجات الفقير ونسد أعوازه وإلى المريض فنواسيه ونرفع عنه آلامه وإلى سجينى الخطية فنطلقهم من أسرها من استطاع "أن يعمل حسناً ولا يعمل فذاك خطية" (يع ٤ : ١٧).

وعلى العين البسيطة أن تفحص حتى لا ترى الشر والمعثرات كم من شباب مثقف أدت بهم نظراتهم إلى الهلاك ولو أغمضوا عيونهم فى حينها لعبر الإثم عنهم وتجاوزهم "الذكى يبصر الشر فيتوارى والحمقى يعبرون فيعاقبون" (أم ٢٢ : ٣) "لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة ـ فى الآخر" تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان ـ عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية" (أم٢٣ : ٣١–٣٣) "وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم" (مت ٥ : ٢٨، ٢٩) والرب أراد بالعين اليمنى ما كان عزيزاً لدينا كالعين إذا كانت إحدى هذه الأعضاء علة سقوطنا فى الخطية فأنه يأمرنا أن نقطعها ونلقيها عنا.

ثم أنه أشار بالعين اليمنى عن ذلك الذى يحثنا على الخطأ وباليد والرجل عمن يحاول إسقاطنا فى الخطية وبقطع الأعضاء إشارة إلى وجود ابتعاد عن الأصدقاء الأشرار. ثم أشار بالعين اليمنى عن الفجور وباليد عن القتل وبالرجل عن السرقة.

"وإن شككتك عُينكَ فاقعلها وألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من

أن يكون لك عينان وتلقى فى جهنم" (مت ١٨ : ٩) فمن هنا نعلم أن الشكوك لا يأتى عن ضرورة بل عن الإساءة وإن كان لك أخ أو محب وكذلك إن وجد فى الكنيسة أخ يعثر الآخرين فلا تشفق عليه بل اقطعه لأنه خير لك أن تصير غريباً عن الأخ الممثل بالعين لتدخل الملكوت وإلا فإذا جاريته وقعتما كلاكما فى جهنم.

وهكذا وصف لنا السيد أن ننزع من نفوسنا كل ما يسبب العثرة لها وفى بساطة الإيمان وسذاجته طبق أحد آبائنا القديسين هذه الوصية بحذفيرها فما أن شعر بالشيطان يهم بالدخول إليه من نافذة العين حتى خلعها بأصبعه.

٢ ـ أما العين الشريرة فهى مكرهة للرب:

إن تفتحت فللشر تفعل وإن أُغمضت ففى سبيل الشيطان تعمل فالشرير يفتح عينيه محاولاً أن يلتهم كل جمال العالم وما له لنفسه "الهاوية والهلاك لا يشبعان وكذا عينا الإنسان لا تشبعان" (أم ٢٧ : ٢٠) "ذو العين الشريرة يعجل إلى الغنى ولا يعلم أن الفقر يأتيه" (أم ٢٨ : ٢٢) ثم هو يرى الخير فى الآخرين فيملؤه الحقد والضغينة "أم عينكَ شريرة لأنى أنا صالح" (مت ٢٠ : ١٥).

بهذه العين قد نظر هامان إلى مردخاى فرأى أنه لابد أن يُزال من طريقه رغم أنه فى المركز سابقاً له لقد تصور وسيلة اهلاكه وحال الفتن ودس الدسائس وسارع فى بناء الخشبة التى سيصلبه عليها ولكنه أعد بنفسه خشبة عاره وحفر بيديه قبره فقتله الملك عندما اكتشف حسده (أس ٧ : ١٠). عين الحاسد تضع حاجز بين الإنسان والله وترفض أى شركة معه لأن شركة الله هى محبة أما هدف تلك العين فهو البغضة "ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبة" (١يو ٤ : ٨).

فكلما امتلأ القلب فساداً أو إثماً وفجوراً أطل على العالم من فتحة العين فظهر الشر مُجسماً فيها "لأن من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل" (مر ٧ : ٢١ ، ٢٢).

"لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم" (١يو ٢ : ١٦) ومثل هذه العين لا يمكن أن ترى رب المجد فقد أعماها الشيطان فأبعدها عن محبة الله ومحبة القريب "كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه (١يو ٣ : ٦) "وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه" (١يو ٢ : ١١).

والنتيجة الحتمية لهذه الحالة هى السقوط التام "فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون. ومبصرين تبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (مت ١٣ : ١٤، ١٥).

والعين الشريرة تعميها المادة فترفض جمال يسوع ونعمته الفياضة ـ رأى أصحاب الخنازير خسارتهم ولم يروا كم فعل يسوع بالمجنون وبهم "ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم" (مت ٨ : ٣٤).

ثم هى تنقب وتبحث عن عيوب الآخرين وضعفاتهم فتتعالى عليهم متغافلة عن مساوئها وعيوبها الذاتية "ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها" (مت ٧ : ٣) وقد جاء فى الأمثال (٦ : ١٦ – ١٩). "هذه الستة يبغضها الرب وسبعة هى مكرهة نفسه. عيون متعالية ـ لسان كاذب ـ أيد سافكة دماً بريئاً. قلب ينشئ أفكاراً رديئة. أرجل سريعة الجريان إلى السوء. شاهد زور يفوه بالأكاذيب وزارع خصومات بين إخوة"، وقد تنكر داود للعيون المتعالية فقال "يارب لم يرتفع قلبى ولم تستعل عيناى" وكما أن العين الشريرة تتعالى وتتشامخ لتسقط فى خطية الكبرياء اللعينة فهى كذلك تغمز فى مواقف الهز والسخرية "الرجل اللئيم الرجل الأثيم يسعى باعوجاج الفم يغمز بعينه يقول برجله. يشير بأصابعه" (أم ٦ : ١٢، ١٣) وكما تتفتح على الشر فكذلك تفحص فى الفساد عن عمل الخير "من يفحص عينيه ليفكر فى الأكاذيب ومن يعض شفتيه فقد أكمل شراً" (أم ١٦ : ٣٠) "من يعطى الفقير لا

يحتاج ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة" (أم ٢٨ : ٢٧).

واختم كلمتى بأن أقول أن أكبر سقطتين ذكرهما الكتاب المقدس كانتا بسبب النظر فآدم طُرد من الفردوس وسقط ومعه البشرية كلها إلى شقاء هذا العالم بسبب أنه نظر إلى الثمرة فوجدها كما رأتها حواء جيدة للأكل وبهجة للعيون وشهية للنظر.

وداود النبى لو لم يسمح لنظره بأن يقع على زوجة أوريا الحيثى وهى تستحم ما سجل لنا الكتاب هذه المأساة البالغة لنبى وملك أحبه الله محبة خاصة.

ولكن شكراً لربى وسيدى يسوع المسيح الذى رفع عنا موت خطية آدم والذى أعطانا الخلاص بعد أن فتح لنا باب التوبة على مصراعيه وأعطانا تطهيراً وغفراناً لخطايانا.

إذن يا أحبائى فلا نستهين بالعين بل يجب أن نعرف أن هذه العين العضو الصغير قد تكون سبباً فى رفعنا إلى سماء الطهر والمجد الأبدى، وقد تحطنا إلى أسفل درجات الفساد وتؤدى بنا إلى جهنم السحيقة، فلنسهر معتمدين على نعمة الله حتى تكون عيوننا سبب نور لأجسادنا لا سبب ظلمة.

وله المجد دائماً.

عظة إنجيل قداس اليوم العاشر من شهر طوبة

برمون الغطاس

«صوتٌ صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة» (لو ٣ : ٤).

عبرت قرون أربعة وقد خيم على الأرض سكوت دونه سكوت ساكنى القبور وأشاحت السماء بوجهها عن العالم ومن فيه فلا نبى ولا راءٍ ولا حالم ولا نذير. هدأ آخر صوت لآخر نبى إلا عن نبوءته عن مجئ يوحنا ليهيئ الطريق أمام الآتى ليعيد ميلاد الأرض من جديد بل ليجعل كل شئ فيها جديداً

ولعل الأجيال ترقبت أن يخرج النذير أو البشير الجديد من بين أروقة الهيكل فى المدينة المقدسة، ولكن ارتقابها طال على العهد حتى دوى من برية الأردن ذلك الصوت الصارخ فكان صوت المعمدان الذى يجلجل وهو يقول "أعدوا طريق الرب" (مت ٣ : ٣).

كانت خدمة يوحنا المعمدان إعداد الطريق أمام المسيح العتيد أن يسود ببره وأن يتسلط بقوة محبته على القلوب وكان هو الكارز الذى يتنبأ عنه إشعياء قائلاً: صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اجعلوا سبله مستقيمة. وكان عليه أن يعد الأذهان وأن يجهز القلوب للمسيح الرب لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً وكانت رسالته توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت السموات وقد كان يوحنا شجاعاً لا يخشى شيئاً ولا يهاب إنساناً أميناً لله وللعمل الذى دعاه إليه، فلم يحابِ أو يجامل بل كان صارماً فى إنذاره: "اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة... وهوذا الفأس قد وضعت على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار" (لو ٣ : ٨، ٩) وكثيرون ممن استمعوا إليه نخسوا فى قلوبهم واعترفوا بخطاياهم واعتمدوا منه.

عرفوا أن الله يريد ترك الخطية وتجنب الآثام وعدم الإشتراك فى أعمال الظلمة غير المثمرة. أما الآن فلنسأل أنفسنا أين هى العظمة وهل من سبيل للوصول إليها؟

لم يكن يوحنا المعمدان متمتعاً بوافر الثروة وعظيم الجاه. كما لم يكن بالمتسلط الكثير الجند الممتد السطوة والسلطان بل قل أنه لم يقضى عمره القصير متنعماً مترفهاً ولكن حياته كانت سلسلة من المتاعب والمشاق خُتمت بسجن مؤلم أُلقيَ فيه ذلك البار وأخيراً قُطعت رأسه الطاهرة إرضاء لطياشة ملك ظالم ومتسلط جاهل تلك هى حياة المعمدان الذى يشهد عنه الكتاب المقدس بأنه كان عظيماً ليس ذلك بل وأنه لم يقم فى مواليد النساء أعظم منه.

وهنا نجد أنفسنا مرغمين على القول بأن العظمة الحقيقية هى التى تتأتى لنا عن طريق الحياة مع الله والسير أمامه وأنه لا دخل للحياة العالمية مهما شاكت طرقها بالصلة التى تربطنا بخالقنا ويمكننا الآن أن نختط لأنفسنا طريقاً نحو العظمة الحقيقية التى ننشدها وذلك على ضوء يوحنا المعمدان ومتى عرفنا على ما قامت عظمته أمكننا أن نسلك سبيله ونقتفى آثاره وأن قليلاً من التأمل فى حياته الطاهرة ليرينا أن عظمته قامت على دعائم فالآن:

أولاً ـ إعداده الطريق أمام الرب:

فقد تقدم أمامه معلماً منذراً ليهيئ النفوس إلى الإيمان به. ولو أملنا قليلاً بآذاننا لسمعنا صوته يرن عالياً فى أرجاء البرية الواسعة والفضاء الممتد قائلاً: "توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت السموات" (مت ٣ : ٢). "اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة... والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع أثماراً جيدة تقطع وتلقى فى النار" (لو ٣ : ٨، ٩).

"أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ" (مت ٣ : ١١ ، ١٢).

هكذا كان ينادى وهكذا كان يعظ ويعلم ولا شك أن لهجة كهذه لتدل دلالة

واضحة على عظمة قائلها ولو أنه لم يعش عمراً طويلاً ولكن عظمة الأعمال لا تقوم بالعمر الطويل ولا بالزمن المديد بل بالأمانة فى الخدمة والاستقامة فى السيرة والغيرة فى التعليم والإخلاص فى العمل وكل هذه أشياء يمكننا أن نراها واضحة جلية فى حياة ذلك البطل العظيم يوحنا المعمدان وعلى ذلك استحق بأن يكون عظيماً ووحيداً فى عظمته ومنوالاً ينسج عليه كل من ينشد العظمة الحقيقية لأنه أى عظمة أشرف من اقتياد النفوس إلى خالقها سواء كان بالوعظ أو بالاستقامة والقدوة" أما من عمل وعلم فهذا يُدعى عظيماً فى ملكوت السموات" (مت ٥ : ١٩) فيا أيها المسيحى أتريد أن تكون عظيماً وهل تتوق إلى أن يشار إلى عظمتك بأطراف البنان عليك بأن تقوم بواجبك الذى كُلفت به فأنت مصباح مضئ يجب أن ينير كل من فى البيت بل وملح جيد يجب أن يصلح ما فسد وويلٌ ثم ويلٌ للمصباح إذا خبأ نوره وانكسف وللملح إذا تولاه العطب وتسرب إليه الفساد. ولكى تعلم أنك ما دمت عضواً فى المسيحية يجب أن تكون عضواً عاملاً وإلا فتقطع اسمع ذلك الخبر المبهج الذى جاء فى الكتاب المقدس خرج الأراميون غزاة مرة فسبوا من أرض إسرائيل جموعاً كثيرة من رجال وسيدات ولا نريد أن نوجه نظرك إلى أولئك الأسرى المساقين سوق الأغنام ولكننا نحدثك عن فتاة إسرائيلية صغيرة أُخذت لتكون خادمة فى منزل القائد الأرامى السريانى، ولقد ظلت هذه الفتاة فى منزل سيدها تقوم بواجبها خير قيام وما أن شعرت بأن سيدها يشكوا مرضاً خبيثاً أوشك أن يفتك به ويؤدى بحياته حتى راحت إلى سيدتها تعرض عليها طبيباً ماهراً فى صناعته يمكنه أن يشفى ذلك المرض العضال فقالت لمولاتها يا ليت سيدى أمام النبى الذى فى السامرة فأنه كان يشفيه من برصه.

وما كاد الخبر يصل إلى مسامع نعمان حتى هرع إلى السامرة وقد رجع سليماً معافى من مرضه (٢مل ٥) فهذه الفتاة الصغيرة قد قامت بواجبها إذ عرفت كيف تعمل دعاية هذا مقدارها للإسرائيلية وأبنائها وبواسطتها قد تمجد الله كثيراً.

فهل لك أيها المسيحى أن تقتدى بهذه الفتاة العظيمة التى استحقت أن يُنشر خبرها

فى كتاب الله المقدس شاهد على فعلها الحميد الذى قامت به وهى فى حالة الذل والمسكنة مسبية بعيدة عن وطنها محرومة من أهلها وذويها.

ثانياً ـ تواضعه وإنكاره ذاته:

فإنه لما بدأ فى كرازته وقام بوظيفته كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم أنه ربما يكون المسيح المنتظر ولما سألوه لم يجيبهم أنه نبى عظيم أُرسل من الله بل قال "أنا أعمدكم بماء يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحل سيور حذائه" (لو٣: ١٦). وفضلاً عن ذلك فقد رأيناه غير مهتم بما يأكل أو بما يلبس جاعلاً هذه أشياء ثانوية لا تستحق كثير عناء ولا عظيم اهتمام وبذلك أمكنه بتواضعه هذا العجيب أن يشيد عظمته مرتفعة عالية وواضحة بينة وبذلك يقدم لنا درساً بليغاً فى التواضع وإنكار الذات تلك الدعامة المتينة التى عليها... يمكننا أن نشيد العظمة الحقيقية التى تصبوا إليها نفوسنا. ولو استعرضنا حياة بعض من العظماء الذين وردت سيرهم فى الكتاب المقدس لرأينا أنهم شادوا عظمتهم على أساس التواضع ونكران الذات وأنهم لم يصلوا إلى قمة ذلك المجد الرفيع لا عن طريق تواضع النفس ونكران الذات ولا بأس علينا إلا من أن نورد بعضاً من أقوالهم التى يجب أن ننسج على منوالهم. لما عرض الله على موسى الذهاب إلى فرعون ليفاتحه فى أمر إخراج الإسرائيليين من مصر "قال موسى من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر" (خر ٣: ١١).

أما جدعون فعندما عرض الله عليه العمل على تخليص إسرائيل قال عبارته الجميلة هذه "أسألك ياسيدى بماذا أخلص إسرائيل ها عشيرتى هى الذُلىّ فى منسى وأنا الأصغر فى بيت أبى" (قض ٦: ١٥). واسمع ماذا قال سليمان الحكيم عندما أُسندت إليه رعاية الأمة الإسرائيلية: "أيها الرب إلهى أنت ملكت عبدك مكان داود أبى وأنا فتى صغير لا أعلم الدخول ولا الخروج وعبدك فى وسط شعبك الذى اخترته شعب كثير لا يحصى ولا يُعد من الكثرة فأعطِ عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا" (١مل ٣: ٧ - ٩).

ولعلم السيد المسيح له المجد بما للتواضع من الأهمية العظمى نرى أنه علمنا إياه بسائر أعماله حيث أنه أراد أن يولد من أم فقيرة وفى مكان حقير وفر هارباً إلى مصر كأنه ضعيف وأراد أن يعتمد على الخطاة والعشارين كأنه واحد منهم ولما أراد الشعب أن يقيموه ملكاً عليهم اختفى عنهم وإذا أرادوا إهانته واحتقاره حضر أمامهم ولما كانت تمدحه الناس والشياطين كان ينتهرهم ليسكتوا وحينما كان يُشتم كان يصمت ولا يفتح فاه وإذ أراد عند آخر حياته أن يأمرنا بالاتضاع فأتضع هو وتنازل إلى غسل أقدام تلاميذه ثم أنه ختم جميع هذه النموذجات العجيبة بالموت على الصليب.

ثالثاً ــ شجاعته فى أداء خدمته:

فقد أنهى حياته بقطع رأسه دفاعاً عن الشريعة إذا اختطف هيرودس الملك امرأة أخيه وشاء أن يتخذها لنفسه فقام يوحنا فى وجهه مؤنباً وموبخاً قائلاً:

"لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك" (مر ٦ : ١٨) وما ذلك إلا لأن الشريعة فوق الملوك والعظماء ويجب "أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥ : ٢٩).

وقد كان من أمر يوحنا أنه قُتل لأجل غيرته هذه وأعطىَ رأسه لراقصة أثيمة وبذلك قدم مثالاً جليلاً للكارزين بالإنجيل وللذين أقيموا لرعاية الشعب كى يتعلموا أن لا يخشوا أية عظمة أو قوة فى العالم تجاه الشريعة وأن يتجردوا من كل خوف ومداراة أمام الحق وهذا كان دأب رجال الله قديماً أولئك الذين رأيناهم يواجهون الملوك والعظماء غير هيابين ولا وجلين يؤنبون هذا ويوبخون ذاك لا فرق فى ذلك بين ملك أو صعلوك غنى أو فقير.

ويمكننا إذا وقفنا على سيرهم أن نسمع ناثان النبى مثلاً وهو يخاطب داود الملك مؤنباً إياه بلهجة شديدة وبعبارة قاسية قائلاً: "هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه فقد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة والآن لا يفارق السيف بيتك إلى

الأبد... هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نسائك أمام عينيك... لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" (٢صم ١٢ : ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢)

وها هو إيليا النبى أمام أخآب الملك يُسمعه الحكم القاسى والقضاء المبرم الصادر ضده هو وزوجته إيزابل وما أروعه حكم حينما يقول: "هكذا قال الرب فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً... هأنذا أجلب عليك شراً وأبيد نسلك وأقطع لأخآب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق فى إسرائيل... وإن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل ومن مات لأخآب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء" (١مل ٢١ : ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤).

الآن أُمكننا أن نُدرك كيف تشاد العظمة الحقيقية فيا حبذا نقتدى بأمثال أولئك العظماء فنكون أنواراً تضئ فى ظلمات هذه الحياة حتى إذا رآنا الغير يقولون حقاً أن أولئك أولاد الله وأن نكون قدوة فى التواضع ونكران الذات ثم نقوم بالواجب علينا فى شجاعة وجرائة واضعين نصب أعيننا قول السيد المسيح له المجد: "لا تخافوا ممن يقتل الجسد لكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم" (مت ١٠ : ٢٨).

ولربنا وإلهنا المجد دائماً أبدياً ـ آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم الحادى عشر من شهر طوبة

عيد الغطاس المجيد

«وصوتٌ من السماء قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررتُ» (مت ٣ : ١٧).

ما أحلى وما أشهى أن تعيد الكنيسة المحبوبة أعياد سيدها وعريسها الرب يسوع. ففى هذه الأعياد تعبده وتقتدى بمثاله ولا تنساه. وتحتفل الكنيسة القبطية فى هذه الليلة المباركة بعيد الغطاس المجيد وهو أحد الأعياد السيدية الكبار ويعرف أيضاً بعيد الظهور الإلهى. ويُعمل هذا العيد تذكاراً لاعتماد الرب يسوع فى نهر الأردن. فقد ورد فى الأصحاح الثالث والعدد السادس عشر من إنجيل متى قول الوحى: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه".

لقد رأيناه فى ليلة الميلاد وهو رب السماء والأرض فى منتهى التواضع مولوداً فى مذود البقر، واليوم بعد صمت عميق ثلاثين سنة يأتى من الناصرة إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. أما يوحنا فقال له أنه هو المحتاج لأنه إنسان وأما هو فإله. وامتنع أولاً يوحنا عن إجراء العماد ولكنه سمح أخيراً فعمده يوحنا والراجح أن السيد المسيح عمد أيضاً يوحنا بدليل قوله له أنه هو المحتاج أن يعتمد من يديه.

ونزل السيد إلى نهر الأردن ووضع يوحنا يمينه على رأس السيد ولم يقل ما هو معتاد أن يقوله أنى أعمدك بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا بل ظل ساكتاً وفى برهة صغيرة أشرق نور عظيم على الأردن وغطت وجه النهر سحابة بيضاء فظهرت الملائكة بعدد لا يحصى تُمجد الله ووقف الأردن عن مجراه وانفتحت السماء مما دل على أن المعتمد سماوى نزل من السماء وإليها يصعد ثانية. وأن الذين يعتمدون ينفتح لهم باب السماء.

ثم نزل الروح لأنه من طبيعة ذلك المعتمد فأسرع إلى من يشبهه وبذلك ظهر جلياً الثالوث القدوس فالابن يعتمد والآب يصرخ والروح يحل ويقال أن السيد المسيح غُطس ثلاث مرات فى الماء إشارة إلى الثالوث القدوس وتراءى الروح على أوجه مختلفة ففى هذه المرة شبه حمامة لأن هذا الطائر هادئ ووديع ومحب للسلام وكان واسطة لتبشير

نوح بانتهاء الطوفان هذا بواسطة الحمامة أى الروح القدس زال طوفان الخطية. والمعمودية أول أسرار الكنيسة السبعة وبدونها لا يمكن لأى إنسان أن ينال سر من الأسرار الأخرى وهى الميلاد الثانى من الماء والروح.

وبعد قيامة السيد المسيح أمر التلاميذ بممارسة هذا السر بقوله "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩) ثم قال من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن والعماد يكون بالتغطيس كقول بولس الرسول: "أما تجهلون أننا نحن الذين اعتمدنا ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن فى جدة الحياة" (رو٦ : ٣ ، ٤).

واستخدام الماء فى العماد هو لوجود مقارنة بينه وبين النعمة السرية فالماء يجدد القوة الجسدية والنعمة تحيى خواص النفس الروحية التى أماتتها الخطية كما أن الماء يغسل الأقذار والعماد ينقى من الآثام والماء يصلح أن يدفن الإنسان فيه ويخرج حياً ولا يصلح لذلك أى عنصر آخر كالتراب أو الهواء أو النار.

ولما أراد الله خلاص بنى إسرائيل من العبودية غرق فرعون وجنوده فى الماء وإعطاء الكهنوت لهارون لم يكن إلا بعد غسل جسده بالماء كذلك الكهنة لم يقبلوا فى خدمة قبة الشهادة إلا بعد اغتسالهم بالماء وكان يوحنا يعمد التائبين بالماء.

والمعمودية نوعان:

١ ـ معمودية الماء والروح.

٢ ـ معمودية الدم كمعمودية الشهداء.

إن اختيار يوحنا المعمدان لمياه الأردن يعمد فيها الآتيين إليه للتوبة لم يكن عفواً أو لمجرد توفر المياه الغزيرة فيه بل كان عن قصد وتعمد مبنيين على فكرة دينية ومعنى روحى سام روعيت فيه جملة اعتبارات ورموز تجمعت فى اختيار نهر الأردن دون غيره من الأنهار والبحار.

ولما كانت التوبة هى الدافع للاعتماد على يد يوحنا كان لابد لنا من النظر فى ما فعلته الخطية فى الإنسان وما تطلبه الخلاص منها أو تطهير العالم من أدرانها فلقد بلغ ضغط الخطية على الإنسان أثار سخط العدل الإلهى فأفنى العالم مرة بطوفان الماء فى أيام نوح كما أفنى بلاداً كثيرة بطوفان النار فى أيام لوط حيث رمد مدينتى سدوم وعمورة بسبب الفجور والآثام فلقد غسل الله قديماً سطح الأرض بواسطة مياه الطوفان التى غمرت العالم كما يغمر المعتمد فى مياه المعمودية للتوبة والخلاص من الخطية وإلى هذا أشار القديس بطرس الرسول قائلاً: "الذى فيه ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح إذ كان الفلك يبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١بط ٣ : ١٩ - ٢١).

والغمرة الثانية التى غمر الله بها سدوم وعمورة لتطهيرهما من الدنس والإثم الذى ساد هاتين المدينتين كانت بالنار والكبريت وفى هذه المرة أيضاً أنقذ لوط وبنتيه.

وإذ بَيّنَ بطرس الرسول أن طوفان الماء كان رمزاً إلى مياه المعمودية وبما أن طوفان النار جاء بعد طوفان الماء كان هذا رمزاً إلى معمودية الروح التى تلى معمودية الماء وهى المعبر عنها بمعمودية النار وهى المعمودية المسيحية التى قال عنها يوحنا المعمدان لليهود: "أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣ : ١١).

ولئلا يظن ظانٍ أن الذى يأتى بعد يوحنا شخص آخر غير المسيح نورد ما قاله يوحنا المعمدان عن المسيح فى مكان آخر فى إنجيل يوحنا: "وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى. وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء وشهد يوحنا قائلاً إنى قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر

عليه وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس" (يو ١ : ٢٩ - ٣٣).

وقد دعا السيد هذا العماد المسيحى بالولادة كما قال له المجد لينقوديموس: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣ : ٣) وإذا فهمنا هذا كله أدركنا السر فى اختيار يوحنا المعمدان لنهر الأردن ومياهه للمعمودية وذلك لأن إسرائيل تعمدوا أولاً فى مياه البحر الأحمر وهم خارجون من مصر على يد موسى النبى وإلى هذا العماد أشار بولس الرسول قائلاً: "فإنى لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا فى البحر وجميعهم اعتمدو لموسى فى السحابة وفى البحر" (١كو ١٠ : ١ ، ٢).

ومعلوم أن الماء رمزاً عن معمودية الماء والسحابة التى فوقهم كانت رمزاً إلى الروح الذى كان مزمعاً أن يستقر من السماء من فوق وهى معمودية النار لأن السحاب يحمل فى طياته النار والكهرباء ولكن النار لم تستقر على بنى إسرائيل وقتذاك إذ كانت محجوبة فى المياه المعقودة سحاباً فكانت ذاك الوقت معمودية الماء فقط للتوبة التى لم تنل غفراناً ذاك الوقت لأنها توبة سطحية لم تلبث أن فقدت قوتها فى نفوس إسرائيل الذين عاودتهم الخطية فى البرية حتى استوجبت سخط الله عليهم فحكم عليهم بالموت فى البرية فلم يصل إلى المعمودية الثانية التى كانت فى نهر الأردن حين خروجهم من البرية إلى أرض الميعاد سوى يشوع بن نون وكالب بن يفنة من كل الذين تعمدوا فى البحر الأحمر على يد موسى ولكن المعمودية الثانية التى وصلوا إلى أرض الميعاد كانت نهر الأردن تحت قيادة يشوع بن نون والكهنة يتقدمهم تابوت عهد الرب الذى وقف الكهنة حاملوه وسط النهر حتى عبر جميع الشعب. هذا النهر ذو الذكريات العظيمة قد اتخذه يوحنا للعماد وانتظر واقفاً عنده يعمد حتى جاء إليه الرب يسوع واعتمد منه لأنه لأجل هذه الغاية وهذا الغرض وحده جاء يوحنا يعمد كما قال عن المسيح "وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء" (يو ١ : ٣١). وذلك ليربط الماضى بحاضره ويضع

الرمز إليه أو بعبارة أخرى ليفك ختوم النبوات والرموز وإليكم ذكريات الأردن ورموزه:

أولاً ـ على الأردن عد يشوع وألعازار الكاهن بنى إسرائيل للمرة الثانية حيث لم يكن إنسان من الذين عدهم موسى وهرون الكاهن فى برية سينا لأن الرب قال لهم أنهم يموتون فى البرية فلم يبقَ إنسان "إلا كالب بن يفنة ويشوع بن نون" (عدد٢٦ : ١٣-٦٥).

فالمعدودون عند جبل سينا ماتوا فى البرية أما المعدودون عند نهر الأردن دخلوا جميعاً أرض الميعاد تحت قيادة يشوع بن نون وهكذا الذين يعيشون عند سينا تحت الناموس هم تحت الناموس. أما المعدودون فى شريعة يسوع المسيح ويجتازون أردن المعمودية تحت قيادة يسوع مؤمنين باسمه فيه له دخول وقدوم لدى الآب لأنه كما يقول الرسول: "لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين فى الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه. لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تى ٣ : ٣ - ٧).

هؤلاء الذين رآهم يوحنا صاحب الرؤيا فقال: "نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل... هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم فى دم الخروف من أجل ذلك هم أمام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً فى هيكله" (رؤ ٧ : ٩ ، ١٤ ، ١٥).

ثانياً ـ على الأردن كلم الرب موسى لينتقم لبنى إسرائيل من أعدائهم المديانيين فتجرد الشعب تحت قيادة يشوع فحاربوهم وانتصروا وأتوا بالسبى والنهب والغنيمة إلى عربات موآب التى على الأردن" (عد ٣١ : ١ - ١٢).

ويسوع قائد بشريتنا ورأسها وممثلها الوحيد فأنه تمجد اسمه القدوس وهو على الأردن صعد إلى الجبل للإنتقام من أعداء البشرية الروحيين وهناك حارب الشيطان وكسره شر

كسرة فى المواقع التى انكسر فيها آدم أب البشرية إذ تقدم إليه الشيطان فى ثلاث حملات وهى شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة تلك الحملات التى انكسر فيها آدم ونسله لا فرق بين الأنبياء والملوك والكهنة والأفراد العاديين "إذ الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو ٣ : ١٢).

إلا السيد المسيح. يسوع وحده رد سهام الشيطان إلى نحره وتغلب عليه فى هذه المواقع حتى اندحر وكانت هذه بدء كسرته حتى أنه بعد ذلك كلما رأى يسوع ماشياً فى الطريق صرخ قائلاً: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت قبل الوقت لتعذبنا" (مت ٨ :٣٠) حتى كسره الكسرة النهائية بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات منتصراً على قوات الجحيم. "لذلك يقول إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا" (أف ٤ : ٨).

ثالثاً ـ يقول الكتاب: "هذه هى الوصايا والأحكام التى أوصى بها الرب إلى بنى إسرائيل على يد موسى فى عربات موآب على أردن أريحا" (عد ٣٦ : ١٣).

وعلى هذا الأردن قال الله عند ظهور ابنه يسوع المسيح: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت ٣ : ١٧) هذا الابن الحبيب الذى أسس فى الأردن أول وصية أوصى بها تلاميذه قائلاً: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩).

هذا التثليث الذى ظهر يوم عماده فى الأردن حيث ظهر الآب بصوته القائل هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت وظهر الابن فى جسد البشرية وهو فى المعمودية وظهر الروح القدس فى شبه حمامة مستقراً على رأس الرب يسوع.

رابعاً ـ فى أردن أريحا حمل الكهنة تابوت الله المحفوظ فيه لوحا الشريعة وعبروا أمام الشعب ووقفوا فى الأردن حتى عبر الشعب الإسرائيلى (يش ٣ : ٦ - ١٧).

وفى هذا الأردن عينه عمد يوحنا المعمدان الكاهن ابن الكاهن الرب يسوع المسيح تابوت عهد الله الحقيقى الذى حفظ وحدة شريعة الله حتى اجتاز جميع المؤمنين هذا

الطريق الذى رسمه الرب يسوع واعتمدوا باسمه وبهذا صار لهم حق الدخول إلى أرض الميعاد الحقيقية فى أمجاد السماء.

خامساً ـ فى أردن أريحا أمر أليشع النبى نعمان السريانى أن يغتسل سبع مرات ليرجع لحمه إليه ويطهر من البرص فكان كما قال (٢مل ٥: ١٠).

وفى الأردن عينه غطس يسوع المسيح كنائب عن الجبلة البشرية التى هى لحمه ودمه إذ تشارك معنا فى اللحم والدم وهناك جدد طبيعتنا وعادت لنا حياتنا الأولى فى طهارة وقداسة.

سادساً ـ على أردن أريحا وقف أليشع مع معلمه إيليا فأخذ إيليا رداءه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك وصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء فى مركبته وخيل من نار (٢مل ٢: ١١) وفى أردن أريحا وقف المسيح مع يوحنا المعمدان الذى قيل عنه أنه يتقدم أمام المسيح بروح إيليا (لو ١: ١٧).

ولكن الذى انفلق فى ذلك اليوم ليس الأردن ولكن السماء وانشقت وظهر الروح القدس فى شبه حمامة وعندها اُختطف يوحنا ومات وبقى يسوع وحده يرعى شعب الله كما اُختطف إيليا وبقى بعده أليشع يرعى الشعب.

سابعاً ـ على أردن أريحا كان بنو الأنبياء يقطعون خشباً ومعهم أليشع فسقط الحديد الذى يقطعون به فى ماء الأردن فصرخ الرجل إلى أليشع وقال يا سيدى هو عارية فقطع أليشع عوداً وألقاه فى الماء فطفا الحديد فقال ارفعه لنفسك فمد يده وأخذه (٢مل٦: ٤-٧).

واليوم على أردن أريحا نذكر اليوم الذى غطس فيه الغصن الرب يسوع المسيح الذى دُعِىَ بالغصن (زك ٣: ٨، ٦: ١٢) هذا الغصن "الذى قُطع من أرض الأحياء" (إش٥٣: ٨) وطرح فى أردن هذا العالم. أردن الموت أردن الكبرياء لأنه قيل "كبرياء الأردن" (إر ٤٩: ١٩).

"ها هو يصعد كأسد من كبرياء الأردن وإلى مرعى دائم" (إر ٥٠ : ٤٤) وهناك اتحد بطبيعتنا الساقطة وانتشلها وطفى بها على سطح المعمودية ليرقى بها إلى المجد الأبدى. إذ الحديد إشارة إلى الطبيعة البشرية المثقلة بالخطية والآثام التى لم يجدها الأنبياء نفعاً ولا الحكماء ولا الفلاسفة إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله لأنه بالرغم من إرساليتهم من الله فقد سقطوا فى الخطايا التى سقط فيها البشر ولذلك كان لابد لابن الله من أن ينزل من السماء بقداسته الغير مثقلة بخطية ومتحد بطبيعتنا البشرية ويرفعها بلاهوته إلى مستوى البر والصلاح الذى له نزل يسوع إلى كبرياء الأردن يقتل الكبرياء فى مرقدها حمل خطايانا البشرية وغطس بها فى كبرياء الأردن وهناك غرقها بتواضعه حينما قبل العماد من يد عبده يوحنا لأن النار لا يطفئها إلا الماء لأنه ضدها وهكذا كبرياء آدم الذى أكل من الشجرة ليكون مثل الله لا يكفر عنها ولا يكسرها إلا تواضع المسيح "الذى أخلى نفسه وأخذ صورة العبد وصار فى الهيئة كإنسان وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى ٢ : ٧، ٨).

فيسوع الذى ظهر قديماً على جبل سينا لبنى إسرائيل وخاف الشعب من رؤيته وحذروا ألا يقتربوا إلى الجبل الذى ظهر فيه لئلا يموتوا نراه اليوم وقد ظهر فى نهر الأردن ويتجاسر عبده يوحنا المعمدان ويقترب منه بل يضع يديه عليه ويعمده وبهذا قتل يسوع الكبرياء بتواضعه وأعطانا المثل الأعلى والدرس الفعال فى علاج المجتمع إذا كنا نريد إصلاحه فشرور العالم لا يقتلها إلا صلاح القائد.

وكبرياء الناس لا يذلها إلا تواضعنا. وطمع العالم لا يقتله إلا قناعتنا. فهل نحن كمسيحيين نقتفى إثر مخلصنا المسيح فى سلوكنا مع العالم بصفتنا قادته إلى الحياة الأبدية؟

إننا نتوقع أن يكون الجواب توبة وندامة على سلوكنا المعيب بإزاء العالم الذى ينظر إلينا كمنقذيه من الشرور والآثام التى أرهقته.

ولإلهنا المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم الثالث عشر من شهر طوبة

عيد عُرس قانا الجليل

«وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» (يو ٢ : ١١).

فى هذا اليوم المبارك تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية فى جميع أنحاء البلاد وفى سائر الأقطار بعيد حضور المسيح لعُرس قانا الجليل، حيث صنع أولى معجزاته وهى تحويل الماء إلى خمر.

هنا نرى تفصيلاً للمعجزة التى أجراها المسيح، وهى تحويل الماء إلى خمر فى عُرس قانا الجليل. كان هنالك مستعدون أن يؤمنوا بالمسيح، ويتبعوه. ولو لم يفعل آية. ومع ذلك فكان هنالك كثيرون لا يمكن التأثير فيهم إلا إذا حقق طلبتهم أية آية تُرينا؟

كان ممكناً له أن يصنع المعجزات قبل ذلك الوقت، وأن يجعلها شغله الشاغل فى الحياة، وتسلية لأحبائه. لكن لأن المعجزات قصد بها أن تكون مؤيدة وحتماً لتعاليمه لهذا لم يبدأ بالمعجزات إلا بعد أن بدأ يعلم.

بعد ذهابه إلى الجليل بثلاثة أيام يحتفظ هذا الإنجيلى بسجل عن الحوادث، لأنه لم يمر يوم دون أن يفعل المسيح شيئاً غير عادى أو يقول شيئاً غير عادى. لقد ملأ مخلصنا وقته أكثر مما يفعل خدامه اليوم.

لقد بدأ المسيح يصنع معجزاته فى ركن مجهول من البلاد، بعيداً عن أورشليم التى كانت هى ملتقى الجميع، لكى يبين أنه لم يطلب "مجداً من الناس" (يو ٥ : ٤١)، لكنه يعطى كرامة للمتواضعين، لم يكن ممكناً أن تلقى تعاليمه ومعجزاته مقاومة من الجليليين البسطاء الأمناء، كما لقيت من المتغطرسين ورجال السياسة، والعظماء الذين فى أورشليم. والكرامة التى وضعها المسيح بهذا على سر الزيجة، فأنه كرمه لا بحضوره فقط، بل بعمل أول معجزاته فيه لأنه أُسس وبورك لما كان آدم وحواء فى حالة البرارة، ولأنه لا يزال "طالباً زرع الله عن طريقه" (ملا ٢ : ١٥)، ولأنه يمثل الاتحاد السرى بينه وبين كنيسته.

ودُعِيَ أيضاً يسوع وستة من تلاميذه وهم (أندراوس وبطرس وفيلبس ونثنائيل ويوحنا الإنجيلي وأخوه يعقوب. أما بقية الاثنى عشر فلم يكونوا قد تتلمذوا للمسيح وقتئذ) فَقبِلَ الدعوة، وذهب، وحضر الوليمة مع باقي المدعوين ليعلمنا احترام أقربائنا والاشتراك معهم في حياتهم الاجتماعية، حتى ولو كانوا أقل منا شأناً.

لقد أتى المسيح بكيفية أخرى غير تلك التى أتى بها يوحنا المعمدان، الذى كان "لا يأكل ولا يشرب" (مت ١١: ١٨، ١٩) من حكمة الرجل الحصيف الحكيم أن يتعلم كيف يجعل اختلاطه بالناس نافعاً، لا أن يتجنبه.

عندما يكون هنالك عُرس ينبغى أن نحرص بأن يكون يسوع المسيح حاضراً فيه، ببركته ونعمته، أن يعترف هو به ويباركه عندئذ "يكون الزواج مكرماً حقاً" (عب١٣: ٤). "والذين يتزوجون فى الرب" (١كو ٧: ٣٩) ينبغى أن لا يتزوجوا من دونه.

إن يسوع صنع آيات كثيرة وفائقة الطبيعة ولكن الكنيسة تحتفل بهذه الآية دون غيرها.

١ ـ لأنها باكورة الآيات التى صنعها حالما شرع بهذه الآية دون غيرها.

٢ ـ لأنه بها أظهر مجده.

٣ ـ لأنها فتحت طريق الإيمان إذ آمن كثيرون بواسطتها (يو ٢: ١٠، ١١).

٤ ـ لأن يسوع بحضوره فى العُرس باركه وبالتالى بارك سر الزواج الذى رسمه فى كنيسته وجعله سراً مقدساً جديداً.

لماذا اختار المسيح أن تكون هذه المعجزة أولى معجزاته وبداية آياته؟ السبب لأن هذه المعجزة تعتبر رمزاً لطبيعة خدمته العامة وصورة لعمل الفداء والخلاص من وجوه كثيرة نذكر منها:

أولاً ـ الحياة:

إن موسى النبى كانت أولى معجزاته فى مصر تحويل الماء إلى دم، والدم علامة الموت

والهلاك. فخدمة موسى فى الناموس هى خدمة لعنة وموت وهلاك للناس الذين هم بطبيعتهم عاجزون عن العمل بالناموس.

أما السيد المسيح فكانت أولى معجزاته تحويل الماء إلى خمر، والخمر رمز الحياة والانتعاش.

فخدمة المسيح هى خدمة النعمة والحق، وهى خدمة الحياة والفداء قال السيد المسيح "أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو ١٠ : ١٠).

ثانياً ـ الفرح:

أليس عجيباً أن يبدأ المسيح أولى معجزاته فى عُرس؟

ولكن يزول هذا العجب إذا عرفنا أن خدمة المسيح هى الفداء هى الخلاص الذى ينشأ عنه كل فرح. فينابيع السعادة تتفجر تحت أقدام المسيح فترتوى منها. المسيح الذى اضطرب بالروح، وبكى أمام قبر لعازر. تهلل بالروح أمام تلاميذه لأنه مُسح بزيت الابتهاج أكثر من شركائه (عب ١ : ٩) وهو الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب بالخزى (عب ١٢ : ٢).

كان يليق بعريس الكنيسة السماوى أن يبدأ أولى معجزاته فى عُرس، حيث تتمثل المباهج والشركة والوحدة المقدسة التى لا تنفصم عراها. قال بولس الرسول "افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤ : ٤).

فقد أعد لنا الرب فرحاً لا ينطق به ومجيد. وفى حضرة الرب. يجب أن يهرب الحزن والتنهد. ويحلو أن نرنم من طيبة القلب.

ثالثاً ـ التواضع:

إن السيد المسيح له المجد صنع أولى معجزاته فى قرية صغيرة تكون نسياً منسياً هى قانا الجليل. لم يبدأ بأورشليم، ولكن بدأ بقانا الجليل. كما أنه لما وُلِدَ كان مسقط رأسه لا

فى عاصمة من عواصم الممالك بل فى بيت لحم. وباتخاذه هذه الأماكن الصغيرة عظم شأنها. "وأنتِ يابيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منكِ يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل" (مت ٢ : ٦).

"كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير عبر الأردن جليل الأمم الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون فى أرض ظلام الموت أشرق عليهم نور" (إش ٩ : ١ ، ٢) وهل يوجد أصغر من الخاطئ وأحقر منه؟ ولكن المسيح دائماً يشجع صغار النفوس "قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يُطفئ" (مت ١٢ : ٢٠).

فكل حقير بواسطة المسيح يصير عظيماً "إذ صرت عزيزاً فى عينيَّ مكرماً وأنا قد أحببتك" (إش ٤٣ : ٤) إذاً لننسج على منوال المسيح ولا نحتقر الأشياء الصغيرة كقول بولس الرسول: "مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين" (رو ١٢ : ١٦).

رابعاً ـ المجد:

قال يوحنا البشير "هذه بداية الآيات صنعها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن تلاميذه" (يو ٢ : ١١). وأول هذه الأعمال أنه صنع الماء خمراً، لقد أعلن مجده فى آياته، وفى سمو تعاليمه، ورفعة أخلاقه، وتغييره على الجبل التجلى، وقيامته، وصعوده، ونصرة كنيسته، وسيعلن مجده عند ظهوره الثانى وإتيان ملكوته.

"فيسوع هو رب المجد" (١كو ٢ : ٨) "ومجده ملء كل الأرض (إش ٦ : ٣). فسبيلنا نمجده بأعمالنا الصالحة ذاك "الذى دعانا بالمجد والفضيلة" (٢بط ١ : ٣).

خامساً ـ النعمة:

إن صاحب العُرس لم يدفع ثمناً فى الخمر التى صنعها المسيح، ولكنه قبلها مجاناً ومن غير مقابل. هكذا تنبأ إشعياء عن خمر الخلاص قائلاً: "أيها العطاش جميعاً هلموا

إلى المياه والذى ليس له فضة، هلموا اشتروا خمراً ولبناً بلا فضة وبلا ثمن" (إش٥٥ : ١).

إن المسيح قدم هذه الخمر على سبيل الهبة والنعمة لا على سبيل دين، كذلك قال بولس الرسول: "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله" (أف٢ : ٨). ولا يظن أحد أن هذه المعجزة عملت لمجرد التنعم والترفيه دون المعجزات الأخرى التى عملت للضرورة المُلحة وحاجة المرضى والمعوزين. فإن هذه المعجزة إنما عملت لحاجة قصوى ماسة إليها. فصاحب العُرس فرغ منه الشراب، وهو فى أشد الاحتياج أن يستره مع الضيوف والسيدة العذراء قدمت طلبها ولا يمكن لابن بار أن يرد طلباً لوالدته. والتلاميذ الجدد فى مسيس الحاجة لآية تبنى إيمانهم فى معلمهم الجديد. لهذا صنع هذه المعجزة "وأظهر مجده فآمن به تلاميذه" (يو ٢ : ١١).

ولا يظن أحد أيضاً أن هذه المعجزة تبيح شرب الخمر، لأن المسيح لم يصنع إلا عنصراً جديداً لعصير العنب الطبيعى، فيه صحو للعقل وفرح للقلب وغذاء للبدن.

من هنا كان مدخل الخمر فى سر القربان المقدس، غير أن هذه الخمر التى نستخدمها فى سر القربان ليست من نوع ما يسمونه بالمشروبات الروحية أو المسكرات، وهذه الأخيرة يصنعونها بالتقطير، ويستخلصون "روح" المادة لا المادة نفسها، ومن هنا كلمة المشروبات "الروحية" و "الروح" فى المسكرات هى ما يسمونه "السبيرتو" وهو الكحول. والسبيرتو هو النطق الطليانى لكلمة روح Spirito. بمعنى الكحول.

أما الخمر المستخدمة فى سر القربان فيصنعونها بشئ قليل من التخمير وذلك بتبليل العنب الجاف بالماء وتركه بعض الوقت، فتأتى التخمير وذلك بتبليل العنب الجاف المبلل بالماء، وتفرز عليه افرازها لتحلله وتغتذى عليه، فتصير له الرائحة الخاصة بالخمر. وأمر تخمير العنب هو بعينه الأمر فى تخميير الخبز ليكون سهل الهضم إذا تناوله الإنسان. وأمر تخمير العنب شبيه بما تقوم به المعدة عندما ينزل إليها الطعام الممضوغ فى الفم، فيفرز عليه الخمائر التى تساعد على تحطيمه، فيسهل هضمه.

فهذا التخمير إذن نافع ومفيد وضرورى لصحة البدن، ولذلك فإن الأطباء يركبون هذا الخمر فى الدواء لمن أصابهم فى المعدة داء أعجزها عن هضم الطعام ولهذا السبب نصح القديس بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثيئوس، الذى كان مريضاً بالإستسقاء.

أما الخمر المسكرة وما يسمونه بالمشروبات الروحية أو الكحولية بأنواعها فقد نهتنا الكتب المقدسة عن شربها، وهى ضارة بالصحة العقلية والبدنية، وصدقوا إذ قالوا عنها "الخمر فى المعدة كالرمل فى العدة".

قال الكتاب المقدس: "بالخمر الدعارة، وبالسكر الجلبة ومن يترنح بها فليس بحكيم" (أم ٢٠ : ١).

"لا تكن بين شريبى الخمر، بين المتلفين أجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران" (أم٢٣ : ٢٠ ، ٢١).

"لمن الويل، لمن الشقاوة لمن المنازعات لمن الكرب، لمن الجراحات عن غير علة لمن ازمهرار العينين، للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج، لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس، وساغت مرقرقة، لكنها فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان" (أم ٢٣ : ٢٩ – ٣٢).

"ويلٌ للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر... ويلٌ للذين هم جبابرة فى شرب الخمر ذوو بأس فى مزج المسكر" (إش ٥ : ١١ ، ٢٢).

"إن الخمر غادرة... ويلٌ لمن يسقى صاحبه، ويسفح له مرارته، ويسكره لينظر إلى سوءاتهم" (حب ٢ : ٥، ١٥).

"العبد الشرير.. يأكل ويشرب مع السكارى، فإن سيد ذلك العبد يأتى فى يوم لم يكن يظنه، وفى ساعة لم يكن يعرفها، فيشطره نصفين ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان" (مت ٢٤ : ٤٨ – ٥١).

وقال السيد المسيح نفسه "فاحترزوا لئلا تثقل قلوبكم فى خمر وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة" (لو ٢١ : ٣٤).

"لا سكيرون يرثون ملكوت الله" (١كو ٦ : ١٠).

"ولا تسكروا من الخمر التى فيها الخلاعة، بل امتلئوا من الروح" (أف ٥ : ١٨).

وقد كان القديس يوحنا ذهبى الفم يسمى السكر "الجنون الاختيارى" وجاء فى كتاب "مجموع القوانين" للشيخ الصفى ابن العسال:

"والسكر قد يكون سبباً لجميع المعاصى والرذائل، وإدمان السكر على ما شرح فى الكتب الطبية قد يفضى إلى الرعشة والبلادة، والفالج والحميات الحارة، والسجج فى الأمعاء والأورام فى الدماغ، والسكتة والموت فجأة، والسقوط من الأماكن العالية" (الباب الخمسون ـ مادة ٧، ٨)

وعلى ذلك قال آباء الكنيسة، أن الخمر التى صنعها المسيح فى عُرس قانا الجليل لا يمكن أن تكون خمراً مسكراً، أو خمراً ضارة، وإنما كانت كما وصفها رئيس الوليمة بـ (الخمر الجيدة) "يوحنا ٢ : ١٠ .. وهى بالأحرى. خمر البركة" (التكوين٢٧ : ٢٨ ,٣٧)، (التثنية ٧ : ١٣) أو (الأباركة) كما نسميها فى المصطلح الكنسى الذى نطلقه على الخمر المستخدمة فى سر القربان المقدس.

إن الإبتعاد عن خطية السكر من وصايا الرب ونواهيه. فلنرضِ الرب بحفظنا هذه الوصية بطاعة كاملة ونتجنب تعاطى الخمر اعلم أيها الحبيب أن فى حفظ وصايا الرب حياة لنفسك ونوراً لسبيلك ولا تنسى قوله: "أشهد عليكم اليوم السماء والأرض قد جعلت قدامك الحياة والموت البركة واللعنة فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك" (تث ٣٠ : ٩).

إن الطاعة لله يتبعها مجد دائم لا يوصف فى الحياة الأبدية العديمة الزوال. فيا من لم تذق الخمر بعد حافظ على ذاتك منه للنهاية ولا تذقه. وأنت يا من تستسهل كأساً

واحدة أو أثنتين من الخمر امتنع عن ذلك واعلم أن ثقباً واحداً فى سفينة سبب قوى فى اغراقها وهلاكها. وأنت يا من داومت على شرب الخمر حتى أصبحت من السكيرين لا تجبن أمام هذا الداء الدفين بل حاربه بجرأة وانتصر عليه بقوة الإرادة وكبح جماح النفس حتى لا ترفض من قبلْ الرب طاعتك لوصاياه.

ويا ليتنا نقدم أنفسنا عبيداً للطاعة كخدام عُرس قانا الجليل "فمهما قال لنا نفعله" (يو٢ : ٥).

وليتمجد اسمه القدوس من الآن وإلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من شهر طوبة

معجزة شفاء مخلع بركة حسدا

«أتريد أن تبرأ» (**يو ٥ : ٦**).

أتريد أن تبرأ؟ هذا هو السؤال الذى وجهه الرب يسوع إلى مخلع بيت حسدا، قبل أن يشفيه. وهو سؤال يبدو غريباً، ولا سيما إذا عرفنا أن المريض كان على البركة لهذا الغرض بالذات: طلب البر والشفاء.

إلا أن هذا السؤال على لسان يسوع، حكمة الآب الأزلية، ليس غريباً، ولا هو عبث باطل. فقد سأله ذلك لا لكى يحرك إيمانه فحسب، فيؤمن بقدرته، ولوَ ضمناً، بل لكى يحرك قلبه أيضاً للتوبة، لأنه أزمع أن يمنحه شفاء النفس والجسد معاً.

ولا غرو، فإن الله الذى خلق الإنسان حراً لا يغفر للإنسان خطاياه الفعلية، تلك التى ارتكبها بكامل حريته، إلا بناء على توبة صادقة من جهته، يعلن بها أن رجوعه إلى الله هو بكامل حريته تماماً كما كان ابتعاده عن الله أيضاً بكامل حريته وإرادته.

فما الخطيئة، فى النهاية، إلا ابتعاد عن الله والتصاق بالخليقة. ولما كان ذلك لا يتم إلا بحرية الإنسان، كذلك التوبة التى ما هى، فى النهاية، إلا قطع كل علاقة أثيمة بالخليقة والتصاق من جديد بالخالق لا يمكن أن تكون صادقة إلا إذا تمت بإرادة الإنسان الحرة.

معنى ذلك أن الله، الذى خلق الإنسان حراً، يريد منه فيما يتعلق برجوعه إليه، عزَ وجلْ، بالإيمان والتوبة أن يقرر ذلك بمطلق حريته، تماماً كما يريده أن يقرر بنفسه وبمطلق مصير نفسه الأبدى، وذلك طبقاً لقول المرتل: "نفسى دائماً فى كفى" (مز١١٩ : ١٠٩).

وإذن، فهو عزَ وجلْ، يريده فى جميع الأحوال أن يأتى إليه بكامل حريته، دون أى ضغط أو قسر ــ داخلى أو خارجى ــ من أى نوع كان، محترماً احتراماً كاملاً حريته

وإرادته، تاركاً له مجالاً للإختيار بين الهدى والضلال، وبين النور والظلام، وبين التقرب إليه أو الإبتعاد عنه. ومن ثم بين الحياة أو الموت، بين السعادة الأبدية أو التعاسة الأبدية.

من كل ذلك تفهمون أن سؤال يسوع للمخلع، إن كان يريد أن يبرأ أم لا، لم يكن مجرد ثرثرة ولا عبثاً باطلاً، بل لهدف معين، هو حث المريض على الإيمان والتوبة.

ومن ثم فكأنى به يقول: إن شئت أن تصبح خليقة جديدة، فى نفسك وفى جسدك، فما عليك إلا أن تؤمن بقدرة الله الحالة فيَّ جسدياً، وتتوب توبة صادقة عن كل خطاياك الماضية.

"أتريد أن تبرأ؟" هذا السؤال عينه لا يزال يسوع يوجهه، فى مزيد من الرحمة والحنان، إلى كل خاطئ، دون استثناء أو محاباة للوجوه: "لأن ابن الإنسان إنما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩ : ١٠). وللخاطئ وحده أن يقرر إذا ما كان يريد ذلك أم لا. أما أن يعتذر الخاطئ، فيقول: "أتوب عندما يريد الله ذلك"، فهذا عذر أوهى من خيط العنكبوت. لأن الله ما دام قد وجه إليك الدعوة إلى التوبة بلسان مسيحه، الذى لا زال يقول لك: أتحب أن تبرأ؟ فواضح أنه عزَ وجلْ، على أتم استعداد، من جهته، لمنحك الشفاء المطلوب لنفسك.

وكيف يمكن الشك فى ذلك، والله "هو الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١تى ٢ : ٤). إذن، فالأمر هو رهن إرادتك أنت، أنت لا إرادة الله، الذى لا يبخل بنعمته على أحد إطلاقاً. إلا أن نعمة الله وحدها، دون تجاوب، وتجاوب صادق من جهة الإنسان، تصبح عديمة الجدوى. فالخلاص، فى الواقع، هو حصيلة النعمة وإرادة الإنسان الحرة. فى هذه الحصيلة يكون النصيب الأوفر هو، من غير شك، للنعمة. غير أن مساهمة الإرادة، وإن كانت ضئيلة جداً بالقياس إلى مساهمة النعمة، إلا أنه لابد منها. بل ومن دون هذه المساهمة يصير كل مجهود هباءً منثوراً لأن النعمة لا تُفرض عليك رغماً عنك.

وعلى ذلك يقول القديس أوغسطينوس: "إن الذى صنعك من دونك، لا يبررك من دونك، فقد صنعك وأنت لا تعلم، ولكنه لا يبررك إلا وأنت تريد".

وهنا لابد لنا من أن نلاحظ بخصوص بركة بيت حسدا، أن شفاء المريض كان مرتبطاً بعدة عوامل، تخرج كلها عن إرادته، مثل نزول الملاك فى الشهر، وفى اليوم، وفى اللحظة التى يحددها الله، وملاحظة حركة المياه ليلاً ونهاراً، ودرجة شدتها، للحكم على ما إذا كان الملاك هو الذى يحركها، وأخيراً سباق المريض مع جمهور غفير من المرضى للنزول إلى البركة أولاً قبل غيره.

وأما فى سر التوبة، حيث "دم يسوع المسيح ابن الله يطهرنا من كل خطيئة" (١يو ١ : ٧)، فالأمر كله يتعلق بإرادة الخاطئ وحده. فهو الذى يقرر لحظة غسل خطاياه، فى اليوم وفى الساعة التى يريدها، دون أن يكن هناك منافس واحد يمنعه من الخطوة بنيل ما يريد من شفاء عاجل.

ربما تقول: إنى أريد أن أتوب، ولكن أخشى ما أخشاه أن يقف تكرار الخطيئة والعادة حائلين منيعين دون ما أتمنى من خلاص.

صدقنى، إن أمر خلاصك هو فى يدك: "نفسى دائماً فى كفى" (مز ١١٩ : ١٠٩). ومن ثم فلا يجب أن تخشى شيئاً إطلاقاً. على أن المسيح مخلصك هو مخلص قوى. ولا غرو، فالذى قهر الموت واستطاع بكلمة من فيه أن يشفى مريضاً خلعته الخطيئة وخلعه الفالج ثمانى وثلاثين سنة، قادر أن يشفيك أنت أيضاً من الخطيئة ومن كل عادة مشئومة، مهما كان تأثيرها السيئ عليك! "فلا تخف، آمن فقط) (مر ٥ : ٣٦).

"لا تخف، آمن فقط": هذه الكلمة الحلوة، الكلمة المطمئنة، أتعلمون لمن قالها يسوع؟... قالها لواحد من رؤساء المجمع، اسمه يايرس. لقد جاءه يستجير به لأن ابنته أشرفت على الموت، ولابد من أن يذهب ليشفيها. استجاب يسوع لإلحاح رئيس المجمع، فذهب معه. وفيما هو فى الطريق إلى بيته، إذ جاء بعض ذويه وأخبروه بأن ابنته قد فارقت الحياة، ومن ثم فلا داعٍ لإزعاج المعلم بعد.

وهنا يمكنكم أن تتصوروا كم كان عظيماً جزع هذا الوالد المسكين، واضطرابه وفجيعته. وإذا بصوت يسوع يجلجل مشجعاً: "لا تخف، آمن قط"، فاتحاً على هذا النحو قلب المسكين للإيمان والرجاء. وما أجمل أن يكلل يسوع هذا الإيمان وهذا الرجاء بمعجزة باهرة هى معجزة إقامة الصبية المتوفاة من الموت وردها إلى الحياة.

وأنت أيها الخاطئ آمن فقط، ترَ على الفور أن معجزة شفائك من مرض الخطيئة العضال قد تم بأسرع مما كنت تتوقع وتأمل.

وأنت أيها المسيحى الذى فى الضيق، آمن بيسوع: بقدرته ورحمته، ترَ فرج الله قد انفتح عليك من حيث لا تدرى، وأن كل مشاكلك قد سويت، وكأن شيئاً منها لم يكن.

وأنتم أيها الناس جميعاً، الذين فقدوا سلامهم والطمأنينة لنفوسهم، ما بال القلق والخوف قد سيطر على قلوبكم؟... هلموا إلى يسوع، الصديق الصدوق، شافى النفوس والقلوب الجريحة المكلومة، تجدوا العزاء لقلوبكم والراحة لنفوسكم. آمنوا فقط. آمنوا برحمة يسوع ومحبته: "تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيرى هين وحملى خفيف" (مت ١١ : ٢٨ - ٣٠).

على أن أحداً لم يلجأ إلى يسوع وخاب ظنه قط. وإليكم بعض الأمثلة عن ذلك. لجأت امرأة بها نزف دم منذ اثنتى عشرة سنة، وقد كابدت كثيراً من أطباء كثيرين، وأنفقت كل مالها، ولم تستفد شيئاً، بل صارت إلى حالة أسوأ!!. لجأت إلى يسوع بإيمان، وإذا بقوة تخرج منه فتشفيها فى الحال (مر ٥ : ٢٥ - ٣٤). وذلك على الرغم من الطريقة الشبه ملتوية التى لجأت إليها. فقد ظنت بسذاجة أنها تستطيع أن تفوز بما تطلب من شفاء معجزى دون أن يدرى بأمرها أحد!... ولكن طبيعة مرضها المخجل، وأوامر الشريعة التى كانت تحظر على أمثالها الظهور، يبرران تصرفها.

وطلب زكا العشار أن يشاهد يسوع، ولو من بعيد، ومن فوق جزع شجرة، فيتنازل يسوع ونزل عنده يوماً كاملاً، بالرغم من احتجاج الجمهور، وقد فاز هو وبيته بالخلاص.

ومن منا لا يهتز طرباً لقصة شفاء بارتيماوس، الأعمى المتسول الجرئ؟ فبالرغم من التفاف الجمهور بيسوع فإنه، عزَ وجلْ، يصغى لصوت هذا الأعمى الفقير وصراخه، ولا غرو، وهو الراعى الصالح، الذى يعرف كلا من خرافه باسمه، ولا ينسى الفرد فى زحمة الجموع.

ويضيق بنا الوقت لو شئنا أن نذكر كل المعجزات التى صنعها يسوع لصالح المعذبين بشتى الأمراض الجسدية والذين بهم الأرواح النجسة، والخطاة ولكن، إن نسينا فلا يجب أن ننسى قصة مريم المجدلية، التى أخرج السيد المسيح" منها سبعة شياطين" (لو ٨ : ٢).

أنت أيضاً، ما عليك إلا أن تبكى خطاياك بحرقة، وتعترف أمام الأب الكاهن وتظهر صدق محبتك ليسوع بحفظ وصاياه، حتى تفوز بمغفرة كل خطاياك، ومهما كان من جرمها وكثرة عددها. "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر" (يو ٥ : ١٤). ما من شك فى أن كل البلايا والرزايا، التى تنوء تحت حملها البشرية منذ آدم إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة ـ وعلى رأس تلك القائمة السوداء: المرض والموت ـ سببها الأول والأخير هو الخطيئة بدليل قول الرسول بولس: "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ قد أخطأ الجميع" (رو ٥ : ١٢).

وهل للطوفان الذى أغرق كل حى على وجه البسيطة، من الإنسان إلى طير السماء، والبهائم والوحوش، وجميع الزحافات التى تزحف على الأرض، من سبب سوى المعصية والإثم؟..

وتلكما المدينتان الزاهرتان، سدوم وعمورة، اللتان دمرهما الله وجميع من فيهما من

سكان، ما عدا لوط وأهل بيته، بالنار والكبريت، هل كان ثمة سبب لدمارهما الرهيب، سوى ارتكاب الشر والموبقات؟

وكل الشرور التى حلت بداود وبيته، بل وشعبه أيضاً، هل لها من علة، سوى الخطيئة والإثم؟...

على أن الكتاب المقدس، طالما يذكر تلك الأحداث والكوارث المروعة التى حلت بالأفراد والجماعات والشعوب، بسبب الخطيئة والمعصية. فمن منا لم يقرأ، مثلاً فى الكتاب المقدس، ضربات مصر العشر تلك الضربات التى ضرب بها الله فرعون وشعبه، ولا سيما الضربة العاشرة، التى أباد بها المهلك كل أبكار المصريين، ابتداء من بكر فرعون إلى بكر آخر عبيده؟

فهل لهذه الضربات المدمرة من سبب سوى التمرد وقسوة القلب، ولا سيما قلب فرعون، الذى انتهى به الأمر أن أغرقه الله هو وكل جيشه فى بحر القلزم (الأحمر)، جزاء وفاقاً على ما ارتكبت يداه من إغراق أطفال العبرانيين فى نهر النيل؟...

ومن منا لا يعرف قصة جيحزى، خادم أليشع النبى، الذى ضربه الله بالبرص هو ونسله إلى الأبد، بسبب كذبه وطمعه وحبه للمال؟ (٢مل ٥).

ومن منا لم يسمع أو لم يقرأ عن قصة عخان المختلس، الذى استولى على رداء ثمين ومئتى مثقال من الفضة وسبيكة من ذهب، مخالفاً أوامر الشريعة الصريحة، التى كانت تأمر بإيداع كل غنائم الحرب فى الخزانة العامة، والذى كان بسببه أن مُنى جيش يشوع بخسائر فادحة فى الأرواح، وحكم عليه بالرجم هو وأهل بيته، بعد إكتشاف أمره؟ (يشوع ٧).

إلا أن الأضرار التى تُسببها الخطيئة للجسد لا تكاد تُذكر بالنسبة للأضرار الجسيمة التى تسببها للنفس. وإنى أوجز فأقول: إن الخطيئة هى التى تعرى النفس من لباس النعمة المبررة، وهى التى تسلبها كل استحقاقات أعمالها الصالحة. وهى أخيراً التى

تحرمها من دخول السماء، وتعدها لهلاك أبدى فى نار جهنم.

فالحذر كل الحذر، من العودة إلى الخطيئة، مخافة أن يصيبك ما هو أدهى وأعظم. فقد يختطفك الموت فجأة، وأنت على تلك الحالة الوبيلة، فتذهب إلى جهنم النار نفساً. فاهرب، إذن، كما يوصى الحكيم: "اهرب من الخطية هربك من الحية، فإنها إن دنوت منها لدغتك" (سى ٢١ : ٢) و "لا تكن بلا خوف من قِبَلْ الخطية المغفورة، لتزيد خطية على خطية" (سى ٥ : ٥). بل حافظ دوماً على روح التواضع لتجلس إلى يسوع الوديع والمتواضع القلب، الذى يحب المتواضعين ويكشف لهم عن أسراره.

وإنى أكتفى بهذا القدر من مرغبات التوبة ومنفرات الخطية، طالباً من الرب الفادى الحبيب يسوع أن يشملنا جميعاً برحمته وحنانه "نحن شعبه وغنم قطيعه" (مز ١٠٠ :٣) ،وأن لايمسح بأن أحداً منا يسير فى سبل الإثم والخطية، بل يقود خطواتنا إلى مافيه مرضاته.

له المجد والعز والسجود من الآن وإلى الأبد –آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر طوبة

مزايا المسيحية

«الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن، لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣ : ٣٦).

إن ربنا يسوع المسيح بعد البدء بخدمته العامة سافر كثيراً، وتنقل كثيراً، كالآباء البطاركة الأولين فى رحلاتهم.

كما كان مظهراً عظيماً من مظاهر اتضاعه أنه لم يكن له مكان يسند فيه رأسه، بل كان كبولس فى "الأسفار مراراً كثيرة" (٢كو ١١ : ٢٦).

كذلك كان مظهراً عظيماً من مظاهر نشاطه الذى لم يكل، فى العمل الذى جاء لأجله إلى العالم، أنه يتجول لإتمامه. لقد اتخذ خطوات مضيئة ليعمل الخير للنفوس. لقد قطع شمس البر دائرة متسعة جداً ليذيع نوره وحرارته (مز ١٩ : ٦) لم يكن يحب أن يطيل الإقامة فى أورشليم، ومع أنه ذهب إليها مراراً كثيرة، إلا أنه كان يسرع فى مغادرتها، كما نرى هنا وبعد هذا أى بعد أن أتم حديثه مع نيقوديموس، جاء إلى أرض اليهودية لا لزيادة الخلوة والاعتزال مع أن الأمكنة البسيطة المتواضعة كانت أكثر ما يناسب المسيح فى حالة تواضعه، بل لزيادة نفع تلك الأمكنة. لعل كرازته ومعجزاته كانت أكثر ذيوعاً فى أورشليم، لأنها كانت هى مصدر الأبناء، لكنها كانت أقل نفعاً، حيث كانت مركزاً لقادة الكنيسة اليهودية ذات النفوذ القوى.

وعندما جاء إلى أرض اليهودية جاء معه تلاميذه، لأن هؤلاء كانوا هم "الذين ثبتوا معه فى تجاربه" (لو ٢٢ : ٢٨).

كثيرون ممن التفوا حوله فى أورشليم لم يستطيعوا تتبع انتقالاته إلى القرى، لأنهم لم تكن لهم أعمال بها. أما التلاميذ فقد لازموه فى كل مكان. إذا ما انتقل تابوت العهد وجب أن نسير وراءه (يش ٣ : ٣).

فذلك أفضل من البقاء بدونه ولو كنا فى أورشليم نفسها.

يقول يوحنا الرسول فى رسالته الأولى (الأصحاح الخامس والعدد الثانى عشر. "من له الابن له الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة". وكقول المسيح نفسه فى إنجيل قداس هذا اليوم: "الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣ : ٣٦).

والحياة فى الكون ثلاثة أنواع:

١ ـ حياة لها بداية ولها نهاية:

نظير حياة النبات والطير والسمك والدبيب والحيوان.

٢ ـ حياة لها بداية وليس لها نهاية:

كحياة الإنسان الذى متى وجد فى العالم وجدت الحياة فيه وإذا مات لا تموت معه ولا تنتهى بموت الجسد بل تبقى النفس حية والجسد يبقى مدة من الزمان إلى يوم القيامة فترجع إليه الحياة أيضاً وهذه الحياة يشترك فيها الأشرار والأبرار.

٣ ـ حياة أزلية أبدية:

لا بداية ولا نهاية لها وهى حياة الثالوث المبارك الأزلى الأبدى وحياة ابن الله الأزلى الذى كان فى البدء عند الله وكان هو الله وبه كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان.

وهو الإله الحق والحياة الأبدية. فهو منذ الأزل وإلى الأبد لن يتغير ولا يمكن أن يحدث له شئ من المتغير "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣ : ٨).

وهذه هى الحياة الأبدية. ومن له المسيح له الحياة الأبدية لأنه يكون فيه ويحيا فيه إلى الأبد.

وإذن ليست الحياة الأبدية مجرد البقاء والخلود بل هى الاتحاد بيسوع والثبات فيه

برضاه وقربه فى السعادة السماوية. لأن مجرد البقاء أو الخلود تشترك فيه الشياطين والأبالسة والأشرار وجميع الذين يطلبون الموت ولا يأتيهم ويتعذبون فى عذاب أبدى فى جهنم النار وحياتهم لا تنتهى وتسمى الموت الثانى والهلاك الأبدى.

أما الحياة الأبدية هى نيل رضاء الله والتمتع بالشركة السعيدة الروحية مع يسوع فى هذه الحياة والوجود معه إلى الأبد والتمتع بمرآة فى الملكوت السماوى والأمجاد الأبدية فى العالم الآتى:

أما الإبتعاد عنه فهو العذاب الأبدى والويل الدائم كقوله: ويل لهم إذا انصرفت منهم "لأنى أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦) أما الوسيلة لهذه الحياة فهى الإيمان "لأن الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.

هذا لأن الإيمان هو القناة التى تجرى منها مياه الحياة الأبدية من قلب يسوع إلى قلب المؤمن وهو الوسيلة الوحيدة لنيل هذه الحياة ولذا يقول الوحى الإلهى "أما البار فبالإيمان يحيا" (رو ١ : ١٧) "وبدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب ١١ : ٦).

والإيمان كما يعرفه لنا الرسول: "هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عب ١١ : ١).

وهو ليس منا بل هو عطية لنا من الله كقول الوحى على لسان بولس الرسول "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أف ٢ : ٨ ، ٩).

أما أركانه الثلاثة فهى:

١ ـ المعرفة:

لأنه كما يقول الرسول بولس: "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله" (رو ١٠ : ١٧) فلابد من المعرفة وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. ولذا قال الله: "أميلوا آذانكم وهلموا

إلىّ اسمعوا فتحيا نفوسكم" (إش ٥٥ : ٣).

وقال المسيح له المجد: "هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يو ١٧ : ٣).

فالمعرفة إذن هى لازمة للإيمان وضرورى لك أيها المسيحى أن تعرف يسوع المسيح الذى أحبك ومات عنك وأن تعرف أيضاً ما تحتويه بشائر الإنجيل السارة من غفران وتجديد وتطهير.

٢ ـ التصديق:

فمتى ما عرفتم بشائر الخلاص الحلوة معرفة أكيدة يجب أن تصدقوها. يجب أن تصدقوا بأن الإنسان خاطئ وأن السيد المسيح أعظم مخلص له يجب أن يثق كل منا أن "دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية" (١يو ١ : ٧) والثقة يجب أن تكون دائمة ومن القلب لأنه كم من الناس يسمعون كلام الله ويصدقونه ويغنوا بتسبحته ولكن سرعان ما ينسون أعمال الله وقوته وقد قيل فى (أع ٨ : ١٣) أن سيمون أيضاً... آمن. صدق كل ما قاله الرسل عن السيد المسيح وعن الروح القدس ولكن إيمانه كان وقتياً غرضياً فلم يخلصه.

وإذا كان من الصعب على الإنسان ذاته عدم ثقة الغير به فكم هو محزن لقلب يسوع أن يرى بأن الخاطئ لا يصدق مواعيده الصادقة.

٣ ـ والعنصر الأخير للإيمان هو الاتكال أى الإستناد:

وهذا يعنى أنك تستند وتلقى نفسك بكل ثقلك على يسوع صخر الدهور. فاستودع ذاتك للمسيح "إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع" (رو ٨ : ١).

إننى أُومن بالمسيح لأنه ابن الله الوحيد "بهاء مجد الله ورسم جوهره" (عب ١ : ٣).

لا بل هو "الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح، تراءى لملائكة كُرز به بين الأمم، أُومن به فى العالم رُفع فى المجد" (١تى ٣ : ١٦).

وله المجد لم تكن بنوته لله الآب اكتسابية بالخلق كعامة البشر أشراراً كانوا أم أخياراً (إش ٦٤ : ٨) ولا اكتسابية بالإيمان كالمؤمنين به الذين اعطوا أن يصيروا (بالإيمان به) أولاد الله (يو ١ : ١٢، ١٣) ولا هى بنوة جسمية صُلبية، وإنما هى بنوة جوهرية أزلية لا أول لها أبدية لا آخر لها ولا مثال لها هى بنوة خاصة بالمسيح مظهر الله وقوته وبهاء مجده ورسم جوهره وأقنوم محبته الأزلى ويخطئ كل من يظن أن السيد المسيح ابن الله بالمعنى الاعتيادى أو الحيوانى.

أُومن بالسيد المسيح لأنه مخلص "الذى ليس بأحد غيره الخلاص" (أع ٤ : ١٢). فقد أخذ عن نفسى خطاياها وضميرها الشرير وكل ما يتعبها أو يعذب حياتها. إذ سبق ودفع حياته الطاهرة ثمناً لها على الصليب فكحمل بلا عيب ولا دنس سفك دم قلبه لأجلى.

أُومن بالمسيح لأنه إذ افتدانى لنفسه أعطانى سلاماً يفوق كل عقل وفرحاً لا يستطيع العالم بما فيه من ملذات ظاهرية أن يهبنى إياه أو يأخذه منى قد ألبس نفسى ثياب بيضاء نقية وزينها بذهب إيمانه المصفى وحفظنى خاتماً فى أصبعه كى لا يختطفنى أحد من يده وعندما يبلغ إيمانى وهو معى يأخذنى بعد ذلك إلى مجده الأبدى فى السماء معه حتى حيث يكون هو أكون أنا معه.

أُومن بيسوع لأنى وجدت فيه نفسى الحقيقية أما نفسى الأمارة بالسوء. أما نفسى العالمية فقد وجدت لها قبراً دائماً فى المسيحية إذ يقول السيد المسيح: "من يهلك نفسه من أجلى فهذا يجدها" (مت ١٦ : ٢٥). فكلما اقتربت منه أحسست وإذا بنفسى الباطلة قد انكمشت وتضاءلت واضمحلت وإذا بنفسى الشريفة قد ارتفعت وتسامت وتحررت، حتى إذا ما بلغت قمة الشركة معه شعرت أن نفسى الشريرة قد صُلبت معه فماتت. وعندئذ رددث قول بولس الرسول: "مع المسيح صُلبت. فأحيا لا أنا (أنا الذات

الحقيرة الدنسة) بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢ : ٢٠). أنا النسمة الطاهرة التى منه خرجت وإليه تعود. هذا هو نعيم نفسى فى فاديها والروح مع الروح تتلاقى.

أُومن بالمسيح لأنى أجد فيه دائماً قوة الانتصار على خطاياى.

ففى صليب المسيح وجدت غفراناً لجرم خطيتى، وفى طهارة المسيح وجدت تطهيراً من دنس خطيتى، وبروح المسيح الذى يحيا فيَّ أجد كل يوم قوة مجددة مستمرة للانتصار على قوة خطيتى وفى المسيح أجد كمالات نفسى وحجة خلودها فاستطيع أن أموت وأنا واثق من نصيبى فى الأبدية فمنه استمد نوراً ليقينى أغالب به ظلمة الموت فاغلبها.

نعم فالمسيح هو المسّيحية أيها الأحباء. كما أن المسيحية هى حياة المسيح ونحن بالمسيحية لأننا نستطيع أن نموت بها والدين الذى لا يقدر إنسان أن يموت به لهو الدين الذى يجب أن يموت عنه.

وفى المسيحية فقط نجد فيها حلاً للمعضلات الكثيرة التى... من أفكارنا لماذا يشقى الأبرار وينعم الأشرار؟ لماذا نرى الشر منتصراً فى العالم؟ لماذا؟

لكل هذه الأسئلة نجد حلاً يرتاح إليه قلبى ويقتنع به عقلى، لأن المسيحية أرتنى المسيح البار مقيداً والأشرار الذين قُيد بسببهم يمرحون فى حريتهم، ورُفعت أمامنا المسيح البرئ مصلوباً متألماً حال كون المذنبين الذين مات عنهم يسعدون وينعمون وعندئذ نعتقد أن آلام الأبرار ليست إلا ظل الصليب وقد انعكس عليهم من هامة الجلجثة. وكما أن ظلمة الصليب قد تلاها نور القيامة كذلك لكل ألم فى الوجود قيامته وإن هو سوى لحظة يسيره حتى يطفو الخير.

أخيراً يليق بنا أن نثبت فى مسيحيتنا لأنها قائمة على شخصية من لا يموت. شخص المسيح الذى هو الابن المبارك حياتها وقوة حياتها وتاج حياتها...

هذا هو الشخص العجيب الذى تلابس روحه كل عصر فهو ليس خاصاً بعصر واحد،

هو الذات التى توافق كل الجنسيات فلا تحدها جنسية خاصة. هو النبع الكامل الذى جمع شتات الصفات من غير أن تنقص منه صفة خاصة هو الوديع فى عظمته. العظيم فى وداعته. فى أسراره. المتكتم فى وضوحه هو الغنى إذا افتقر، الرفيع إذا صُلب. العزيز إذا أهين.

هذا هو المسيح الذى سمعنا به فصارت معرفتنا به صداقة. فأصبحت صداقتنا به إعجاب فتطور إعجابنا به حباً فأصبح حبنا له عبادة، فأمست عبادتنا له خدمة حية مستمرة.

وله المجد دائماً.

عظة إنجيل عشية اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة

الحاجة إلى واحد

«فأجاب يسوع وقال لها: مرثا مرثا أنتِ تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد..» (لو ١٠: ٤١، ٤٢).

لو دخل رجل الدين بيتاً من بيوتات الجاه والعز والغنى، لوجد بين أرباب هذه البيوتات ورباتها "مرثا" التى جاء ذكرها فى الإنجيل المقدس، ولأعاد على مسمعها قول الرب: "مرثا مرثا! إنكِ لمهتمة ومضطربة فى أمور كثيرة، وإنما الحاجة إلى واحد!

فالأسرة فى محيطها مهتمة ومضطربة فى أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحد!

والأم فى بيتها مهتمة ومضطربة فى أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحد!

والطوائف فى مرافقها مهتمة ومضطربة فى أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحد!

وكل فرد فى نفسه مهتم ومضطرب فى أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحد!

هذا الواحد، إنما هو "المحبة" التى صُدت عنها قلوبنا، وتنكرت لها لضمائرنا! فأمسينا والعدم سواسية!

"ولو كنا ننطق بألسنة الناس والملائكة، ولم تكن فينا المحبة، فإنما نحن نحاس يطن أو صنج يرن. ولو كانت لنا النبوة. وكنا نعلم جميع الأسرار، والعلم كله، ولو كان لنا الإيمان كله، حتى ننقل الجبال، ولم تكن فينا المحبة، فلسنا شيئاً. ولو بذلنا جميع أموالنا لإطعام المساكين، وأسلمنا أجسادنا لتُحرق، ولم تكن فينا المحبة فلا ننتفع شيئاً" (١كو١٣: ١- ٣).

أجل! لقد تمخضت الإنسانية، طول العصور الغابرة عن "المحبة" الناطقة فى الفادى يسوع، الذى ـ ببذله نفسه "فداء عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٨)، (مر ١٠: ٤٥) علمنا أن من خواص المحبة ودلائلها، أن يبذل المُحب "نفسه عن أحبائه" (يو ١٥: ١٣).

فلو أحتسى أقطاب العالم، ورجالات المُلل وقادتها، قطرات معدودات من ينبوع الجلجثة، من مُعين المحبة المسيحية، لكانت الإنسانية فى سعادة وهناء، وفى هدوء البال والقلب. بيد أنهم ثملوا من خمرة أنانيتهم.

ألا أين هؤلاء من المحبة المسيحية؟!

منذ أن خلق الله السموات والأرض، وجبل الإنسان على غير فسادٍ.

وما هى إلا فترة من الزمن حتى أرتطم المخلوق "على صورة الله ومثاله" فى مستنقعات الغرور وحتى أصيب بوباء الجهل والحماقة! فتاه فى الحقد والبغضاء. وضل فى فيافى العداوة والرداءة.

ثم أنزل الله "الناموس" على يد كليمه موسى (يو ١ : ١٧) وبعث بوصية "المحبة" فى شخص ابنه الحبيب، الكلمة المتجسد: يسوع المسيح.

فكأن المحبة من حيث نشأتها ومنبعها وصية جديدة، أول من نادى بها، وعلم بها، وعمل بها، كان السيد المسيح له المجد إذ قال: "إنى أعطيكم وصية جديدة أن يحب بعضكم بعضاً. وأن يكون حبكم بعضكم لبعض كما أحببتكم أنا. وبهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً" (يو ١٣ : ٣٤، ٣٥).

والمحبة هى أن يسعى المرء دائماً أبداً من أجل رفاهية قريبه، يصدر ذلك عن عاطفة فى القلب، وإحساس فى الصدر، تؤول جميعها إلى خير المُحب والمحبوب، لا بل إلى سعادة الأفراد والجماعات والأسرة البشرية.

وهى ـ وإن كانت تصدر عن قلب واحد ـ تختلف فى مخبرها ومظهرها، فى داخلها وخارجها، اختلاف العقول المتباينة، والإرادات المتضاربة، والأغراض المتنوعة. ولذا فإنها تتفرع إلى عدة أقسام، أهمها: المحبة الواقعية أو الحقة، والمحبة الخاصة أو الطوعية، والمحبة المجردة أو الصادقة.

أولاً ــ المحبة الواقعية أو الحقة:

يراد بالمحبة الواقعية أو الحقة ذلك الحنان الطبيعى الذى يختلج به القلب اختلاجاً. وذلك العطف الغريزى الذى يُبعث من الأعماق بعثاً، بدون أى تأثير خارجى، أو أى سبب من الأسباب.

ذلك لأنها تساوى المُحب بالمحبوب، رغم ما بينهما من فوارق، سواء أكانت وليدة الحسب والنسب، فى الجاه والكرامة، أو فى المعرفة والجهالة!.. ولأنها لا تلبث أن توحدهما. فيعطف كلاهما على الآخر عطفاً مشتركاً نزيهاً شريفاً طبيعياً، لا تَصنُعْ فيه ولا تكلف، فى غير محاباة ومخاتلة ورياء. لأن غاية الوصية "إنما هى المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء فيه" (١تى ١ : ٥).

هذا النوع من المحبة الواقعية أو الحقة إنما هو قائم على أكمل وجه، وأدق صورة، بين الإنسان وربه، وبين الطفل ووالديه، وبين الطالب ومعلمه، وبين الرضيع والمرضعة، وبين الرعية والراعى، وبين الدجاجة وفراخها. لا بل بين كل ما ينمو ويدب على الأرض من كائنات ناطقة وشاعرة وذات حياة ونفس.

أما إذا تسرب الشك والريبة إلى هذا النوع من المحبة. فعندئذ تفسد وتتلاشى، وينطبق على صاحبها قول سفر الرؤيا: "إنى عالم بأعمالك أنك لست بارداً ولا حاراً، وليتك كنت بارداً أو حاراً. ولكن بما أنك فاتر لا حار ولا بارد فقد أوشكت أن أتقيأك من فمى" (رؤ ٣ : ١٥، ١٦).

ثانياً ــ المحبة الخالصة أو الطوعية:

فهى تلك المشاعر الرقيقة الشريفة، والعواطف النبيلة، التى يغمر بها المُحب أخاه الإنسان المحبوب، عن علم أكيد بافتقار المحبوب إلى المُحب.

الويل كل الويل لمن لا يُحكم عقله فى إسداء محبته للآخرين ولا يوطد إرادته فى توجيه قلبه. لأنه إما أن يظلم نفسه، إذا أحب من ليس أهلاً لمحبته. أو أن يظلم من كان

جديراً بمحبته، ولكنه حرمه منها. وما أروع ما قاله الجامعة فى هذا الصدد: "قلب الحكيم عن يمينه، وقلب الجاهل عن يساره" (جا ١٠ : ٢).

يُضاف إلى هذا كله قول رب المجد: "لا تعطوا القُدس للكلاب، ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير، لئلا تدسوها بأرجلها، وترجع فتمزقكم" (مت ٧ : ٦).

وبديهى أن تصدر المحبة الطوعية "لاعن اضطرار بل عن اختيار، ولا لمكسب خسيس بل بارتياح" (١بط ٥ : ٢).

ولنا فى حياة بولس الرسول أنصع دليل، وأقوى برهان، على أهمية المحبة الطوعية. فهذا الرسول الذى كان يضطهد كنيسة الله ويدمرها بإفراط ـ هذا الرسول الذى كان يفتخر بأنه كان أوفر غيرة فى تقليدات آبائه من بنى جنسه ـ هذا الرسول بعد أن وعى سمو الرسالة المسيحية، أمسى قائدها الكريم، ورسولها العظيم، وحامل رايتها النبيل. وأما محبته للمسيح فإن اللسان ليعجز عن وصفها وحسبنا قوله: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ" (غلا ٢ : ٢٠).

ثالثاً ـ والمحبة المجردة أو الصادقة:

المحبة فى عُرف المسيحية "لا تلتمس ما هو لها"، أى إنها لا تقوم إلا على تبادل العواطف والحنان. فلا تقر بالمساومة، ولا تعترف بالمنفعة. فهى إذاً محبة صادقة، مجردة من عوامل المصلحة الشخصية.

وطبيعة الإنسان فى حد ذاتها قائمة على شمائل خُلقية وأدبية واجتماعية كالرحمة بالبائسين، والعطف على المحتاجين، بمعزل عن المحاباة، وبعيداً عن الأغراض وبمنأى عن الأطماع: "فإنكم إن أحببتم من يحبكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوتكم وحسب، فأى فضل لكم؟ أليس العشارون يفعلون ذلك" (مت٥: ٤٦، ٤٧).

إن أقل أثر للأنانية فى المحبة الاجتماعية يشوه جمالها ويقبح سناها! ولذا فإن السيد المسيح ينهانا قائلاً: "احترزوا ألا تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات. فإذا ما صنعت صدقة فلا تهتف قدامك بالبوق، كما يفعل المراءون فى المجامع والأزقة، لكى يمجدهم الناس. الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم. أما أنت فإذا صنعت صدقة فلا تُعلم شمالك ما تصنع يمينك. لتكون صدقتك فى الخفاء، وأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية" (مت ٦ : ١-٤).

والمحبة كعامل طبيعى عاطفى يصدر عن القلب البشرى الزاخر بالعواطف، لم تكن مجهولة قبل المسيحية، وقد ظهرت بين قبائل الأمم وأفرادها عدة مظاهر اجتماعية دلت على شيم العطف والحنان والرحمة. ولكنها كانت ضمن نطاق محدود وفى دائرة معينة (خر ٢٣ : ١ - ٩)، (١مل ١٧ : ٤ - ١٤)، (٢مل ٦ : ٢٢، ٢٣)، (أم ٢٥ : ٢١).

قال السيد المسيح: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يبذلْ نفسه عن أحبائه" (يو١٥ :١٣).

وقال الرسول الحبيب أيضاً: "بهذا قد عرفنا المحبة. أن ذاك (السيد المسيح) قد بذل نفسه من أجلنا، فيجب علينا أن نبذل نفوسنا من أجل الإخوة" (١يو ٣ : ١٦).

واشتهى بولس الإناء المختار "لو كان محروماً عن المسيح من أجل إخوته، وذوى قرابته بحسب الجسد" (رو ٩ : ٣).

ثم ألم نسمعه يدعونا إلى محبة بعضنا بعضاً حباً أخوياً؟ "فنفرح مع الفرحين، ونبكى مع الباكين" (رو ١٢ : ١٥).

ألم نسمعه يبث شجونه وآلامه وأحزانه من أجل الآخرين: "من يضعف ولا أضعف أنا؟ أو من يعثر وأنا لا ألتهب" (٢كو ١١ : ٢٩).

وعليه فالمحبة، بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ رفيعة، وواجبات مقدسة، ليست إلا فضيلة مسيحية إلهية.

وهى تلك "الوصية الجديدة" التى تسلمناها من السيد المسيح حين قال: "وصية جديدة أعطيكم. أن يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا، وبهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً" (يو ١٣: ٣٤، ٣٥؛ ١٥: ١٢ - ١٧)، (١ يو٢: ٧، ٨).

ومجمل القول أن المحبة "الوصية الجديدة" التى أوصانا بها السيد المسيح، التى دعاها بولس الرسول "الناموس بتمامه" (رو ١٣: ٨ - ١٠)، والتى نعتها يعقوب الرسول بأنها "الناموس الملوكى" (يع ٢: ٨)، إنما هى محور الحياة الأدبية، والخُلقية، والاجتماعية، والدينية، أى أنها حجر زاوية الإيمان والأعمال، لأنها "الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢: ٤٠).

إن فى مثل السامرى، الذى قدمه لنا السيد المسيح فى إنجيله المقدس، صورة ناطقة، ورسماً واضحاً للمحبة المسيحية التى لا تعرف تمييزاً، ولا تقر بالتفرقة، ولا تتردى فى أهواء المصلحة والمنفعة.

ورب سائل يسأل، بلسان الناموس، قائلاً: "ومن هو قريبى" (لو ١٠: ٢٩)؟

أجيبه بلسان الفادى يسوع: قريبك هو كل إنسان يتقدم إليك طالباً مؤازرتك ومساعدتك وعطفك ومحبتك. هو الإنسان الذى جُبل من طينتك، وعليك أن تصنع إليه الرحمة (لو ١٠: ٣٧) بدون تفرقة بين أمة وأمة، وملة وملة، وديانة وديانة، وجنس وجنس، ولغة ولغة، ورئيس ومرءوس، وحاكم ومحكوم، وغنى وفقير، وبائس ومستجير.

جميعنا أفراد أسرة واحدة! ربها، الآب السماوى "الذى يطلع شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت ٥: ٤٥). وأمها الأرض التى نعود إليها على السواء.

من منا لايريد أن يحظى بسامرى يضمد جراحاته، ويسكب عليها زيوت رحمته، وبلسم عطفه وحنانه، إذا ما وقع بين "لصوص" الشر والشياطين؟

كلنا أعضاء عاملون ومتساوون فى هيكل الأسرة البشرية. فلا منفعة للرأس إذا كان الجسم مهشماً. ولا منفعة للعين إذا كان القلب مريضاً. ولا منفعة للجسم إذا كانت الأيدى مسترخية. ولا منفعة للأيدى إذا كانت الأرجل مشلولة.

أجل. إن الأمر يحتاج إلى تضحيات. وصرح الأسرة البشرية إن لم يرتكز على التضحيات، فعليه السلام. وما هذه التضحيات إلا أثمار المحبة التى علمتنا أن نحب قريبنا وعدونا كنفسنا.

"مرثا مرثا! إنكِ مهتمة ومضطربة فى أمور كثيرة، وإنما الحاجة إلى واحد".

إلى تلك التى تتأنى وترفق.

إلى تلك التى لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ.

إلى تلك التى لا تأتى قباحة، ولا تلتمس ما هو لها، ولا تحتد ولا تظن السوء.

إلى تلك التى لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق.

إنما الحاجة إلى التى تحتمل كل شئ. وتصدق كل شئ وترجو كل شئ. وتصبر على كل شئ.

إلى التى لا تسقط أبداً، وإن بطلت النبوات، وزالت الألسنة، وتلاشى العلم.

إلى المحبة (١كو ١٣ : ١ - ٨).

أيها القوم. إنما الحاجة إلى "المحبة".

ولربنا المجد دائماً أبدياً. آمين.

عظة إنجيل قداس اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة

عيد نياحة العذراء مريم

«فقالت مريم تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» (لو ١ : ٤٦ـ ٤٨).

بمناسبة عيد نياحة السيدة العذراء في الحادى والعشرين من شهر طوبة ومن كل شهر قبطى تذكار شهرى دورى للعذراء، من أجل مكانة السيدة العذراء السامية، واستحقاقاتها، وتسليمها بقول الملاك المرسل من الله (لو١ : ٢٦) فحملت جمر اللاهوت فى أحشائها تسعة أشهر ولم تحترق (كما عبرت مديحة العليقة التى رآها موسى النبى.. إلخ)، وصارت بذلك أمًا (لو ١ : ٤٣) لخالق السموات والأرض، إذ شاء الرب وأحب أن يأخذ منها جسداً ويصير إنساناً (صلاة الصلح بالقداس الباسيلى) وإذ علمت القديسة مريم من الملاك جبرائيل بخبر حَبَلْ نسيبتها أليصابات، ذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا.

وتحركت أليصابات بالروح القدس وصرخت قائلة "مباركة أنتِ فى النساء ومباركة ثمرة بطنك فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ. فهوذا حين صار صوت سلامكِ فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى. فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبلْ الرب" (لو١ : ٤٢ـ ٤٥).

وفى جو مفعم بالتعزيات الروحية والتأملات المقدسة فى بيت زكريا تعظيماً لأعمال الله، وابتهاجاً بخلاصه، صرخت مريم العذراء قائلة: "هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى" (لو١ : ٤٨).

ولم يمضى وقت طويل فى ذلك حتى تمت نبوءة السيدة العذراء إذ صرخت امرأة وسط الجمع إعجاباً بالبطن الذى حمل السيد المسيح وبالثديين اللذين رضعهما فقالت: "طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما" (لو ١١ : ٢٧) وهكذا نجد

القديسة أليصابات تطوب بالروح القدس السيدة العذراء، والعذراء نفسها تقول بأنها منذ تلك اللحظة تطوبها الأجيال. وكذلك امرأة وسط الجمع تطوبها إعجاباً بأقوال وأعمال السيد المسيح المولود من العذراء (غل ٤ : ٤).

وبحق تستحق السيدة العذراء التطويب والتكريم من جيل إلى جيل من أجل استحقاقاتها فى سر التجسد الإلهى.

فشهى جداً الحديث عنها وبنعمة الله وبإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن:

أولاً ـ العذراء المطوبة:

+ أجيال البشر تطوب العذراء:

يقصد بالجيل عهد من البشر كما جاء مثلاً:

(أ) فى سلسلة الإنسان الواردة فى إنجيل معلمنا القديس متى البشير. إذ قيل "فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً" (مت ١ : ١٧).

(ب) وقيل أيضاً "وبمن أشبه هذا الجيل" (مت ١١ : ١٦).

(جـ) وقيل أيضاً "... هذا كله يأتى على هذا الجيل" (مت ٢٣ : ٣٦).

فأجيال من البشر عاشت فى عهود سابقة منذ تجسد السيد المسيح حتى الآن وإلى ما شاء الله تطوب السيدة العذراء. آباؤنا القديسون وأجدادنا الشهداء بل جيلنا المعاصر والأجيال المتعاقبة، وأبناؤنا وأحفادنا يطوبون السيدة العذراء. فهى المستحقة لكل تطويب وتكريم وتعظيم.

+ وأجيال الزمن تطوب العذراء:

وقد يقصد بالجيل الزمنى ـ فترة من الوقت ـ فقد جاء المعنى:

(أ) فى قول السيد المسيح له المجد "لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم" (لو ١٦ : ٨).

(ب) وقيل عن داود "لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد" (أع ١٣ : ٣٦).

وبهذا المعنى نجد الكنيسة القبطية تطوب السيدة العذراء فى جميع الأجيال. وما الأجيال سوى سنوات، والسنوات شهور. والشهور أيام وليال، والأيام والليالى ساعات. إلخ

١ ـ فى ساعات الليل والنهار تطوب الكنيسة السيدة العذراء فى صلوات السواعى (صلوات الأجبية).

(أ) فى قطع باكر نقول "أنتِ هى أم النور المكرمة من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله السماء الثانية، لأنكِ أنتِ هى الزهرة النيرة غير المتغيرة والأم الباقية. لأن الآب اختارك، والروح القدس ظللك، والابن تنازل وتجسد منكِ. فأسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، وأن ينجيه من التجارب".

وفى آخر صلاة باكر "السلام لكِ، نسألكِ أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء فى كل حين والدة الإله أم المسيح، اصعدى صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا. السلام للتى ولدتِ لنا النور الحقيقى المسيح إلهنا العذراء مريم والدة الإله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية، اشفعى فينا أمام المسيح الذى ولدتيه لكى ينعم لنا بغفران خطايانا. السلام لكِ أيتها العذراء الملكة الحقيقية السلام لفخر جنسنا، ولدتِ لنا عمانوئيل. نسألكِ اذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا.

وفى بدء قانون الإيمان يقال "نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنكِ ولدتِ لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا".

وفى قانون الإيمان ذاته نردد عن الابن "نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء".

(ب) وفى آخر قطع الساعة الثالثة يقال "يا والدة الإله، أنتِ هى باب السماء افتحى لنا باب الرحمة".

(جـ) وفى آخر قطع الساعة السادسة يقال "أنتِ هى الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء نطوبكِ لأنه من قبلْ صليب ابنك انهبط الجحيم وبطل الموت".

(د) وفى قطع الساعة التاسعة "عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقاً، قالت وهى باكية أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى وإلهى"

(ر) وفى صلاة الغروب "... فهيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء. فإليكِ أتضرع، وبكِ استشفع، وإياكِ أدعو، أن تساعدينى لئلا أخزى. وعند مفارقة نفسى من جسدى، احضرى عندى ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم أغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى يا عروسة بلا عيب للختن الحقيقى.

(هـ) وفى صلاة النوم "أيتها العذراء الطاهرة، اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك، وابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى... فإنكِ أم قادرة رحيمة معينة، والدة ينبوع الحياة ملكى وإلهى يسوع المسيح رجائى".

(و) وفى صلاة نصف الليل "أنتِ هى سور خلاصنا يا والدة الإله العذراء الحصن المنيع غير المنثلم. أبطلى مشورة المعاندين، وحزن عبيدك رديه إلى فرح، وحصنى مدينتنا، وعن ملوكنا حاربى، وتشفعى عن سلامة العالم لأنكِ أنتِ هى رجاؤنا يا والدة الإله".

وفى صلاة نصف الليل أيضاً "السموات تطوبكِ أيتها الممتلئة نعمة العروس بلا زواج، ونحن أيضاً نمجد ميلادك غير المدرك يا والدة الإله والخلاص تشفعى من أجل خلاص نفوسنا".

وأيضاً "يا باب الحياة العقلى يا والدة الإله المكرمة، خلصى الذين التجأوا إليكِ بإيمان من الشدائد، لكى نمجد ميلادك الطاهر (ميلاد المسيح) يا أم الرحمة والخلاص تشفعى

من أجل خلاص نفوسنا".

(ز) وفي تحليل نصف الليل "ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك بشفاعة ذات الشفاعات، معدن الطهر والجود والبركات، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا، العذراء البتول الزكية مرتمريم".

ففى ساعات الليل والنهار نطوب السيدة العذراء.

٢ ـ وفى قداسات الأيام والعشيات نهتف مرنمين ومطوبين السيدة العذراء:

(أ) وفى اليد من البخور يقال "نعطيكِ السلام مع جبرائيل الملاك قائلين : السلام لكِ يا ممتلئة نعمة، الرب معكِ افرحى يا مريم الحمامة الحسنة التى ولدتِ لنا الكلمة، نعطيكِ السلام".

(ب) وفى اليد الثانية "السلام لكِ أيتها العذراء الملكة الحقانية، السلام لفخر جنسنا، ولدتِ لنا عمانوئيل".

(جـ) وفى اليد الثالثة "نسألكِ اذكرينا أيتها الشفيعة الأمينة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا".

(د) وفى البركة الأولى والكبيرة والمختصرة يقال "بالسؤالات والطلبات التى تصنعها عنا كل حين سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم أولاً وآخراً ".

(هـ) وفى لحن المجمرة يقال "هذه المجمرة الذهب النقى" "الحاملة العنبر الذى فى يدى هرون الكاهن يرفع بخوراً على المذبح.

(و) وفى أيام الصوم يقال "أنتِ هى المجمرة الذهب النقى جمر النار".

(ز) وفى التقديسات "يا الذى وُلِدَ من العذراء ارحمنا".

(ح) "بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يارب أنعم لنا بغفران خطايانا".

(ط) وفى اسبسموس رابع سنوى يقال "افرحى يا مريم العبدة والأم". (لو ١ : ٣٨، ٤٨) لأن الذى فى حجرك الملائكة تسبحه ... ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوى طلباتكِ".

(ى) وفى اسبسموس واطس يقال "مريم الحمامة الحسنة، مريم والدة الإله مريم أم يسوع المسيح".

وفى آخر "قدوس أنت ... ومن العذراء القديسة مريم".

(ك) وفى مجمع القديسين "وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ... التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة.

(ل) وفى ترحيم الآباء البطاركة السالفين يقال "بصلوات وشفاعات ذات كل قداسة الممجدة الطاهرة المباركة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم".

(م) وفى نهاية الطلبة عن الراقدين يقال "بسؤالات والدة الإله القديسة الطاهره مريم وجميع القديسين".

(ن) وفى الاعتراف يقال "أخذه من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم".

(ص) وفى آخر طلبات التناول يقال "بالسؤالات والطلبات التى تصنعها عنا كل حين".

(ع) وفى قسمة الميلاد يقال "أتى وحل فى الحشا البتولى غير الدنس وولدته وهى عذراء وبتوليتها مختومة".

(ف) وفى قسمة القيامة "هذا الجسد الذى أخذه من سيدتنا وملكتنا كلنا القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته".

(ص) وفى قسمة للابن فى الأعياد السيدية يقال "الذى تجسد من القديسة مريم

وولدته فى بيت لحم.

وغير ذلك من الألحان والصلوات والتشفعات الموجودة فى الصلوات المختلفة.

٣ ـ وفى الليالى نطوب السيدة العذراء ففى التسبيحات أجزاء تخص العذراء منها التداكيات، ولكل ليلة تداكية طيلة أيام الأسبوع، فيوجد تداكية للأحد وأخرى للاثنين وأخرى للثلاثاء، وهكذا وتتضمن تسابيح وتماجيد.

وكذلك الابصاليات، والذكصولوجيات وغير ذلك.

٤ ـ وفى التذكارات نطوب العذراء، فتوجد أعياد مختلفة تصنع فيها تذكارات للسيدة العذراء، وتقرأ فيها القراءات المختلفة والميامر. وتتلى فيها الألحان المناسبة ومن هذه التذكارات:

١ ـ البشارة بميلادها ٧ مسرى.

٢ ـ ميلادها ١ بشنس.

٣ ـ دخولها الهيكل ٣ كيهك.

٤ ـ نياحتها ٢١ طوبة.

٥ ـ صعود جسدها ١٦ مسرى.

٦ ـ بناء أول كنيسة باسمها ٢١ بؤونة.

ناهيك عن تسبيحات شهر كيهك، وما يقدم من صلوات وتشفعات وتماجيد فى سائر أيام السنة أمام أيقوناتها وفى مقصوراتها، وفى الكنائس والأديرة المسماة باسمها. شفاعتها فلتكن مع جميعنا آمين.

ثانياً ـ العذراء مريم وبتوليتها الدائمة:

تعلم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومعها الكنيستان اليونانية الأرثوذكسية والكاثوليكية

أن العذراء مريم ظلت بتولاً بعد أن ولدت يسوع ابنها البكر حتى نهاية حياتها.

وتزعم الكنائس المعارضة أن العذراء مريم تزوجت وولدت أولاداً آخرين !!

ونحن عندما نعرض إلى هذا الخلاف بالذات نحس فيه بشعور خاص، وهو شعور الاستنكار. فنحن قد نفهم أن تختلف الكنائس فيما يختص بالأسرار بانبثاق الروح أو اتحاد الطبيعتين فى المسيح، ولكن الذى لا نفهمه ولا نستطيع أن نستسيغه أن تتحدى كنيسة مسيحيه العذراء الطاهرة فى كرامتها، وهى التى قد أختارها الرب أماً له، ورضى أن يولد منها.

وها نحن فى كلمات موجزة نستعرض الأدلة التى تستند عليها المعارضة فى هذا التحدى لتفنيدها، معقبين عليها ببعض الملاحظات الخاصة بهذه المسألة وهى التى تؤيد وجهة نظر الكنيسة القبطية فيها.

إن الأدلة التى تبنى المعارضة رأيها عليها وتتخذها برهاناً على أن العذراء الطاهرة قد تزوجت وولدت بعد ولادة يسوع تتلخص فى أمرين: أولهما ما ذُكر فى العهد الجديد عن إخوة يسوع، وثانيهما ما ذُكر، عن يوسف وهو "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر".

١ ـ أما فيما يختص بإخوة يسوع فقد ورد بإنجيل متى أصحاح ١٢ وعددى ٤٦، ٤٧ "وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك".

وقد جاء ذكر إخوة يسوع فى مواضع أخرى "أليس هذا ابن النجار، أليست أمه تُدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، أو ليست أخواته جميعهنَ عندنا، فمن أين لهذا هذه كلها" (مت ١٣ : ٥٥، ٥٦).

كذلك جاء فى الكتاب "هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته" (أع ١ : ١٤)، كما جاء أيضاً "ولكننى لم أرَ غيرة من الرسل إلا يعقوب أخا الرب" (غل ١ : ١٩)، ففى هذه الآيات جميعها تحدث

الكتاب عن إخوة يسوع وتتخذ المعارضة من هذا برهاناً على أن العذراء قد تزوجت وأنجبت بنين وبنات.

على أن قليلاً من الدراسة النزيهة تكشف لنا عن حقيقة تسقط هذا الدليل من أساسه وتعلن ما فيه من خطأ. فإخوة يسوع المذكورون فى هذه الآيات قد ذُكرت فى بعض المواضع بالتحديد.

أما يعقوب ويوسى المذكوران بين إخوة يسوع فقد ذُكر عنهما أن الإنجيل ما يثبت أنهما ابنا مريم أخرى غير مريم أم يسوع ففى (مرقس ١٥ : ٤٠) يقول "وكانت أيضاً نساء ينظرنَ من بعيد بينهنَ مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى" وكذلك يقول الكتاب "وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً " (مرقس ١٦ : ١)، ومكتوب أيضاً "وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه زوجة كلوبا ومريم المجدلية" (يوحنا ١٩ : ٢٥).

ومن هذا يتضح أن مريم هذه أم يعقوب ويوسى هى أخت مريم العذراء الطاهرة، وإذن فيكون يعقوب ويوسى ليس أخوين ليسوع من مريم أمه ولكنهما ابنا خالته مريم زوجة كلوبا، وهذا يتضح أيضاً مما جاء فى رسالة يهوذا وهو "يهوذا عبد يسوع وأخو يعقوب، وقد ثبت أن يعقوب هو ابن خالة يسوع فإذن يكون يهوذا أخو يعقوب هو كذلك ابن خالة يسوع وليس أخاه من العذراء مريم.

أما أن أولاد الخالة أو الخال كانوا يدعون إخوة فتلك عادة قديمة تثبت من الكتاب مما جاء فى (تكوين ٣١ : ٣٧ ، ٥٤) حيث يدعو يعقوب أولاد خاله لابان إخوته.

والخلاصة هى أن إخوة يسوع المذكورين فى العهد الجديد ليسوا إخوته من أمه العذراء مريم ولكنهم أولاد خالته، وبهذا يسقط الدليل الأول الذى تتخذه المعارضة برهاناً تثبت به زعمها أن العذراء تزوجت وولدت بعد ولادتها يسوع.

٢ ـ وهنا نتقدم للدليل الثانى الذى تقدمه المعارضة تدلل به على زعمها أن العذراء

تزوجت وولدت بنين وبنات وهو ما ذكره متى الإنجيلى عن العذراء مريم أن يوسف (لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، فالمعارضة تذهب إلى أن المعنى المستفاد من هذا النص هو أن العذراء القديسة بقيت بتولاً إلى أن ولدت يسوع فقط، ولكنها بعد ولادته تزوجت. ولكننا نقرر أن هذا الاستنتاج باطل من أساسه.

ولاشك أنه بعد اطلاع القارئ على الرد المفند لظواهر ما يزعمون فيهما من تأييد لمبدأهم الواهى لايفتأ إلا مُقراً ومؤمناً معنا أن القديسة والدة الإله هى "دائمة البتولية":

الاعتراض الأول : يعترضون بهذه الآية "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (مت : ٢٥) ويزعمون لظاهر معنى الآية:

١ ـ أن يوسف ضاجع القديسة مريم بعد ميلاد مخلصنا.

٢ ـ ويستنتجون من كلمة البكر أن للمسيح إخوة آخرين من السيدة العذراء.

ولكى نقنعهم بتفنيد هذا الاعتراض المزدوج نورد فيما يلى الآيات الكتابية والأدلة الربانية وأقوال علماء البيعة بهذا الشأن:

أولاً: جاء فى تفسير المشرقى "القس أبو الفرج" جزء أول ص ٧٧، ٧٨ "وقد أراد البشير بكلمة حتى الضرب الذى لا حد له، وتستدل على أن يوسف لم يعرف السيدة بعد الولادة من عدة وجوه: أحدهما عظمة وجلال ما رأى من شرف الولادة، ومن كونها مسكناً للروح القدس. ويتساءل المفسرون كيف بقيت مريم بتولاً بعد الولادة مع خروج جسم كثيف منها. فقالوا أن ذلك على طريق خرق العادة، وخرق العادة على مذهب السُنة غير ممتنع ولا يمكن معرفة سبب ذلك.

وكما أن العوسجة "العليقة" لما مستها النار على جبل سيناء لم تلتهب، كذلك البتول لما خرج منها سيد الكل لم تنتقض بتوليتها ولأن زكريا أحصاها مع البتولات. وكما أن سيدنا المسيح لما قام من القبر دخل إلى التلاميذ والأبواب مغلقة فلم يفتحها ولم يخرقها كذلك لما وُلِدَ من السيدة العذراء لم يفضى بتوليتها. وقالوا أيضاً أن خروج الجسم من

الجسم من غير أن يتخزق يسوغ كخروج حواء من جنب آدم، وخروج الماء من حجر الصوان، ومن فك الحمار الميت.

أما قول البشير "ابنها البكر" فليس لأن لها ولداً آخر لأن العادة جرت أن يُدعى الأول بكراً وإن لم يكن له إخوة أو أخوات إذ يتضح من (خر ١٣ : ٢) "أن كل ذكر فاتح رحم يُدعى قدوس الله أى بكراً ".

ثانياً : إيضاحاً لمعنى كلمة حتى حسب المبين فيما تقدم فى تفسير المشرقى نورد للقارئ بعض الأمثال الكتابية فيما يأتى:

١ ـ "وحدث من بعد أربعين يوماً انَّ نوحاً فتح طاقة الفلك التى كان قد عملها وأرسل الغراب. فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض، (تك ٨ : ٦، ٧) فهل يفهم من كلمة حتى هنا أن الغراب رجع إلى نوح بعد ما نشفت المياه عن الأرض؟

٢ـ قال الله ليعقوب "لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به" (تك ٢٨ : ١٥) فهل ينتج من هذا أن الله ترك يعقوب بعدما تمم له ما كلمهُ به؟ حاشا وكلا.

٣ ـ قال المرتل داود النبى والملك "قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مز ١١٠ : ١) فهل يا ترُى نفهم من هذه النبوة بأن الله تقدست أسماؤه يكرم الابن الوحيد رئيس خلاصنا بجلوسه عن يمينه إلى حين اخضاع أعدائه تحت موطئ قدميه فقط، وبعد ذلك يبطل إكرامه!! هذا محال.

٤ ـ قال إشعياء النبى "لا يُغفرنَ لكم هذا الإثم حتى تموتوا يقول السيد رب الجنود" (إش ٢٢ : ١٤) فهل توجد مغفرة بعد الموت "ليس فى الموت ذكرك" (مز ٦ : ٥).

٥ ـ قال القديس يوحنا الإنجيلى عن المولود أعمى "فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوي الذى أبصر" (يو ٩ : ١٨) فهل يمكن الاستنتاج من كلمة حتى هنا بأن اليهود آمنوا بالمخلص بعد أن دعوا أبوى الأعمى وسألوهما؟ كلا فأنهم ازدادوا كفراً وضلالة وعناد وقساوة.

٦ ـ "لأنى أقول لكم إنى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله لأنى أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله" (لو ٢٢ : ١٦، ١٨) فهل يظن أن السيد له المجد احتفل بأكل أو بشرب كأس الفصح مرة ثانية بعد هذه المرة؟

٧ ـ "وعاد أيوب.. فقال .. حتى أُسلم الروح لا أعزل كمالى عنى" (أى ٢٧ : ٥).

٨ ـ ما قاله مخلصنا أيضاً للفريسيين الذين بعد ما أثخنهم بالويلات الفادحة قال لهم "لاترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب" (مت ٢٣ : ٣٩) وبما أن استقبال السيد المسيح علانية فى مدينة أورشليم كان يسمع فيه هذا النشيد فمتى ينتظر أن يقوله الفريسيون ثانية يا تُرى؟ فأنهم لم يؤمنوا بالمسيح فى حياتهم حتى يقولوه فى هذا العالم. وأما فى الآخر فليس لهم إلا أن يطلبوا سقوط الجبال عليهم وأن تغطيهم الآكام من وجه الجالس على العرش لأنه قد أتى غضبه العظيم ولا يوجد من يستطيع الوقوف! فإذاً لم يرَ الفريسيون المسيح ولم يهتفوا بذلك النشيد الإلهى قط!

٩ ـ وقد وردت كلمة إلى بمعنى حتى فى ستة مراجع لا يستفاد منها غير الواضح من معنى ما تقدم، وهى : "ثم قال يوسف لإخوته... فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك أهل مواشٍ منذ صبانا إلى "حتى" الآن (تك ٤٦ : ٣١، ٣٣، ٣٤) فالنص (إلى الآن) هنا قد استعملت للاستمرار لأن المفروض أن إخوة يوسف كانوا سيستمرون رعاة بعد مقابلتهم لفرعون كما كانوا قبل ذلك.

١٠ـ وما ورد عن صموئيل النبى أنه بعد ما أنبأ شاول ذلك الأنباء المرعبة "لم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى "ختى" يوم موته (١ صم ١٥ : ٣٥) فهل يستفاد من هذا أن صموئيل رأى شاول بعد موته؟

١١ـ ورد أيضاً عن ميكال بنت شاول أنها "لم يكن لها ولد إلى "حتى! يوم موتها" (٢صم ٦ : ٢٣) وواضح أن ميكال لم تلد بعد أن ماتت.

١٢ـ لهذا سُمِىَ ذلك الحقل حقل الدم إلى "حتى" هذا اليوم (مت ٢٧ : ٨).

١٣ـ إلى "حتى" أن أجئ اعكف على القراءة والوعظ والتعليم" (اتى ٤ : ١٣).

١٤ـ قال مخلصنا نفسه لتلاميذه "وها أنا معكم كل الأيام إلى "حتى" انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) فهل يفهم من هذا أن ابن الله الكلمة الأزلى يبقى مع تلاميذه إلى انقضاء الدهر فقط وبعد ذلك يتركهم؟ كلا لأن الرسول بولس يقول "ونكون كل حين مع الرب".

ومما تقدم يتلخص القول بأن كلمة حتى قد وردت أربعة عشرة مرة فيما سبق ثمانية منها بواضح لفظها ومعناها وستة بمعناها فقط تحت كلمة إلى وكلها تثبت وتؤيد نقض ذلك الزعم وتؤكد دوام بتولية العذراء.

الاعتراض الثانى : يعترضون على دوام بتولية العذراء بدعوة المسيح البكر واستنتاجهم من ذلك احتمال أو اثبات وجود ثاني. وهذا أيضاً منقوض من قول الله "قدس لى بكر كل فاتح رحم من بنى إسرائيل من الناس ومن البهائم. إنه لى" (خر ١٣ : ٢) الذى يستدل منه بأجلى ضوح أنه لو كان البكر يستلزم لإثبات بكوريته آخر. ما تمت الطاعة فى تقديسه حتى مجئ الثانى، وما تقدس البكر من ذاته، بل يلزم ولادة الثانى ليقدسه، وكان يحق لكل يهودى انتهك حرمة الناموس أن لايدفع ثمن الفداء المفروض للكاهن ولا أن يطالب به حتى يولد له الولد الثانى، وكان بالنتيجة لا يطلب عن الابن الوحيد فداء. ولكن الواقع يمنع ذلك إذ لم يسمع قط فى الناموس احتجاجات كهذه، لأن الكلمة العبرانية الأصلية بناء على ما رواه العارفون بها لا تقبل هذا التأويل ومعناها فى الناموس واضح جلى، ومع ذلك فشريعة الفداء لا تدع للمحاولة سبيلاً إذ يراد بالبكر فاتح الرحم دون انتظار ولادة آخر لإتمام الفداء، كما يتضح ذلك مما ورد فى سفر العدد (١٨ : ١٦) "وفداؤه من ابن شهر تقبله"

وبما أن أبوي مخلصنا "صعدا به إلى أورشليم ليقدماه للرب كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن كل فاتح رحم يُدعى قدوساً للرب (لو ٢ : ٢٢، ٢٣) فواضح إذن أنه

دُعِيَ البكر على مقتضى ناموس موسى ليكون له جميع حقوق البكورية ويُدعى بكراً بين إخوة كثيرين، ويؤيد هذا الرأى استعمال هذا التعبير عن المسيح فى نسبته إلى الآب ودعوته "بكراً" (كو ١ : ١٥)، ومعلوم أن ولادة المسيح من الآب ولادة وحيدة فريدة لم تتكرر، وإذن فلفظ البكر المطلق على المسيح فى ولادته من العذراء ليس المقصود به أنه المولود الأول الذى تبعه مولودون آخرون ولكن المقصود به أنه المولود الأول والوحيد.

وهكذا نرى أن جميع ما تستند عليه المعارضة من أدلة على أن العذراء المُقَدَسَةْ قد تزوجت من يوسف بعد ولادة يسوع أدلة باطلة خاطئة.

والآن نتقدم لشرح ما يثبت صحة عقيدة الكنيسة القبطية ومن يرى رأيها فى بتولية العذراء الدائمة.

١ ـ السند الكتابى:

يذكر لنا يوحنا الرسول أن أم يسوع وأخت أمه زوجة كلوبا ومريم المجدلية كنَ واقفات عند صليب يسوع "فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنكِ ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته" (يو ١٩ : ٢٦، ٢٧) فإذا كان ليسوع إخوة من مريم أمه فأين كانوا فى هذه الساعة العصيبة؟ ولماذا يضم يسوع أمه ليوحنا إن كان لها أبناء يستطيعون أن يرعوها؟ أن فى هذه الواقعة لدليل قوى على أن عقيدة المعارضة فى زواج مريم من يوسف بعد ولادتها ليسوع بكرها هى عقيدة سقيمة باطلة.

٢ ـ المنطق :

والمنطق السليم يقف بشدة ضد هذا التعليم، فمن ذا الذى يستطيع أن يعقل أن مريم قد أصبحت أهلاً لأن تحبل وتلد ابن الله وبعد أن تحصل على هذا الشرف العظيم الذى تجاوز حدود العقل البشرى يمكن أن تسمح لنفسها أن تحمل فى أحشائها مولوداً آخر، وتفكر فى يوم أن تجمع بين مولودها الإلهى مولوداً بشرياً آخر؟

إن مثل هذا التعليم لايمكن أن يقبله العقل ويستسيغه المنطق السليم.

بقيت لنا كلمة تعقيب على الخلاف القائم بين الكنائس التقليدية والمعارضة فى هذه القضية. إن أغلب الظن أن المعارضة لم تنادِ بهذا التعليم الغريب إلا رغبة منها فى الانتقاص من كرامة العذراء الطاهرة لاعتقادها أن الكنائس التقليدية قد بالغت إكرامها، ولكن ما ذنب الكنائس التقليدية إن هى أكرمت العذراء القديسة، والعذراء نفسها قد صرحت بحقها فى هذا الإكرام والإجلال إذ قالت (فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس) ؟

بل ما هى غلطتها فى هذا الإكرام الروح القدس نفسه قد أعلن كرامتها فى تحية أليصابات لها عندما استقبلتها هاتفة "مباركة أنتِ فى النساء ومباركة ثمرة بطنكِ فمن أين لى هذه أن تأتى أم ربى إلىَّ فهوذا حين صار صوت سلامكِ فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبلْ الرب" (لو١ : ٤٢ـ ٤٥) فهذه التحية لم تكن تحية بشرية ولكنها هى تحية الروح القدس، ذلك أن أليصابات قد امتلأت من الروح القدس ثم هتفت بها، والجنين الذى حيا العذراء الطاهرة وقد ركض مبتهجاً فى بطنها قيل عنه أيضاً أنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس" (لو ١ : ١٥) فتحيته وتحية أمه أليصابات إذن لم تكن تحية بشرية ولكنها كانت تحية الروح القدس نفسه لتلك التى قد اختارها الآب أماً لابنه، أفتلك التى يكرمها روح الله نفسه يحاول البشر الانتقاص من كرامتها وينكرون ما يؤديه البشر من مشاعر الإجلال والتكريم لها ؟ إن تكريم العذراء الطاهرة تكريم للمسيح نفسه، فنحن إنما نطوبها ونكرمها لأنها أم يسوع الذى أحبنا وبدمه الكريم قد افتدانا وحبنا لها إنما هو صدى حبنا ليسوع ربنا.

لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين.

• عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر طوبة

الشهـادة ليســوع

«والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى» (يو ٥: ٣٧).

لاتظن أيها القارئ العزيز أن السيد يسوع المسيح كان فى حاجة إلى من يشهد له، كما جاء فى إنجيل معلمنا يوحنا البشير: "أما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا. لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب أرسلنى. والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى" (يو٥: ٣٦، ٣٧). وقد شهد لى فعلاً حال العماد وعلى جبل التجلى قائلاً: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧). ومن هذا يتضح إنه ليس فى حاجة إلى شهود يقدمونه للعالم. فأعماله الخالدة تشهد له والآب نفسه شهد له. وهل بعد شهادة الآب من شهادة؟ ولكنه يود من تلاميذه، الذين لازموه من البدء وشاهدوا معجزاته الفائقة وأعماله العظيمة، والذين تمتعوا بالشركة معه وأخذوا كأس الخلاص من يديه.. يود من تلاميذه الذين رفع مقامهم والذين ضمن لهم كتابة أسمائهم فى سفر الحياة، وبالجملة، الذين غرقوا فى لجة إحسانه وامتلأوا من فيض أنعامه، أن يقدموا هذه الشهادة اعترافاً منهم بفضله عليهم وإقراراً منهم بصنيعه معهم. إذ أن فى عدم القيام بهذه الشهادة نكراناً للجميل وجحوداً للمعروف وتقصيراً فى أبسط واجبات الأمانة والوفاء.

١ ـ الشهادة ينبغى أن تكون عن اختبار:

طلب رؤساء الكهنة من بطرس ويوحنا بعد حادثة شفاء الأعرج عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل ألا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع، ولكنهما أجابا: "إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لايمكننا أن ألا نتكلم بما سمعنا ورأينا" (أع٤: ١٩، ٢٠)

أراد مجنون كورة الجدريين، الذى رد له السيد عقله، أن يتبع المسيح، فمنعه السيد،

قائلاً : "اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم بكم صنع الرب بك ورحمك، فمضى وابتدأ ينادى فى العشر المدن كم صنع يسوع به فتعجب الجميع" (مر ٥ : ١٩، ٢٠)!!!

ارتوت السامرية من الماء الحى وامتلأت من ينبوع النعمة الفائض، فتركت جرتها وذهبت إلى المدينة وطفقت تشهد قائلة: "هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت. ألعل هو المسيح" (يو ٤ : ٢٩).

ونحن إذا نبشنا صحائف الماضى وعدنا بالذاكرة إلى سجل حياتنا نجد فيها مادة غزيرة قد لاتكفينا الأيام لإتمام الشهادة عنها واحدة واحدة. ألم يخلصنا من ضيقات متعددة؟ ألم ينقذنا من أعداء متربصة؟ ألم يحمينا من سهام ملتهبة؟ ألم ينعم علينا بأفضال متنوعة؟ أليس من إحسانات الرب علينا أننا لم نفنَ؟ ألم يغفر جميع ذنوبنا؟ ألم يفدِ من الحفرة حياتنا؟ ألم يشفِ جميع أمراضنا؟ ألم يكللنا بالرأفة والرحمة؟ وألم يشبع من الخير عمرنا؟ ألا تستحق كل هذه الإحسانات كلمة شهادة منا؟ ألا يحتاج هذا الفضل العميم إلى كلمة اعتراف بسيطة؟ نعم يا أحبائى، نحن مكلفون بأن نشهد كم صنع الرب بنا ورحمنا. فهل نحن فاعلون؟

٢ - الشهادة تحتاج إلى القوة والشجاعة:

كثيرون يمتنعون عن الشهادة ليسوع خجلاً. وآخرون يمتنعون ضعفاً وجبناً. وآخرون لايشهدون خوفاً على أنفسهم أو على مراكزهم أو على أموالهم. ومن هنا يتبن أن الشهادة تحتاج إلى شجاعة أدبية وإلى قوة روحية. ولم يغفل سيدنا عن هذا، فقال لتلاميذه: "وستنالون قوة من الأعالى متى حل الروح القدس عليكم. وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١ : ٨)، وقال فى موضع آخر: "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله لكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء" (يو ١٥ : ٢٦، ٢٧). فالروح القدس هو الذى يهب القوة والشجاعة والإقدام ويقضى على الخوف

والخجل والضعف والجبن. انظر إلى بطرس قبل أن يمتلئ من الروح القدس... إنه كان جباناً ضعيفاً، فأنكر سيده أمام جارية، وأنكر بقسم أنه لايعرف الرجل. ولكنه بعد أن امتلأ من الروح القدس، امتلأ قوة وشجاعة، وفاض غيرة وحماساً وابتدأ يشهد باسم يسوع جهاراً بلا خوف ولا وجل، ولم يمنعه من القيام بهذا الواجب المقدس تهديد رؤساء الكهنة ولا وعيد مجمع السنهدريم. لقد كان الروح فيه وفى التلاميذ تياراً جارفاً وقوة دافعة. لم يكن إلى وقفها من سبيل. ولذلك نقرأ القول: "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت. على جميعهم" (أع ٤ : ٣٣)... هذا هو السر فى تقدم الكنيسة ونجاحها فى القديم وانتشارها على أيدى هؤلاء الصيادين

٤ ـ الشهادة تستلزم إنكار الذات :

لعل من أعظم المعطلات للقيام بواجب الشهادة لسيدنا هو محبة الذات فنحن نهتم بالأكثر أن نُظهر ذواتنا وأن نجمل أنفسنا وأن ننسب كل فضل إلى مجهودنا وأن نرجع كل نعمة نتمتع بها إلى ذكائنا وفطنتنا. نحن بالإجمال، منشغلون بذواتنا عن يسوع. لذلك لا نقوم بواجب الشهادة له على أى وجه. وما لم ننزع هذا العائق لن نستطيع أن نقوم بهذا الواجب على الوجه الأكمل. خذ مثلاً لإنكار الذات يوحنا المعمدان لما توجه إليه اليهود يسألونه إن كان هو المسيح أو النبى أو إيليا. فأجاب بكل صراحة لست أنا النبى ولا المسيح ولا إيليا مع أنه كان يمكن أن ينسب ذلك لنفسه، ولو فعل لما اعترض إنسان ما، لأنه كان محبوباً من اليهود ورؤسائهم وفى نظر الجميع مثل نبى. ولما سألوه قائلين من أنت لنعطى جواباً للذين أرسلونا؟ اكتفى بالقول: "أنا صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب..." (مت ٣ : ٣) ولما ألحوا عليه فى القول: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى؟ قال: أنا أعمد بماء ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه. هو الذى يأتى بعدى، الذى صار قدامى، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه" (مر ١ : ٧)، إن يوحنا تجرد من الذات ولذلك استطاع أن يقدم هذه الشهادة

لسيده حين رآه مقبلاً إليه قائلاً "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو ١ : ٢٩)، إنه نسى نفسه وجعلها فى المؤخرة لكى يشهد ليسوع ويجعله فى المقدمة.

قيل أنه عندما انتهى "ليناردوا دى فنشى" من لوحته المشهورة "**العشاء الربانى**" جاء بصديق له لكى يأخذ رأيه بطريقة شخصية عن هذه اللوحة" وحين وقع نظر الصديق عليها صرخ معجباً: "يالها من صورة ناطقة! فهذه الكأس أراها مجسمة، وكأنها تبرز على المائدة ككتلة ناطقة من الفضة المتلألئة" وعند ذلك أخذ الفنان ريشته بهدوء ومحا الكأس من الرسم قائلاً: "إنى قصدت أن صورة المسيح هى التى تستلفت الأنظار وتتجه إليها العيون، وأى شئ آخر يحول أنظارنا عنه ينبغى أن يمحى" فإن أردنا أن نقدم المسيح للعالم ينبغى أن نلاشى كل شئ فينا لكى يظهر يسوع فينا وبنا وبواسطتنا.

٣ ـ حياتنا هى أعظم شاهد:

إن حياتنا وسلوكنا كأفراد وككنيسة هى الرسالة المكشوفة والمقروءة من جميع الناس. إن الناس يسلطون علينا منظارهم المكبر لكى يبصروا بطريقة واضحة كل صغيرة وكبيرة فى سلوكنا، فهم لا يهتمون كثيراً بكلامنا بقدر ما يهتمون بحياتنا.. ألا يكون ذلك أكبر معطل للمسيح وللمسيحية حين يرى الناس أعمالنا فإذا بها على طرفى نقيض مع أقوالنا؟

ألم يصرح غاندى قبل موته بأنه لايجد عيباً فى المسيح ولا فى تعاليمه، ولكنه يجد كل العيب فى المسيحيين أتباعه لأنهم لا يسلكون بموجب تعاليمه. فانظر أية دعاية سيئة تقدمها حياة وسلوك المسيحيين فى هذه الأيام يا تُرى ماذا يشهد الناس عنا حين يقفون على أعمالنا وعلى حياتنا؟ هل يقولون: "حقاً هؤلاء أولاد الله؟" أو "حقاً هؤلاء أولاد إبليس؟" حين يرى العالم فينا عدم المحبة وعدم الإخلاص والشتيمة والحلفان والكذب... إلخ. ماذا يكون حكمه علينا وعلى مسيحنا؟ إن يوحنا المعمدان شهد للسيد بحياته التقشفية أكثر مما شهد بكلامه، وأكمل شهادته عنه بموته شهيداً من أجل الحق. أن كنيستنا القبطية سُميت بحق كنيسة الشهداء واتخذت لها تقويماً من عصر الشهداء.

هؤلاء جميعاً كانوا فى حياتهم أنواراً متلألئة رأى العالم فيهم حياة المسيح، فآمن به الملوك والأمراء وختموا حياتهم مستشهدين حباً فى سيدهم الذى أحبهم وبذل ذاته من أجلهم. أين حياة هؤلاء وسلوكهم من حياتنا وسلوكنا نحن الذين نفتخر بأننا أبناء الشهداء؟؟

لك المجد فى كنيستك إلى الأبد ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر طوبة

المسيح نور العالم ـ أو الإستنارة الروحية

«ما دمت فى العالم فأنا نور العالم» (يو ٩ : ٥).

أيها الأحباء ـ أن معجزة تفتيح عينى المولود أعمى التى انفرد بذكرها يوحنا الإنجيلى والتى سمعتم بها تفصيلاً فى إنجيل القداس اليوم لهى من أهم الأدلة الدالة على أن يسوع هو المسيا المنتظر أتى نوراً وهدى للمهتدين وقد توقع اليهود أن المسيح عند مجيئه لابد أن يصنع مثل هذه المعجزة كما تنبأ بذلك نبيهم إشعياء فى (٢٩ : ١٨) حيث قال "يسمع فى ذلك اليوم الصم أقوال السفر وتنظر من القتام والظلمة عيون العمى". وقد شهد يوحنا الإنجيلى عن المسيح بأنه النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان وأنه أى يوحنا لم يكن هو النور بل ليشهد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته، (يو ١ : ٩، ٨، ٧) ولما كان عيد المظال عند اليهود فى أورشليم حيث اعتادوا أن يوقدوا فى دار الهيكل مصابيح كبيرة من الذهب على أربع منارات ذهبية غير المنارة التى فى القدس وكان ينتشر ضوءها على كل المدينة وكان الناس يرقصون ويرنمون بالأغانى الروحية تذكاراً لعامود النار الذى كان يتقدم بنى إسرائيل فى البرية.

صاح يسوع فى العيد قائلاً لهم "أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو ٨ : ١٢) وبينما هو يتكلم موضحاً لهم بأن عمود النار الذى كانوا يصنعون تذكاره لم يكن إلا رمزاً له فكما كان ذلك العامود النارى قائداً للإسرائيليين فى البرية هكذا هو (يسوع) قائداً شعبه إلى الأبد كما قيل عنه فى (إش ٩ : ٢، ٤٣ : ٦، ٤٩ : ٦، ملا ٤ : ٢) فآمن به كثيرون وكذلك فيما هو مجتاز فى شوارع أورشليم ورأى ذلك الشاب المولود أعمى قبل أن يقوم بتفتيح عينيه فقال: "ينبغى أن أعمل أعمال أبى الذى أرسلنى ما دام نهار. يأتى ليل حين لايستطيع أحد أن يعمل ما دمت فى العالم فأنا نور العالم" (يو ٩ : ٤ ـ ٥). وإذ تفل على الأرض وصنع من التفل

طيناً وطلى به عيني الأعمى وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام. فمضى واغتسل وعاد بصيراً، بهذه المعجزة الفائقة برهن عملياً على أنه له المجد هو النور الحقيقى الآتى إلى العالم فكل من يتبعه لا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة، كما برهن بأنه الإله الخالق الذى به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ فى العالم. لأن خلقة الرجل كانت ناقصة أعضاء البصر. إذ وُلِدَ بغيرها فكملها السيد المسيح من ذات الشئ (أى الطين) الذى أُخذ منه آدم رأس الخليقة.

أما أهم الأمور فى موضوع تأملنا بنعمة الله وإرشاده فهى:

أولاً ـ حالة ذلك الأعمى قبل الشفاء:

لقد سمعتم من الإنجيل أن ذلك المولود أعمى لم يكف أنه حُرِمَ من نعمة البصر والإبصار بل حُرِمَ أيضاً من حياة الكفاف فوصل إلى أقصى درجات البؤس والفقر فما كاد يشب فى الحياة حتى تركاه أبواه القاسيين يهيم على وجهه فى الطرقات والأزقة لاقائد له غير عصاه يستجد الأكف وفى ذل ومسكنة يجمع فضلات المتصدقين وحسنات المحسنين، شاب حالته تشبه حالة طفل برئ حُكم عليه بالسجن المؤبد وهو بعد جنين فخرج من ظلام البطن إلى ظلام السجن لم يشاهد نور الشمس أو القمر أو النجوم أو جمال الطبيعة لحظة فى حياته يسمع صوت كل شئ بجواره لكنه لايرى شيئاً وكان الحيوان والدبيب أكثر حظاً منه لأن هذا يسعى إلى هدى فإذا ما نظر صياداً أو عدواً مفترساً مُقبلاً إليه يتوارى بفطرته ويتحاشى الكوارث المحدقة به.

أما الإنسان الأعمى المسكين فأنه يعرف بخطر الهوام والثعابين وقد يسمع صوت حشرجتها بقربه فيفزع منها، لكن أنىٌ له المفر وهو سجين فى ظلام العمى. وكأن العكاز الذى يتوكأ عليه ليهديه فى طريق السعى إلى رزقه أكثر حناناً عليه من أبويه المبصرين المهملين إياه فما أظلم الإنسان لأخيه الإنسان. وهل من منظر يؤلم النفس أكثر من أن ترى الفقراء والعمي من اجتمعاتنا فى شخص واحد برئ كأنهما على موعد؟

هذه أيها الأحباء حال الأعمى روحياً المحروم من نور البصيرة لا بل حال الخاطئ الذى استمرأ الخطية واعتاد السير فى ظلمتها لا بل التحفها التحافًا ففصلته عن نور الحياة الذى فى المسيح وانطفأ سراج جسده الذى هو ضميره ومتى صار النور فى الإنسان ظلاماً فالظلام الذى حوله كم يكون. وقد قال السيد المسيح له المجد العبارة: "سراج الجسد هو العين فمتى كانت عينك (أى ضميرك وبصيرتك الروحية) بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً" (لو ١١ : ٣٤) اسمع أيها المسيحى عما جاء فى سفر الرؤيا عن أسقف كنيسة اللاودكيين الذى كان غنياً جداً فى المال العالمى وليس فى ما لله وكان مكتسياً بالبز والأرجوان لكنه كان عارياً من ثوب الطهارة والبر الذى فى المسيح. وكان مبصراً بالجسد و أعمى البصيرة غير مستنير بروح المسيح نور العالم. اسمعوا طرفاً عما جاء فى رسالة السيد المسيح إليه عن عبده يوحنا الرائى اللاهوتى "أنا عارف أعمالك.. لأنك تقول إنى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنى. وثياباً بيضاً لكى تلبس فلا تظهر خزى عريتك وكحل عينيك بكحل لكى تبصر" (رؤ ٣ : ١٥ ، ١٧ ، ١٨).

ثانياً ـ حالة الأعمى بعد الشفاء :

وقع نظر يسوع على ذلك الأعمى البائس فيما كان مجتازاً وكان الأعمى جالساً على قارعة الطريق يستعطى فتحنن عليه ووجه إليه كل همه وعنايته، والحياة مليئة بمثل هذه الفرص الصغيرة السانحة.

وأنت مجتاز فى طرقاتها تشهد أكداساً من الآلام والأوجاع البشرية ولا ترى إلا كومة صغيرة من السعادة والغبطة. فإذا استطعت أن تفعل ذرة صغيرة من أكداس الآلام إلى كومة الهناء فأنت فى نظر يسوع تعمل أعمال الله. سمع الأعمى حيث يسوع هذا عن أعمال الله سمعه يقول "ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار. يأتى ليل حين لايستطيع أحد أن يعمل. ما دمت فى العالم فأنا نور العالم". ولم يدر الأعمى معنى هذا

كله حتى أحس بلمسة يده الحنونة على كتفة والأخرى تطلى عينيه بالطين وصوته يقول اذهب اغتسل فى بركة سلوام فذهب واغتسل وعاد ثانية ومن ذا الذى يستطيع أن يصور لنا مقدار فرحه وبهجته وهو يدخل فجأة عالماً جديداً من النور والجلال والجمال وتتفتح عيناه الغائرتان لتريا الفضاء الواسع والأبنية الشاهقة ووجوه الرجال والنساء. لاشك أن إنساناً كهذا لم يرَ العالم من قبل أحس بأنه اجتاز إلى السماء عندما تفتح بصره. وهذه من نوع ما تشبه حالة المستنير بالروح والإيمان الذى تاب عن خطيته واتّخذ يسوع نوراً وشفاءاً وخلاصاً له. فتجدد وتغير عن شكله وطبيعته الرديئة الأولى فولد ثانية وصار فى المسيح خليقة جديدة ومن يستطيع أن ينكر أن ذلك الأعمى لم ينل شفاء البصر فقط بل شفاء البصيرة أيضاً ووُلدَ ثانية وقد تدرج فى إيمانه فقال أولاً عن المسيح أنه إنسان صنع به هذا الجميل ثم تدرج وقال عنه أنه نبى ثم نما إيمانه فآمن أنه ابن الله ثم استحال اعترافه عبادة فقام وسجد وكفى بشجاعته أمام رؤساء اليهود فى الدفاع عن المسيح مما أدى أخيراً إلى طرده ونبذه من بينهم كفاه بهذا دليلاً على تجديده واستنارته مما دعا المسيح أن يصرح قائلاً: "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لايبصرون ويعمى الذين يبصرون" (يو ٩ : ٣٩).

لقد طُرد ذلك الأعمى من المجمع كيهودى محروم لأنه خالف أمر الكهنة واعترف بالمسيح فنُبذ كأبرص وحلت عليه لعنتهم فحُرم عليه الجلوس أمام الهيكل أو العبادة فى بيت الله أو حتى الدخول فى خدمة إنسان من خائفى الله اليهود ولكنه تحمل كل هذا لأجل يسوع الذى لاقاه خارجاً فعلمه عن محبة الآب السماوى وفتح له بدل باب الهيكل الذى أوصده الكهنة اليهود فى وجهه. فتح له أبواب ملكوت السموات.

هكذا نحن أيها الأحباء. إن اعترفنا بخطايانا واستنرنا وتجددنا وُلدنا ثانية فصرنا أولاداً لله بالإيمان وورثة مع المسيح وحصلنا مثل ذلك المولود أعمى على فرح فى الروح لاينطق به ومجيد وتفيض فى قلوبنا أنهار من السلام والسرور والسعادة والغنى والشبع الروحى العظيم.

إن البصر الروحى أثمن بكثير من نور العينين. بدون البصر الروحى لا تقدر أن ترى الطهارة وجمالها "وبدون القداسة لن يرى أحد الرب" (عب ١٢ : ١٤). بدون البصر الروحى لا تقدر أن ترى السماء التى أعدها الله للمخلصين ـ السماء التى هى موضع الراحة ومسكن القديسين. بدون البصر الروحى يظلم عقلك ويبلد شعورك ويخيم الظلاك على أفكارك وتتخبط فى الظلمة المملوءة من كل شقاء وحزن وخوف واضطراب وفزع "إذ لا سلام قال إلهى للأشرار" (إش ٤٨ : ٢٢).

فياليتك تعرف قيمة البصر الروحى. ذلك البصر الذى أدركه الأعمى فصرخ إلى يسوع قائلاً: "يا ابن داود ارحمنى" (مر ١٠ : ٤٧).

الرب وحده هو القادر أن يفتح عقولنا وأفكارنا وأن ينير بصيرتنا وأفهامنا لنعرف قول السيد "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه وماذا يُعطى فداء عن نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

ولربنا المجد من الآن وإلى آباد الدهور كلها. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من شهر أمشير

المسيح واهب السلام

«فقال لهم أنا هو لا تخافوا ....» (يو ٦ : ٢٠).

السيد المسيح، الملك السماوى، افتقر لكى يغنى كل من يؤمن به، إذ انصرف إلى موضع خلاء انجذبت إليه الجموع فجاءت إليه مشاة من المدن تطلب فيه شبعها الروحى. إنه كملك روحى شفى مرضاهم وأشبعهم روحياً وجسدياً أيضاً حتى فضل من الكسر "اثنتا عشرة قفة مملؤة" (يو ٦ : ١٣).

يقول معلمنا متى الإنجيلى: "وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة، وصرف الجموع. أما هو فصعد إلى الجبل".! فمن جهة التلاميذ، ألزمهم أن يدخلوا السفينة ليأمر العاصفة أو يسمح لها أن تثور، إن ربنا يسوع المسيح يحترم الإرادة البشرية ويقدسها، لكى حين يلقى الإنسان بنفسه فى يديه الإلهيتين بكامل حريته يلزمه السيد بالسلوك حسبما يريد. هذا ما نلمسه من قول الإنجيلى إنه ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة، وكأنهم إذ سلموا حياتهم فى يديه بكامل حريتهم كان يدفعهم إلى وسط البحر ليختبروا حضرته كسر سلامهم عند هياج العاصفة ضدهم. إنه يعرف ما هو لصالحهم، فيقدمهم إلى الطريق الكرب والباب الضيق، ليس إمعاناً فى آلامهم وإنما ليلتقوا به وسط الآلام كمصدر تعزية لهم.

هذا، ومن ناحية أخرى، فإن السيد ألزمهم بالعبور كمن يدفعهم إلى السير وسط تيارات هذا العالم ـ محمولين بالصليب، أى السفينة ـ ليجتازوا إلى الميناء السماوى فى البر الآخر. وكما يقول العلامة أوريجينوس: "هذا هو عمل تلاميذ يسوع، أقصد أن يذهبوا إلى الجانب الآخر، ويعبروا وراء الأمور المنظورة والمادية الزمنية، وينطلقوا إلى الأبديات غير المنظورة".

أما من جهة الجموع، فقد شبعوا من الطعام المادى وتوقفوا عند هذا الحد، فلم يكن

لهم أن ينعموا بالدخول فى السفينة والعبور إلى البر السماوى ....

أما السيد المسيح، فقد صعد إلى الجبل منفرداً، وكأنه قد ارتفع إلى السماء هناك ليلتقى مع الآب من أجل تلاميذه. إنه يصلى، أى يتحدث، مع أبيه مقدماً دمه الكريم شفاعة فيهم ليغفر خطاياهم. هذا هو الرصيد الذى يعيش به التلاميذ فى وسط التجربة عندما تهب العواصف، وأيضاً العون الحقيقى لهم للعبور إلى الأبدية. وبصعوده إلى الجبل يصعدون هم أيضاً معه وبه وفيه ليلتقوا مع الآب السماوى الذى يسندهم فى الضيق ويهبهم طبيعة الحياة السماوية.

صعود السيد إلى الجبل منفرداً ليصلى لا يعنى هروباً من الخدمة، وإنما تأكيداً للحياة العاملة المتأملة وخدمة الجماهير باللقاء السرى مع الآب.... حقاً ما أحوجنا إلى الجبل أو البرية لتسندنا أثناء جهادنا الروحى والرعوى. وكما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم: "البرية هى أم السكون. إنها الهدوء والميناء الذى ينجينا من كل المتاعب".

وكما يقول مار إسحق السريانى "أن مجرد النظر إلى القفر يهب النفس سكوناً، ويقتل شهوات الجسد فينا". البرية ليست مكاناً للهروب من الخدمة أو من العالم، لكنها بحق ميدان حرب روحية ضد إبليس نفسه فيه تفتضح النفس وتتكشف أعماقها : إن كانت ثابتة فى الرب، مجاهدة فى الطريق الروحى، أو خائرة ومستكينة. البرية تصقل الرجال وتزيدهم نضوجاً فى الروح، وتفضح المتهاونين وتعلن تراخيهم أو شرهم! يقول معلمنا يوحنا الإنجيلى فى العدد الثامن عشر "وهاج البحر من ريح عظيمة تهب". ما حدث هنا يقدم لنا صورة حية لقصة الخلاص كلها. فقد دخلت البشرية إلى وسط البحر فى الهزيع الأول حين سقط أبوانا الأولان فى الفردوس، وتعرضت حياتهما للموت الأبدى خلال الريح المضادة، أى خداع الشيطان. وفى الهزيع الثانى خارج الفردوس خضعت البشرية كلها وهى تحت الناموس الطبيعى للموت الأبدى أيضاً، ، وليس من يخلص أو ينقذ. وفى الهزيع الثالث قدم الله الناموس الموسوى الذى عجز عن إنقاذ الإنسان من الموت

والعبودية إلى حياة البر .أما فى ملء الزمان، وفى الهزيع الرابع ،وسط الظلام الحالك ،فقد جاء السيد المسيح مُشرقاً على الجالسين فى الظلمة ليخلصهم من الأمواج المهلكة إنه الشخص الوحيد الذى يقدر أن يتقدم إلى البشرية ماشياً على المياه ،ولا تقدر الرياح المضادة أن تقف ضده .أما الذين سبقوه فلم يستطيع أحد منهم قط أن يسير على مياه العالم أو يواجه الريح المضادة دون أن يغرق.

لقد تثقلت البشرية كلها بالخطية ،كما بالرصاص (زك ٥ : ٧)، فغاصت فى مياه غامرة (خر ١٥ : ١٠) .أما كلمة الله فهو وحده بلا خطية يقدر أن يرتفع على المياه فلا تبتلعه !.

حقاً، لقد تقدم إليهم السيد موجداً لنفسه طريقاً على المياه، أى على العالم، دون أن يبتلعه العالم كسائر البشر،وكان متجهاً نحو السفينة، كما إلى الصليب أو إلى الكنيسة، لكى يحمل تلاميذه معه فيها، ليكونوا معه وهو معهم، يكونون فيه وهو فيهم، عابراً بهم إلى الميناء الأبدى بسلام.

لقد تقدم إليهم وسط الأمواج الهائجة ليعلن لتلاميذه أن الضيقات هى المناخ الذى فيه يتجلى السيد وسط أولاده. إنه لا ينزع الآلام وإنما يتجلى أمام أعينهم معلناً حضرته وأبوته ورعايته قبل أن يهدىء الأمواج .

إنه لم ينزع الظلمة ولا أعلن ذاته لهم فى الحال، بل كما سبق فقلت أنه كان دائماً يدربهم على احتمال هذه المخاوف ويعلمهم أن يكونوا مستعدين للألم .

لم يعلن المسيح نفسه قبل أن يصرخوا إليه حتى إذا ما ازداد رعبهم يزداد ترحيبهم .. (القديس يوحنا ذهبى الفم). وإذا جاء السيد المسيح إلى البشرية فى هزيعها الرابع، والأخير، وسط الظلمة القاتمة، سائراً على الأمواج، ظن الكثيرون أنه خيال، فلم يدركوا حقيقة مجيئه، ولا فهموا أسرار عمله الخلاصى، ولا أمكنهم الالتقاء معه وإدراك وجوده كمخلص فى حياتهم.

تشكك البعض فى ناسوته، ككثير من الغنوسيين، حاسبين أن جسده وهم وخيال، وأنكر البعض لاهوته، كالأريوسيين... لكن الكلمة الإلهى المتجسد يعلن مؤكداً : أنا هو، لا تخافوا (يو ٦ : ٢٠). وكأنه يؤكد حقيقة تأنسه ووجوده فى وسطنا كَسِرْ قوة روحية وسلام، نازعاً عنا كل خوف. ولا يزال يسمح الله لكل مؤمن أن يدخل فى السفينة وسط الأمواج، حتى يستطيع أن يدرك حقيقة وجوده فى داخله، وسلطانه، إذ هو قادر أن يهدئ الأمواج الخارجية والداخلية، واهباً إياه سلاماً فائقاً بإعلان حضرته الإلهية فيه.

وله المجد دائماً آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من شهر أمشير

الطعام الباقى

قال السيد المسيح : «اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه» (يو ٦ : ٢٧).

كانت الجموع تطلب السيد المسيح لأنه أشبعها. بخمس خبزات وسمكتين إشباعاً تاماً وفاض عنهم الكثير. لذلك تهافتت الجموع عليه.

كانت الجموع ترى أن هذا هو القائد الذى يسيرون وراءه بإطمئنان لأنهم لن يجوعوا. وأحسوا أنه يعيد لهم أيام المن والسلوى. والقوت والكسوة دائماً تهم البشر. وكان الرب يحاول تكوين جموع مؤمنة به ومنفذة لتعاليمه. ومن بين المداخل إلى هذه الحياة الإيمانية أن يعمل أمامهم معجزات قوية تمس حياتهم وتعطيهم راحة. ثم هى أمور منها قوة الخلق من لا شىء. ومن ثم كان ينتظر منهم أن يعرفوا أنه هو الله. "الظاهر فى الجسد"(١تى ٣ : ١٦).

وليس الغذاء هو الطعام فقط. فالجسم يستفيد من الهواء والشمس. فإذا حُرم الجسم من الشمس ضعف وإذا حُرم من الهواء النقى ضعف. ثم أن الأخبار الطيبة تغذى الجسم "الخبر الطيب يسمن العظام" (أم ١٥ : ٣٠).

فالله يغذينا هنا بوسائل مختلفة، وأما فى السماء فالجسد بحالة روحية ولا يحتاج لغذاء مادى لذلك فالوجود مع الله هو الغذاء. وإن كانت هنا أشعة تحرك الأشياء كما نسمع أن أشعة تنقل الصور إلى جهاز التليفزيون وأشعة تحرك طائرة بدون قائد.

فليس بعيداً أن نتصور أشعة روحية تدخل إلينا وتغذى الروح.

وليس غريباً أن نتصور أننا هناك نظل نأخذ من أشعة النعمة ونتغذى ونحيا فلا هى تنتهى ولا نحن نجوع ولا نموت.

قال المسيح لتلاميذه: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا لأجسادكم بما تلبسون" (لو ١٢ : ٢٢). وقال أيضاً : "الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس" (لو١٢ : ٢٣) وطمأنهم قائلاً: "تأملوا الغربان... وزنابق الحقل" (لو ١٢ : ٢٤ ، ٢٧) يريد السيد المسيح منا نحن المؤمنين به الواثقين فى قدرته المتكلين عليه ألاَّ نطلب ما نأكل وما نشرب فقط وذلك لأن هذه كلها تطلبها الأمم. بل نطلب نحن الطعام الباقى (يو ٦ : ٢٧) وملكوت الله (لو١٢ : ٣١).

ذلك لأنه بطلبنا ملكوت الله نكون قد حصلنا على كل شىء لأنه إذا طلبنا ملكوت الله نكون قد سلمنا أنفسنا لله وهو سوف يرعانا فى كل شىء حتى فى الطعام الفانى"الرب راعىَّ فلا يعوزنى شىء" (مز ٢٣ : ١). والطعام الباقى الذى ختمه"هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا" (مت ١٧ : ٥).

وقد ختم الله يسوع ابن البشر لابشهادته المتكررة فحسب فى أكثر من مناسبة. أنه ابنه الوحيد. موضع مسراته وبإجراء مئات العجائب والآيات الخارقة على يديه. التى تثبت بوضوح أن يسوع هو ابن الله.

ولما سأل اليهود السيد المسيح عن الأعمال التى ترضى الله وتؤهلهم بالتالى للاشتراك فى الباقى قال لهم أن تؤمنوا بالذى أرسله "الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى" (يو٥ : ٣٧).

والطعام الباقى طعام روحى فى ذاته وأهدافه.

هو روحى فى ذاته لأن جسد يسوع وإن كان جسداً حقيقياً مثل جسدنا إلا أنه قد صار بقيامة يسوع من الأموات جسداً روحانياً ومن هنا هذه الآية لمعلمنا بولس الرسول: "جعل الأول آدم نفساً حية. وآدم الآخر أى يسوع روحاً مُحيياً" (١كو ١٥ : ٤٥).

وهو أى الطعام الذى يعطينا إياه يسوع وحده هو طعام روحى فى أهدافه. لأنه لا يعطى لحفظ أجسادنا بل لحفظ أرواحنا للحياة الأبدية. لأن فى الحياة الأبدية لن يكون

هناك "جوع ولا عطش ولا تعب ولاوجع ولازواج" لأن فى القيامة لا يتزوجون ولايزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء" (مت ٢٢ : ٣٠).

"وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم. والموت لا يكون فيما بعد. ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت" (رؤ ٢١ : ٤).

كما أن الطعام الروحى الباقى على عكس الطعام المادى الذى نحوله إلى ذواتنا فهو الذى يحولنا إلى ذاته.

فإذا كنا نؤمن بيسوع المسيح المعلم الإلهى الأوحد فما علينا إلا أن نقبل كلمته وهو الذى قال: "جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه. كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب. فمن يأكلنى يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن فى البرية وماتوا من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦ : ٥٥– ٥٨).

إذا عملنا للطعام الباقى فإننا نكون قد أصبحنا فى شركة دائمة مع الله وهو سوف يوجه حياتنا ويحركنا لمجد اسمه القدوس حتى إذا ما أصبحنا فى الحياة الأبدية تستنير وجوهنا من نوره العظيم. ونكون بلا عيب أمامه ولا نخجل لأن الخطية التى تبعدنا عن الله تكون قد قهرت.

وكما يقول المزمور "نظروا إليه واستناروا وجوههم لم تخجل" (مز ٣٤ : ٥).

وكما كان موسى قديماً الذى كلم الله منير الوجه كذلك نحن أيضاً إذا عملنا للطعام الباقى لأن ذلك سوف يقيمنا من موت هذا الجسد قال لها يسوع "أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا" (يو ١١ : ٢٥) لذلك يحثنا المسيح على العمل لِمَ هو أفضل تاركين للرب العالم بكل احتياج أن يعطى كل واحد منا باحتياجه قبل أن يسأل "لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (مت ٦ : ٨).

ثم نصحهم بقوله: "اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه" (يو ٦ : ٢٧).

وأراد المسيح بهذه النصيحة الغالية أن تحارب فيهم حب المادة وطغيانها عليهم. ويحرك فيهم الشوق إلى السمائيات.

وبنعمة الله نتكلم عن النقطتين الآتيتين :

أولاً ـ الجسد يشتهى ضد الروح :

ومخلصنا الصالح يعلم جيداً سلطان الجسد على الناس، وكثيراً ما تطغى الغرائز الجسدية على مطالب الروح، وتُنزل الإنسان من طموحه الملائكى إلى مرتبة الحيوانات العجماوات. لذلك يحارب السيد فينا حب المادة ولقد نبهنا إلى أن تمسكنا بالعالميات أكثر مما يجب يبعدنا عن الغرض الأسمى الذى خلقنا من أجله، وليس فى العالم إلا "شهوة العين وشهوة الجسد وتعظم المعيشة.. والعالم يمضى وشهوته" (١يو ١ : ١٦، ١٧) ولذلك أمرنا أن لا نهتم كثيراً بما نأكل ولا بما نشرب ولا بما نلبس عالمين أن الله يهيئ لنا كل ذلك كما يهبه لطيور السماء ولزنابق الحقل، ويأمرنا بأن نطلب أولاً ملكوت الله وبره وكل المطالب الأخرى يكفلها الله لنا.

أما هو فكان المثل الأعلى فى احتقار المادة، فعندما أتاه أحد الناس ليتتلمذ له زاعماً أنه سينال من هذه التلمذة غنى مادياً وفيراً، قال له يسوع "أن لطيور السماء أوكار وللثعالب أوجرة وليس لابن الإنسان مكان يسند فيه رأسه" (مت ٨ : ٢٠). وحينما جاءه بعض الناس يطلبون إليه أن يقسم بينهم ميراثاً تركه لهم قريب، قال لهم : من أقامنى فيكم قاضياً، ونصحهم أن يتوخوا القناعة والعدل فيما بينهم، ولم يرضَ أن يتدخل فى موضوع الميراث المادى.

والمسيح له المجد يحارب حب المادة فى كثير من الأحيان لأنها تعطل عمل الله بين الناس، فقد خسر عخان بن كرمى بخيانته حياته فرجم بوادى عخور وبلعام وأيضاً خسر

يهوذا الإسخريوطى مستقبله الروحى وخسر تلمذته للسيد، وخسر نفسه، لأنه تعلق بالمادة وشغف بها.

وكذلك فقد حنانيا وزوجته سفيرة ملكوت الله لحبهما للمادة، وأرتكابهما الكذب فى سبيل اكتنازها. وكذلك فقد المدعوون للعُرس بهجة المثول فى حضرة العريس الإلهى والتمتع بمباهج الوليمة العظيمة السمائية. لإنشغالهم بالماديات.

ثانياً ـ الروح تشتهى ضد الجسد :

ولذلك كانت مهمة مخلصنا الفادى هى إيقاظ الروح وانعاشها فعندما طلب منه الشاب أن يدله على الطريقة المثلى للحصول على الحياة، قال له "اذهب بع كل ما لك ووزعه على الفقراء لتكون لك الحياة الأبدية".

وعندما دخل بيت مرثا ومريم أختها، وأخذت مرثا تشتغل فى إعداد الطعام وتفرغت مريم لسماع كلمة الخلاص من فم المسيح واعترضت مرثا على أختها لأنها لم تقم بمساعدتها قال لها: "مرثا مرثا أنتِ مهتمة بأمور كثيرة والحاجة لواحد. أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح" (لو ١٠ : ٤٢). وعندما رأى السيد له المجد أن الفريسيين نزلوا بفضائل الصلاة والصوم والصدقة إلى درك المادة نبه أتباعه إلى الضرر الذى يصيب المتعبد من الهبوط بعبادته إلى هذا المستوى، وأمرهم أن يرتفعوا بصلاتهم، وصومهم وصدقاتهم إلى عالم الروح، ويوجهوا عبادتهم المقبولة إلى الله دون سواه، وأبوهم السمائى الذى يرى فى الخفاء يجازيهم علانية.

ولما سألته السامرية عن المكان الذى يجب أن يسجد فيه المؤمن لله، رفع روحها إلى عالم السماء بقوله: "أن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق يجب أن يسجدوا" (يو ٤ : ٢٤).

ولما رأى اليهود قد هبطوا بالعبادة إلى مستوى التجارة، وجعلوا الهيكل مكاناً للمساومات والبيع والشراء، غضب على القوم، وصرخ فيهم صرخته الداوية قائلاً : "بيتى

بيت الصلاة وأنتم قد جعلتموه مغارة لصوص" (لو ١٩ : ٤٦)، وأخذ يضربهم بالسوط حتى فرقهم وطهر بيت الله من رجس المادة.

وعندما رفعت امرأة صوتها وقالت "طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللتين رضعتهما" وجه نظرها إلى الروحيات بقوله: "بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويعملون به" (لو ١١ : ٢٨).

والمسيح له المجد يهتم بإيقاظ أرواحنا وانعاشها ليضمن لنا ميراث الحياة الأبدية لأن ملكوت الله روح وحياة ولا يرثه إلا الروحانيون.

والآن سل ضميرك ما موقفك بين الفانى والباقى : إن عندك الجواب فلا تخدع نفسك. اعكف على الصلاة واستماع كلام الله والتناول من الأسرار المقدسة لتستطيع أن تخطوا فى طلب الباقى.

ولكن أننا نشاهد فى هذه الأيام ابتعاد الشعب عن التقدم للتناول وعدم الإهتمام بغذاء نفوسهم فهم نيام أسكرهم العالم وخدرت أعصابهم وكادت قلوبهم تفتر تدريجياً وفضلاً عن صوت السيد الحنون القائل "تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨) وعن سهولة الاعتراف بالخطايا أمام الكاهن. ورغبة الكهنة فى اقبال الشعب كله على التناول وعدم وجود أى سبب فى الكنيسة يمنع الشعب عن الإقبال للتناول... فإن الشعب لا يزال فى فتور تام ونوم عميق. والمحبة فيه لم تكن قوية لرفع العثرات وإزالة جميع الموانع عملاً بقول معلمنا الرسول بولس القائل : "من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب أننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح... ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو ٨ : ٣٥-٣٩) وإذا قارنا

حالتنا الحاضرة من الفتور والإهمال والبعد عن سر الإفخارستيا بما كانت عليه أجدادنا في الأيام الماضية وتهافت نفوسهم وأشواق قلوبهم للإقبال عليه وبين حالتنا المحزنة الحاضرة، لعرفنا أنهم كانوا يتناولون الأسرار المقدسة في كل قداس كهنة وعلمانيين نساءاً ورجالاً بنين وبنات كما جاء في أوامر الرسل المؤيدة لهذه الأقوال إذا كانوا يقدمون قرابين كافية لمناولة الإكليروس والشعب وكل واحد يحضر إلى الكنيسة ومن لا يتقدم للمناولة يعتبر كوثني وعشار وإليك هذا النص.. (يقترب الأسقف وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور يتناول النساء وليرتل إلى أن يتناول القربان كافة المؤمنين .. ق ٧٢ ق ٧١ ومجمع نيقية ١٧-٢٠) ولا نزاع فإن سر الشكر الطعام الباقي هو غذاء خلاصي يقوى الجسد ويغذيه ويقوى النفس ويحييها ويشفى الضعف وتطهر من الخطايا والآثام ويجعلنا ثابتين غير مزعزعين وأقوياء غير مغلوبين في جهادنا ضد الخطية والعالم والجسد الله قادر أن ينبه نفوسنا إلى ما فيه خلاصنا والشكر لله دائماً.

عظة إنجيل قداس اليوم الثامن من شهر أمشير

عيد دخول المسيح طفلاً إلى الهيكل

«وعندما دخل بالصبى يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس» (لو ٢ : ٢٧).

اليوم الثامن من شهر أمشير هو عيد دخول السيد المسيح طفلاً إلى الهيكل، وهو بعد تمام الأربعين يوماً من ميلاده بالجسد.

وقد تمت نبوة ملاخى النبى مؤكدة مجئ المسيح إلى هذا الهيكل الذى يبنى قائلاً "ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به هوذا يأتى قال رب الجنود" (ملا ٣ : ١).

لقد أمرت الشريعة الإلهية من قبل. أن تأتى كل أم إلى الهيكل بطفلها وتظهر به أمام الله فى هيكله أى بيته، تعبيراً عن شكرها لصاحب العطية وخالقها، وتقدم مع طفلها تقدمة شكر لله. فإن كانت الأم غنية قدمت عن تطهيرها حملاً حولياً (خروف ابن سنة) محرقة، ومعه فرخ حمام أو يمامة، ذبيحة خطيئة فإن كانت الأم فقيرة قدمت عن تطهيرها يمامتين أو فرخى حمام : أحدهما محرقة، والآخر ذبيحة خطيئة، فيكفر عنها الكاهن فتطهر (سفر اللاويين ١٢ : ١ — ٨).

وبعد ما قدم فى الهيكل مع فداء البكر، عادت الأسرة المقدسة إلى الجليل إلى مدينة الناصرة موطنها الأصلى.

وفصل الإنجيل الذى يتكلم عن حياة المخلص فى الناصرة.

أولاً ـ إحضار يسوع للهيكل :

بعد أن تكلم الإنجيل على ختان السيد مضى يذكر إحضاره إلى الهيكل بأورشليم ليقدمه أبواه للرب بعد أن أتمت أمه أيام تطهيرها وأيام التطهير هى أربعون يوماً لمن تلد ابناً وثمانون لمن تلد ابنة، وفى ذلك تقول الشريعة "إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون

نجسة سبعة أيام. كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها. كل شئ مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجئ حتى تكمل أيام تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يوماً فى دم تطهيرها" (لا ١٢ : ١ – ٥).

ويرى بعضهم أن حكمة اختلاف مدة التطهير باختلاف المولود هى أنه فى الأربعين يوماً يكمل الجنين ويحصل فيه النفس، لأنه فى خلالها يكون لحماً جامداً لا حراك به ولا نفس، وأن الأنثى تتميز فى ثمانين يوماً.

ويرى البعض الآخر أن الأربعين يوماً هى بسبب النجاسة من الدم فى تلك الأيام فى حالتى الذكر والأنثى، ولكنها تضاعفت فى الشريعة للأنثى بسبب خطية حواء، لأنها قبلت مشورة الحية وأكلت أولاً من الشجرة فضوعفت المدة تذكاراً لخطيتها.

وصعد الوالدان بالطفل إلى أورشليم ليقدماه للرب فى الهيكل كما أمر الله قديماً حيث قال : "قدس لى كل بكر كل فاتح رحم من بنى إسرائيل من الناس ومن البهائم" (خر ١٣ : ٢).

والحكمة فى ذلك أن الله بعد أن ضرب أبكار المصريين وتجاوز عن أبكار الإسرائيليين أمر بأن يخصص كل الأبكار الذكور لخدمته بصفة كهنة كما تقدم.

وتكرر ذلك فى سفر العدد إذ جاء فيه :

"لأن لى كل بكر يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر قدست لى كل بكر فى إسرائيل من الناس والبهائم. لى يكونون أنا الرب" (عد ٣ : ١٣).

ثم أخذ الله كل سبط لاوى بدل الأبكار كلهم ليكونوا كهنة له وذلك حين قال لموسى: "وها أنى قد أخذت اللاويين من بنى إسرائيل بدل من كل بكر فاتح رحم من بنى إسرائيل فيكون اللاويين لى" (عد ٣ : ١٢) ولما كان ذكور اللاويين أقل بكثير فى

العدد من أبكار بنى إسرائيل فقد أمر الله أن يفدى كل بكر بخمسة شواقل (عد٣ : ٤٦ ، ٤٧) والشاقل يساوى ثلاثة عشر قرشاً تقريباً والأرجح أن يوسف ومريم أدوا هذا المبلغ مما يدل على تنازل المخلص لأنه رئيس الأحبار والهيكل الحقيقى. ولا يطالب أبكار المسيحيين بهذه العددية لأنهم بواسطة المسيح قد صاروا كهنة لله، بدليل قول الرسول: "وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة" (١بط ٢ : ٩).

وفضلاً عن فدية الطفل كان لابد للوالدة أن تقدم عن نفسها ذبيحة التطهير التى تنص عليها الشريعة إذ تقول: "ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها. هذه شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى. وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر" (لا ١٢ : ٦- ٨) وتقدمة مريم كانت من النوع الثانى مما يدل على فقرها على تنازل المخلص لأجلنا. وجعلت التقدمة بذبيحتين لا بواحدة لتكون إحداهما عن النفس والأخرى عن الجسد.

ثانياً ـ إنه مخلص الشعوب :

مضى البشير بعد ذلك بسرد ما كان من أمر سمعان الشيخ مع يسوع فقال أن سمعان كان ينتظر تعزية إسرائيل أى يتوقع ما يسر أبناء جنسه، لأن اليهود انتظروا أن يعزيهم المسيح على كل بلاياهم، ودليل ذلك أن ما قيل عن سمعان قيل مثله عن يوسف الذى من الرامة (مر ١٥ : ٤٣)، وحنة النبية (لو ٢ : ٣٦) وكلمة "إسرائيل" هنا لا يقصد بها هذا الشعب وحده بل سائر الشعوب ولا شك أن المسيح هو أعظم تعزية لجميع من يؤمنون به.

واختلفت الآراء فى سمعان، فرأى البعض أنه ابن سيراخ صاحب كتاب الحكمة وأنه بقِىَ نحو مائتين وخمسين سنة بقوة الروح القدس لكى يرى المسيح.

ورأى فريق ثانى أنه رئيس الكهنة، وأنه فى بعض الأيام لما بلغ إلى الموضع الذى قال النبى فيه أن العذراء تحبل وتلد ابناً تشكك فَبَقِىَ إلى أن رأى ذلك.

وهناك رأى ثالث وهو الذى تأخذ به كنيستنا ومؤداه أن سمعان كان واحد من الاثنين والسبعين الذين ترجموا التوراة لبطليموس من العبرانية إلى اليونانية.

وذكر البشير عن سمعان أن "الروح القدس كان عليه" ويريد بذلك ظهور الروح القدس بالوعد الذى وعد به من مشاهدة المسيح، فقد أزعجه حتى جاء إلى الهيكل ليشاهد المسيح وقت دخوله، ولو أن بعضهم يرى أن ذلك معناه أنه كان ملهماً من الروح القدس، بدليل قول الوحى عنه أنه قد أُوحِىَ إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب.

ويفهم من هذا أنه كان طاعناً فى السن، وأن عمره قد زاد على الوقت المعين للبشر، وأنه يموت على رؤية المسيح، وأن وعد الله إياه كان إجابة لصلواته ولما أُوحِىَ إليه من قِبلْ الروح القدس أن وقت إتمام ما وعد به قد حل ذهب إلى الهيكل، وعندما دخل يوسف ومريم ليقدما الطفل للرب ويؤديا عنه الفدية. حمله على ذراعيه محبة له وسروراً به، وسبح الله قائلاً : "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام" (لو ٢ : ٢٩). فكأنه وقد طال أجله ولم يبقَ له ما يرجو، طلب أن تنتهى حياته فى غير ألم أو وجع. أو قد يكون مقصده من كلمة بسلام التدليل على سروره برؤية المسيح وتحقق أمنيته، ورضا الله عنه وأطمئنانه إلى مصيره فى الحياة المستقبلية، ومن هذا القبيل قول إسرائيل ليوسف : "أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حى" (تك ٤٦ : ٣٠) وقول بولس الرسول : "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جداً" (فى ١ : ٢٣). وأوضح سمعان الباعث له على طلب الانطلاق بقوله : "لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك" أى مسيحك الذى هو رحمة للعالم وغفران لخطاياهم، والذى كان تجسده لهذه الغاية معترفاً به أنه لجميع الشعوب التى استنارت به من ظلمة الخطية، طبقاً لقول إشعياء النبى عنها "الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً. الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم

نور" (إش ٩ : ٢) وطبقاً لقول الوحى عنه "أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك؟ وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم (إش ٤٢ : ٦).

وطبقاً لاستنهاض إشعياء لهما بقوله: "قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليكِ لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم، أما عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى فتسير الأمم فى نوركِ والملوك فى ضياء إشراقكِ (إش٦٠ : ١ -٣).

وهذا الخلاص الذى كان نوراً للأمم تمجد به شعب إسرائيل إذ وُلِدَ المسيح منهم وبدأ تبشيره بينهم وصنع معجزاته فيهم.

أما يوسف ومريم فتعجبا من معرفة سمعان الشيخ، وهو غريب عنهما، لتلك الحقائق المتعلقة بيسوع، وباركهما سمعان كليهما، مريم لأنها استحقت أن تلد يسوع ويوسف لأنه عون لها، ثم قال عن الطفل أنه "وضع لسقوط وقيام كثيرين" أى وضع لتمادى غير المؤمنين به فى خطاياهم، مع رغبته فى خيرهم، ولنهوض الذين يؤمنون به من صرعه هذه الخطايا، فهو "لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة" (٢ كو٢ : ١٦).

كما قال الرسول وهو حجر العثرة لغير المؤمنين الذى تكلم عنه إشعياء النبى بقوله "ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتى إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم" (إش ٨ : ١٤)، وفيه يقول متى الإنجيلى "ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت ٢١ : ٤٤). يقول بولس الرسول: "فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى" (رو ٩ : ٣٢، ٣٣).

ويقول أيضاً "ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأما للمدعويين يهود أو يونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١ : ٢٣). ويؤيد بطرس الرسول هذا المعنى بقوله "فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما الذين لا يطيعون

. فالحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة" (١بط ٢ : ٧، ٨). وفضلاً عن كونه وضع لسقوط وقيام كثيرين فقد وضع لعلامة تقاوم، وهذه عبارة تنطوى على نبوة عن المقاومة التى كان مزمعاً أن يلقاها من بعض اليهود فقد سموه شيطاناً ومُضلاً وأقاموا عليه الحجة من شهود الزور واستهزأوا به ثم قتلوه.

وبعد ما تحدث سمعان وجه الكلام إلى أمه قائلاً : "وأنتِ أيضاً يجوز فى نفسكِ سيف" ويقصد بذلك الأحزان التى تنتابها حينما ترى اليهود يقاومون ابنها ويستهزئون به ويصلبونه، وقد يكون مراده الإشارة إلى ما يساورهم من اضطراب حين تريد إدراك ألوهيته حقيقة فلا تقدر، ومن أمثلة ذلك اضطرابها حينما حاول رجال الناصرة أن يطرحوه من الجبل (لو ٤ : ٢٩) وحينما جدف عليه الفريسيون، وحين قبضوا عليه كمهيج ومجدف ثم حكموا عليه بالموت. كل ذلك حدث على غير ما كانت تتوقع منه ولذا جاز سيف الحزن فى نفسها. وأوضح سمعان الحكمة فى ذلك بقوله "لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" وفى هذا إشارة إلى أنه ستأتى أيام تكشف فيها تعاليم المسيح سرائر الناس فتعلم أفكار قلوبهم الكثيرة، ويظهر الذين شكوا فيه لضعفهم، والذين شكوا لشرهم كالكهنة والكتبة، ويظهر ما كان من الخير فى قلوب الزناة والعشارين وما كان من الرياء فى قلوب الفريسيين.

ثالثاً ـ فاديها :

ذكر الإنجيل بعد الذى تقدم ما كان من أمر حنة النبية حيال الطفل يسوع لما أُدخل إلى الهيكل. وحنة هذه كانت نبية ملهمة من الروح القدس ومتقدمة فى أيامها. فلو فرضنا أنها تزوجت فى التاسعة عشرة وعاشت مع زوجها سبع سنين. وظلت أرملة من بعده أربعة وثمانين سنة، لكان عمرها مائة سنة وعشرة وهى مدة قل أن يبلغها أحد من الناس.

وكانت لا تفارق الهيكل أى لا تفارقه وقت الخدمة الدينية على ما عداها. وكانت عبادتها مقترنة بأصوام وصلوات ليلاً ونهاراً، وهكذا انطبق عليها قول الرسول أن "التى

هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً" (١تى ٥: ٥). فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب، واعترفت بأن الطفل هو المخلص المنتظر، وشكرت الله الآب على إرساله وبشرت به غيرها من جميع المنتظرين فداء فى أورشليم أى من الأتقياء الذين درسوا النبوات وفهموا منها أنه قد اقترب وقت إتمامها بمجئ المخلص ويظهر أن هؤلاء كانوا يأتون فى وقت الصلاة فتتاح الفرصة لحنة لتكلمهم عن المسيح.

رابعاً : العودة إلى الناصرة:

ويقول الإنجيل أن الأسرة حينما أكملت كل شئ من تقديم ذبيحة التطهير عن مريم، وتقديم الطفل فى الهيكل مع فداء البكر، عادوا إلى الناصرة موطنهم قبل ولادة يسوع.

وهذا لا ينفى أن العودة إليها لم تتم إلا بعد رجوعهم إلى بيت لحم وزيارة المجوس لهم وهربهم إلى مصر كما يتضح من (مت ٢: ١- ٢٣). وهو "ولما وُلِدَ يسوع فى بيت لحم... لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً لقد تم فى هذا اليوم المبارك قول إشعياء النبى.

"صوت مراقبيك. يرفعون صوتهم يترنمون معاً لأنهم يبصرون عيناً لعين عند رجوع الرب إلى صهيون. أشيدى ترنمى معاً يا خرب أورشليم لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم. قد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا" (إش ٥٢: ٨- ١٠).

فمن منا يجعل قلبه الآن هيكلاً للسيد ليدخل فيه؟ إذا حل المسيح فى قلوبكم فقد بلغتم العيد.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من شهر أمشير

شفاء ابن خادم الملك

«قال له يسوع اذهب. ابنك حى» (يو ٤ : ٥٠).

كان لابد لرب المجد، وهو فى طريقه من اليهودية إلى الجليل، أن يجتاز السامرة. وقد قضى فيها يومين، حيث آمن به كثيرون من أهلها بسبب حديثه المشهور مع المرأة السامرية، وبسبب ما سمعوه من تعاليمه المحيية. ولما سمع بعد اليومين أن هيرودس أُلقىَ بيوحنا المعمدان فى السجن انصرف إلى الجليل إذ، على حد قوله "لا كرامة لنبى فى وطنه" (يو ٤ : ٤٤) ودليل ذلك أنه حينما كان فى وطنه، الناصرة، بهت أهلها من تعليمه "وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات. أليس هذا ابن النجار" (مت ١٣ : ٥٤، ٥٥). ولما جاء إلى الجليل قبله أهلها لأنهم سمعوا بتحويله الماء خمراً وعاينوا ما فعل فى أورشليم فى العيد من إخراج الباعة من الهيكل. وفى قانا الجليل شفى ابن خادم الملك.

وفصل الإنجيل الذى يتناول هذا الموضوع يبين أن يسوع هو الملجأ لجميع المحتاجين إلى الشفاء، وأنه يتحنن عليهم ويبرئهم من أسقامهم، وأنهم يؤمنون به حين يشاهدون أعمال الشفاء الخارقة التى يجريها.

أولاً ـ يسوع ملجأنا :

لما جاء المخلص إلى قانا الجليل سمع بمقدمه خادم للملك كان له ابن مريض بحمى شديدة فى كفر ناحوم.

فجاء إليه من اليهودية إلى الجليل ملتمساً أن يصحبه إلى حيث المريض ليشفيه، إذ كان مشرفاً على الموت. ولا شك أن إيمان هذا الخادم كان ضعيفاً، إذ ظن أن المخلص لا يستطيع أن يشفى إلا حيث يكون المريض، وهو خطأ شبيه بالذى وقعت فيه مرثا حين

قالت لمخلصنا عن لعازر أخيها "لو كنت ههنا لم يمت أخى" (يو ١١ : ٢١).

والواقع أن مخلصنا يعمل كثيراً من معجزاته بمجرد كلمة أو أمر، وفى أماكن بعيدة عن الموضع. وهذا من خصائص القدرة الإلهية، ولا يقدر عليه مخلوق. فهنا، فى قانا الجليل مثلاً، شفى ابن خادم الملك المريض فى كفر ناحوم، كما سنرى. وفى الطريق شفى ابنة الكنعانية وهى على فراشها فى البيت (مت ١٥ : ٢٨) ... وهذه معجزات لا تدع لمنكريها مجالاً للتشكك فى حقيقتها بدعوى أنها مصنوعة بواسطة، كقوة الشيطان مثلاً أو بقوة طبيعية، لأن القوة الطبيعية لا يمكن أن تعيد الحياة إلى ميت أو البصر إلى مولود أعمى. هذا إلى أن القوة الطبيعية تستخدم وسائل مناسبة لغرضها، فى حين أن المخلص استخدم أحياناً وسائط مضادة لعمله المقصود، كإعادة البصر للمولود أعمى بطلاء عينيه بالطين. ويضاف إلى ذلك أن الأعمال الطبيعية تعمل عملها بمباشرة الموضوع وإتمامه بمرور الزمن، فى حين أن السيد كان يصنع كثيراً من آياته بمجرد اللمس أو الكلمة أو الإرادة، وفى أماكن بعيدة عن الموضع.

ثانياً ـ عطفه على طالبيه :

ويظهر أن إيمان هذا الخادم كان يشوبه بعض الشك فقد كان يتوقع أن يرى معجزة قبل أن يضع ثقته فى المخلص، وهذا ما حمل يسوع على مخاطبته قائلاً : "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب" (يو ٤ : ٤٨). إلا أن شدة الحزن ملكت عليه مشاعره، فلم يلقِ بالاً إلى قول المخلص، واندفع يلح عليه فى النزول لشفاء ابنه قبل أن يموت، معتقداً أن حضوره لابد منه للشفاء، وأنه لا يستطيع شيئاً بعد حدوث الوفاة، ورب المجد رفض الذهاب معه حتى لا يعتقد أن حضوره ضرورى للشفاء، وليقنع الجميع بأن الشفاء مستطاع لديه فى القرب والبعد على السواء. ولهذا قال للرجل : "اذهب. ابنك حى" وهكذا بكلمة أبرأه من ضعف الإيمان، وأبرأ ابنه من موت محقق. ولو قيست هذه الحالة على حالة قائد المائة التى ذكرها متى (مت ٨ : ٥ - ١٠) لرأينا البون شاسعاً فالقائد

طلب إلى المخلص فى إيمان عظيم ألا يحضر بل يقول كلمة فيبرأ غلامه، فأعلن يسوع إيمانه بالمضى إليه، أما هنا فزاد السيد فى إيمان خادم الملك برفض الذهاب معه.

ثالثاً ـ إيمانهم به :

ولما سمع الرجل قول السيد "ابنك حى، آمن على الفور وقفل راجعاً إلى بيته. وفيما هو فى الطريق قابله عبيده يحملون بشرى شفاء المريض. وكأنه أراد أن يستوثق أن الشفاء لم يأتِ عرضاً، فسأل العبيد عن الساعة التى تخلص فيها المريض من الحمى. فأجابوه بأنها السابعة. فثبتت لديه أنها اللحظة بعينها التى قال له فيها يسوع "ابنك حى" وكانت النتيجة الطبيعية أن آمن وأهل بيته بأن يسوع مخلص الجميع.

ولربنا المجد إلى أبد الآبدين ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من شهر أمشير

الخمسة خبزات والسمكتين

«وإنما قال هذا ليمتحنه.. ولما شبعوا قال للتلاميذ اجمعوا الكسر» (يو ٦ : ٦ ، ١٢).

أراد السيد المسيح أن ينال قسطاً من الراحة والاستجمام فأخذ تلاميذه ومضى إلى عبر الجليل وهو (بحيرة عذبة تستمد مياهها من نهر الأردن واسم بحر الجليل القديم بحر كنارة (عدد ٣٤ : ١١)ثم بحيرة جنيسارت (لو ٥ : ١) وبحر الجليل أو بحر طبرية (يو ٦ : ١ ، ٢١ : ١) وهو الاسم المشهور به بين العرب). ولكن الجموع إذ علموا بموضعه ومكانه تبعوه.

فنظر إليهم وأحبهم وترك الفرصة التى اختارها لراحته وابتدأ يخاطبهم ويكلمهم عن ملكوت الله وبهذا فضل أن يكون فى خدمة الجموع من أن يرتاح ولو قليلاً فراحته الحقيقية فى إراحة التعابى وهو الذى قال بفمه المبارك من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً فكل من يأتى إليه لابد أن يرتاح من أحماله الثقيلة وينال الشفاء من جميع أمراض الجسد والروح.

وهنا نتعلم أن هؤلاء الذين لما علموا بمكانه جاءوا إليه ليروه فأراد المسيح له المجد أن يعلمنا أن الأشخاص الذين يريدون أن يروا المسيح هم الأشخاص الذين يريد المسيح أن يراهم، ولذلك يقول معلمنا لوقا الإنجيلى فى الأصحاح التاسع عدد ١١ "أنه قبلهم وكلمهم عن ملكوت الله". أى رحب بهم أجمل ترحيب وأكثر من ذلك فإن "المحتاجين إلى الشفاء شفاهم".

فلماذا يقول الكتاب "والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم" (لو ٩ : ١١) دون غيرهم لأن السيد المسيح يريد أن يعلمنا أن المحتاجين إلى الشفاء هم الذين شعروا بحاجتهم إلى الرب وافتقارهم لعنايته ورعايته هو الذى يجذب إليهم الشفاء أو التمتع ببركات القدوس.

لم يصرف الجموع لئلا يخوروا فى الطريق، فكان لهم نعمَ الصديق والرفيق، إذ أشبعهم من بين يديه المباركتين، بعد أن آمنوا به واتكلوا عليه.

ومعجزة إشباع الخمسة آلاف ماعدا النساء والأولاد تحمل جزءاً لامعاً فى امتحان السيد المسيح لأحد تلاميذه فيلبس كما يمتحن الله دائماً قديسيه ومؤمنيه. فيتحدث الكتاب المقدس عن أربعة أراد الله إمتحانهم فمنهم من قد رسب فى الإمتحان، ومنهم من قد نجح بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف!! وتفصيل ذلك يتضح فيما يلى :

أولاً ـ امتحان فيلبس فى الإيمان به :

خرج وراء السيد المسيح جموع غفيرة أمكن عد خمسة آلاف منهم بينما يزيد عددهم أضعافاً مضاعفة وكانت جموعاً شاردة، كغنم لا راعى لها وكانت جموعاً جائعة وأى طعام كان يكفيها، وكانت جموعاً مريضة وأى طبيب يداويها. ولما رآها يسوع على هذا الحال، انتحى بفيلبس جانباً، وعقد معه امتحاناً حكيماً ومجيداً، وكان جوهر هذا الإمتحان فى مدى إيمان هذا التلميذ به فوجه له هذا السؤال :

س ـ من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء ؟

جـ ـ لا يكفيهم خبز بمئتى دينار ليأكل كل واحد منهم شيئاً يسيراً وهذه الإجابة بمثل هذه الصورة تظهر لنا الحقائق التالية :

(أ) أن فيلبس كان يجيد العمليات الحسابية، لذلك اختصه السيد دون سواه من التلاميذ لتقدير عملية إشباع الجموع.

(ب) أن فيلبس وصفاته كما أسلفنا قد تجاهل أو نسى أن يعمل حساباً لوجود سيده، فأراد أن يدبر الأمر بعقله البشري، وإمكانياته الحسابية فوضع ميزانية إطعام الجموع لتكون بمئتى دينار.. ليأخذ كل واحد شيئاً يسيراً.

(جـ) أن فيلبس مع بقية التلاميذ كان متمملاً لوجود هذا الجمع الغفير، ولا يريد

أن يعمل من أجله شيئاً، وهروباً من مجال الخدمة اشترك مع زملائه التلاميذ بقولهم للسيد المسيح "أصرف الجموع ليذهبوا إلى القرى والحقول التى حولنا ليستريحوا ويجدوا ما يأكلونه لأننا ههنا فى موضع قفر.

لذلك افتكر أنه يصعب الأمر على السيد المسيح وأظهر ضرورة الحصول على مئتى دينار، فحتى أن وجدت فلا يمكن إشباع هذه الجموع بثمنها خبزاً.

(د) لم يتذكر فيلبس المعجزات الشفائية الخارقة للطبيعة، التى أجراها السيد المسيح أمامه وبحضوره.. ولكن فيلبس اعتمد على الجهد الإنسانى فقط وعمل اللازم نحو تقديم الخدمة الذاتية متجاهلاً عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا. لذلك سأل السيد المسيح فيلبس ليمتحنه !!

وهذا كان جواب ذلك التلميذ، فماذا كانت نتيجة الإمتحان ؟

مسكين فيلبس لقد رسب فى الإمتحان وأخذ درجة ضعيف جداً وهنا لاحظ أحد التلاميذ وهو أندراوس أخو بطرس أن يفسح المجال قليلاً لفيلبس ويفتح له باباً للإجابة تحوى شيئاً من بقية إيمانه فقال : "هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان" (يو٦ : ٩) وحتى هذا التلميذ أضعف إيمانه إذ أردف قائلاً ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟

وأراد المسيح له المجد أن يعطيهم درساً عملياً ليؤمنوا به، ويثقوا فيه وفى قدرته الفائقة فأمر أن تقدم هذه الأرغفة الخمسة التى لا تشبع أكثر من اثنين ليروا ويعلموا ماذا يريد أن يفعل بها وكان يسوع عالماً ماذا يصنع، فتناولها ... وبارك وكسر، وأعطى التلاميذ ليقدموا للجموع التى أكلت وشبعت وفضل عنهم من الكسر اثنتا عشر قفة مملؤة.

ثانياً ـ امتحان أيوب فى محبته وصبره:

إن كان الله يريد أن يمتحن الإنسان فى الإيمان به كفيلبس فهو أيضاً يريد أن يمتحنه فى محبته كأيوب الصديق. ولقد شهد عنه الكتاب المقدس بأنه كان "كاملاً ومستقيماً وليس مثله" ولكن مع هذا البر الكامل سمح الله للشيطان (أبو الحسد

والتجارب) أن يمتحن أيوب فى محبته لله، فضرب الشيطان أيوب ضربة شديدة ليس نظيرها قط فى كل العالم .. إذ كانت فى فقد ممتلكاته وأولاده وصحته. ولكن أيوب مع هذا كله لم يخطئ ولم ينسب لله جهالة. بل قال شاكراً "الرب أعطى، الرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً" (أى ١ : ٢١).

ومع هذه الضربات الشديدة قيل أنه لم يخطئ أيوب بشفتيه وليس من ينكر تذمر أيوب وتضجره عندما أساء إليه أصحابه الثلاثة بلدد الشوحى، وصوفر النعمانى، وأليفاز التيمانى إذ نسبوا له استحقاقه لهذا البلاء، ولكن الله وبخهم قائلاً، "لم تقولوا فىَّ الصدق كعبدى أيوب" (أى ٤٢ : ٧) وفى نهاية الإمتحان نجح أيوب بتقدير جيد جداً عندما نطق بلسان الحمد والشكر.

"بسمع الأذن سمعت عنك، وأما الآن فقد رأتك عيناى" (أى ٤٢ : ٥).

ثالثاً ـ امتحان إبراهيم فى طاعته :

لقد أجرى الله مع أب المؤمنين امتحاناً شديداً وقاسياً جداً، فقد أمره الله أن يأخذ ابنه وحيده، الذى يحبه إسحق. ويقدمه محرقة على الجبل الذى سيريه إياه.. فبلا تردد وبدون أدنى شك فى طاعته لله، الذى سار معه منذ صباه وسلم له قياده ومشتهاه.

أخذ إبراهيم إسحق ابنه المحبوب وابن الموعد وجاء به إلى مذبح المحرقة الذى ابتناه بيديه، وربطه ووضعه على الحطب المستعد للإشتعال بالنار وأخذ السكين ليذبحه.

فناداه الرب قائلاً "أمسك يدك ولا تفعل به شراً" (تك ٢٢ : ١٢) فنجح إبراهيم فى امتحان الطاعة وذلك بتقدير امتياز إذ باركه الرب وبارك نسله الذى فيه تتبارك جميع قبائل الأرض.

رابعاً ـ امتحان الرسول بولس فى وداعته :

اختطف بولس إلى السماء الثالثة ورأى : "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم

يخطر على قلب إنسان" (١كو ٢ : ٩) ولكى لا يفتخر بفرط الإعلانات أُعطِىَ شوكة في الجسد.

وليظل وديعاً متواضعاً، ألم يقل عن نفسه أولاً بأنه "رسول يسوع المسيح" ثم ازداد فى وداعته وقال ثانياً بأنه "عبد ليسوع المسيح" ومرة ثالثة زاد تواضعاً وإنكاراً لذاته فقال بأنه "أسير يسوع المسيح" وازداد تواضعاً فقال "أنا الذى مثل السقط ظهر لى أيضاً" وفى آخر الأمر قال "أنا الذى لست شيئاً"

وهكذا نجح بولس فى امتحانه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

وهكذا يمتحن الله أحباءه ومؤمنيه وقديسيه بأنواع كثيرة وطرق مختلفة، وذلك لكى يوطد إيمانهم له، ومحبتهم فيه، وطاعتهم له، ووداعتهم قدامه

فلا عجب أن كان قد امتحن فيلبس فى مسألة إشباع الجموع من خمسة أرغفة وسمكتين وهنا تتجلى أمامنا هذه الآية.

إن بركة الرب تغنى ولا يزيد معها تعب.

وله المجد إلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من شهر أمشير

تفتيش الكتب المقدسة

«فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية» (يو ٥ : ٣٩).

الكتاب المقدس أعذب من سلسبيل الماء، وأشهى من الذهب الإبريز، وأحلى من العسل وقطر الشهد. ومع هذا فقلما تجد من يحس بعطشه إليه أو يعترف بفقره أو يشعر بمرارة نفسه.

كلماته حياة، وعباراته روح، ومعرفته طريق النجاة، وشهاداته صادقة، ومع هذا فما أكثر الموتى ووسيلة الحياة إلى جانبهم! وما أكثر الضالين وطريق النجاة قريب منهم! وما أكثر المتشككين وشهاداته لا يأتيها الباطل من خلفها، ولا من بين يديها.

قديماً قرأه اليهود وأحصوه حروفاً وكلمات، وحفظوه عن ظهر قلب، ولكن بدا لهم أخيراً أنهم قرأوه فى غير وعى، وأحصوه فى غير تدقيق، وحفظوه فى غير فهم، فاستحقوا أن يقال لهم "فتشوا الكتب" (يو ٥ : ٣٩).

واليوم يقع المسيحيون فى نفس الخطأ.. فهم يتشدقون بأنهم فلاحو الكتاب المقدس والحافظون له، لا يباريهم أحد فيما استظهروا منه ويؤسفك أن ترى حياتهم لا تسير وطريق الكتاب، وعلمهم لا يؤيده عملهم. فهم فى حاجة إلى أن يقال لهم "فتشوا الكتب"

وغيرهم يعرفه، ولكنه بالنسبة لهم كتاب قديم وسفر عتيق، بينما هم أبناء العصر الحديث. ونحن لا ننكر أنه قديم، عتيق لأن عتيق الأيام هو الذى أُوحِىَ به ولا ننكر أنه قديم، لأن باعثه قديم فى أيامه، منذ الأزل.

وقد مرت القرون، وبقِىَ هذا الكتاب القديم العتيق دون أن يبلغ به مرور الزمن حد الشيخوخة والفناء كسائر الكتب القديمة التى شاخت واضمحلت فزالت تعاليمها وذابت علومها فى بحر شمس الكتاب المقدس. وهؤلاء يستحقون أن يقال لهم "فتشوا

الكتب" هاجمه الملحدون وتفنن الأباطرة فى محاولات إفنائه، لكنه ثبت على وجه الزمن لتلحقهم لعنته، وانتهى إلينا نقياً من كل غش، طاهراً من كل عبث، قوياً جباراً، يهدِ بمعول حقه صروح الأباطيل والضلال.. وهذا الكتاب كنز مخبوء عند البعض، بل عندنا جميعاً. فلماذا يجب أن نفتشه ؟

يجب أن نفتش الكتب لنخضع لتعاليمها :

فما أكثر الذين يريدون أن يبنوا حياتهم الروحية، غير أنهم يبنونها بعيدة عن الهدف الأسمى من تعاليم الكتاب. فيهم فضائل ولكنها ربما، إذا قيست بتعاليم الكتاب، كانت أقرب إلى الرذائل. فقد يبدو العمل أمام الواحد منهم نوراً ساطعاً وهو، إذا قيس بتعاليم الكتاب، كان ظلاماً دامساً.

فقد يحسدون، إذ لم يعرفوا من الكتاب ما هى الغيرة الحسنة. وقد ينتقدون عن هوى، وهم لا يعلمون الفرق بين الإنتقاد والإرشاد. وقد يدينون الآخرين، وهم لا يدرون الفارق الكبير بين الدينونة والإصلاح.

وداود النبى والملك يتحدث فى تعاليم الكتاب فيقول: "أيضاً عبدك يُحذرُ بها وفى حفظها ثواب عظيم" (مز ١٩ : ١١).

وعن يقين، يمكن القول إن الذين يسلكون فى حياتهم الروحية بهدى الكتاب ويسيرون بنوره هم أفضل وأكثر ثمراً صالحاً ممن اتخذوا حياة الروح ارتجالاً، دون تدقيق أو ممن ساروا بغير هدى منه ونور. وثمة شئ آخر يلزم معه أن نفتش الكتب.

إننا يجب أن نفتشها لنقبل الحق المعروض علينا فيها:

... حق الخلاص والفداء. لذلك نبه الرسول يعقوب الأذهان إلى هذه الحقيقة، إذ يقول: "اقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم" (يع ١ : ٢١). والوداعة واللين والشوق تفتح الأذهان للترحيب بكلمات الكتاب المقدس، فتتعمق إلى القلب، متأصلة فيه. وحينئذ تصبح هذه الكلمات أداة قوة فى يد الله، يخلص بها النفس من

الموت، ويصبح إنجيل المسيح "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به" (رو ١ : ١٦)، وليس فى قلب الإنسان ما يبعث فيه القداسة من تلقاء نفسه أو ما يسير به نحو الخلاص ليتمتع به، وإنما يتأتى ذلك كله بقوة كلمة الله حين يغرسها فى القلب المستعد.

فما أعظم تأثير هذا الكتاب! وما أقوى انتصار حقه عند المستعدين لبحثه وتفتيشه!.

لماذا لا نفتش الكتب لنحفظها عن ظهر قلب، كما يقولون؟ كثيرون يحفظون النظم والنثر فى أغراض متنوعة : وربما حفظ غير المعتدلين فى حياتهم شعر الهجاء والغزل أو النثر القبيح، ونسوا أن الكلمات المقدسة أعظم تأثيراً فى النفس لتهذيبها وتقديسها من أرقى أنواع الكلام من منظوم ومنثور.

ولماذا نال تيموثيئوس المديح إذ كان الابن الصريح فى الإيمان؟ أليس لأنه منذ الطفولة حفظ الكتب المقدسة القادرة أن تحكمه للخلاص؟ وهل يغرب عن ذهننا ما اعتاد عليه اليهود وعودوا عليه أبناءهم من حفظهم الشريعة فى طفولتهم ومحاسبتهم عليها حساباً دقيقاً كما يحاسب الرجال الكاملون إن هم أخطأوا؟

وهذا ماحدا بالشاب الغنى أن يقول للسيد المسيح، له المجد: "هذه كلها حفظتها منذ حداثتى" (مت ١٩ : ٢٠)، وحين كان داود يحس بالسأم والملل، ألم يكن يهرع إلى مزاميره يرتلها ؟

لقد أحسن حين تحدث عن الرجل الكامل، فقال إنه : "فى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" (مز١ : ٢)، ولعل الذين يحفظون المزامير عن ظهر قلب يحسون بنشوة فرح مقدس إذا هم تلوها ترتيلاً قلبياً أو تلوها تلاوة مقدسة، والسيد نفسه، له المجد، دلل على حفظ الشريعة غيباً حين كان يخاطب الناس فيقول لهم : "أليس مكتوباً فى ناموسكم؟ "وقد وضع لهذه الفضيلة مثلاً جميلاً، فقال : "كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء" (مت ١٣ : ٥٢).

وما كنوزه الأولى إلا مدخرة وموفورة فى الكتب المقدسة. وأولئك الذين طلب إليهم

أن يكونوا مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم، كيف يكون استعدادهم لإجابة بغير حفظ الكتب وتفتيشها، لا سيما فى عصرنا الحاضر الذى امتلأ بالمعلمين المزورين المضلين والمضللين؟ ولعل الحق واضح فى أن عيب بعض الأرثوذكس بنوع خاص أنهم إذا فوجئوا بأحد هؤلاء يناقشهم ويجادلهم خرجوا من النقاش مهزومين أو على الأقل، مزعزعين. وليس لذلك من سبب غير عدم قراءتهم الكتب المقدسة، مفتشين فيها عن حقائق الإيمان وحافظين لما يثبت عقيدتهم المستقيمة من آيات بينات.

سوف يعجز الكثيرون عن حفظ الكتاب المقدس أو استظهاره. وفى هذه الحالة يصبح من الواجب قراءته قراءة منتظمة لتصيد ما فيه من لآلئ الكلام، مما يزين العقل والقلب، مع عدم الاكتفاء بالقراءة السطحية البعيدة عن هدى الروح القدس أو القراءة دون العمل، لأنه "طوبى للذين يسمعون كلام الله ويعملون به" (لو ١١ : ٢٨)، وطوبى لمن تعلم وعمل بما تعلم.

لماذا لا نفتش الكتب لنصل بحقائقها وتعاليمها إلى الآخرين، لكى يكون لكل مؤمن رسالة الله المقروءة من جميع الناس؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟

ونحن نعلم أن محيط الكرازة غير محدود بجدارن الكنيسة، وأن الذين نيطت بهم الكرازة لا يستطيعون أن ينقلوا حقائق الكتاب الواضحة إلى كل نفس فى كل شارع وبيت. وشهادة البشير يوحنا عن أندراوس الرسول تدل على عنايته بحفظ الكتب المقدسة وتفتيشها، إذ يقول عنه إنه وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له : "قد وجدنا مسيا الذى تفسيره المسيح" (يو ١ : ٤١).

ومن ثم جاء به إلى يسوع. وهكذا كان أندراوس، بحفظه المكتوب، وساطة مقدسة فى الإتيان بأخيه إلى السيد المسيح. وهذا أيضاً ما قاله فيلبس مع نثنائيل، إذ قال له: "قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء" (يو ١ : ٤٥) ولعلنا حين نرى رب

كل بيت حافظاً أو قارئاً مدققاً لكتاب الله، ينقله إلى أفراد أسرته ويحدثهم بما فيه من كنوز مذخرة ومواعيد مشجعة، نستطيع عندئذ أن نقول له : "سلم على الكنيسة التى فى بيتك".

أيها الآباء والأمهات، إن كتباً كثيرة تدخل بيوتكم خلسة، كامنة فيها كمون اللصوص، وهذه قد تزيغ بأبنائكم وبناتكم عن الحق الصريح وتطيح بهم بعيداً عن الفضيلة، بل عن الإيمان الثمين بالمسيح الفادى الكريم. فلماذا لا تجعلون الكتاب المقدس هدفكم الأول فى القراءة ليتحول البنون والبنات عن قراءة الكتب التافهة ويقبلوا على قراءة كتابهم المقدس؟

إنهم لن يفعلوا هذا إلا إذا كنتم أنتم تفتشون الكتب المقدسة قدوة لهم.

أيها المسيحى الحبيب :

هل تقرأ الكتاب المقدس؟ هل تفتش فيه عما حوى من درر التعاليم ؟ هل تقبل على قراءته لتعرف بمن تؤمن ؟ ولماذا تؤمن ؟ هل كشفت أثمن المعتقدات واتخذت من قراءته طريقة للعبادة ؟ هل تقرأ لتعرف كيف تعيش، وتفتش ما فيه لتزن سلوكك وإيمانك وعملك بميزان كلماته ؟ هل اتخذته مرآة صافية تريك حقيقة نفسك وتكشف لك عما يبدو منك فى غير رياء ولا خداع ؟

إن لم تكن، أيها المسيحى، ممن يفتشون الكتب المقدسة، فاعزم من كل قلبك الآن أن تكرس دقائق من كل يوم تقرأ فيها بعض ما فى كتابك، وسوف تجد أنه سيحلو لك أن تقرأ فيه كثيراً وكثيراً حتى لا تكاد تشبع من دسم تعاليمه.. أرجو لك ذلك بنعمة الله الذى يأمرنا قائلاً : فتشوا الكتب، لأن كلمة الله :

+ نور نسترشد به وسط ظلمات الحياة.

+ طريق الحكمة، يسمعها الحكيم فيزداد علماً.

+ الطريق المضمون للنجاح.

+ الواسطة لخلاص النفس من الخطية.

+ سيف الخلاص وغذاء الروح وتعطى القلب فرحاً وسلاماً وتعزية وقت الآلام والأحزان.

+ وأخيراً تمنح الحياة الأبدية.

وله المجد دائماً أبدياً ـ آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر أمشير

الســـر العظيـــم

«أنا هو خبز الحياة من يُقبل إلىَّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً» (يو٦ :٣٥).

سر الإفخارستيا هو الغذاء الروحى الذى خُصص للنفوس فى برية هذا العالم المقفرة المملوءة بالمتاعب والأحزان وهو طعام المؤمنين الذى ينميهم فى النعمة ويؤهلهم للحياة الأبدية ويجعل الكل متحداً مع المسيح له المجد ويربطهم مع بعضهم رباط المحبة الكامل كما قال فى مثله أنا الكرمة وأبى الكرام وأنتم الأغصان.

وكم تكون تعزية النفوس والقلوب حينما نقبل على هذا السر المبارك بشغف وشوق بعيدة عن الخطايا والأفكار الشريرة المعطلة.

ولا نتذكر فى تناوله فقط موت المسيح من أجلنا بل نتذكر أننا أيضاً قد انتقلنا من الموت إلى الحياة الأبدية التى تشرق علينا أنوارها ونحن على هذه البسيطة. فهو طعام شهى دسم لذيذ محيى معطى القوة للنفوس كما أن الطعام البائد يعطى القوة للأجساد وإليك الأدلة الروحية التى تناولت هذا السر "أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أُعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل العالم" (يو ٦ : ٤٨-٥١).

"وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى اصنعوا هذا لذكرى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦ : ٢٦- ٢٨).

فكم تكون معانى هذه الأقوال الطاهرة المقدسة أمام أسماع البشر الذين لهم محبة

المسيح فى قلوبهم وكم يكون شغف السامع حينما تملك هذه الكلمات الطاهرة على قلبه أنها تخضعه إلى الرضا لتنفيذ رغبة السيد المسيح فيقبل إلى سر الإفخارستيا بكل طهارة ونقاوة واستعداد تام لكى ينال البركات الموعود بها فى هذه الآيات.

وقد أيد معلمنا الرسول بولس هذه المعانى والأقوال عن رغبة فى نفسه ولكى يعلمنا فقال "كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح. الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد... لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة الشياطين" (١ كو ١٠ : ١٦، ١٧، ٢١).

وقد ذكر هذه التنبهات والتحديات لكى يستلفت نظر الذين يقبلون على هذا السر المبارك أن يكون عندهم فى نفوسهم الكمال والتقوى وسلامة الضمير وراحة كاملة لكى يقبلوا للسر عن استحقاق تام كما قال أيضاً ...

"لأنى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً. إن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هى للعهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ. إذاً أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه.. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٩).

وهذا المعنى الكامل فى التدقيق الكلى هو لتفتيش النفس والقلب معاً قبل الإقبال إلى سر التناول المقدس. لأن عظمة هذا السر تستدعى هذا التحذير الشديد لأن الذين يدخلون خلسة للفخر والرياء وهم فى داخلهم ذئاب خاطفة وأشرار متخاصمون مجدفون حاقدون نمامون مفترون سالبون فقد اعتبرهم الكتاب المقدس والكنيسة أنهم مجرمون فى جسد

الرب ودمه.

لا نقول هذا القول لكى يهرب الناس من الإقبال على هذا السر بل نُذكره لِمَ علينا من المسئولية الكبرى الدقيقة فى تعليم الناس بأن يعطوا لهذا السر الكرامة الكاملة والاحترام الكلى لكى تملأ قلوبهم البركات وتسطع فى نفوسهم أنوار يسوع المشرقة.

إن الكلام فى الاستعداد للتناول من العشاء السرى هو من الأمور المهمة والتى يحتاج المؤمنون لتفهمها ولاسيما فى هذه الأيام التى تضاربت فيها التعاليم حتى اختلطت معظم الحقائق فوقف الشعب بإزائها موقف الحيرة والارتباك.

إن معرفة شروط الاستعداد اللائق بالتقدم للسر المقدس لازمة لأن عدم فهم معنى الاستعداد الصحيح قد قاد الشعب للوقوع فى غلطتين كل منهما أمرُ من الأخرى.

أما الغلطة الأولى فهى احجام الكثيرين عن التناول من الجسد والدم الأقدسين مع وجود الرغبة عندهم وهذا لِمَ يعتقدونه فى الاستعداد من الصعوبة الموهومة التى لا طاقة لهم باحتمالها. وذلك ما جعل الذين لهم فكرة عن العيشة مع الله لا يتقدمون للتناول من سر الشكر إلا نادراً مع أن عادة الكنيسة الأولى كانت هى اقتراب المؤمنين من العشاء الربانى فى كل خدمة وبسبب ذلك ساد روح التراخى المحزن الذى نشاهده اليوم فى أبناء الكنيسة من جهة ممارستهم للتناول من السر المقدس.

أما الغلطة الثانية فهى على عكس سابقتها. وهى استباحة الكثيرين أكل جسد الرب وشرب دمه بدون الاستعداد المطلوب. فكم من مرات فيها قد برهن فحص المتقدمين للتناول على جسارتهم فى هذا الأمر وجهلهم التام بوجوب الاستعداد للشركة المقدسة بما يليق بها من الكرامة. أولئك الذين قد صاروا شركاء ليهوذا الإسخريوطى الذى باشتراكه مع التلاميذ فى الوليمة المقدسة ولكن بقلب غير مستعد يقول عنه الكتاب "فبعد اللقمة دخله الشيطان..." (يو ١٣ : ٢٧).

وأنه لأمر يحتاج لشرح ما فى هذا الأمر من الخطورة والكتاب ينذر صريحاً قائلاً : "إذاً

أى من أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١ كو ١١ : ٢٧ ، ٢٩) و "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠ : ٣١)

إذن فالكلام عن الاستعداد للسر هو حاجة من أولى حاجات الشعب ولا سيما فى وقتنا الحاضر. وفى الكلام عن الاستعداد نشير إلى أربع حقائق وهى :

١ ـ ما هى حياة الاستعداد الواجبة.

٢ ـ معنى الاستعداد.

٣ ـ طريق الاستعداد.

٤ ـ سهولة الاستعداد وإمكانيته.

١ ـ ما هى حياة الاستعداد الواجبة

إن حياة الاستعداد الواجبة هى الحياة التى توافق روح دعوتنا كأبناء لله ومفرزين لمجد اسمه وكوارثين لملكوته الأبدى الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل وتتلخص حياة الاستعداد المقدسة فى أربعة أمور رئيسية وهى :

١ ـ واجبات التعبد لله.

٢ ـ تقديس حقوق الرب فى الحياة.

٣ ـ تقديس إرادة الله فى الحياة بالتصرف اللائق.

٤ ـ القيام بالواجب نحو الآخرين.

وهى بالتفصيل كما يأتى مع الاختصار.

أولاً ـ المواظبة على الصلاة صباحاً ومساءاً والقراءة فى الكتاب المقدس يومياً والمواظبة

على حضور الكنيسة والاجتماعات الروحية وعدم التخلف عنها إلا للضرورة والتناول من العشاء الربانى بمواظبة وبدون انقطاع (فى أيام الآحاد أو الجمع) كعادة الكنيسة الأولى عندما كان المؤمنون يتناولون من الشركة المقدسة فى كل يوم أحد (أع ٢ : ٤٢- ٤٧).

(للمتزوجين) تقديس واجب الصلاة العائلية فى البيت.

ثانياً ـ تقديس حق الرب فى الوقت بحفظ يومه دون أن يعمل فيه عمل ما لا تحتمه الضرورة وطالما لا يوجد التزام من سلطة أعلى بالعمل يقضى الوقت فى الراحة الكلية والانشغال بالعبادة (خر ٢٠ : ٩-١١ وأعطاؤه جزءاً من المال (ملا ٣ : ٧- ١٢).

ثالثاً ـ تقديس إرادة الله فى الحياة والتصرفات بحفظ جميع الأعضاء طاهرة كمن قد قدسها المسيح بدمه، مع الاحتراس من كل أنواع النجاسة ومن معاطاة الخمور على مختلف أنواعها والعيشة كجندى صالح مقاوماً حتى الدم فى الجهاد ضد كل خطية (عب ١٢ : ٦ ، أف ٦ : ١٠- ٢٠) ومعاملة الآخرين كمسيحى حقيقى بروح المحبة واللطف والصفح والمسالمة (مت ٥ : ٢٣، ٢٤، ٢٨ - ٤٨ ، كو ٣ : ١٢- ١٤، رو١٢ : ١٤- ٢١).

(للنساء والفتيات) تحريم التزين الغير اللائق بالحشمة المسيحية فلا يوضع على الوجه شئ من الأصباغ ويكون اللباس كامل الصدر والأكمام إذ أن هذه كلها خطايا مهلكة وإتباع الموضة ومجاراة التيار لن يبرر أمام الله (١تى ٢ : ٩، ١٠، ٥ : ٦ ، ١ بط ٣ : ١ - ٦) ولا يكثر من المرور فى الشوارع بلا داعٍ ويتجنب على قدر الإمكان التعرض لأنظار الآخرين (تى ٢ : ٤، ٥).

رابعاً ـ القيام بالواجب المسيحى من نحو الآخرين أولاً بالصلاة عنهم لخلاص الخطاة وتعزية الحزانى وشفاء المرضى وفك ضيقة المتضاقين (١تى ٢ : ١، ٢ ، يع ٥ : ١٦، ١ يو ٥ : ١٦).

وثانياً بالإجتهاد فى إرشاد الضالين (يع ٥ : ١٩، ٢٠) وثالثاً بمساعدة المحتاجين

(مت٢٥ : ٣١ إلخ).

ثم من نحو الكنيسة بعمل ما يمكن عمله فى سبيل نهضتها وحياتها.

(للمتزوجين) ثم من نحو البيت بتربية البنين والبنات فى مخافة الرب ومساعدة الزوجة (أو الزوج) على الحياة المسيحية التقوية وأن لا يسمح للزوجة والبنات بمجاراة التيار العالمى والظهور بما ينافى الروح المسيحية.

هذه هى صورة الحياة التى يجب أن نضعها نصب أعيننا كحياة الاستعداد الواجبة للعيشة بالعهد مع الله وللاشتراك فى السر المقدس. فلهذا قد دعينا دعوة مقدسة بمقتضى القصد والنعمة فى المسيح يسوع. وهذه هى الحياة الفضلى التى جاء المسيح ليمنحنا إياها التى إليها أشار بقوله إنى أتيت لتكون لهم حياة ولتكون تلك الحياة أفضل" (يو ١٠ : ١٠).

٢ ـ معنى الاستعداد

إن للاستعداد معانٍ مغلوطة يسير عليها الكثيرون اليوم وبسببها تهيب البعض التقدم للمائدة الربانية، وكثيرون يعيشون ويموتون دون أن يدخلوا فى العهد مع ربهم نتيجة سوء فهمهم لمعنى الاستعداد المطلوب والبعض الآخر يتقدم ولكن لا ينال بركة بل للدينونة يتناول. فالفريق الأول يظن أن معنى الاستعداد هو تنظيف الحياة من كل شر وشبه شر ولذلك فهم يؤجلون التناول من يوم لآخر ومن سنة لأخرى انتظاراً للوصول إلى الحياة الكاملة وهكذا تمضى الحياة بدون أن يحظوا بالاشتراك فى السر المقدس وذلك لأنهم إنما يرجون أمراً مستحيلاً.

إن من قضايا الإيمان المسيحى الأولية هى أنه لا بر بالناموس أو بمعنى آخر أن الاجتهاد الشخصى لا يكمل نفساً ولا يصلح حياة وإصلاح الحياة إنما هو عمل النعمة الإلهية دون سواها وفى ذلك يقول الرسول بولس: "لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب" (غل ٢ : ٢١).

فإذا تذكرنا أن التناول هو رباط العهد مع المسيح والعيشة مع الله يكون معنى احجامنا عن التناول حتى نتكمل هو أننا نريد أن نكمل أنفسنا بأنفسنا لا أن نأتى لله بما فينا من ضعف ليكملنا هو. ونحن نعلم أن الابن الشاطر لم يُقبل لأبيه بعد أن خلع ثيابه الرثة وتزيا باللباس اللائق بل ذهب لأبيه كما هو وأبوه هو الذى وضع عليه الحلة الأولى أن من أخطر الأفكار على المسيحيين فكرة عدم العزم على التناول حتى تنتقى الحياة من كل ضعف وتصل إلى الحالة الكاملة لأنه يستحيل علينا أن نصل إلى هذه الحالة الكاملة ما لم تتصل حياتنا بالله.

ولو كان معنى الاستعداد هو خلو الحياة من كل نقص وأن من يتقدم إلى التناول وحياته لم تتكمل فى القداسة ينال دينونة لنفسه إذن لكان الويل لنا نحن خدام الله. إذ أن المفروض هو مداومتنا على التناول فى كل خدمة وليس فينا من يجرؤ ويعتقد فى نفسه أن حياته خالية من كل عيب.

ولسنا نتردد فى القول أن هذه الفكرة خدعة شيطانية يحتال بها إبليس على الكثيرين ليمنعهم بها عن التقدم للمائدة الربانية وقد يوجد كثيرون قد تسلطت عليهم هذه الفكرة من يحرمون أنفسهم من التناول لوجود من يسلك معهم بروح الشر والخصام وهم أبرياء وقلوبهم خالية من كل حقد أو بغضة مع أنه من البديهى أن الخصام الذى يأتى من الآخرين دون أن نقابله نحن بالمثل لا ذنب لنا فيه ولا يمكننا أن نتقيه إذ ليس فى طاقتنا أن نجعل كل الذين يعاشروننا طيبى القلب وعلاقتهم معنا حسنة.

وخلاصة القول أن فكرة تعطيل التناول حتى تتكمل الحياة وتتنقى من كل ضعف إنما هى فكرة مغلوطة ومضرة.

أما الفريق الثانى فهو الذى يظن أن معنى الاستعداد هو أن يعين لنفسه ميعاداً فى كل سنة يتناول فيه ليكفر عن خطايا العام الماضى ويفتح حساباً جديداً للعام المقبل.

وكم من المسيحيين والمسيحيات يتناولون على أساس هذه الفكرة المغلوطة فى هذه

الأيام حتى أننا لنرى الإزدحام العظيم على المائدة الربانية فى أيام الأعياد ،والمواسم ولاسيما يومى خميس العهد وسبت النور من كل سنة وأما فى باقى الأيام فقل من يفتكر فى التقدم للمائدة الربانية. وأن كثيرين ممن يسيرون على هذه الفكرة إنما يتناولون للدينونة لا للبركة.

أما فكرة الاستعداد الصحيحة فهى العزم من كل القلب بأمانة وإخلاص على تسليم الحياة لله والعيشة له كل أيام الحياة.

يعلمنا الكتاب أن المسيح قد مات وقام لكى نحيا نحن له ونكون له شعباً خاصاً نمجده فى أجسادنا وفى أرواحنا التى قد اشتراها بدمه. وتكريس الحياة للمسيح وفقاً للوصية القائلة "قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية " (رو ١٢ : ١). وهو سر الحياة المسيحية والفكرة الأساسية فيها التى تميزها عن الديانات الأخرى.

فالحياة فى المسيح ليست هى حياة الفرائض والاجتهاد الشخصى ولكن حياة التكريس الكلى لله التى وصفها الرسول بقوله "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ" (غلا ٢ : ٢٠) وهذه حقيقة أساسية فى الإيمان المسيحى، وحقيقة ما أعظم جهل أبناء كنيستنا بها فى الوقت الحاضر.

وهذه هى الحقيقة التى يجب أن تكون نصب أعين الراغبين فى التناول من السر المقدس عند تقدمهم إليه.

ومعنى الاستعداد الحقيقى المطلوب هو العزم من كل القلب على تكريس الحياة لله والعيشة له بأمانة وإخلاص إلى النفس الأخير واعتبار النفس مفرزة عن العالم وتصرفاته كهيكل ضد روح الشر، والمقاومة حتى الدم فى سبيل حفظ العهد مع الله والتخلص من كل ضعفات النفس المعطلة للحياة المسيحية.

هذا العزم هو معنى الاستعداد بل بكل معناه ــ فنحن نعزم ونسلم الحياة، والنعمة

تنفذ فينا ما قد عزمنا عليه، وهى التى تكفل لنا حفظ نفوسنا وأمانتنا فى عهدنا. وطالما نحن نسلم حياتنا بإخلاص لله ونعزم على أن نعيش أمناء لِمَ قد تعاهدنا عليه أمامه ونحيا حياة السهر والجهاد فالنعمة ستثبتنا بلا لوم أمام الله فى المحبة وهى ستعتق نفوسنا من ضعفاتها إلى أن تأتى بنا إلى الحياة الكاملة إلى مقياس ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

هذه هى الحقيقة التى أراد الرب أن يعلنها لنا فى مثل الابن الشاطر ـ فالابن عزم فى قلبه ورجع إلى أبيه مسلماً له الحياة ولم يزد على ذلك شيئاً. والأب هو الذى ألبسه الحلة الأولى ووضع الخاتم فى يده والحذاء فى رجليه وذبح له العجل المسمن. فنحن نعزم ونسلم والآب بنعمته يفعل ويتمم.

لم يكن زكا قد أعطى نصف ماله للمساكين ولا رد أربعة أضعاف لمن سلبهم حقوقهم عندما حكم له الرب بالخلاص قائلاً "اليوم حصل الخلاص لهذا البيت" (لو١٩ : ٩). ولكنه فقط كان قد قرر العزم على العيشة لله وتسليم الحياة له بإخلاص ـ إذن فعند حصول العزم الحقيقى يحكم الرب لنا بالخلاص.

وإذن أيها الأخ الحبيب لا تعلق اقترابك للرب والدخول فى العهد معه على تكميل حياتك بجهادك ولكن فقط أعزم وأعزم بإخلاص وسلم له الحياة وسلمها بإخلاص وعند ذلك سيفعل هو فيك بنعمته ما يوقفك أمامه بلا لوم حسب مشيئته. واقترب بلا توانٍ إلى مائدته التى هى المصدر الأعظم لنعمته حتى تقوى للحصول على الحياة التى تتطلع إليها اليوم.

وعند هذا ستجد نفسك قد اعتقت من رباطات الجسد وتحررت من خطايا الأمميين: "من الزنى والنجاسة والهوى والشهوة الرديئة والطمع الذى هو عبادة الأوثان" (كو ٣ : ٥ – ٧) وابتدأت تسير فى الطريق السلطانية فى طريق الكمال المسيحى والنمو الداخلى (فى ٣ : ١٢– ١٤، أف ٤ : ١٣– ١٥، ٢ بط ٢ : ١٨) وتختبر سر العتق من صفات النفس التى تزعجك واحدة بعد الأخرى إلى أن يأتى الوقت الذى تكون فيه قد طرحت

عنك الكل "الغضب والسخط والخبث والتجديف والكلام القبيح والكذب كمن قد خلعت الإنسان العتيق ولبست الجديد" (كو ٣ : ٨- ١٠).

وبعبارة أوضح أن تسليم حياتنا لله بعزم كامل وأمانة قلبية ودخولنا فى العهد معه بالتناول من سره الأقدس ينشأ عنه الحصول على حياة الاستعداد المطلوبة.

فأولاً ــ تخلص الحياة من خطايا الأم المانعة من الشركة مع الله.

وثانياً ــ تختبر النفس حياة التجدد المستمر والنمو الغير المنقطع ـ حياة التخلص شيئاً فشيئاً من الضعفات الغير لائقة بالدعوة التى قد دُعينا بها إلى أن نصل إلى المقياس الكامل المطلوب.

وقد يحدث أحياناً بعد هذا العزم الكامل والدخول فى العهد مع الله أن تزل أقدامنا فى نفس الخطايا القديمة التى عقدنا العزيمة على الهروب منها فى بداءة حياتنا الجديدة مع الله لا عن استباحة أو خيانة للعهد ولكن نتيجة سهو أو تفريط أو غلطات فى الجهاد لم نفطن إليها. فحتى عندحصول ذلك يجب أن لا نيأس بل لنعتبر أن فى هذا فرصة لإمتحان إيماننا ولنثق فى هذه الحالة بأن الذى وعد هو أمين. ولا نعطى لليأس مركزاً فى قلوبنا بل لننهض فى الحال ذاكرين الوعد القائل "يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار" (١يو ٢ : ١) إن اختبار المؤمنين جميعهم يدل على أن النفس المؤمنة فى بداية حياتها مع الله يتخلل سيرها القيام والسقوط بسبب غلطات فى الجهاد لا تكون بعد قد انتبهت إليها وبسماح من الله لإمتحان إيمانها وتقويته وعندما ينتهى دور هذا الإمتحان وتكون النفس قد أدركت قوانين الجهاد جميعها تنهض لقيام لا سقوط بعده وتسير فى طريق النمو المستمر.

ففى دور هذا الإمتحان الذى تجوزه النفس فى بداءة حياتها مع الله يكون المؤمن أمام خطرين.

أولهما ــ الاستباحة وعدم الإكتراث بالسقوط أو الإهتمام بالتخلص منه.

وثانيهما ـ الفشل وتسليم النفس للعدو يأساً منها.

ولكى تخلص النفس من كلا هذين الخطرين يجب عليها :

أولاً ـ أن تحزن لسقوطها وتجاهد مع الله ليكشف لها عن أسبابه وعندما تدرك نقط الضعف فيها تصارع مع الله ضد ضعفاتها حتى تخلص منها.

وثانياً ـ أن لا تيأس بل تثق أن هذا السقوط المؤقت سيعقبه مع الصبر قيام لا سقوط بعده "وبترس الإيمان تطفئ سهام الشرير الملتهبة" (أف ٦ : ١٦).

ويتلخص واجبها فى هذا الموقف فى كلمتين وهما (لا استباحة ولا تقهقر) وهذا هو الموقف الذى يجب أن تقفه النفس المؤمنة التى تزل قدمها بالرغم عنها عقب دخولها فى العهد مع الله والتقرب لمائدته المقدسة. لا تيأس ولكن أيضاً لا تستبيح بل تجاهد حتى تدرك أسباب ضعفها وتتخلص منها ثم تقترب إلى ربها مجددة العهد معه بأمانة وإخلاص.

ونختم ما مر من الشرح عن معنى الاستعداد بهذه الكلمة وهى أن من يتقدم للمائدة الربانية على غير هذا العزم الكامل على العيشة النقية والسهر وأجتهاد الكاملين مع تسليم الحياة بجملتها لله ولكن فقط على سبيل العادة ولمجرد الرغبة فى الهروب من الدينونة فأنه إنما يتقدم لهذه الدينونة التى يريد أن يهرب منها ويتم فيه القول المكتوب "لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١كو ١١ : ٢٩) ونحن قد رأينا أن الاستحقاق المطلوب إنما هو العزم على العيشة المفرزة لله.

ومن يتأخر عن التناول لوجوب تقرير هذا العزم قبل التقدم إليه يكون معنى تأخره عدم الرغبة فى العيشة مع الله وعدم حساب الأبدية والإهتمام بالاستعداد لها أو بالحرى الحكم على النفس بالهلاك الحاضر والأبدى.

٣ ـ طريق الاستعداد

بعد أن عرفنا معنى الاستعداد وحياة الاستعداد التى يجب أن نسعى للحصول عليها ونجاهد فى أن نقدسها نأتى إلى كلمة ثالثة وهى طريق الاستعداد أو عملية الاستعداد التى يجب أن نجريها عندما نعزم على الاقتراب للعشاء السرى والدخول فى العهد مع الله.والكلام فى طريق الاستعداد يشمل كلمتين :

أولهما : الاستعداد العملى. وثانيتهما : الاستعداد الفكرى

أولاً ـ الاستعداد العملى :

ويحمل الاستعداد العملى فى هذه الكلمة ـ إصلاح العلاقة مع الله والناس ثم الجهاد لحفظ هذه العلاقة سليمة كل أيام الحياة.

أما إصلاح علاقتنا مع الله والناس فيتم أولا بامتحان أنفسنا وفحصها أمام عرشه، وفى هذا يقول الرسول "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه" (١ كو ١١ : ٢٨) ليمتحن نفسه هل هو عائش فى الإيمان المسيحى كما يليق "جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم" (٢ كو ١٣ : ٥) ـ ليمتحن نفسه هل هو يتصرف حسناً فى كل شئ مُظهراً ثمار الروح القدس فى حياته "ولكن ليمتحن كل واحد عمله" (غلا ٦ : ٤).

أو بالأحرى ليضع نفسه تحت امتحان الله ـ ليبحث بخشوع تحت أقدام المسيح ويسأله بتذلل أن يكشف له حياته ليراها كما هى وليردد صلاة داود التى نطق بها فى القديم "اختبرنى يا الله واعرف قلبى امتحنى واعرف أفكارى وانظر إن كان فىَّ طريق باطل واهدنى طريقاً أبدياً" (مز ١٣٩ : ٢٣ ، ٢٤) لنمتحن حياتنا فيما يتعلق بواجبنا من نحو الله، لنمتحن محبتنا له وأمانتنا لحقه وتعبدنا لاسمه، لنمتحنها فيما يتعلق بالقداسة وطهارة الأعضاء، لنمتحنها فيما يتعلق بعلاقتنا مع الآخرين وواجباتنا نحوهم، لنمتحنها فيما يتعلق بمسئوليتنا من نحو الكنيسة.

وعندما يعلن لنا الله ضعفاتنا ونقصنا وقصورنا من نحوه ومن نحو طهارتنا ومن نحو الآخرين لنتذلل أمامه بروح الندامة ناظرين إلى خطايانا كما يراها هو آسفين على كل إفراط وتفريط متألمين لأجل كل خطية سلبية أو إيجابية ـ ليس فقط لأجل الفجور والدنس والكذب والافتراء ولكن أيضاً لأجل الإهمال والفتور والكسل فى القيام بواجبنا من نحو الله وإخوتنا والكنيسة ثم لنعزم ولنعزم بإخلاص على الحياة الجديدة، نعزم كما عزم الابن الشاطر على الرجوع لأبيه وكما عزم زكا على تجديد الحياة بقوله "إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف وأعطى نصف أموالى للمساكين" (لو ١٩ : ٨)، أن نستعيض عن حياة الدنس والفجور بحياة القداسة والعفاف، وعن الإهتمام بما هو أرضى بالإهتمام بما هو سماوى، وعن الافتراء والمذمة والمكايد والخصومة، بالمحبة والمسالمة وعمل الخير للآخرين وعن الكبرياء بالوداعة، وعن السخط والغضب باللطف، وبالإجمال أن نحيا حياة هى عكس حياتنا العتيقة. ونسلم نفوسنا لله على أساس هذا العزم الصالح لكى يقودها بنعمته فى موكب نصرته وأخيراً لنتمم هذه العملية المقدسة بتصفية الحساب فإن كان هناك اختلاس رددناه لمن قد اغتصبناه منه، وإن كان هناك خصام تركنا قرباننا على المذبح وذهبنا واصطلحنا مع من كان بيننا وبينه خصومة. وعند ذاك فبضمائر مطمئنة ونفس هادئة لنتقدم إلى المائدة السماوية ونتناول الطعام السماوى بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله متهللين بخلاصه.

وليكن عزمنا هذا وجهادنا أساساً لحياة جهاد مستمر فى سبيل حفظ علاقتنا مع الله سليمة وعهدنا كاملاً وأميناً. فنحيا كجنود صالحين لنقضى الحياة بجملتها فى الهدوء والوقار المسيحيين والقداسة وأن ننمو فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح وبهذا العزم الأساسى والجهاد والسهر المستمر تكمل عملية استعدادنا العملى.

ثانياً ـ الاستعداد الفكرى :

ويكون بأمرين :

أولهما حصر الفكر فى تأملات تقوية تساعد على نيل البركة المطلوبة من التناول،

وثانيهما الاستعانة بالصلاة لنيل هذه البركة فقبل التناول لتجتهد النفس أن تتأمل فى خطورة العهد الذى هى مزمعة أن تتقدم إليه وكذا فى عظمة النعمة التى ستنالها ولتصلِ لكى يجعلها الرب فى استحقاق دمه أهلاً للدخول فى هذا العهد المتجدد لا للدينونة ولكن للبركة وكذا ليقدس لها تناولها من السر المقدس للنمو وفى معرفته ولزيادة التعمق فى سر التكريس.

ومن المهم أن تستعرض حياتها فى هذه الفترة بإزاء ناموس الله الكامل وكل نقص تشعر به تعترف به نادمة وتطلب من الله طلبة خاصة أن يعتقها من كل أشواك الإنسان العتيق التى يتضح لها أنها لا زالت عالقة بحياتها ومعطلة لنموها.

نفس هذا التأمل وما يرافقه من التضرع تجربة النفس سرياً أثناء التناول وتزيد عليه ذكراها لآلام السيد وبذكرى آلامه تتأمل فى محبته التى أتت به إلى الصليب، وفى شناعة الخطية التى كانت سبباً لصلب ابن الله وتطلب من الرب أن يملأ قلبها من بغضة الشر كما يبغضه هو.

وعقب التناول تتأمل فى لطف الله الفائق الذى به أرتضى أن يكون هو طعاماً لنا وتشكره لأجل هذا التفاضل العجيب طالبة البركة لذاتها وللذين قد اشتركوا معها فى هذه النعمة والقوة الحافظة لتساعدها والذين قد تناولوا معها على التصرف بأمانة للعهد الذى قد ارتبطوا به بواسطة الشركة المقدسة.

٤ ـ سهولة الاستعداد وإمكانيته

إن الكلام عن الاستعداد للتناول يتم عادة بلهجة تنم عن خطورة هذا الأمر، وكثيرون يظنون أن هذه الخطورة كائنة فى صعوبة الاستعداد للتناول ولذلك هم يتهيبون كل التهيب لا أن يتناولوا فقط بل حتى أن يفكروا فى التناول ولكن الحقيقة ضد هذا الفكر السائد.

فخطورة الاستعداد كائنة فى وجوبه فقط والخطر كل الخطر إنما هو فى التجرؤ على

الإقدام على الشركة المقدسة دون أن تصفى النفس حسابها مع الله وتخلص فى تسليم حياتها له.

أما الذين يكونون قد عزموا من قلوبهم على المعيشة لله بأمانة فلا تبقى ثمة خطورة أمامهم.

صحيح أن الواجبات عظيمة والحياة التى يجب أن ترافق الدخول فى الشركة مع الله يجب أن تسلك بالتدقيق فى كل شيء وتحرص أن تحفظ نفسها بلا عثرة ولا لوم أمام الله فى المحبة ولكن لا ننسى أن الذى سيحمل النير عنا هو ذاك الذى مات وقام لتكون حياتنا العاملة فينا أن نريد وأن نعمل للمسرة ولذلك يقول الكتاب أيضاً "ووصاياه ليست ثقيلة لأن كل من وُلِدَ من الله يغلب العالم" (١ يو ٥:٣، ٤) وكذا يقول السيد المسيح "لأن نيرى هين وحملى خفيف" (مت ١١ : ٣٠) فمهما كانت واجبات الحياة المسيحية التى تربطنا بها دخولنا فى العهد مع الله خطيرة، فإنها هينة وسهلة على كل الذين يعيشون فى الإيمان المسيحى الحقيقى الذى هو تسليم القلب والحياة لله. وما دامت نعمة الله هى التى ستتكفل بالأمر فالخطية لن تسودنا كما يقول الكتاب أيضاً (رو ٦ : ١٤).

لو كان الاستعداد معلقاً على قوانا الشخصية لحق لنا التخوف من التناول حتى لا نعرض لخيانة عهد نأخذه على أنفسنا بواسطته ولكن إذ كان الضامن للمحافظة على هذا العهد هو النعمة التى نستودع أنفسنا لها بتسليمنا القلب بأمرين:

أولهما تطهير الخطايا السالفة وثانيتهما الأمانة للعهد فى الحياة المستقلة.

وكلا العملين من اختصاص الله فهو الذى يطهر بدمه وهو الذين يصون بنعمته، وكلا الأمرين يفعلهما الله فى الذين يرغبون فى العيشة معه وإذن فلا محل للخوف من الاستعداد وللتهيب من التقدم للمائدة الربانية طالما توجد الرغبة فى نفوسنا للدخول فى العهد مع رئيس حياتنا ومكمل إيماننا، وإذا فهمنا هذا أمكننا أن نحكم على من يبقى

بعيداً عن الشركة المقدسة أنه إنما يمتنع عنها لأنه لا يود أن يسلم قلبه لله ويستعد لأبديته أو بالحرى أنه لا يفكر فى خلاص نفسه وما حجة صعوبة الاستعداد التى يقدمها إلا محاولة سيئة لتبرير كسله وتراخيه فى أعين الآخرين. وبالإجمال نقول أن سر النعمة فى الحياة المسيحية لا يجعل عذراً لعبد كسلان وإذا كانت النعمة هى الكفيلة بحياة الاستعداد اللازم للدخول فى العهد مع الله وليس علينا سوى تسليم القلب بإخلاص لمشيئته فلا حجة للمتراخين.

فإذا كان التناول من الشركة المقدسة أمراً واجباً على المؤمنين وهو رباط عهدنا مع المسيح وأساس عضويتنا فى جسده الذى ينمينا فى الحياة المسيحية حتى بلوغ سن الكمال فلِمَ يجب علينا أن نسرع فى الدخول فى هذا العهد المقدس ذاكرين أن الوقت مقصر والمسيح على الأبواب، ومجيئه سيكون على غير انتظار كمجيء اللص فى الليل. والمسألة أبدية وويلٌ لمن يستقبل تلك الأبدية على غير استعداد "وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

ليت الله يرسل نعمة إلى قلوب المتهاونين جميعاً فإنها الآن ساعة لنستيقظ. وليت الله يعجل بالوقت السعيد الذى فيه يجتمع المؤمنون جميعاً حول مائدة ربهم المقدسة ويعيد لكنيسته عهدها الأول الزاهر فتحتشد الكنيسة لا بالمشاهدين المتفرجين ولكن بالمتناولين الذين يأكلون ويشربون من طعام سماوى يفوق العقول. عند ذلك ستحظى الكنيسة بالحياة الحقيقية وستفرح قلوبنا بتلك الحياة المشتهاة. ويتمجد اسم ربنا فى بيوتنا وكنائسنا هذا الذى له العظمة والكرامة والقدرة الأبدية آمين.

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من شهر أمشير

حياة الإيمان

«فقال الرب: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل» (لو ١٧ : ٦).

إن الإيمان لا يتطلب أن نكون من الموهوبين والموهوبات إلى درجة غير عادية، ولكنه يتطلب أن نقبل السيد المسيح وأن نقبل تعاليمه وأن ننمو بنعمة الروح القدس وأن نعمل بأقوال الله وكتاب الله. قال بولس الرسول: "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب ١١ : ٦).

وقال السيد المسيح عن أهمية هذا الإيمان: "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم" (مت ١٧ : ٢٠).

فما هو هذا الإيمان؟

كثير من الناس يؤمنون بالله ظاهرياً. ومن الناحية العملية إيمانهم مجرد شكليات. للواحد منهم اسم المؤمن، ولكن ليس له قلب المؤمن.

١ ـ الإيمان هو مستوى فوق الحواس وفوق العقل:

فما هو هذا الإيمان إذن؟

يقول الرسول بولس إنه: "الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عب ١١ : ١). إذن، لابد أن تكون متاكداً من وجود ما لا يُرى، متأكداً منه تماماً ـ دون أن تلمسه، ودون أن تراه، ودون أن تعرفه. الإيمان، إذن هو ارتفاع فوق مستوى الحواس.

أنا أُومن بوجود الله، ولكني لا أراه ـ ليس لأن الله غير موجود ـ ولكن لأن حواسي ضعيفة، لا تستطيع أن تدرك الروحيات.

الإيمان، إذن لا يتعارض مع الحواس، وإنما هو مستوى فوق الحواس، مستوى فوق

النظر واللمس، وفوق العقل أيضاً.

٢ ـ المؤمن لا يخاف:

إن المؤمن المسيحى لا يخيفه شيء إلا ما لا يحبه الضمير. إن ذهبى الفم، عندما تآمرت الملكة على إهلاكه، وحاول مشيروها أن يخترعوا طرقاً لإبعاده عن أمامهم، كالنفى أو الموت، حينما بلغه هذا التدبير صرخ قائلاً:

"اذهبوا وقولوا للملكة إن يوحنا لا يخاف شيئاً سوى الخطية" أى أنه لا يهتم إلا براحة ضميره.. أما راحة جسمه فلا تعنيه، لأن سلامة الفؤاد وسكينة النفس لا تتمان إلا إذا كان الضمير هادئاً راضياً.

إذن المؤمن هو إنسان مستريح: إنه يؤمن أن الله موجود وأن هذا الإله محب وصانع للخيرات، وأنه قادر على كل شيء. ويدبر كل شيء حسب مشيئته الصالحة.

لذلك يعيش هذا الإنسان المؤمن فى سلام وإطمئنان. الشخص المنزعج والذى يفقد سلامه القلبى هو إنسان غير مؤمن لذلك قال الكتاب: "لا سلام قال إلهى للأشرار" (إش ٥٧ : ٢١) . فالمؤمن لا يخاف أبداً ولا يضطرب مهما أحاطت به الأخطار. الإيمان والخوف ضدان لا يجتمعان إطلاقاً.

الشخص الخائف هو شخص ضعيف الإيمان. لذلك يقول داود النبى "الرب نورى وخلاصى ممن أخاف. الرب عاضد حياتى ممن أرتعب؟ إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى، وإن قام علىَّ قتال ففى هذا أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ١ – ٣) .

إن سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معى. إن داود لا يخاف، لأنه يشعر أن الرب معه، يسنده ويعضده. إنما يخاف الإنسان الذى يشعر أنه واقف وحده، لا أحد بجانبه. أما الإنسان المؤمن الذى يشعر بوجود الله عملياً فى حياته، فهذا شخص مطمئن.

قد تحيط به الضيقات من الخارج، ولكنها لا تدخل إلى داخل نفسه. هو كالسفينة التى تحيط بها المياه والأمواج من الخارج فلا تؤذيها، طالما لم تدخل إلى داخلها. سلامُناً فى حياة الإيمان يكون مبنياً على محبة الله وقدرته وصدق مواعيده. ما أكثر مواعيد الله التى تجلب الإطمئنان للنفس، مثل قوله: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ : ٢٠).

لقد عرفنا أيضاً أنه حتى "إن نسيت الأم رضيعها هو لا ينسانا" (إش ٤٩ : ١٥).

بعض الناس يؤمنون بالله، ولكن إلى حد لا يتعدونه. قالت مريم للمسيح: "لو كنت ههنا لم يمت أخى" (يو ١١ : ٢١). كانت تؤمن أن المسيح يمكن أن يشفى أخاها من المرض فلا يموت. ولكن إيمانها لم يصل إلى قدرة المسيح على إقامته من الموت. لذلك قال لها الرب: "إن آمنتِ ترينَ مجد الله". كل شىء مستطاع للمؤمن. ولكن الإنسان، إذا سما إيمانه، لا يرى حدوداً لقدرة الله فى عمله. "كل شىء مستطاع للمؤمن" (مر٩ : ٢٣).

+ **الثلاثة فتية** (شيدرخ وميشخ وعبدناغو) لم يخافوا من أتون النار. كانوا يؤمنون أن الله سيخلصهم منه.

كيف يخلصكم؟

ليس لنا أن نفكر كيف يخلصنا، ولكننا نؤمن أنه سيخلص. ،بإيمانهم لم تؤذهم النار بشىء بينما أحرقت الذين رموهم فيها.

+ **إبراهيم أبو الآباء** أمسك السكين ليذبح إسحق، وهو مؤمن أن الله، على الرغم من ذلك سيهبه من إسحق نسلاً كنجوم السماء وكرمل البحر.

حتى إن مات إسحق لابد أن يقيمه الله بمواعيده الصادقة ويعطيه "نسلاً" (عب ١١ : ١٨).

+ **بطرس** بالإيمان، استطاع أن يمشى على الماء:

إذ كان ناظراً إلى المسيح الذى خلق البحر والماء.. وأما حينما نظر إلى الأمواج خاف وضعف وسقط وكاد يغرق. إن الماء هو نفس الماء، والقوانين الطبيعية هى نفس القوانين، ولكن الإيمان كان غير الإيمان.

لذلك وبخه الرب قائلاً: "ياقليل الإيمان لماذا شككت" (مت ١٤ : ٣١). إن الشخص الذى يكون إيمانه ثابتاً فى الله لا يمكن أن يشك لأن إيمانه مبنى على أمور ثابته لا تتغير، هى محبة الله وقدرته وصدق مواعيده.

وأمام قدرة الله لا يوجد شىء صعب.

يمكن للمؤمن أن يضرب الصخرة فيخرج منها ماء، ويمكن أن يضرب البحر فينشطر نصفين. هذا الإيمان لا ينظر إلى الطبيعة وإنما إلى خالق الطبيعة. لم يفكر موسى فى الصخرة كيف يمكن أن تخرج ماء ولكنه فكر فى كلمة الله أنها لا يمكن أن ترجع فارغة. لم تكن عصا موسى تختلف فى شىء عن باقى العصى. لذلك فهو لم يشق البحر بعصاه وإنما بإيمانه.

خذ عصا موسى وأعطها لأى إنسان ليضرب بها البحر فلن تحدث معجزة. لقد أخذ جيحزى عكاز أليشع ووضعها على ابن المرأة الشونمية فلم يقم من الموت.

لم تكن القوة فى عكاز أليشع بل فى "إيمانه" (٢مل ٤ : ٣١). هكذا أيضاً علامة الصليب: يرشمها إنسان فتحدث معجزة، ويرشمها شخص آخر فلا يحدث شىء. إن المهم هو الإيمان بالصليب وقوته.

٣ ـ بالإيمان نرى ما لا يُرى:

إن لنا عيوناً ولكنها لا تُبصر. عيوننا هذه ضعيفة غير مؤمنة، مجرد عيون مادية ترى ما تراه الحواس، ولا ترى ما هو أبعد من هذا.

كانت جيوش الأعداء تُحيط بالمدينة. ولكن أليشع كان مطمئناً، إذ كان يرى جيش الرب يملأ الجبل خيلاً ومركبات نار.

ولما خاف تلميذه جيحزى من جنود الأعداد صلى أليشع قائلاً: "يا رب افتح عينيه فيبصر" (٢مل ٦ : ١٧). ففتح الرب عيني الغلام فأبصر مالا يُرى. ما الذى كان يقصده المسيح عندما قال لتلاميذه: أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تُبصر؟ لا شك أنه كان يقصد أنها تُبصر ما لا يُرى، ما لا تبصره الحواس. كثيرون كانت لهم عيون أقوى من عيني بولس الرسول، لأنه كان ضعيف البصر. ولكن بولس رأى كثيراً من الاستعلامات لم يستطيع أن يراها أحد غيره من كل هؤلاء. وحينما قال داود النبى "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين"، لم يكن يقصد مطلقاً رؤية العين المادية.

٤ ـ كل شيء مقبول ... وخير:

يمكن أن نقول أن الله قادر على كل شيء، وكل شيء ممكن بقدرته. لكن هناك درجة أكبر من هذه، وهى أن تقول: إن كل شيء من عند الله مقبول، مؤمنين أن الله يعمل الخير على الدوام. فمثلاً يكون هناك مريض:

نوع من الإيمان أن أُومن بأن الله قادر على شفائه.

ونوع آخر أن أُومن بخير ما يفعله الله معه، سواء شفاهُ أو لم يشفهِ. هذا هو أقوى إيمان: أن نؤمن أن الله يعمل خيراً، أيا كان هذا الخير، موافقاً لنا أو غير موافق وكما يقول الرسول: "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٢٨).

٥ ـ إيمان يمتد من الفرد للجموع:

أ ـ من الفرد إلى البيت:

هل يمكن أن يضاء مصباح ويوضع تحت مكيال، أم يوضع على مكانٍ عالٍ حتى يُنير لكل الداخلين فى البيت؟ هل يمكن أن يُحبس قبس النور المتقد فى إطار الفردية دون أن يُضيء حتى إلى المقربين فى البيت؟ "من لا يهتم بخاصته، لا سيما أهل بيته

فقد أنكر الإيمان وصار أشر من غير المؤمنين" (١تى ٥ : ٨).

+ "لقد حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩ : ٩).

+ "أما أنا وبيتى فنعبد الرب" (يش ٢٤ : ١٥).

+ "ففهم الأب أنه فى تلك الساعة التى قال له فيها يسوع إن ابنك حى فآمن هو وبيته كله" (يو ٤ : ٥٣).

ب ـ إيمان يوصله الإنسان للناس:

كل من ذاق حلاوة المسيح لا يمكنه أن يكون أنانياً فيقصر تلك الحلاوة على ذاته.

حقاً إن حلقه حلاوة وكله مشتهيات. ولكن غاية النفس أن تُقدم يسوع لكل نفس. "وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف" (أع ٤ : ٤). وهذا خرج بولس من وسطهم "ولكن أُناساً التصقوا به وآمنوا منهم ديونيسيوس الأريوباغى وامرأة اسمها دامَرِسُ وآخرون معهما" (أع ١٧ : ٣٤).

ما أوسع الحقل: هوذا الحقول قد ابيضت للحصاد. ولكن الحصاد كثير والفعلة قليلون.

الكنيسة فى احتياج إلى كل يد تعمل.. تعمل فى حقل الإيمان، لتوصل المسيح للحلاف، وللشتام، وللسارق، ولليائس، وللبائس، وللمسكين. وبالإجمال للخطاة جميعاً.

جـ ـ إيمان يحصر الناس فى إطار واحد:

وهذا مظهر من مظاهر الإيمان.

الإطار الواحد. محبة المسيح تحصرنا فى أُخوة صادقة. " وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً " (أع ٢ : ٤٤)إذن، فمظاهر الانشقاق والفرقة والانقسام.

هذا لبولس وذاك لأبولس لا تمت للإيمان بصلة، بل هى مظهر من مظاهر الضعف. "إذ أن كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت" (مت ١٢ : ٢٥). فيا دعاة الهدم والفرقة، ليس هذا مظهر الإيمان. تعالوا إلى المسيح الواحد. وتعلموا الروح الواحدة. واستمعوا إلى صلاته "ليكونوا واحداً" (يو ١٧ : ١١). "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد، ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً" (أع ٤ : ٣٢). "فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم، إذ كنت غائباً، أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح واحدة، مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل" (فى ١ : ٢٧). إن الإيمان هو أساس الأديان ومصدر قوتها، كالسلام والوئام والمحبة. الأساس الوحيد لجمع النشاط الحقيقى الصادق المفيد.. والأساس الوحيد لتضحية الإنسان وتفانيه.. والإيمان لا يعرف اليأس مطلقاً. وكل نكبة إنما تُفلح القلب وتحرث القلب وتشق أرض القلب حتى يتفجر شيء أجمل، وحتى يورد ويزدهر وتنتصر الروح. وبينما الذين فقدوا الإيمان يبكون ويحزنون تجد الذين ملأوا قلوبهم إيماناً يفكرون فى أحبائهم.

٦ ـ الإيمان والأعمال:

أ ـ الإيمان وحده لا يكفى للخلاص:

لأنه سيكون إيماناً عقيماً بدون ثمر، وميتاً كجسم بدون روح.

ب ـ ضرورة الأعمال مع الإيمان:

لأنها البيئة والدليل على وجود الإيمان الذى وحده لا يقدر أن يخلص. شبه بعض فلاسفة الدين الإيمان بشجرة والأعمال الصالحة ثمارُها، فكما أن الشجرة تحمل الثمر، لا الثمر يحمل الشجرة، كذلك الإيمان يُنتج الأعمال لا الأعمال تُنتج الإيمان. ومعنى ذلك الإيمان يجب أن يسبق الأعمال، لأن غير المؤمن لا تنفعه أعماله مهما كانت حميدة. وكما أن كل شجرة لا تُثمر ثمراً صالحاً تقطع وتُلقى فى النار، كذلك كل

إيمان لا تصدر عنه الأعمال الصالحة لا يصلح إلا أن يُحسب كإيمان الشيطان، لأن الشياطين تؤمن بالله ولكنها تفعل الشر.

وأخيراً الإيمان يحمى من جميع المهاجمات:

لتكن لك كل الفضائل الأخرى، ولكن فوق الكل ليكن لك إيمان، لأن الإيمان هو العلاج الشامل وهو نافع لكل شيء. نافع للجبناء والضعفاء، فيجعل منهم الشجعان الأقوياء... نافع للمتهورين، فيجعل منهم حكماء... نافع لليائسين، فيجعل منهم أصحاب رجاء فما من وجهة إلا ونجد الإيمان فيها نافعاً لنا. فإذا تركت كل شيء فلا تُفرط فى إيمانك. وإذا نسيت كل شيء فاحرص فوق الكل على حمل ترس الإيمان.

ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد. آمين.

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر أمشير

الإشتياق لرؤية يسوع

«وطلب أن يرى يسوع» (لو١٩ : ٣).

الأشواق والأميال كثيرة لا حد لها. والرغائب بين الناس متنوعة لا تحصى ولا تعد وهى تتوقف غالباً على عقليات أصحابها وتختلف باختلاف نفسياتهم فذو الأخلاق الشريفة والمبادىء العالية لا ينزع إلى الأميال المنحطة والرغائب السقيمة. ومن امتلأت نفسه أنانية وكيداً وعجباً وفخراً فهيهات أن يكون له سبيل لعقله ولا لنفسه اتصال بها وكما يفكر الإنسان فى قلبه هكذا هو.

اشتاق زكا كثيراً لرؤية يسوع لِمَ سمعه عنه فقال فى نفسه أنى أحب أن أراه. وذهب مسرعاً.

فوجد جمعاً كثيراً حول يسوع فتطاول ووقف على أطراف أصابع رجليه فلم يقدر أن يراه لأنه كان قصيراً. فأسرع متقدماً وصعد إلى جميزة لأن المسيح كان مزمعاً أن يمر من هناك وقال فى نفسه إن قدرت أن أصل ذلك الغصن المشرف على الطريق فلا يمكن بدون أن آراه. انظر. ما أغرب أن ترى ذلك الرجل الغنى العظيم يتسلق الشجرة كالصبيان ويختبىء بين الأغصان حتى لا يراه أحد ليرى ذلك الشخص العجيب المار من هناك ولا غرابة فالشوق يدفع الإنسان للمخاطرة بحياته.

ثم أنه أخذ ينظر بين أولئك المزدحمين ليرى من تطلبه نفسه. فوقع نظره على بطرس فقال هذا ليس هو. ثم نظر يوحنا فقال هذا ليس إياه. وأخيراً رأى شخصاً أجمل من كل أبناء البشر فقال هذا هو بعينه وأخذ يتفرس فيه من خلال الغصون ويذهل من نظر ذلك الإله والإنسان العجيب حتى وصل الجمع إلى تلك الشجرة.

وكان يتراءى له كأن يسوع يستمر ذاهباً لكنه وقف تحت الشجرة وقال "يازكا أسرع وانزل" (لو ١٩ : ٥). فأظن أن أول شيء قاله زكا فى نفسه حينئذ من أخبره باسمى فأنه

لم يعرفنى قبلاً.

فيظهر من ذلك أن يسوع يعلم كل أحوالكم وأسمائكم ومنازلكم فلا تقدرون أن تحجبوا أنفسكم عن عينه لأنه يعلم أين أنتم وكل ما فى قلوبكم من شوق وميل وأسرار وخفايا.

فماذا نتعلم مما سمعنا عن زكا:

أولاً ـ من طلب أو اشتاق أن يرى يسوع يحبه يسوع ويخلصه ولو كان من أكبر الخطاة. وهذا قصد الله:

كلنا نعرف أن لكل إنسان فى هذا العالم غاية وقصد. وغاية وقصد المسيح فى مجيئه إلى هذا العالم هو خلاص الخطاة كما هو مكتوب عنه. "لأن ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩ : ١٠).

من هو ابن الإنسان؟ هو ابن الله الأزلى الحبيب الوحيد. الغير مخلوق المولود من العذراء مريم وهذه هى المحبة الأزلية التى أحبنا بها الله منذ القديم كما قال الكتاب المقدس: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦). الآن فلنشجع قلوبنا بعلمنا أن الله المحب أرسل ابنه الحبيب وقد جاء ليعمل إرادة أبيه وهى أن يطلب ويخلص ما قد هلك. وقصده فى ذلك أن لا يخيب. ومما يقوى ذلك أننا لا نقدر أن نجد مكاناً فى الكتاب الإلـهى يذكر فيه أن الله أرسل إنساناً لعمل وخاب.

وأمثلة على ذلك كثيرة. أُرسل موسى إلى أرض مصر ليخرج ثلاث ملايين من بيت العبودية إلى أرض الميعاد فنجح مع أنه ظهر فى أول الأمر أنه كان واقفاً على قدم الخيبة. فلو كنا فى قصر فرعون حين قال من هو الله حتى أطيعه، ومن هو إسرائيل حتى أخرجه، لافتكرنا أنه خائب لا محالة ولكنه لم يخب بل أخرج بنى إسرائيل بقدرة الله الذى أرسله وكان فوزه عظيماً، ثم أرسل إيليا النبى ليقف أمام أخآب الملك فوقف أمامه

بجسارة وأنذره بأنه لا يكون ندى ولا مطر ثلاث سنين وستة أشهر وكان كما قال، فأغلق أبواب السماء عن الأمطار كل تلك المدة وأخيراً ها هو قد أرسل ابنه الحبيب من عرشه العظيم وحضنه المجيد لكى لا يهلك كل من يطلبه، أتظنون أنه يخيب!!؟ حاشا. بل أنه قادر أن يخلص إلى النهاية، ولا أحد فى العالم يريد الخلاص إلا والمسيح قادر على خلاصه.

وإذا نظرتم آخر الأصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا رأيتم المسيح آتياً إلى أريحا وعلى الطريق شحاذ مسكيناً أعمى اسمه بارتيماوس (مر ١٠ : ٤٦) ربما كان منذ سنين هناك يقوده أحد الصبيان كما هى العادة وكان يجلس هناك عدة سنين وينادى المارين ليحسنوا إليه ولابد أنه مر به أحد الأيام وهو جالساً هناك إنسان آتٍ من أورشليم وقال يا بارتيماوس جئتك، ببشارة من أحسن البشائر، فقال وما هذه البشارة؟ فقال المبشر أنه ظهر فى إسرائيل رجل يقدر أن يعطيك بصراً، فتنهد الأعمى المسكين وقال لا رجاء لى فى أن أبصر فى هذه الدنيا لأنى ولدت أعمى وليس أحد وُلِدَ أعمى وأبصر فلا رجاء لى أن أبصر فى هذا العالم بل فى العالم الآتى فقال لا تقل هكذا واسمع ما أخبرك به فإنى رأيت بعينى وأنا بأورشليم ذلك النبى الجليلى هناك جعل رجلاً يبصر وكان قد وُلِدَ أعمى ولم أرَ فى زمنى أحداً يبصر أحسن منه.

فتحرك الرجاء فى قلب بارتيماوس حين سمع هذا وقال كيف كان ذلك؟

فقال له تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى (وهذا عمل من شأنه أن يعمى البصير لا أن يجعل الأعمى بصيراً).

وقال له اذهب واغتسل فى بركة سلوام، ففعل وأبصر، وأنا رأيته بعينى وتكلمت معه وما رأيت رجلاً فى كل أورشليم يبصر أحسن منه، فقال بارتيماوس وكم من النقود أعطى لذلك؟ فقال لا شيء لأنه حصل على النظر بلا أجرة طبيب ولا ثمن دواء. فإذا شئت أن تُبصر فما عليك إلا أن تطلب ذلك منه.

فقال بارتيماوس وما اسمه؟ فقال له يسوع الناصرى. فإذا مر من هنا فلا تدعه يذهب بدون أن تلتمس منه البصر.

فقال لا يمكن أن يمر من هنا دون أن أسأله ذلك.

وبعد أيام من خطاب بارتيماوس مع ذلك الرجل. كان جالساً فى مكانه يستعطى حسب عادته ويصرخ كلما سمع صوت مشي الناس قائلاً ما هذا أخبرونى. فحدث أن يسوع كان ماراً من هناك فقال له واحد أن يسوع الناصرى مجتاز من هنا. فحالما سمع ذلك. صرخ بأعلى صوته "يا يسوع بن داود ارحمنى" (لو ١٨ : ٣٨) فانتهره بعض الناس وقالوا له اسكت. ولم يذكر الكتاب من هذا المنتهر لأنه يقول "فانتهره المتقدمون" (لو ١٨ : ٣٩).

بارتيماوس لم يبالى بمن انتهره بل يقول الكتاب أنه صرخ أكثر وقال يا ابن داود ارحمنى: فسمع ابن الله صلاته كما أنه يسمع دائماً صلاة كل من يدعوه بالإيمان فوقف وأمر أن يؤتى إليه بذلك الأعمى. فنادوه وقالوا له ثق قم هوذا يناديك وأتوا به إلى يسوع. فقال له أبصر فأبصر حالاً.

فتذكروا أيها الأحباء أن المسيح لا يدعوا أحداً للإتيان إليه ليهبه شيئاً من كنوز مراحمه وجودته.

وهنا نريد أن نتعمق قليلاً فى تصورنا الفرح الذى كان به بارتيماوس عندما أبصر وأيضاً زكا عندما دعاه المسيح لينزل تأملوا أيها الأحباء قوة ومحبة يسوع المسيح فى تغيير كل إنسان يأتى إليه باشتياق.

فزكا صعد إلى الجميزة رجلاً خاطئاً أثيماً محباً للمال لم يرحم مسكيناً ولم يأوِ غريباً ولم يكسو عرياناً.

وعندما نزل صرخ بفرح قائلاً: "ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف" (لو ١٩ : ٨) وهذا من أحسن الأثمار التى تغير الإنسان.

وإننى أعتقد تماماً أن تأثير الديانة إذ وصل إلى كيس النقود وفتحه ووزع فهذا كان من أحسن علامات تغير الإنسان وحقيقة إيمانه. قيل أن رجلاً فى سعة من العيش عليه دلائل التقوى والصلاح. مواظباً على حضور الكنيسة متتبعاً الكاهن فى صلواته ساجداً وقت السجود رافعاً يديه متضرعاً وقت التضرعات برهبة وخشوع تلفت الأنظار. حتى إذا وقف الكاهن للوعظ وذكر شيئاً من آلام السيد المسيح له المجد سرعان ما تذرف عيناه الدموع. فكان الكاهن يشيد بصلاحه وتقواه وما زال على ذلك حتى برهنت الأيام على عكس هذا الاعتقاد إذ ظهر هذا الرجل بأجلى وضوح أن ما كان يأتيه هذا الورع. كله رياء ــ وإليك البيان.

كان الكاهن يعظ كالعادة ــ وكان موضوع العظة الصدقة على المحتاجين والبائسين خصوصاً المستترين منهم. إذ أخذت النخوة أخ فاضل أن يطلب المساعدة لعائلة بائسة مات عائلها ولم يترك لهم من حطام الدنيا شيئاً وقام يجمع من المحسنين الأتقياء ما تجود به أنفسهم وقدم قائمة التبرعات إلى هذا الورع وطلب منه أن يكتب مبلغاً معيناً ــ فزمجر وغضب وسرعان ما ذهبت من وجهه علامات الخشوع والتقوى. وضاع دينه وفقد يقينه وجلس تحت منبر الوعظ يقول بصوت متهدج: هذا المبلغ من أنا حتى أدفع هذا المبلغ؟ وأخذ يهذى بهذه الكلمة حتى سمعه كل المجتمعين وعرفوا حقيقة نفس هذا الرجل الذى يريد الظهور بمظهر دينى كى يكسب محبة الأرضيين. وفاته أن غضب الله يرفرف كالعلم فوق رأسه فى كلِ آنٍ وصدقت عليه كلمة الله على لسان حزقيال حيث قال: "ويأتون إليكَ كما يأتى الشعب ويجلسون أمامك كشعبى ويسمعون كلامك ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم" (حز ٣٣ : ٣١).

هذه صورة عن حقيقة رجل له مظهر الدين وصورة التقوى. قارنوا بينها وبين صورة زكا بعد مناداة يسوع ونزوله من على الشجرة.

الأول رجل له صورة التقوى وقلبه نجس.

الثانى رجل متغير تقى عامل عارف أن "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه

افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم، (يع ١ : ٢٧).

وإن كان المسيح يأخذ بعض الأشياء التافهة الفانية إلا أنه يعطى لنا أحسن الأشياء فى هذه الحياة.

يقول الكتاب أن زكا قبله بفرح. نعم لأن المسيح يجلب الفرح معه وينزع من النفس الظلام والخطية والاضطراب والحزن والخوف ويلقى عليها نوراً وبراً وسلاماً وفرحاً.

نسألك اللهمّ أن تلهم الضالين أن ينزلوا من أشجار خرنوب المعاصى ويقبلوك مخلصاً فينالوا فرحاً وسروراً.

ثانياً ـ الاجتهاد فى تحويل ميلك وأشواقك ليسوع المخلص:

سمعنا فى أول الموضوع أن لكل منا ميل وشوق ويختلف هذا الميل والشوق بحسب عقليتنا واختلاف نفسياتنا.

فالبعض يميل ويشتاق أن يكون وجيهاً عظيماً.

والبعض يميل ويشتاق أن يكون ذو ثروة وافرة.

والبعض يميل ويشتاق أن يتزوج أجمل امرأة.

والبعض أن يقتنى القصور الشاهقة والعقارات الواسعة.

والبعض يتمنى أن ينال كلما يتمنى ولكن صدق ما قال:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه .·. تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

والعاقل المتأمل يرى أن الميل والسعى وراء أمور أرضية هو ميل فاسد وشوق باطل.

تأملوا يا أحبائى فى من قد قال كلمة تمنى وأختبر هذه الأمور وهوسليمان ملك إسرائيل فقد قال:

"بنيت لنفسى بيوتاً. غرست لنفسى كروماً. عملت لنفسى جنات وفراديس. وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسى برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر. قنيت عبيداً وجوارى. وكان لى ولدان البيت وكانت لى أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى أورشليم قبلى جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان.

اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم وبقيت أيضاً حكمتى معى. ومهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما لم أمنع قلبى من كل فرح. لأن قلبى فرح بكل تعبى وهذا كان نصيبى من كل تعبى ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يدى وإلى التعب الذى تعبته فى عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس، (جا ٢ : ٤–١٢)

أبعدَ كل هذا ألا نرفع عيون عقولنا ونحول دفة ميلنا واشتياقنا إلى الرب يسوع الذى ينادى قائلاً: "تعالوا إلىَّ يا جميع التعابى وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٩).

وها أنا يا أحبائى أرشدكم إلى المفاتيح التى بها نحول آميالنا وأشواقنا إلى الرب يسوع.

المفتاح الأول ـ معرفة الإنسان لنفسه:

من السهل أن تعرف كثيراً من الناس وتتكلم عن نقائصهم وعيوبهم ومن الصعب أن تعرف نفسك وعيوبها.

الابن الضال لم يفكر أن يرجع إلى أبيه إلا "بعد أن رجع إلى نفسه" (لو ١٥ : ١٧).

وقال شكسبير: لا أحد أقوى من نفسك على إرشادها.

قال أحد الشعراء:

عليك نفسك فتش عن معايبها ∴ وخل عن عثرات الناس للناس.

وسئل طالبييس الفيلسوف. ما هو أصعب شيء. فقال أن يعرف الإنسان نفسه وسُئل أيضاً ما هو أسهل شيء فقال أن ينصح غيره.

وقال السيد المسيح: "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يُعطى الإنسان فداء عن نفسه" (مت ١٦ : ٢٦).

أيها الصديق العزيز أعرفت نفسك؟ أن قيمتها عظيمة وهى لا تثمن بكل كنوز العالم وإذا خسرتها فلا تنفعك كنوز العالم شيئاً.

المفتاح الثانى ـ شعورك بأنك هالك بدون يسوع:

إذا شعر الإنسان بخطاياه وعرف غضب الله وقيمة نفسه. عرف الطريق التى بها يخلص ويصطلح مع الله الآب بيسوع المسيح وحده القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦).

فقم أيها العزيز: قم هوذا يناديك المُحب المُخلص.

"هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص" (٢كو ٦ : ٢).

فإن قلتم. لا نشعر بأننا هالكون قلت لا بأس أن لم تشعروا ولكن ينبغى أن تصدقوا ذلك. فها أنا أنبهكم. فسألوا أنفسكم الآن أخالصون نحن أم هالكون؟ ألم نشعر أو ننتبه. لأنه لابد من أحد الأمرين إذ لا متوسط بينهما. فلا يمكن للإنسان أن يكون خالصاً وهالكاً فى وقت واحد لأن ذلك مستحيل. فيفكر كل منا فى طريق خلاصه.

هذه خطوات يجب أن يتبعها كل من يريد أن يخلص قلب مشتاق لرؤيته وفوق ما ينال ويتمنى ويريد الإنسان من المسيح يعطيه أكثر وأغزر وأوفر.

إن المسيح نزل من عرشه المجيد ليخلصنا من هول الجحيم وأن كل إنسان يرى نفسه أنها هالكة يجب عليه بمجرد سماعه عن يسوع ومحبته أن يمتلىء اشتياقاً ويقول مع داود النبى.

"كلّت عيناى اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برك" (مز ١١٩ : ١٢٣).

"اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هى لذتى" (مز ١١٩ : ١٧٤).

الهمنا اللهمَّ نعمة من لدنك حتى ننتبه ونقوم باجتهاد عظيم ونطلب يسوع المسيح المخلص الذى لك وله ولروحك القدوس المجد من الآن وإلى الأبد آمين.

أهم مراجع الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

٢ ـ قاموس الكتاب المقدس.

٣ ـ الخولاجى المقدس.

٤ ـ بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية.

٥ ـ دراسات فى الكتاب المقدس إنجيل متى.
لنيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس مطران كرسى بنى سويف والبهنسا.

٦ ـ العظات الذهبية — القديس يوحنا ذهبى الفم

٧ ـ اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (جـ٢) — للمتنيح القمص يوحنا سلامة

٨ ـ التناول من الشركة المقدسة — تأليف الايغومانس إبراهيم لوقا

٩ ـ تفسير إنجيل يوحنا (جـ٢) — ترجمة القس مرقس داود

١٠ ـ الصخرة الأرثوذكسية — للأرشيذياكون حبيب جرجس

١١ ـ كنوز النعمة — للأرشيذياكون أبانوب عبده

١٢ ـ مريم العذراء — تأليف الشماس ميخائيل شحاته

١٣ ـ المواعظ التقوية — للشماس حنا القسيس

١٤ ـ كتاب مواعظ — للشماس صادق حنا

١٥ ـ بهجة الأعياد — للأستاذ يسى منصور

١٦ ـ الطلاق فى المسيحية — تأليف المقدس سامى بولس

١٧ ـ مقالتين من جريدة وطنى — لنيافة الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى

١٨ ـ مجلة صهيون — مؤسس المجلة المغبوط الأسقف ايسوذورس

١٩ ـ مقالات من جريدة وطنى — للقمص باسيليوس باسيليوس

٢٠ ـ مجلة المنارة — للقمص مرقس سرجيوس
٢١ ـ مجلة الحق — للقمص يوسف الديرى
٢٢ ـ رسالة المحبة — للقمص عبد الملك
٢٣ ـ مجلة المحبة — للقمص إبراهيم جبره
٢٤ ـ مقالة — للأرشيذياكون إسكندر حنا
٢٥ ـ مجلة مارجرجس — للشماس يعقوب القس بطرس
٢٦ ـ مجلة الكرازة — للأستاذ شاكر باسيليوس
٢٧ ـ بستان الروح — لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يؤانس
٢٨ ـ من تفسير وتأملات الآباء الأولين — للقمص تادرس يعقوب ملطى
٢٩ ـ ابن الله — للمتنيح القمص إبراهيم جبره
٣٠ ـ تفسير الأناجيل المقدسة جـ١ ، جـ٢ — للأب لويس برسوم الفرنسيسكانى
٣١ ـ مجلة الكرازة — لقداسة البابا شنودة الثالث
٣٢ ـ جريدة وطنى — لقداسة البابا شنودة الثالث
٣٣ ـ جريدة وطنى — لمثلث الرحمات نيافة الأنبا أغابيوس
٣٤ ـ مجلة الإيمان — للأستاذ سليمان جرجس المليح
٣٥ ـ مجلة مارجرجس — للدكتور فارس إسحق
٣٦ ـ رسالة المحبة — للأستاذ كامل صموئيل مسيحه
٣٧ ـ الشرق والغرب — للدكتور عزت زكى
٣٨ ـ الشرق والغرب — بقلم جاد المنفلوطى
٣٩ ـ الصخرة — الأرشمندريت أغناطيوس فرزلى
٤٠ ـ دراسة موسعة فى إنجيل يوحنا — للقس بيشوى فؤاد واصف
٤١ ـ أحاديث الرحيل وقطوف من إنجيل يوحنا — للدكتور القس فايز فارس

فهرست الكتاب

فهرست الكتاب

فهرست الكتاب

أيها المعلم الصالح

فى هذا الوقت الذى عز فيه التعليم الصحيح، بينما اشتاقت نفوسنا إلى المعرفة الحقيقية. وفى هذا الوقت بالذات، نشعر بأشد الاحتياج اليك أنت، أيها المعلم الصالح.

نشعر بأشد الاحتياج إليك، لأن منك نسمع كلام الله : ورغم أنك ابن الله إلا أنك لم تتكلم عن نفسك، بل الكلام الذى أعطاه لك الآب أعطيته لنا (يو ١٧ : ٧).

وعندما طلبت إلى الآب أن يرسل الروح القدس لأجل تعليمنا، قلت عنه «هو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به. يأخذ مما لى ويخبركم» (يو ١٦ : ١٢ ، ١٤).

وهكذا إذ صار لنا بواسطتك كلام الآب ذاته : توسعنا فى المعرفة جداً واستطاع الروح القدس الذى فينا أن يفحص كل شىء حتى أعماق الله (١كو ٢ : ١٠).

وإذا كنت تتكلم كلام الله كان من وراء تعليمك يا سيدى مجد الله. وهكذا استطعت أن تقول لليهود «من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، أما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو ٧ : ١٨).. وهكذا استطعت أن تقول للآب «أنا مجدتك على الأرض وأظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك» (يو ١٧ : ٦). «وقد عرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به» (يو ١٧ : ٢٦).. «مجداً من الناس لم تقبل» (يو ٥ : ٤١).

«وانما فى كلامك أعطيت المجد كله للآب وقد أكملت كل العمل الذى أعطاه لك الآب» (يو ١٧ : ٤).

ونحن يا سيدى نريد أن نسمعك لأنك تتكلم فى محبة : بدأت عظتك على الجبل بعبارات التشجيع قائلاً : «أنتم ملح الأرض.. أنتم نور العالم..» (مت ٥ : ١٣ ، ١٤).

ان تعليمك يا سيدى مصحوب بأعمال المحبة. فكنت تعلم وتشفى وتطعم.

أيها المعلم الصالح، فى هذا الوقت الذى عز فيه التعليم، نشعر بأشد الاحتيا[illegible]

مكتوب فى الأنبياء : «ويكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥).

لك المجد فى كنيستك إلى الأبد آمين.



مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٣٦٢ (٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٦ (٢٠٢)